المملــــكة العربيــــة السعوديــــة
وزارة الـــــــــــــتربية والتعـــــــــليم
وكالة كليـــــــات البنات
عمــادة الدراســـــات العليا والبحث العــــلمي
إدارة كليات البنات بمحافظة جدة
كلية التربية للبنات بجدة/ الأقسام الأدبية
قســـم الدراســـــات الإســــــــــلامية

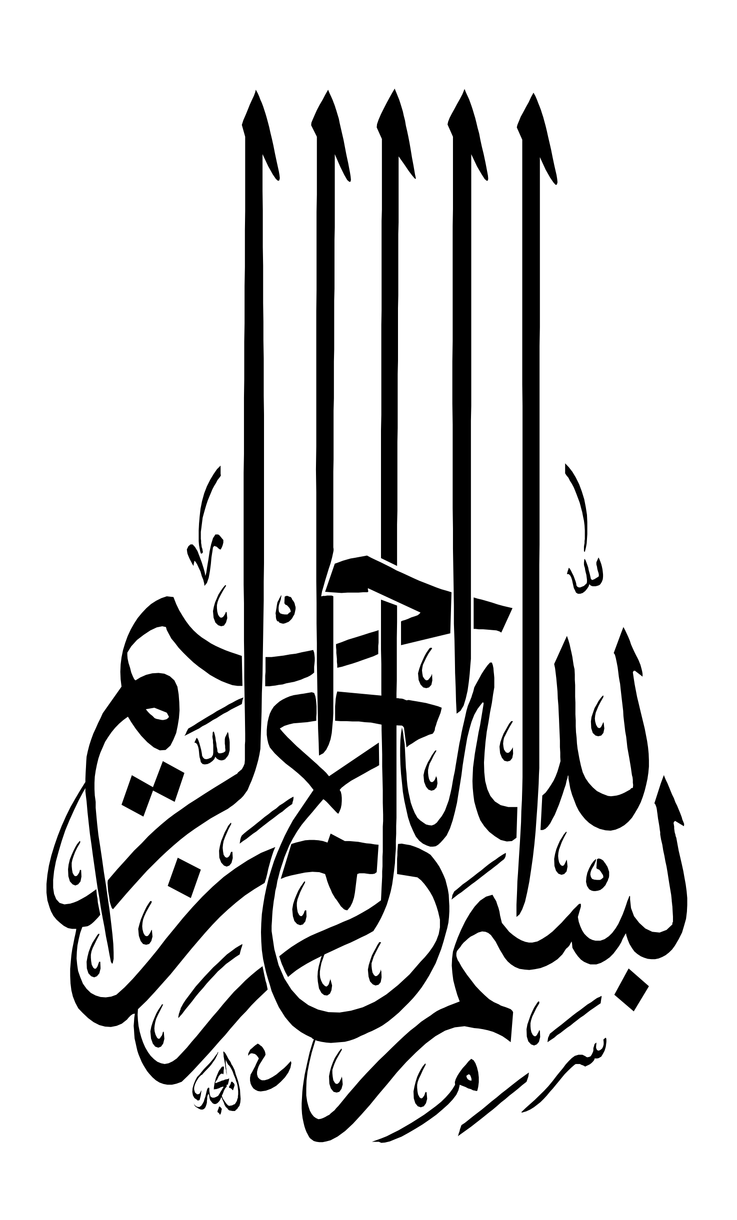
# أصول الإيمان بالغيب وآثاره

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية
تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد
فــوز بنت عبد اللطـيف بن كـامل الكــردي

إشراف
الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي
الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة

١٤٢٦ – ١٤٢٧هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

أول الشكر وآخره، لوليه ومستحقه من ابتدأني برحمته، وكلأني برعايته، وفطرني على محبته، وهداني إلى دينه وشرعته، ولم تزل تتوالى علي سوابغ نعمته، أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كله.

ثم الشكر والدعاء ووافر الثناء لمن ربياني صغيرة، وتعاهدا توجيهي وتعليمي، وغرس حب الدين وفضيلة قول الحق، والدي رحمه الله ورفع درجته في عليين، ووالدتي أطال الله عمرها وبارك عملها وجزاهما عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كلية التربية بجدة وعلى رأسها عميدتها الكريمة ووكيلاتها الفاضلات، وإلى قسم الدراسات الإسلامية أساتذة وزميلات وأخص بالذكر منهن اللاتي تولين رئاسة القسم خلال فترة هذا البحث على ما قدمنه لي وللباحثات من معونة، وأستاذتي الدكتورة زينب الحربي، وزميلتي الدكتورة أسماء السويلم جزاهن الله عني خير الجزاء.

كما أزجي صادق الشكر مكللا بالدعاء؛ إلى المشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور: عبدالله بن عمر الدميجي الذي منحني من وقته الكثير متابعًا مراحل البحث حاثًّا خطاي لإكماله، صابرًا على تأخر إتمامه، مصوباً وموجهًا مسيرتي فيه، فأسأل الله أن يثيبه ويبارك في وقته وعلمه.

وعميق شكري وامتناني للشيخين الفاضلين، الأستاذين الكريمين:الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل، والدكتور: محمود بن محمد مزروعة، على تفضلهما بقبول المناقشة مع ضيق الوقت، وكثرة الأعباء فجزاهما الله خيرًا وأجزل لهما العطاء، ونفعني بعلمهما .

ولا أنسى في مقام الشكر والعرفان خالي الغالي فضيلة الشيخ الدكتور: عبدالعزيز مصطفى، الذي لقيت منه سبق رعاية، وفضل عناية من أول خط كتبه اليراع، فكانت نظراته الثاقبة وتوجيهاته المسددة مخففة عني صعوبة الموضوع. وزوجي الكريم الدكتور: عبدالغني مليباري، الذي تجاوز بي صعوبة المراجع الأجنبية ومفاهيم العلوم التطبيقية، فذلل سبل الوصول إليها وترجم وشرح، فلهما عليّ أياد بيضاء، لا يدانيها إلا الدعاء.

وشكر خاص لأبنائي الأحباء عمار وأسماء وأمامة ومريم ونسيبة وعائشة وزينب والزهراء الذين تحملوا تقصيري معهم واحتجابي عنهم ساعات طويلة من الليل والنهار خلف حاسوبي وبين كتبي وأوراقي فجزى الله الجميع عني خير الجزاء ورزقني وإياهم مراتب الصديقين والشهداء.

كما أشكر أختيّ الحبيبتين زينب ورشأ على ما قامتا به من عون في مراجعة البحث وتنسيق طباعته. وصهري العزيز عامر بهجت الذي كان معيناً مبادراً كلما احتجت إليه والشكر بعد لجميع إخوتي، وأخواتي في الله تعالى الذين كانوا خير عون حفزًا ودعاء وتحملا لما يصدر من تقصير وانشغال. فجزى الله الجميع عني خير الجزاء ورزقني وإياهم مراتب الصديقين والشهداء.

# المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، واعد من خشيه بالغيب إيمانًا أن يراه في الآخرة عيانًا، والصلاة والسلام على إمام الأوّلين والآخرين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فإن الإيمان بالغيب مفرق الطرق في ارتقاء الإنسان وسموه إلى آفاق أرحب من عالم الشهادة المحسوس، وحياة أرقى من حدود الدنيا. به تتحرّر البشرية من الجهل الذي يفضي إلى عبوديّة الهوى بالانحصار في عالم الحسّ والماديات، أو عبوديّة طواغيت شتى وراء المادة تخيّلها العقول وتزيّنها الشياطين؛ فالإيمان بالغيب يُعرّف المؤمن بأنّ وراء عالم الشهادة غيب لا يُتوصّل إلى حقائقه إلاّ بالتلقّي عن العليم ﷻ، ومن ثم يوجّه المؤمن جهده نحو تحرّي المصدر الصحيح الذي تُستمدّ منه هذه المعارف ليصل إلى الحقّ، ويرتقي في مدارج الإيمان بالغيب، ويحقق معاني العبوديّة لله ﷻ بالسموّ إلى أعلى مراتب تقواه في الدنيا، والعمل لأرفع درجات جنانه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة:١-٥]؛ لذا كان الإيمان بالغيب أصل جميع دعوات الرسل عليهم السلام وهو الصفة اللائقة بالأمّة المسلمة وارثة عقيدة التوحيد وهدى النبوّات منذ فجر البشريّة.

والإيمان بالغيب أصل الدين الحقّ، وأساس الاعتقاد الصحيح، وتحقيقه هو مِلاك مراتب الدين؛ فمسائل الإيمان وأركانه تقوم على الإيمان بغيبيّات ثبت عند العبد صدق مبلِّغها ﷺ فهو يؤمن بها وينزلها من نفسه منزلة الثوابت واليقينيّات التي لا تحتاج دليلاً أو برهانًا. وأحكام الإسلام وشعائره وعباداته من الأقوال والأفعال إنما مبناها الإيمان بالغيب وتلقّي خبره باليقين والطاعة والامتثال. فبالإيمان بالغيب يُعلم مراد الله ﷻ في سائر العبادات، ويُتحلّى بالأخلاق

الفاضلة في شتى المعاملات، وبه ترتفع الأمم عن دنس الشرك وحضيض الضلالات. كما أن رسوخ القلب في الإيمان حتى يستوي الغيب والعيان هو لُبُّ مرتبة الإحسان والطريق إلى الفوز بأعلى درجات الجنان.

ولمّا كان للإيمان بالغيب هذه المنزلة في الاعتقاد، وذاكم الأثر في تصحيح العبوديّة وإيقاعها على الوجه الذي يحبُّه الله ويرضاه؛ فقد تولى إبليس -لعنه الله- أمر صرف الناس عن الحقّ فيه، ليجتالهم عن الحنيفية، ويغويَهم عن الهدى ويضلّهم ضلالاً بعيدًا، فأغرى طوائف منهم بالماديّات، وزيّن لهم الإغراق في الشهوات، وضلل طوائف أخرى بالروحانيّات، وأمدهم بما يخيّل إليهم من أرواح وإشراقات؛ ففشت أنواع الانحراف عن الإيمان بالغيب حتى خفي كثير من معالم الحق واختلط على فئام من المؤمنين، فتخبّطوا وراء ضلالات ابتدعها الراجمون بالغيب الخائضون فيه بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير!

من هنا نشأت أهمية البحث في أصول الإيمان بالغيب وآثاره، وتمييز الغيب الحقِّ من الباطل المقنَّع بقناع الإيمان لإبراز القواعد التي تمثِّل أصول وضوابط يُنظر في ضوئها إلى المتغيّرات، ويقاس على قانونها المستجدّات فيما يتعلّق بالغيب ومسائله وأحكامه، وفيما يُرى من آثار الإيمان به أو الانحراف عنه.

وقد رغبت بعد الاستشارة والاستخارة أن أختاره موضوعًا لأطروحة (الدكتوراه)؛ لأتمكّن من دراسة جوانبه المختلفة إسهامًا متواضعًا في خدمة هذا الدين العظيم بأداء واجب النصح لفئات من الناس انحرفوا عن الحقّ، وتاهوا في أنواع الباطل الذي يتلوّن كلّ يوم بلون، فمرّة يلبس رداء الحداثة والعصرنة، وتارة يتلفّع برداء الإنسانيّة والعولمة، وأخرى ينادي بالروحانيّة، أو يتزيّا بزيِّ الحكمة، ويبرز تارات أُخر في صورة نتاجٍ باهرٍ لاكتشافات علميّة أو تجارب شخصيّة، وشتّان بين ما تأتي به هذه الترّهات وبين ما يهدي إليه الدين القويم، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك:٢٢].

**قيمة الموضوع وأسباب اختياره:**

تنبع قيمة اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث من الحاجة إلى مزيد من دراسات التأصيل العلميّة في أبواب الاعتقاد بعامّة وباب الإيمان بالغيب بخاصة لكون ما كتب في هذا الموضوع متناثرًا بين بعض مصنّفات العقيدة والتفسير قديمًا، وكتب نظرية المعرفة حديثًا، وأكثره منصبّ على مناقشة أفكار الفلاسفة والردّ عليهم، متأثر بألفاظهم واصطلاحاتهم وما فشا من صور الانحراف في زمانهم، مما يُبرز الحاجة إلى دراسةٍ تجمع المتناثر، وتُبرِز الأصول بعبارة سهلة، وتوضِّح الآثار بأمثلة معاصرة لتنبيه المؤمنين بالغيب إلى الأصول المهمة التي يقوم عليها منهج حياتهم، وتحذيرهم من صور الانحراف العقدي المعاصرة التي تُنشر بشكل تطبيقي وأعمال يومية تُخفي ماوراء تلك التطبيقات من العقائد الباطلة والفلسفات الوثنية الملحدة، ويعضد هذه القيمة أسباب هي:

١. الاستجابة للتوصيات العلميّة بالكتابة في موضوعات عقديّة تأصيليّة وإيمانيّة متخصِّصة تجمع ما تناثر في كتب السلف في الموضوع الواحد لتبرز عظمة الدين الحقّ وملاءمته الفطر السويّة، وشموله كلّ ما يُصلح البشريّة، وتقرّب منهجه لعامّة الناس في عصر ضعفت فيه الهمم عن طلب العلم، وتتبُّع أصول مسائله من مظانِّها.

٢. القيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ والإسهام -بحسب الوسع- في خدمة المنهج الحقّ؛ بدراسة ركن عقيدته الركين، وأساس ملته المتين (الإيمان بالغيب) وإبراز الأصول والآثار المتعلقة به للحد من ظاهرة اقتحام عالم الغيب التي يقودها طوائف من اليهود والنصارى انتعشت مشاعرهم بقرب انتهاء الدنيا.

٣. تنبيه المؤمنين بالغيب إلى قصور جميع مصادر المعرفة — عدا الوحي- عن تقديم ما يلبي حاجات الإنسان ورغباته في استكناه حقائق الوجود والكون والحياة، ليكون الوحي مرجعهم ومصدرهم الأول في البحث عن حقائق الأمور.

٤. تحذير المؤمنين بالغيب من الفتنة بالعلم ووسائله الحديثة بعد كشف أنواع من الغيوب النسبيّة، وتعريفهم بأقسام الغيب ليفرِّقوا بين ما يمكن التعرُّف عليه في الدنيا مع تطور وسائل العلم مما يُكذِّب من يدّعي كشفه ومعرفته ولو وافق الحق في بعض مايخبر به.

٥. الإسهام في حماية الأمة من الفكر التكفيريّ الذي تروج له طوائف من الأمّة؛ إما للجهل بأحكام الإيمان بالغيب وأحكام المنحرفين عن الحق فيه أو لظنّ أنّ التكفير يسهم في تحذير المؤمنين من الجهل والكفر والشرك، وإبراز تميّز معتقدهم الحقّ ودقّة مسائله وأحكامه؛ مما تطلَّب بيان أصول هذه المسائل والأحكام لبيان الحقّ والتحذير من الباطل دون الوقوع في مزالق التكفير.

٦. التحذير من العقائد الباطلة والطقوس الوثنية التي أخذت تنتشر بين عامة المسلمين تحت أسماء علميّة أوشرعيّة وبصورة تطبيقات عمليّة تدريبية للشفاء والسعادة وتطوير القوى البشرية الكامنة مما ضلَّل فئامًا من الأمَّة عن حقيقة هذه التطبيقات، ومن ثم أبعدهم عن المنهج المرضيّ عند الله عقيدة وعملاً.

٧. بيان خطر الخلط بين التأصيل الإسلامي المطلوب للعلوم الإنسانية، والمنهج الباطنيّ المعتمد على ظاهر من النصوص الشرعيّة يغطّي باطن من الكفر والإلحاد، الذي انتشر تحت اسم (الأسلمة) وأدى إلى تزييف صور من الانحراف العَقديّ عن الإيمان بالغيب، وإلباسها لباس الحقّ، وترويج أنواع من الفلسفات الملحدة .

٨. التحذير من محاولات التقريب بين الحقّ والباطل في الدين والعبادة ومصادر المعرفة التي نتجت من وراء دعوات الحوار والتسامح والعالميّة والأخوّة الإنسانيّة والكوكبيّة ،وروجت لها وسائل الاتصال في الدوريّات والقنوات الفضائيّة والشبكة العنكبوتيّة وغيرها.

٩. التحذير من فشو الماديات التي تعلق بها كثير من الناس كنتيجة لضعف الإيمان بالغيب والانسياق وراء زحف المفاهيم الغربية التي كثر دعاتها بين المسلمين، وبيان أثر ذلك في ظهور وجه جديد للمادية سِمته تفسير الغيب بالماديات !

## الدراسات السابقة :

لا تكاد تخلو دراسة علميّة في العقيدة من موضوع الإيمان بالغيب نظرًا لقيمته الكبرى، واتصاله بسائر موضوعات العقيدة؛ سواء أكان الحديث عنه في باب أو فصل أو مبحث، أم كان الحديث عنه ضمنًا في مسائل الاعتقاد المتنوّعة، إلاّ أنّه– بحسب ما علمت–لم يفرد برسالة جامعيّة متخصّصة تدرس جوانبه ومتعلّقاته، إلاّ فيما يلي:

١. أطروحة بعنوان (الإيمان بالغيب) نال بها الباحث بسّام سلامة مقبل درجة (الماجستير) من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٠هـ ، وطبعت الرسالة ونشرت عام ١٤٠٣هـ . ولم يصرفني الاطلاع عليها عن اختيار الموضوع لأسباب منها :

– أن مضمون تلك الأطروحة الإيمان بالغيب عمومًا، بإثبات الغيب ودعم رأي المؤمنين به بالأدلّة، مع بيان رأي منكريه والردّ عليهم؛ لذا ناقشت مسائل عامّة كخصائص الإيمان بالغيب، ومواقف الناس منه، وضروراته ومصادر معرفته، ومفاتحه وآثاره، وفصّلت الردّ على منكريه، في حين تسعى هذه الأطروحة إلى بيان أصول الإيمان بالغيب وآثاره وضوابط المعرفة فيه، فتستخلص القواعد والأصول الضابطة لمسائله من خلال أدلّة الكتاب والسنّة وأقوال سلف الأمّة، كما تتناول آثار الإيمان به في صلاح أمور الدين والدنيا بتصنيف روعي فيه إبراز ما يغني عن جميع الدعوات الروحانيّة، فهذا المضمون يختلف عن سابقه، كما سيظهر في خطّة البحث التفصيلية.

– أنّ الأطروحة المذكورة مضى على مناقشتها أكثر من عشرين عامًا، وهي فترة طويلة تغيّرت فيها كثير من وسائل المعرفة واستجدّت أمور أخر تتعلق بادّعاء المعرفة بالغيب، كما تغيّر واقع الناس واحتياجاتهم عبر تلك السنين؛ مما يجعل موضوع الإيمان بالغيب والمسائل المتعلّقة به موضوعًا جديرًا بالدراسة والتأمّل في إطار الثوابت القويمة الراسخة المستمدّة من الأصول الشرعيّة مع النظر في متغيّرات الواقع الحديثة .

٢. أطروحة بعنوان (علم الغيب في العقيدة الإسلاميّة) نال بها الباحث أحمد ابن عبد الله الغنيمان من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبويّة درجة (الماجستير) عام ١٤١٢هـ، وهي أطروحة فصّلت القول في إثبات اختصاص الله بعلم الغيب، وجمع أدلّة الكتاب والسنة على ذلك، وشرح مفاتح الغيب الخمسة، ثم خُتمت بحكم الإسلام فيمن يدّعي علم الغيب من الكهنة والمنجّمين ونحوهم، وهذه الموضوعات ثانويّة في هذا البحث (أصول الإيمان بالغيب وآثاره) .

٣. أطروحة عنوانها (التنبُّؤ بالغيب عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام) نالت بها الباحثة حياة بنت سعيد با أخضر درجة (الدكتوراه) من جامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ وقد خصَّصت الباحثة جزءًا كبيرًا من الباب الأول للإيمان بالغيب، تحدّثت فيه عن تعريف الإيمان بالغيب

وأهميته ومفاتحه حديثًا كان بمثابة التمهيد للموضوع، فالاختلاف بينه وبين موضوع هذه الأطروحة واضح.

٤. دراسات مقدَّمة لغير قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وهي دراسات تختلف من حيث الهدف كليًّا عن هذه الدراسة ومراميها، ومنها: أطروحة بعنوان (الغيب في القرآن الكريم) مقدّمة لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود، نال بها الباحث جمال الدين القادري درجة (الماجستير) كانت مخصّصة لبيان منهج القرآن في الاستدلال على مسائل الغيب، وبيان الآيات التي تبيّن هذه المسائل، وأثر كلّ مسألة على الفرد والمجتمع. وأطروحة بعنوان ( منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الإيمان بالغيب) مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود، نال بها الباحث يحي القحطاني درجة (الدكتوراه)، وهي دراسة تتبّعت الأساليب التي ذُكرت بها الغيبيّات في القرآن، وبيَّنت كيفية الإفادة منها في الدعوة.

وهذه الرسالة استفادت بلا شكّ من الدراسات السابقة، ولكنها اختلفت عنها في أمور مهمّة منها:

– استخلاص الأصول التي تضبط المسائل المتعلِّقة بالإيمان بالغيب؛ لبيان المنهج القويم، وإبراز القواعد المهمّة في تلك القضية الكبرى وَفق معتقد أهل السنة والجماعة.

– دراسة المستجِدّات المتعلِّقة بادّعاء الغيب وإلحاقها بأصولها القديمة في الكهانة والتنجيم وغيره .

– دراسة آثار الإيمان بالغيب ومقابلتها بآثار الانحراف في معرفة الغيب والإيمان به من خلال دراسة نتاج الحركات الدينيّة المعاصرة ذات الطابع الروحاني والحقيقة الفلسفية.

## خطة البحث :

تشتمل خطة البحث على تمهيد وبابين وخاتمة.

- **تكفَّل التمهيد بتجلية مفردات العنوان وفق مبحثين اثنين:**

– الأول : التعريف بمصطلحي (الأصول، الغيب) .

– الثاني : بيان منزلة الإيمان بالغيب من الدين.

ثُمَّ توزَّعت عناصر الموضوع على البابين التاليين :

- **الباب الأول: أصول الإيمان بالغيب، وحوى ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: أقسام الغيب وصفات من يعلمه، وفيه مبحثان:**

**– المبحث الأول: أقسام الغيب واختصاص الله بكمال علمه، ويشتمل على ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول : أقسام الغيب باعتبار العلم به .

المطلب الثاني : أقسام الغيب باعتبار إمكان التعرف عليه في الدنيا .

المطلب الثالث : أقسام الغيب باعتبار الزمان .

**– المبحث الثاني: علم الغيب بين صفات الخالق وصفات المخلوقين،وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: صفات الله تعالى المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب .

المطلب الثاني : صفات المخلوقين المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب .

**الفصل الثاني: مصادر استمداد المعرفة بالغيب، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: المصادر التي يمكن معرفة الغيب منها، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : الوحي المعصوم كتابًا وسنة .

المطلب الثاني : المصادر التي يختلط فيها الوحي بغيره .

**المبحث الثاني: المصادر الباطلة لاستمداد معرفة الغيب، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول : المعرفة الباطنية .

المطلب الثاني : الكهانة .

المطلب الثالث : الكتب المقدسة في الأديان الوثنية .

المطلب الرابع : كتب التنبؤات .

**الفصل الثالث: أحكام الإيمان بالغيب، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: أحكام الإيمان بالغيب بحسب مسائله. وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : مسائل الغيب التي هي أصول الإيمان وأركانه .

المطلب الثاني : مسائل الغيب التي هي فروع الإيمان ومكملاته .

**المبحث الثاني: أحكام المؤمنين بالغيب ومراتبهم، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : أهل مطلق الإيمان .

المطلب الثاني : أهل الإيمان المطلق .

**المبحث الثالث: أحكام المخالفين في باب الإيمان بالغيب، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول : حكم الجاهل في مسائل الغيب .

المطلب الثاني : حكم المخطئ في مسائل الغيب .

المطلب الثالث : حكم المتأول في مسائل الغيب .

المطلب الرابع : حكم المعاند المنكر في مسائل الغيب .

المطلب الخامس : حكم مدّعي علم الغيب .

- **الباب الثاني: آثار الإيمان بالغيب، وحوى فصلين:**

**الفصل الأول: معرفة حقائق الوجود الكبرى، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: أثر الإيمان بالغيب في معرفة مقام الألوهية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول : معرفة الإله الحق.

المطلب الثاني : معرفة حقيقة التوحيد .

المطلب الثالث : معرفة أسماء الله وصفاته .

**المبحث الثاني: أثر الإيمان بالغيب في معرفة المبدأ والغاية والمصير، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول : معرفة المبدأ .

المطلب الثاني : معرفة الغاية .

المطلب الثالث: معرفة المصير .

**المبحث الثالث: أثر الإيمان بالغيب في معرفة الإنسان نفسه، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : معرفة حقيقة النفس الإنسانية .

المطلب الثاني : معرفة المؤثرات الغيبية في النفس .

**الفصل الثاني: إصلاح الدين والدنيا ، وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: أثر الإيمان بالغيب في ضبط مصادر المعرفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول : الترغيب في العلم ونبذ الجهل .

المطلب الثاني : الإرشاد إلى منهج طلب المعرفة اليقينية .

المطلب الثالث : التحذير من الكذب والكذابين .

**المبحث الثاني:أثر الإيمان بالغيب في الهداية إلى منهج العبودية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : الهداية إلى الدين الحق .

المطلب الثاني : الهداية إلى صحيح العبادة .

**المبحث الثالث: أثر الإيمان بالغيب في إصلاح الحياة والمعاش، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : إصلاح حياة الإنسان المؤمن.

المطلب الثاني : إصلاح المجتمع الإنساني .

- الخاتمة ضمَّت أبرز النتائج وأهمّ التوصيات .

- الفهارس العامّة وثبت المصادر والمراجع. وكانت الفهارس على النحو التالي : فهرس للآيات الكريمة، وثانٍ للأحاديث الشريفة، وثالث للملل والفرق والمذاهب المعاصرة، ورابع لموضوعات البحث.

## منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائيّ التحليليّ: بجمع المادة العلميّة لموضوع البحث من مظانها ودراستها وتصنيفها واستخلاص نتائجها، ثم عرض موضوعاتها وتصنيف مسائلها بوضوح وإيجاز، مع التزام ما يلي:

١. عرض الموضوع وفق عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيان آراء المخالفين بمايبرز الحقّ ويبين الباطل مع الإحالة إلى مراجع مناقشة الأقوال الباطلة في مظانها المعتمدة، وإن كان للباطل صور جديدة بيّنتها ونبّهت على خطئها.

٢. جمع المعلومات من أيّ مرجع له صلة بموضوعات البحث، ولو اختلف منهج مصنِّفه العقديّ عن منهج أهل السنة والجماعة؛ فالانتقاء إنما هو للمعلومات والأفكار انطلاقًا من أنّ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها، فالحقّ يقبل من أي أحد، وقد صنع هذا

شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: ((وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلِّمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحقّ يقبل من كلّ من تكلم به))[1].

٣. بيان معاني المصطلحات والألفاظ المشكلة من كتب اللغة والمعاجم المتخصِّصة. والاقتصار في التعريف اللغويّ للكلمات على المعنى الذي له اتّصال بالمراد الاصطلاحيّ.

٤. عزو الآيات القرآنية أو أجزائها الواردة في البحث إلى سورها مع ذكر رقم الآية في متن الرسالة تيسيرًا للقارئ وتخففًا من كثرة الحواشي.

٥. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصيلة، والاكتفاء بالعزو إلى الصحيحين أو أحدهما إن وجد الحديث فيهما، أمّا إذا كان في غيرهما فأذكر حكم العلماء على الحديث.وأذكر في كلٍ رقم الحديث بحسب الطبعة المعتمدة.

٦. التعريف الموجز بالأعلام الذين ترد أسماؤهم بما يسهم في معرفة شخصياتهم، وآرائهم في المسائل المذكورة في البحث، واستثنيت من ذلك بعض المشاهير كالصحابة والأئمة الأربعة.

٧. التعريف الموجز بالفرق والمذاهب والأديان غير السماوية والحركات الدينية الحديثة التي ترد في البحث.

٨. الاقتصار على المعلومات الأساسيّة فقط عند التوثيق في الهامش فيما يتصل باسم الكتاب ومؤلِّفه مع رقم الجزء والصفحة، وإثبات المعلومات التفصيليَّة عن بيانات النشر في ثبت المراجع والمصادر.

٩. كتابة المصادر والمراجع التي تمت الاستفادة منها في ثبت المصادر والمراجع مبتدئة في العربية باسم الكتاب فالمؤلف، وفي الأجنبية باسم المؤلف فالكتاب .واستثنيت من القائمة المجلات والصحف والكتب التي ذكرتها في للفائدة أو التنبيه اكتفاء ببياناتها المثبتة في الحاشية.

١٠. تنظيم الفهارس العامّة حسب حروف المعجم عدا فهرس الآيات فجعلته حسب ترتيب المصحف.

---

(١) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٠١/٥

هذا وكنت أتوقع أن أتم رسالتي هذه في قرابة العامين إلا أن الأمد امتد إلى أربعة أعوام ؛نظرًا لأن مسار البحث تطلّب دراسة مباحث فلسفية قديمة وحديثة لا تخفى مشقة فهمها وخطورة الوقوع في شُبه مصنفيها ونظرياتهم التي تلبس الحق بالباطل، مما احتاج إلى دراسة متأنية لردود السلف ﷺ على أصول هذه الفلسفات بغية تحصيل علم صحيح وتكوين رؤية شاملة تميز بين الحق والباطل، وقد استغرق ذلك وقتًا طويلاً.

كما احتاج الأمر إلى الاطلاع على بعض المراجع الأجنبية التي تعرض تطبيقات الفلسفة المعاصرة والحركات الدينية الروحية الحديثة مما تطلّب ترجمة واعية لم يكن الوصول إليها سهلاً ميسورًا. فضلاً عن كثرة مراجع البحث، وتفرق مادته في كتب التفسير والعقيدة والفلسفة والأديان والرقائق وبعض كتب العلوم التطبيقية، وكتب التطبيقات المعاصرة لفلسفة الأديان الشرقية، وما كان لي أن أصل إلى مبتغاي من هذا المجموع لولا فضل الله ﷻ فله جليل الحمد وجميل الثناء.

ثم إن المادة العلمية المجموعة كشفت لي حقائق خطيرة فضحت أصل الفكر المنحرف الكامن وراء ما انتشر بشكل تطبيقات يومية ودورات تدريبية عمت بلاد المسلمين بظاهر يدعو إلى التنمية البشرية وباطن ينخر أصول البناء العقدي للأمة، ويتعدى على عالم الغيب ويفتح الباب على مصراعيه للكهانة والتنجيم، ويشوّه مصادر المعرفة، ويجتث من القلوب أخص معاني العبودية من تحققها بالذلة والافتقار لله رب العالمين، بل وينشر أنواعًا من الشرك والإلحاد، فكان لزامًا عليّ متابعة هذه التطبيقات والدورات زمنًا للتعرف على طريقة عرضها ومنهج ترويجها بين المسلمين، كما أوجب عليّ المسارعة في بيان الأمر لأهل العلم وأولي الأمر، وتحذير عامة المسلمين الذين يُخشى عليهم إن انغمسوا في هذه الدورات، وانساقوا وراء بريق وعودها بالنجاح والصحة والتميّز. ولما كان الأمر متعلقًا بالعقيدة وبجناب التوحيد، ومتعلقًا بنوازل قائمة قد يصعب قبول التحذير منها إذا بعُد الزمان لتمكنها من القلوب، وسريانها في ثقافة المجتمع، فقد قدمت — بعد استشارة فضيلة المشرف– ما رأيته فريضة الوقت، ومن ثم تأخر إتمام كتابة البحث؛ إذ التصدي للبدعة من سنن الهدى وأبواب الجهاد في سبيل الله، وأداء حقّ النصح لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم، وهو في حق الباحثة –لاطّلاعها عليه– من فروض الأعيان قيامًا بأمانة التخصص في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

وهكذا فما كان لهذه الرسالة أن تتم لولا فضل الله ﷻ فله الحمد أولا وله الحمد آخراً، ثم صبر فضيلة المشرف وتوجيهاته القيمة التي تجاوزت إثراء هذه الرسالة وتقويمها إلى مراجعة كتابات الباحثة ومادة محاضراتها المتعلقة بالموضوع، وتوجيه مسيرتها للتوفيق بين متطلبات إتمام البحث ومتطلبات القيام بواجب البلاغ، فجزاه الله خيراً وأجزل له المثوبة والعطاء.

وأخيرًا فإنني أحمد الله ﷻ على ما منّ به من العلم، وأتوب إليه مما ندّ به الفهم، أو زلّ به القلم، وأصلي وأسلم على خير خلقه، الذي بلغ الأمانة ونصح للأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة:

فوز بنت عبد اللطيف الكردي

الإثنين ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ

# التمهيد

# المبحث الأول

# التعريف بمصطلحي(الأصول)و(الغيب)

## أولا: الأصول

الأصل في اللغة: « أسفل كلّ شيء، وجمعه أصول»[١]، فأصل كلّ شيء قاعدته[٢]. والأصل ما يبنى عليه غيره، فيطلق على القاعدة التي يبنى عليها القول، يقال: أصّلته تأصيلاً: أي: جعلتُ له أصلاً ثابتًا يُبنى عليه غيره[٣].

ويطلق في الاصطلاح على معان عدّة، ومعنى الأصل المتعلّق بمراد هذا البحث هو: «القانون والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات»[٤].

واستعمال كلمة الأصل على هذا المراد كثير في المصنّفات الشرعيّة، يقال: أصول الفقه، أي: قواعده وضوابطه. وأصول الدين أسسه وأركانه. ويقال: «أصل الدين الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ»[٥] أي: قاعدة الدين ومبناه. ويقال: من أصول جهم[٦] امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث[٧]! ومثل هذا كثير.

فالأصول من حيث إنها مبنى وأساس تسمى قواعد، وهذا هو المعنى المراد بأصول الإيمان في هذا البحث، أي: القواعد التي يقوم عليها ضبط المسائل المتعلّقة بالغيب وأركانه ومسائله، وقواعد دراستها والبحث فيها وفق عقيدة أهل السنة والجماعة.

---

(١) "لسان العرب" لابن منظور :أصل : ١٦/١١

(٢) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٧٩

(٣) "التوقيف على مهمات التعاريف" للمناوي : ٦٩

(٤) "الكليات" للكفوي: ١٢٢ ، ويطلق على الدليل بالنسبة للمدلول، ويطلق على الراجح بالنسبة للمرجوح وغير ذلك.

(٥) ينظر : "شرح الطحاوية" لابن أبي العز : ٤٠٤

(٦) هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، رأس الجهمية وإليه تنسب، كان مشهوراً بالجدل والخصومات، هلك في زمان التابعين سنة ( ١٢٨هـ) بعد أن زرع في الأمة شراً كثيراً ، ينظر :"سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٢٦/٦ .

(٧) هو الأصل الذي فرعوا بناء عليه القول بفناء الجنة والنار، وبنى عليه المعتزلة القول بفناء حركات أهلها.

## ثانياً : الغيب

الغيب في اللغة: مصدر من غاب، ومعانيه تدور حول الخفاء والاستتار وما بطن من الأمر بحيث لا تدركه الحواسّ[١]، يقال: غابت الشمس وغيرها، إذا استترت عن العيون، واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيب عن علم الإنسان ، قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل:٢٠]. ويقال: غاب عني كذا. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: ٧٥]، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:٧٣]، أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه، فيشمل معنى الغيب في اللغة كلّ ما غاب عن الحواسّ، سواء أ كان محصَّلا في القلوب تدركه وتعيه، أم غير محصّل[٢]. ويقال للشيء: غيب وغائب باعتبار الناس، لا بالله تعالى، فإنّه لا يغيب عنه شيء، كما أنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض[٣].

والغيب في الاصطلاح الشرعيّ استعمل استعمالات عديدة حسب ورود مادته في الكتاب أوالسنّة؛ فمن العلماء من استعمله على عموم أصله اللغويّ في الدلالة على كلّ ما غاب عن الحاسّة [٤]، فشمل بذلك مع ما تعبّدنا الله بالإيمان به أمورًا دنيويّة كثيرة غائبة عن حواسّ الإنسان، لا يتناولها معنى الإيمان بالغيب الممتدح شرعًا [٥]. كما شمل الغيب الذي يختصّ بعلمه الله ﷻ .

ومن أهل العلم من حدّد المراد من مصطلح الغيب بما ثبت بالنقل فقط مما تعبّدنا الله بالإيمان به فترادَف مع مصطلح السمعيّات الدالّ على الأمور التي يتوقّف عليها السمع كالنبوّة، أو تتوقّف هي على السمع كالمعاد وأسباب السعادة والشقاوة من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية[٦]. وبعض أهل العلم من المفسِّرين عرفوه ببعض مفرداته من المسائل الغيبيّة. وفيما يلي

---

(١) ينظر:"لسان العرب"لابن منظور:غيب:٦٥٤/١، و"الصحاح" للجوهري:١٩٦/١، و"المعجم الوسيط" : ٦٦٧/٢، و"تاج العروس" للزبيدي : ٥٠١/٣

(٢) ينظر : "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير : ٣٩٩/٣، و"لسان العرب" لابن منظور : ٦٥٤/١

(٣) ينظر : "عالم الغيب والشهادة" لعثمان ضميرية : ١٣

(٤) ينظر : "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٦١٦، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٢٣/١٣

(٥)كالعلم بالأقطار النائية والعلم بأجهزة الجسم الداخلية والعلم بطبقات الأرض ونحو ذلك .

(٦) "المواقف" للإيجي : ٥٤٥

عرض هذه التعريفات والتعليق عليها لتحديد المقصود من الغيب الذي أمر الله عباده بالإيمان به، وجعل إيمانهم به صفة يمتدحون بها.

**١- تعريف الغيب بالمعنى العامّ :**

عرّف الرازيّ[١] الغيب بأنّه ما غاب عن الحواسّ، وقال: هو رأي جمهور المفسّرين[٢]. وهو تعريف عامّ واسع المدلول لا يحدِّد الغيب الذي تعبَّدنا الله بالإيمان به.

وأوسع منه تعريف الباجيّ[٣] قال: هو المعدوم وما غاب عن الناس[٤]. فجمع مع الموجود الذي يغيب عن الناس حسًّا أو علمًا؛ المعدوم الذي لم يوجد أصلاً .

فهذه التعريفات عامة؛ تشمل ما أُمرنا بالإيمان به وما لم نؤمر به، ولا تحدِّد الغيب الذي امتدح الله المؤمنين به، وتعريف الباجي يُدخل الغيب المطلق الذي علمه من صفات الله ﷻ وحده، فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لوكان كيف يكون، ولا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء.

**٢_ الغيب بمعنى السمعيّات** [٥] :

١. روى ابن مسعود رضي الله عنه عن أناس من أصحاب النبيّ ﷺ: الغيب ما غاب عن أعين العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن [٦].

---

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر القرشي الرازي الشافعي، مفسر متكلم ، له تصانيف كثيرة منها : تفسير مفاتيح الغيب، والمحصول والمنتخب ونهاية العقول وتأسيس التقديس .توفي سنة ( ٦٠٦ هـ) ينظر : "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة :٢/٦٥-٦٦ ، و"طبقات المفسرين" للسيوطي: ١١٥. والرازي ممن خاضوا في الفلسفة وله شطحات ككتابه السر المكتوم في مخاطبة النجوم غفر الله له .

(٢) ينظر : "التفسير الكبير" للرازي : ٢/٢٧

(٣) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي نسبةً إلى باجة بالأندلس ، أهم مصنفاته : المنتقى ، والسراج في علم الحجاج ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، توفي سنة (٤٧٤هـ).ينظر: "الديباج المذهب" لابن فرحون: ١/٣٧٧.

(٤) ينظر : "المنتقى" للباجي : ١/٣٣٤

(٥) يطلق مصطلح السمعيات للدلالة على الأمور التي يتوقف العلم بها على السمع،كالسماعي في اللغة، الذي ليس له قاعدة يعرف بها، فالسمعيات بهذا الإطلاق هي كل ما يتعلق بالغيب الحقيقي، كما يطلق على الأمور التي تتوقف هي على السمع كالنبوة. ينظر : "الكليات" للكفوي : ٤٩٧ ، و"المواقف" للإيجي : ٥٤٥

(٦) "جامع البيان" للطبري : ١/١٠١

٢. قال ابن عباس–رضي الله عنهما– مفسِّرًا معنى الغيب: هو ما جاء منه، أي: من الله جلّ ثناؤه[١]. ورُوي عنه: كلّ ما أُمرتَ بالإيمان به، فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان[٢].

٣. وقال الزجّاج[٣]:« معنى قوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ماغاب عنهم مما أخبرهم النبيّ ﷺ من أمر الغيب والنشور والقيامة، وكلّ ما غاب عنهم ممّا أنبأهم به فهو غيب»[٤].

٤. وقال ابن العربي[٥]: « الغيب: وحقيقته ما غاب عن الحواسّ مما يوصل إليه بالخبر دون النظر»[٦].

٥. وفسّر ابن تيمية[٧] الغيب في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] بقوله: « الغيب الذي نؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامّة، يدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنّة والنار »[٨].

---

(١) المرجع نفسه : ٢٣٦/١

(٢) "معالم التنزيل" للبغوي : ٦٢/١

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، أحد أئمة اللغة ، من تصانيفه : تفسير أسماء الله الحسنى ، ومعاني القرآن ، وإعراب القرآن، توفي سنة (٣١١هـ) ينظر : "سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٣٦٠/١٤ ،و"البلغة" للفيروزآبادي : ٤٥

(٤) "تفسير أسماء الله الحسنى"للزجاج : ٧٢/١

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو بكر الإشبيلي المعروف بابن العربي ، تصانيفه كثيرة منها : أحكام القرآن ، والمسالك في شرح موطأ مالك ، والقبس على موطأ مالك ، وعارضة الأحوذي على جامع الترمذي. توفي سنة (٥٤٣هـ) . ينظر : الديباج المذهب لابن فرحون: ٣٧٦-٣٧٨

(٦) "أحكام القرآن" لابن العربي : ٨/١

(٧) هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحران ، أشهر من تصدى للمتكلمين والفلاسفة في أبواب العقائد ورد بدعهم ودفع شبههم جزاه الله عن الأمة خيراً وله كثير من التصانيف : منها درء تعارض العقل والنقل ، ومنهاج السنة النبوية. توفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: "الذيل على طبقات الحنابلة" لابن رجب: ٣٨٧/٢ ، و"المقصد الأرشد" لابن مفلح: ١٣٢/١

(٨) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٣٣/١٣

**٣_ تعريف الغيب ببعض مسائله :**

شرح بعض المفسرين لفظة (الغيب) الواردة في كتاب الله بذكر عدد من المسائل الغيبية، وبعضهم ذكر أحدها فقط ومن ذلك:

١. «الغيب هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنّته وناره، ولقائه والإيمان بالحياة بعد الموت وبالبعث» [(١)].

٢. «الغيب هو الله ﷻ» [(٢)].

٣. «الغيب هو القرآن» [(٣)].

٤. «الغيب هو القدر» [(٤)].

٥. وجعله بعض مفسّري الشيعة« المهديّ المنتظر » [(٥)].

وقد ذكر بعض هذه الأقوال ابن العربيّ ورجّح بينها فقال: «الغيب: وحقيقته ما غاب عن الحواسّ مما يوصل إليه بالخبر دون النظر، وقد اختلف فيه العلماء على أربعة أقوال: الأول: ما ذكرناه كوجوب البعث ووجود الجنّة والنار ونعيمها وعذابها والحساب. والثاني: بالقدر، والثالث: بالله تعالى، والرابع: يؤمنون بقلوبهم الغائبة عن الخلق، لا بألسنتهم التي يشاهدها الناس؛ معناه: ليسوا بمنافقين. وكلّها قويّة إلاّ الثاني والثالث؛ فإنه يدرك بصحيح النظر، فلا يكونان غيبًا حقيقة، وهذا الأوسط وإن كان عامًّا فإنّ مخرجه على الخصوص. والأقوى هو الأول؛ أنّه الغيب الذي أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول، والإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق»، ثم أكّد كونها صحيحة كلّها، فقال: « وكلّ هذه المعاني صحيحة، لا يحكم له [أي: الإنسان] بالإيمان ولا بحمى الذمار، ولا يوجب له الاحترام إلاّ باجتماع هذه الثلاث، فإن أخلّ بشيء منها لم يكن له حرمة، ولا يستحقّ عصمة »[(٦)].

ويلحظ أنّ جميع ما ذكر من تعاريف إنما تمثّل الغيب المتعبَّد لله بتصديقه والإيمان به،

---

(١) "جامع البيان" للطبري : ١٠١/١

(٢) "زاد المسير" لابن الجوزي : ٢٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم : ٣٥/١

(٣) "تفسير النكت والعيون" للماوردي : ٦٥/١

(٤) "تفسير القرآن العظيم"لابن أبي حاتم : ٣٦/١

(٥) ذكر ذلك عنهم النيسابوري على هامش "جامع البيان" للطبري : ١٣٤/١

(٦) "أحكام القرآن" لابن العربي : ٨/١-٩.

وتوضّحه، ولكنها لا تضبط تعريفه وتحدّ له حدًّا جامعًا مانعًا [١]. فالمسائل المذكورة كلّها أمور مغيَّبة عنا لا ندرك كنهها وهي من مسائل الغيب الذي تعبّدنا الله بالإيمان به ، وحصر الغيب التعبُّديّ في أحدها أو بعض منها تخصيص بلا مخصِّص، وإنما يُعدّ تخصيص بعضها بالذكر من قبيل الإشارة إلى بعض ما يقتضيه لفظ الغيب[٢]، أو تعبير بالجزء عن الكلّ، قال ابن كثير[٣]: «كلّها صحيحة ترجِّح أنّ الجميع مراد»[٤]. وأكَّد ابن عطيّة[٥] ذلك بقوله: « هذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها »[٦].

وقد عرّف الراغب[٧] في المفردات الغيب بتعريف يهدف إلى ضبط حدّ جامع له فقال: « هو ما لا يقع تحت الحواسّ، ولا تقتضيه بدايه العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء – عليهم السلام – وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد »[٨].

ويؤخذ على هذا التعريف قيد « ولا تقتضيه بدايه العقول »؛ فهو يُخرج من الغيب ما تقتضيه بدايه العقول كوجود الله ﷻ، وأنّه أولى بكلّ كمال وجلال، ومعرفة هذا من أعظم الغيب الذي تعبّدنا الله بالإيمان به .

وكذا حاول بعض الباحثين المعاصرين وضع تعريف ضابط للغيب ومن ذلك التعريف الذي أورده عبدالكريم عثمان فقال :« الغيب ما غاب عن الحسّ، وأدركه الإنسان بتحليله الفكريّ، أو بالخبر اليقينيّ عن الله ورسوله، أو يبقى سرًّا مكتومًا يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا

---

(١) مع الاعتراف بمكانة قائليها ﷺ إذ الأمر لم يكن في سياق بحث علمي منهجي يراعي الحدود والتعريفات.

(٢) ينظر : "أنوار التنزيل" للبيضاوي : ٦١/١ ، و"مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٦١٧

(٣) هو عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، حافظ مؤرخ مفسر، له تصانيف كثيرة منها : البداية والنهاية والتفسير العظيم، توفي سنة (٧٧٤هـ) ينظر : "طبقات المفسرين" للداودي:١١٠/١،و"الدرر الكامنة" لابن حجر: ١/ ٣٩٩

(٤) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير : ٦٥/١

(٥) هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية، أندلسي ، مفسر، فقيه، له باع طويل في اللغة والأدب والحديث ، توفي سنة(٥٤٢هـ) .ينظر: "الديباج المذهب" لابن فرحون : ٢٤٥ .

(٦) "المحرر الوجيز "لابن عطية : ١٠٠/١

(٧) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب ومفسر له مصنفات في الأدب واللغة والتفسير، توفي سنة(٥٠٢هـ) ينظر:"تاريخ حكماء الإسلام"للبيهقي:١١٢،و"سير أعلام النبلاء"للذهبي ١٢٠/١٨

(٨) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٦١٧، و"كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي: ١٠٩/٢

يعلمه إلا اللطيف الخبير»[١]، وهو تعريف – بحسب ما أرى– يوضِّح معنى الغيب إلى حد كبير، ويجمع مسائله التي يجب أن نؤمن بها إما تفصيلاً أو إجمالاً.

وخلاصة القول أنّ الغيب بمعناه اللغويّ الواسع يكتنف جوانب حياتنا في المبدأ والمصير، وفيما بين المبدأ والمصير، فالكون يعجّ بعوالم يغيب أكثرها عن حواسّنا، ولا نكاد نعلم عنها إلاّ شيئًا يسيرًا، والغيب الذي وصلنا عن طريق الخبر الصادق هو ما يجب علينا الإيمان به، ومسائله كثيرة متنوِّعة، ترجع كلها إلى أركان الإيمان الستة التي جعلها النبي ﷺ تعريفًا له في خبر جبريل المعروف في الصحيحين؛ ولهذا أطلق بعض أهل العلم على الأركان الستة مصطلح أصول الإيمان[٢] فهي أصوله التي لا تخرج جميع مسائل الاعتقاد عنها.

ومن المهمّ التنبيه على أنّ الغيب يقابل الشهادة ولا يقابل المحسوس أو الواقع، فالفرق بين الغيب والشهادة ليس هو الفرق بين المحسوس والمعقول،كما قال بذلك الفلاسفة قديمًا ومروجو فلسفاتهم حديثًا: فقد جعلوا المحسوس مشهودًا وقابلوه بالوجود العقليّ، وزعموا أنّ هذا الموجود العقليّ هو الغيب الذي أخبرت به الرسل! ووجه الخطأ في قولهم هذا: أنّ الغيب ليس مجرّد تصوُّرات عقليّة، وإنما أمور شاخصة محسوسة، ولكنّها مغيَّبة عنا؛ ولذا سمِّيت غيبًا؛ فالجنّة والنار ليستا أمرًا معنويًّا متصوَّرًا، بل نعيم وجحيم موجود على الحقيقة[٣]، وكذا الملائكة والعرش والكرسيّ ونحو ذلك، وأعظم من ذلك الربّ سبحانه وتعالى فهو إله موجود ، له ذات، وله صفات قائمة به على الحقيقة تليق بجلاله وعظمته، فقد أخبرنا بذلك عن نفسه جل جلاله، وأخبرنا المصطفى ﷺ بأنّ أهل الجنّة يرونه كما يرون البدر ليلة التمام لا يضامون في رؤيته[٤]. ولهذا أكّد أهل السنّة والجماعة –في بيانهم المعتقد الحقّ– على أنّ للغيب حقيقة يجب الإيمان بها، كما تدلّ عليها

---

(١) "رحلة عبر الغيب" لعبدالكريم عثمان: ٢٥. وقد رجّح هذا التعريف مع استبدال كلمة الإدراك بكلمة العلم الباحث بسام سلامة في كتابه "الإيمان بالغيب": ١١

(٢) ينظر على سبيل المثال : "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني: ٩١٠، "الأصول الستة" لابن العثيمين .

(٣) من معتقد أهل السنة والجماعة في الجنة والنار أنهما مخلوقتان على الحقيقة وموجودتان الآن. ينظر:"معارج القبول" للحكمي : ٨٥٧/٢

(٤) ينظر:"درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية: ١٧٢/٥، ٣٣/٦. وحديث الرؤية ثابت في البخاري كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ رقم : ٤٨٥١

اللغة ومعانيها، وإنما نفوّض علم كيفها إلى الله ﷻ؛ إذ لم نعايشها بحواسّنا، ولا تدرك كنهها عقولنا .

وهذه الدراسة محاولة لتأصيل القواعد التي تضبط مسائل الغيب وأحكامه، وأحوال الناس في الإيمان به؛ لأنّ منزلة الغيب من الدين عظيمة، والإيمان بالغيب لا يتحقّق إلاّ بالتصديق الجازم بكلّ ما ورد من أنبائه عن طريق الخبر الصادق: كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، تصديقًا يعقد عليه القلب، ويقرّ به اللسان، وتعمل بمقتضاه الجوارح والأركان. فكل تكاليف الدين الحنيف من عقائد وعبادات، أو أخلاق ومعاملات أو كفّارات وعقوبات مبناها على الإيمان بالغيب الحقّ. وتفصيل منزلة الإيمان بالغيب من الدين هي موضوع المبحث التالي.

# المبحث الثاني

# منزلة الإيمان بالغيب من الدين

درجت البشريَّة منذ فجر التاريخ على الإيمان بوجود أمور غيبيّة وراء عالم الشهادة المحسوس، ولم يُعرف في الناس من أنكر هذه الحقيقة إلاّ شرذمة قليلة ماديّة تناقضت مع نفسها وعقلها وكابرت ما تشهد به فطرتها: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وما لبث فكر هؤلاء القوم أن تهافت أمام وقائع الحياة وظواهر الطبيعة وأدلّة العقل الكثيرة. فالعقل والحسّ إضافة إلى الفطرة يدلاّن على وجود مغيبات، وإن كانت حدود هذه الدلالة الوصول إلى كلّياته لا إلى تفاصيله وجزئياته؛ إذ منافذ الحسّ وأدوات المعرفة التي زُوِّد بها الإنسان محدودة بحدود عالمه، لا تستطيع تجاوزه إلاّ أن يشاء الله، فيُقدِّره على تخطي تلك الحدود بمعجزة أو كرامة أو فتنة واستدراج.

ولمّا كان البشر بحاجة إلى معرفة تفاصيل عن هذا الغيب الذي يحيط بهم وتتجلّى لهم بعض آثاره؛ فإنّ الرحمن ﷻ كشف لهم من جوانبه ما يعينهم على أداء ما خلقهم لأجله، وما يطمئن نفوسهم، وأخبرهم عنه ما يزيدهم إيمانًا، وكان ذلك بطرق شتى، أهمها وأوضحها اصطفاء الله لبشر منهم ينبئهم ويظهرهم على ما يشاء من غيبه، ويرسل منهم إلى الناس من يشاء مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء:١٦٥] ويجعلهم لهم معلّمين ومربّين: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤]

فالإيمان بوجود الغيب تشهد به الفطرة السويّة، وتثبته الأدلة العقليّة، وهو عند جميع الناس عقيدة دينيّة، وقد هدى الله المؤمنين بالرسالات السماويّة إلى تفاصيل عنه تعرِّفهم بما ينفعهم، وتدلهُّم على طريق تحقيق العبوديّة لإلههم وخالقهم .

فكلّ اعتقاد دينيّ سماويّ أو غير سماويّ؛ يقوم على أساس الإيمان بغيب يحار العقل عن إدراك تفاصيله وماهيته، ولكنه يشعر بقوّته وسيطرته، يُجمع على ذلك كل دارس للشعوب

والأديان ،يقول شلاييرماخر Schleiermacher [١]: «قوام حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعيّة المطلقة »[٢]. ويقويلر Tylor [٣]: «الدين يتضمن دائمًا الإيمان بكائنات روحيّة»[٤].

فالعقائد الدينيَّة بمختلف أنواعها تتميَّز بخصيصة الإيمان بالغيب، ثم إنّ هذا الغيب الذي تؤمن الأديان بوجوده من وراء عالم الشهادة ليس من جنس هذه الطبيعة [٥]المخلوقة المنفعلة، بل هو شيء ذو قوّة مدبِّرة مؤثِّرة. حتى الأقوام الذين عبدوا الأشجار والأنهار والطير والحيوان والإنسان، لم يقصدوا بعبادتهم في الحقيقة هياكلها الملموسة، ولا رأوا في مادتها من العظمة الذاتيّة ما يستوجب لها التبجيل والتكريم، إنما كانوا يزعمون أنّ هذه الأشياء مهبط لقوّة[٦]غيبيّة أو تجسد لها، أو رمز غامض يستوجب التقديس، فتقوم مقام التمائم والتعويذات تفاؤلاً وتبرُّكًا واستدفاعًا لأذى أو استجلابًا لنفع، فأساس الديانات الوثنيّة الهمجيّة مبنيّ على ظنّ الاتّصال بعالم الغيب، أو زعم معرفته والتنبُّؤ به، أو فعل الخوارق التي توهم امتلاكه[٧].

وليس ذلك بمستغرب أبدًا، فكلّ عاقل يتأمّل عالم المادّة والشهادة؛ لا بدّ أنّ سؤالاً عن موجدها ومبدعها سيدور بخلده، وسيكون التفكير الذي أثاره القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور:٣٥]، وهو سؤال يضع أمام العقول

---

(١) هو فريدريك شلايير ماخر فيلسوف ألماني ومنصّر، عاش عام ( ١٧٨٦-١٨٤٣م)، يعد أحد رواد علم الأديان في الكنيسة البروتستانتية الحديثة ،وهو مؤلف كتاب العقيدة النصرانية .

(٢) - "On Religion" : Speeches to its Cultured Despisers.ch.11

(٣) هو إدوارد برنت تيلر، عالم بريطاني تخصص في علم الإنسان، عاش عام (١٨٣٢-١٩١٧م) مؤلف كتاب الحضارات البدائية .

(٤) -"Primitive culture": Researches into the development of religion, languages, art and customs mythology, philosophy.

(٥) لذا يسمى عالم ما وراء الطبيعة أو ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقيا أو الماورائيات، وهي جميعها مصطلحات فلسفية تستخدم للدلالة على العالم الغيبي الذي يقابله عالم الشهادة، أو العالم الفيزيائي الطبيعي المادي التجريبي المحسوس.

(٦) يرى الدكتور محمد عبدالله دراز أن مناط الاعتقاد في جميع العقائد ذاتًا غيبية، فيرى أنّ جميع الأديان بما فيها الشرقية والوثنية تقوم على إثبات وجود ذات غيبية عاقلة وراء الطبيعة تقصد ما تفعل، وتتصرف بمحض إرادتها ومشيئتها. ينظر كتابه"الدين" : ٤١

والأمر خلاف هذا فمناط الاعتقاد في جميع الأديان الإيمان بقوة غيبية، أما الاعتقاد بذات علية ودلالتها على الإله البائن عن خلقه الذي له إرادة ومشيئة وغيرها من صفات الكمال فهو اعتقاد ينفرد به أهل الرسالات السماوية لوصول ذلك إليهم بالوحي وسيأتي تفصيل هذا عند الحديث عن أثر الإيمان بالغيب في معرفة مقام الألوهية.

(٧) ينظر :"الدين" لدراز : ٤٠ – ٤٢

احتمالين: إمّا أن يكونوا قد خلقوا من غير خالق، وإمّا أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم! ولمّا كان الاحتمالان باطلين؛ فلن يجد العاقل بدًّا من إثبات خالق عظيم أوجد عالم الشهادة وخلقه فيه، لذا لم يستطع جاحد في القديم أو الحديث إثبات أحد الاحتمالين السابقين، فلم يكن أمام النفوس بحكم العقل والمعرفة الفطرية إلاّ التسليم بأنهم مخلوقون محدثون والكون حولهم مخلوق محدث، وأنّ خالقهم وراء هذا الملكوت الذي يتأمَّلون.

وإن كان أكثر الناس قد ضلُّوا عن المعرفة الصحيحة لعالم الغيب؛ لأنها معرفة فوق مجال العقل والحسّ، وتخبَّطوا في ذلك تخبُّطًا شديدًا، فالعقل طريق لإثبات عالم الغيب إلاَّ أنَّه قاصر عن إدراك تفاصيله، كما أنَّه متفاوت وعرضة للعوارض؛ فيحتاج إلى تنبيه من الوحي وإرشاد وإيقاظ وتعريف وتعليم، وإخبار بالتفاصيل، ولا يكون هذا إلا بتسليمه للوحي فيكون ملبِّيًا من ورائه متلقِّيًا عنه[(١)]؛ لذا لم يعرف حقائق الغيب إلاّ المؤمنون بالرسل الذين تلقَّوا علمهم عنه من عالم الغيب والشهادة.

فجميع الرسل أخبروا عن الغيب[(٢)]، وجميع الأديان تقوم على الإيمان بالغيب، والدين الخاتم يقوم في كافة معتقداته وتشريعاته على غيوب كثيرة ، الإيمان بها واليقين بوجودها الحقيقيّ هو مبتدأ الدين، وأساس الاطمئنان بمعتقداته، وسبب الانقياد لتشريعاته وقيمه الخالدة، وعماد اليقين بمعارفه وأخباره، وحبل النجاة من فتن الحياة المدلهمَّة، فأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، ومرتبة الإحسان، وكلّ الشعائر التعبُّدية وجميع حقائق العبوديَّة التامَّة لله ﷻ إنما تبنى على التصديق الجازم واليقين بأمور غيبيَّة وصلتنا عن طريق خبر صادق من الوحي، وأبرز مثال على ذلك حال الصدِّيق ﵁ الذي لم يفجأه خبر الإسراء والمعراج، ولم يزحزح إيمانه بنبوة محمد ﷺ، بل قال بثقّة ويقين: « لئن كان قال ذلك لقد صدق» [(٣)]. أكَّد هذا ابن تيميّة

---

(١) ينظر :" الاعتصام" للشاطبي : ٣٢١/٢

(٢) إلاَّ أنَّ التفاوت كبير جدًّا بين الرسالات في معرفة تفاصيل عالم الغيب من حيث كثرة المعارف أو قلّتها، ومن حيث بقائها على أصلها المعصوم أو تحريفها، والرسالة الخاتمة قد تكفّل الله بحفظها فكان القرآن الكريم وسنة المصطفى الأمين ﷺ هما أصدق مصادر التعريف بالغيب وسيأتي تفصيل هذا – بإذن الله– عند الحديث عن الأصول المتعلِّقة بمصادر الغيب.

(٣) أخرجه الحاكم برقم: ٤٤٠٧، وقال :صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ونصه عن عائشة قالت:" لما أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال أو قال ذلك قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من

بقوله: «إذا ثبتت نبوة محمد ﷺ بقيام المعجزة؛ وجب التصديق على ما أنبأهم به من الغيوب»[(١)].

وقد ذكر الله ﷻ الإيمان بالغيب وأوضح منزلته من الدين ببيان أنّه أول صفات المتّقين المهتدين الموعودين بالفلاح فقال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة:١-٣]، فالإيمان بالغيب أمر وإن بدا بحثه والدعوة إلى التصديق به كأنّه مقدّمة لإقناع المرتابين وردِّ الحائرين إلى جادّة اليقين إلاّ أنّه ضروريّ لهم بعد هذه المرحلة أيضًا، كما هو ضروريّ للمؤمنين ابتداء لكي يستيقنوه، ويقيموا صِلاتهم بالله ﷻ وأسباب تقواهم عليه؛ فالتصديق القاطع واليقين الجازم المطمئنّ إلى حقائق هذه العقيدة ومتعلّقاتها، والحساب وما فيه ينصبّ مَعينه من الحقيقة الأولى —الإيمان بالغيب— التي هي أول نعوت المتّقين بشهادة النصّ الشريف.

ومما يبيِّن مكانة الإيمان بالغيب في الإسلام ما ذكر الله تعالى من أثره في إكساب العبد الخشية سمة العبوديّة، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩ ﴾ [الأنبياء:٤٨-٤٩]. وذكر أنّ خشيته بالغيب من صفات النفوس الزكيّة، فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٨ ﴾ [فاطر:١٨]. وبيّن ﷻ أنّ المنتفعين بالنذارة والتحذير إنما هم المؤمنون بالغيب فقال: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾ [يس:١١]. وبشّر ﷻ المؤمنين به بالمغفرة والأجر الكبير، ووعدهم بحصوله فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ ﴾ [الملك:١١].

---

ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبوبكر الصديق"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم : ٣٠٦

(١) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ١٧٢/٥

وأخبر ﷻ أنّ ثواب خشية الرحمن المرتكزة على الإيمان بالغيب وجزاء صاحبها دخول جنة الخلد فقال: ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ [ق:٣٣-٣٤].

فمنزلة الإيمان بالغيب من الدين عظيمة وهو أساس جميع الأصول الاعتقاديّة والعمليّة، وعليه مدار الإسلام، فلا يقوم للدين ركن ولا تتحقّق معاني العبودية لله ما لم تكن حقائق الغيب يقينًا راسخًا في النفس، بعد أن قام الدليل على صدق المخبِر بها ﷺ، وكلّما زاد إيمان العبد بالغيب ارتقى في درجات المحسنين عقيدة وعملاً، فيكون يقينه بالغيب أعظم من ثقته بما يحسّ ويشاهد؛ فيعبد ربّه ومولاه وكأنّه يراه، ويستحضر أنّه معه رقيبًا حسيبًا شهيدًا سميعًا بصيرًا؛ فيسارع في طاعته راجيًا قربه وثوابه، خائفًا سخطه وعقابه.

وعلى أساس الإيمان بالغيب تبنى جميع الشعائر التعبديَّة لله ﷻ، ولا يوقعها على الوجه المحبوب لله، المرضي له ﷻ إلاّ من آمن بالغيب، فهو مصدر معرفة ما يحبه الله ﷻ والصفة التي يقبلها بها.

فالإيمان بالغيب أبرز صفات المؤمنين بدين الله، يتجاوزون به عالمهم المحدود زمانًا ومكانًا إلى الكون الأرحب الموغل في الماضي، والنافذ إلى المستقبل، والممتد عبر الدور الثلاث؛ ومنه يستمدُّون تصوُّرًا صحيحًا للحياة والكون كلّه، وما يجري فيه من أحداث، وما خلق فيه الباري ﷻ من عوالم، وما بثّ فيه من أسباب؛ ليستعينوا بذلك على تحقيق دينهم وعبوديتهم له ﷻ .

وقد خصّصت أبواب هذا البحث وفصوله لمناقشة علم الغيب وأقسامه ومصادره وأحكامه، وإبراز أصول ذلك وضوابطه، مع بيان آثار الإيمان به ومخاطر الانحراف عنه وفيما يلي تفصيل ذلك وبيانه.

# الباب الأول

# الفصل الأول :

# أقسام علم الغيب وصفات من يعلمه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أقسام الغيب واختصاص الله بكمال علمه .

المبحث الثاني : الصفات المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب .

توطئة:

دعانا ربّنا ﷻ إلى التفكُّر والنظر في آفاق الكون، واكتشاف أسراره، فليس كلّ ما فيه سهل التناول مكشوف الهويّة، بل إنّ ما يخفى منه على الإنسان أكثر مما يدركه بحواسّه، ويتوصّل إليه بتأمُّله وتفكُّره، وهذا من أسباب تفاوت الناس في معرفتهم، وسبرهم لأغوار الحقيقة في جوانبه، ومن المعلوم أنَّ الموجودات تضمّ مع ماهو من عالم الطبيعة المحسوس موجودات غيبيّة وراء الشهادة والحسّ، فعالم الشهادة لا يُعدّ شيئًا يذكر إذا ما قورن بالوجود كلّه؛ كما أنّ من الموجودات ما يكون شهادة لبعض الخلق، غيبًا لبعضهم الآخر.

وقد أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم أنّ العالم بالنسبة للمخلوقات يتكوّن من قسمين: غيب، وشهادة، وليس لأحد عِلْم هذين القسمين معًا إلاّ الله ﷻ فقال: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾** ﴾ [الحشر:٢٢]، كما أخبر ﷻ أنَّه بثَّ في الكون من الآيات ما يكشف للخلق أطرافًا من الغيب كدلائل وجوده وتوحيده، وبراهين قوَّته وقدرته وعظمته وحكمته ورحمته، مما يقود العباد إلى معرفة الخالق العظيم، ويربط القلوب به ويوجِّهها إلى طاعته حبًّا وخوفًا ورجاءً؛ لتحقيق العبودية له سبحانه لا إله إلا هو، فالخالق ﷻ جعل نفسه غيبًا، وبثّ في عالم الشهادة دلائل وآثارًا تنبئ عباده عنه، وتدلهُّم على وجوده إجمالاً، وأخبرهم بتفاصيل أكثر عنه، وعمَّا يهمُّهم من أمر عالم الغيب عن طريق رسل منهم اختارهم لرسالته، وأيَّدهم بما يدلُّ على صدقهم، وزوَّدهم بما يمكِّنهم من التلقِّي عنه، وعصمهم من الخطأ في التبليغ وجعل تصديق خبرهم والانقياد لدين الله الذي معهم إيمانًا وفلاحًا، وجعل تكذيبهم ومحاربتهم كفرًا وشقاءً .

ويرى الإنسان مع مرور الأيام الدلائل الكثيرة المؤكِّدة على صدق ما أخبره به الرسل؛ فيكتشف قلّة علمه، وقصور معرفته سواء فيما يرى ويسمع، أو فيما هو وراء منتهى البصر في آفاق السماء وأغوار الأرض من العوالم والمخلوقات، وما هو وراء قدرة سمعه من المسموعات، فيعلم يقينًا أنه لا يحيط بهذه المعلومات إلاَّ ربّ الأرض والسموات.

فعلم الغيب صفة كمال خاصّة بالله ﷻ سعى كثيرون إلى حيازتها، رغبة في تحصيل خير أو دفع شرّ، وكذبوا في ادِّعائها، غافلين عن حقيقة قواهم وإمكاناتهم، بينما وقف المؤمنون بالله العارفون بأنفسهم والعارفون بربهم ﷻ من الغيب موقف التلقِّي لما يخبر به علاَّم الغيوب

ويبلغه عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وفي هذا الفصل دراسة لأقسام الغيب وأنواعه وصفات العالم به .

# المبحث الأول :

# أقسام الغيب واختصاص الله بكمال علمه

# المطلب الأول

## أقسام الغيب باعتبار العلم به

قسَّم العلماء(١) الغيب بالنظر إلى ماهية الأمر الغيبي وصفات العالم به إلى قسمين:

١. الغيب الحقيقيّ أو المطلق، وهو الذي لا يعتمد في معرفته على دليل من العقل، إلا دلالة العقل على صدق المخبر به .

٢. الغيب النسبيّ أو المقيد أو الإضافيّ، وهو الذي نصب الله الدليل عليه بالعقل أو الفطرة أو الحسّ(٢).

والمراد بالحقيقيّ: الثابت العريّ عن الصفة والشرط والاستثناء، ويقابله النسبيّ أو الإضافيّ، بمعنى الأمر النسبيّ للشيء بالقياس إلى غيره؛ فيكون فيه الوصف أو الاستثناء أو الشرط(٣).

وعلم الغيب صفة ثابتة لله ﷻ على إطلاق الغيب دون استثناء أو وصف أو شرط. فالغيب المطلق هو ما يغيب عن الحواسّ والعقول معًا، ولا يعلمه إلاّ الله ﷻ أو من أطلعه الله عليه بإذنه(٤)، فهو في الأصل محجوب عن الخلق أجمعين لا يمكنهم الوصول إليه بقواهم، وقد ذكر ﷻ اختصاصه بعلمه ونفى علم غيره له في مواطن كثيرة منها قوله ﷻ: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥]، وسمّى منه أمورًا بعينها كعلم الساعة؛ إذ أمر الله نبيه ﷺ أن يجيب السائلين عنها بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [الأعراف:١٨٧] وقال: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ**

---

(١) تقسيم الغيب هو تقسيم علمي مبناه على الاستقراء والتتبع مواكبة لتطوير العلوم وتصنيفها، ولضبط المستجدات في هذا الباب ، والانتباه إلى أنواع الانحراف فيه. ، لذا اختلفت أقسامه وأضربه وأنواعه من مصنف لآخر ، فمنهم من يخرج نوعًا من الغيب باعتبار، ويدخله غيره باعتبار آخر، ومنهم من يجمع بين بعض الأنواع ومنهم من يفصّل وهكذا.

(٢) ممن قال بهذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية واستخدم لفظتي : المطلق والنسبي، ينظر: "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ٧٣/٥ . وذكره الرازي في "التفسير الكبير": ٣١/٢ ،وكذا البيضاوي في "أنوار التنزيل": ١٦/١، وعبّر عنه بألفاظ أخرى فقال: قسم لا دليل عليه، وقسم نصب الدليل عليه.

(٣) ينظر :"المعجم الفلسفي"لجميل صليبا : ١/ ٤٨٨ ، و"الكليات" للكفوي : ٨٤٨ ، ٩١٠

(٤) "عالم الغيب والشهادة" لعثمان ضميرية : ٧٨

﴾[الأعراف:١٨٧]، وكذلك لقّنه تعالى إجابة للسؤال عن الروح فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبيّن تعالى تفرُّده بعلم مفاتح الغيب فقال : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام:٥٩]، وعن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤]"[(١)]، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبيّ ﷺ قال: "مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلاّ الله، وما يعلم ما في غد إلاّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلاّ الله، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إلاّ الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلاّ الله" [(٢)].

ومن هذا الغيب ما يُطلع الله عليه من ارتضى من رسول، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن:٢٦-٢٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾[آل عمران:١٧٩]. فالغيب المطلق هو ما أثبت الله علمه لنفسه، ونفاه عمّن سواه في مواضع كثيرة في كتابه إمَّا إجمالاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]، أو تفصيلاً لبعضه، وهو على مرتبتين:

**الأولى** : ما ورد نصّ صريح بأنّ الله تفرّد بعلمه كمفاتح الغيب الخمسة.

**الثانية** : ما لم يرد نصّ صريح بأنّ الله كتمه عن الخلق جميعًا كعالم الملائكة والروح والجنّ.

فالمرتبة الأولى يختصّ الله سبحانه بعلمها، والثانية يكشف منها لمن يرتضي ويشاء.

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ،رقم : ٥٠ ،ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم : ١٠

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ ،رقم : ٧٣٧٩

أما الغيب النسبيّ فهو المقيّد المحدود[١] في مقابل الحقيقيّ المطلق، وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال؛ بحيث يمكن التعرُّف عليه في الدنيا، إمّا تفصيلاً أو بصورة مجمَلة بعد توفُّر الأسباب المؤدِّية إلى معرفته[٢]، وهذا القسم منه ما تعبَّدنا الله بالإيمان به كالأركان الستة ومسائلها، وهو المقصود بالغيب اصطلاحًا، ومنه ما هو غيب بعموم لفظ الغيب في اللغة فهو أمر غائب عن الحاسة مثل ما يضاف علمه إلى الأطباء فقط؛ إذ يكشفون مغيبات الأبدان بواسطة أدواتهم وأجهزتهم أو يعرفون نوع الجنين في بطن أمه، وما يضاف إلى علماء الأرصاد والفلك مما هو بعيد غائب عن قدرة الحواسّ المجردة، ومن ذلك كثير مما تكشفه أجهزة التصوير والرصد الحديثة كمكان وجود المياه الجوفيّة، أو قاع المحيطات ونحو ذلك مما هو من عالم الشهادة أصلاً وإنما غاب عنّا لبعد مكانه أو استتاره بحيث لا نستطيع معرفته بحواسِّنا المجرَّدة، فمثل هذه الغيوب لا يعلمها غير أهل الاختصاص أحد من عامة الناس إلاّ أن يمكَّن من أدواتها أو يخبر بها ممن علموها .إلا أن بعض ما يكشف من حقائق هذه الغيوب النسيبة قد يكون تفسيرًا لنصٍّ في الوحي، أوكشفًا لحقيقة دلَّ عليها بإشارة مجملة أو بيان وفق شروط وضوابط ، وهذا ما يسمى الإعجاز العلمي، فالإيمان بهذا الغيب إنما يمتدح شرعًا بحسب ما يورث العارف به من خشية لله ﷻ، أو ما يؤدِّي إليه من نفع لعباد الله ، والله أعلم .

ومن الغيب النسبي ما يكون خاصًّا بخلق معيَّن من خلق الله، مغيّب عمَّن سواهم، كعلم الملائكة بكثير من الأمور التي تغيب عن البشر، ومنه علمهم بما نفعل، وبعض ما يكون في مستقبل الزمان. وكثير منه لا يختص بأحد معيّن، أو صفات خاصّة، بل قد يحصل للعالم والجاهل أو أحدهما، كما أنه قد يحصل للوليّ وغير الوليّ، وللمسلم والكافر وغيرهم، كالمعرفة التجريبيّة التي يتوصّل لها بأجهزة التصوير أو لاقطات الصوت، أو المعرفة الخبريّة التي يكشفها الله لبعض خلقه، فقد تكون كرامة للصالحين برؤيا صادقة أو إلهام، وقد تكون فتنة واستدراجًا لغيرهم.

---

(١) ينظر :" المعجم الفلسفي" لصليبا : ٤٦٥/٢ ، و"الكليات" للكفوي : ٩١٠

(٢) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ٧٣/٥

والخلاصة أنّ الغيب المطلق الحقيقيّ هو ما لا يُحَدّ، ولا يعلمه على الكمال والإطلاق أحد إلاّ الله ﷻ، وهو شامل كلّ ما غاب عن الحواسّ، ولا يمكن التوصُّل إليه بالعلم التجريبيّ والإدراك العقليّ فقط، سواء ما وصلنا به خبر صادق عن الوحي المعصوم أو ما اختص الله به أحدًا من خلقه، أو استأثر بعلمه سبحانه، ويبقى تمام علمه لله وحده.

أمَّا الغيب النسبيّ فهو ما كان غيبًا على خلق دون خلق، وليس غيبًا مطلقًا، وهو مقيَّد بصفات لمن يعلمه، وإليه يضاف، وهو – في الناس– شامل كلّ ما يعرف باستدلال العقل، أو الفطرة أو الحواسّ، ومنه ما هو من عالم الشهادة أصلاً، وإنما احتاج الإنسان إلى أدوات العلم التجريبيّ والأجهزة الحديثة التي تكشف عن كثير مما يغيب عن الحواسّ المجرّدة، وترشد العقل إلى استنباط بعض الأسباب. وبذلك تمكّن الإنسان من التعرُّف على جوانب خفيَّة من الكون إمَّا إجمالاً أو تفصيلاً. ومنه ماهو وراء عالم الشهادة وهذا لايمكن معرفته ولا يطّلع عليه إلا بالوحي، ويُلحق بالغيب النسبي من وجه أن مِن الناس مَن يعلمه عن طريق بلاغ الأنبياء ومن الناس من لا يعلمه ولا يصله به خبر. أمّا ما يُلحقه بعض الناس بالغيب النسبي وليس منه، وإنما هو ادّعاء لعلم الغيب يتستّر باسم كشف الغيب النسبي بواسطة الأجهزة العلميّة الحديثة ما يدّعى من معرفة كنه الروح بواسطة جهاز تصوير خاصّ[1]. أو دعوى تسجيل صوت عذاب أهل البرزخ[2]، فإنّ الروح من عالم الغيب والبرزخ عالم غيبي وما كان من الغيب الحقيقي فلا يكشف إلا بالوحي بخلاف الجنين المستتر في بطن أمه، والماء المخبوء في باطن الأرض مما هو من عالم الشهادة أصلاً ويمكن كشفه بالأجهزة.

وفي المطلب التالي بيان تصنيف مسائل الغيب على هذا الاعتبار، فيبين أقسامه من حيث إمكان التعرّف عليها في الدنيا .

---

(١) اسمه (كاميرا كيرليان)، ينظر التعريف بها في صفحة ٣٠٧.

(٢) فقد تداول الناس رقم هاتف، زعم من نشره أنه سمع صوت امرأة كان يجلس بجوار قبر امرأة كانت تعصي الله فسمع صوتها تصرخ من العذاب فاغتنم الفرصة وسجل صوتها ووضعه على رقم خاص ليكون عبرة لكل عاصية تسمعه فترعوي عن معصية الله!! وتداولوا شريطًا صوتيًّا بعنوان أصوات أهل البرزخ ضمنه أصوات عالية مختلطة زُعم أنها أصوات سُجلت أثناء عمليات تنقيب عميقة في الأرض، وفرزت ذبذباتها بأجهزة خاصة فوجدوا أنها أصوات أهل القبور يصطرخون!

## المطلب الثاني:
## أقسام الغيب باعتبار إمكان التعرف عليه في الدنيا

يُقسّم الغيب حسب إمكان التعرُّف عليه في الدنيا إلى ثلاثة أقسام[١]:

١. ما لا يمكن التعرُّف عليه بحال في الدنيا .

٢. ما يمكن التعرُّف عليه بشكل مجمل في الدنيا .

٣. ما يمكن التعرُّف عليه تفصيلاً في الدنيا .

وتفصيل هذه الأقسام فيما يلي :

**القسم الأول: الغيب الذي لا يمكن التعرُّف عليه بحال في الدنيا:**

وهو المختصّ بالله ﷻ، والعلم به صفة من صفاته ﷻ وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]، وهو باب واسع لا ندرك أطرافه، أخبرنا الله ﷻأنه من اختصاصه وسمى لنا مفاتحه في قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤].قال ﷺ :"مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله .." [٢] وذكر الآية .

وهذه المفاتح منها ما يتعلق بظواهر تقع في الدنيا ولبعضها سنن كونية يراها الإنسان في عالم الشهادة ويمكنه إذا تحرى أسبابها أن يتعرّف على بعض جوانب الغيب النسبي، كالتنبؤ بوقت نزول غيث، أوحدوث زلازل وبراكين، أو تحرُّك رياح، أو تحديد نوع جنين، وبعضها الآخر يمكن من خلال تطور العلوم العقلية والإدارية التنبؤ به كتوقع جريان رزق ، أو إحراز نصر أو هزيمة، أو حصول ربح أو خسارة. ولكن الإنسان مهما وصل من العلم بالأسباب؛ ومهما تطورت علومه وأجهزته فإنه لا يستطيع أن يجزم جزمًا علميًّا بأيٍّ منها بناء على ظهور

---

(١) ذكر هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية، ينظر: "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ٧٣/٥، بينما عدّها بعض الباحثين أنواعًا أو صورًا أو مراتب وضروبًا للغيب النسبي، وليس هذا منضبطًا – على ما رأيت – فالغيب الذي لا يمكن معرفته في الدنيا بحال، لا وجه لعدِّه من صور الغيب النسبي، بل هو من الغيب المطلق، والله أعلم!

(٢) سبق تخريجه ص٣٦.

مقدِّمات، وأسباب دالَّة عليها أو توفُّر أجهزة وتقنيات وأدوات قد توصل إليها، كما أن توقعاته لا تكشف إلا طرفًا يسيرًا مما يكون، ولا يعلم بحال مقادير الأمور وتفاصيلها؛ فهو إن عرف نوع الجنين وسلامته أو مرضه بناء على ما رأى بأجهزة التصوير المتقدمة أو بالتحاليل الطبية الحديثة إلا أنه لن يعرف أبدًا كم أجل هذا الجنين، ومتى سيموت وهل هو سعيد أم شقي، وماذا كتب له من الرزق، فإن علم ذلك لله وحده. وهكذا في سائر الأمور، كما أن الأمور المتوقعة قد تحدث خلاف ما توقع الإنساء وتنبأ به إذ هي بيد الله عَزَّوَجَلَّ يصرفها بحكمته وقدرته ومشيئته .

وبهذا المعنى الدقيق يتَّضح أنَّ هذا القسم من الغيب محجوب عن الإنسان مهما بلغ علمه وتطورت أدواته، فلا يعلمه علمًا صحيحًا شاملاً جازمًا إلاَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، فذكر عَزَّوَجَلَّ اختصاصه بعلم مفاتح الغيب، لا علم عموم هذه الأمور أو ظاهرها، فالغيث قد يتوقّع هطوله لظهور أسبابه ودلائله من حولنا، والجنين قد يتوقّع جنسه لظهور قرائن عند الأطباء أو غيرهم، والكسوف قد يتوقّع في ساعة معينة آتية حسب حسابات الفلكيِّين ودراستهم لأسبابه من السنن الكونيّة، وهذا كله غيب نسبيّ يتجلّى لمن يملك أسبابه، أمَّا مفاتح الغيب فهي في علم الله وحده الذي سبَّب هذه الأسباب، ولا أحد يعرف متى تصدق التوقُّعات، ومتى لا تصدق؟ ومتى يحدث خلاف التوقُّعات، ولماذا؟ وعِلْمنا بما يكشف لنا من هذه الأمور الغيبيَّة نسبيّ مقيّد، وما هو في الحقيقة إلاّ ظنّ راجح قويّ؛ إذ يمكن في كلّ لحظة أن تنقطع الصلة بين الأمور وأسبابها بقدرة الخالق الموجد المقدِّر سبحانه وتعالى(١).

**القسم الثاني: الغيب الذي لا يمكن التعرُّف عليه في الدنيا إلا على وجه مجمل:**

وله صورتان:

**أ. ما غاب عن البشر(٢) لاختلافه عن عالمهم وكونه فوق قواهم المعرفية(٣).**

---

(١) ينظر : "الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية" للبوطي : ١٢٩

(٢) كذلك الأمر بالنسبة لعالم الملائكة والجن فهم يعلمون من أمر عوالمهم، ومما علّمهم الله، وأقدرهم على معرفته بما أعطاهم من قوى ما لا يعلمه غيرهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ ومن أوحى له الله ، وقد تكون عوالم كثيرة مغيبة عنهم .

(٣) هذا على الأصل، وقد يكشف الله شيئًا منها لبعض البشر فيما يسمى خوارق العادات، وله أنواع:ما بين معجزة= =للأنبياء، أوكرامة لبعض الصالحين، أو استدراج وفتنة.

وأعظم هذا الغيب معرفة الله سبحانه، فمعرفتنا به إنما هي معرفة مجملة بأنّه الواحد الأحد الفرد الصمد، وأنّ له الكمال والجلال والجمال على التفصيل والإجمال، وكل ما عرفناه من تفاصيل كماله وأسمائه وصفاته مما أخبرنا به الوحي المعصوم؛ فإن معرفتنا تظلّ معرفة مجمَلة لا تُدرِك الكيف، ولا يمكن أن تتخطَّى ما وصل به الخبر.

وكذلك الأمر في كل عوالم الغيب الموجودة في الكون التي جعلها الله مغيّبةً عن البشر، فلا تدركها حواسّهم وقواهم التي منحهم الله إياها في الدنيا[١] ومن ذلك عالم الملائكة وعالم الجنّ وعالم الروح؛ فمعرفة الإنسان بهذه العوالم لا تتجاوز المعرفة المجمَلة، ومهما كان فيها من تفصيل لبعض الصفات والأعمال والأحداث؛ فهي لا تتجاوز حدود ما يصل به الخبر الصادق لفظًا ومعنى دون الكيف؛ إذ ليس للعقل والحواس مدخل في هذه الغيبيات.

وكل ما قد يدَّعيه أحد غير الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– من الاطِّلاع على تلك العوالم، لا يمكن الاعتماد عليه أو إثبات صدقه؛ إذ لا سبيل إلى الاستيثاق من ذلك، لاسيما وقد ثبت عندنا بالدليل عداوة إبليس وجنده لبني آدم ومحاولتهم إغواء بني آدم، مع القدرة على التشكُّل بأشكال مختلفة لزيادة التلبيس والتضليل؛ لذا لا ينبغي تصديق مايقوله بعض الناس من أمور تتعلق بهذه العوالم بناء على مشاهدات لهم أو أحوال خاصة –وإن حلفوا – ويحّر من يقول أنّه رأى الجانّ عيانًا، أو التقط لهم صورًا في أماكن مقفرة أوأنّ لونهم كذا، وشكلهم كذا، وطولهم كذا، أو يحبون كذا، أو يكرهون كذا[٢]، أو أنّ ملَكًا تراءى له ودعاه إلى أن يلتزم كذا في دعائه أو يفعل كذا أو يترك كذا؛ إذ لا يُصدّق من هذه الأمور إلا ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وقد أخبرنا عليه السلام كلّ ما يهمّنا معرفته عن الغيب، وينفعنا في دنيانا وأخرانا، فينبغي قطع الطمع عن إدراك ما واء ذلك .

---

(١) يكشف الله للناس شيئًا من هذه العوالم عند مفارقتهم هذه الدار وفي الدور الأخرى كما ثبت في النصوص.

(٢) من هذا ما انتشر تداوله بين الناس من صور لمخلوقات غريبة مائلة للزرقة، ولها قرون يُزعم أنها صور التقطت للجن في بعض الأماكن المقفرة! وكذلك التسجيل الصوتي المتداول بزعم أنه صوت جني سجذل أثناء مقابله صحافية أجريت معه! يخبر فيه عن تفاصيل حياة الجن وأوصافهم ويحذر من ألاعيبهم وإيذائهم! فإن صَدق الصحفي فالأصل في الجن أنهم يكذبون للإغواء والإضلال، والمؤمن الذي يوقن بشمول ما أخبره به الوحي عن عالم الغيب لما ينفعه ؛ يحترم عقله ولا يقحمه في تلقف هذه الأخبار فضلاً عن تمحيصها، فما أخبر به الرسول ﷺ عن عالم الجن يكفي لنحذرهم، ونأمن شرّهم.

**ب. ما غاب عن علم البشر لاختلاف الدار**،كأحوال البرزخ والآخرة، ووصف نعيم الجنة، وعذاب النار. فهذه الأمور تتعلق بدار أخرى وحياة مختلفة عن الحياة الدنيا، فهي من العالم الغائب وراء قدرة الحواس، وعلم البشر التفصيليّ مهما زاد وأحاط محدود بعالم الشهادة وفي حدود دار الدنيا، أمَّا ما يحدث أمامهم أحيانًا، أو على بعد خطوات منهم، من أحوال دار البرزخ كتفاصيل ما يحدث للميت حال موته فلا نرى الملائكة وهي تسل روحه وتبشره بالمغفرة أو والرضوان أو السخط والعذاب، وكجلوس الميت في قبره للسؤال، وغير ذلك... فإن الناس لا يعلمون عن حقائق هذه الأمور شيئاً إلاَّ ما وُصف لهم في نصوص الوحي، وكذا ما يكون في الجنة والنار من عوالم وأحداث مع إثبات أنهما مخلوقتان موجودتان الآن، فكونهما من أمور دار أخرى –وهي الدار الآخرة – يحول دون إمكان معرفة تفصيلية أكثر مما جاء به الوحي عنها[١]، كما أنه يحول دون إمكان مشاهدتها لأهل هذه الدار[٢]، بينما يهبهم ربُّهم ﷻ يوم القيامة من القوى ما يجعلهم يعايشون الغيب الحقيقيّ – الذي صدّقوا به إيمانًا واحتسابًا – ويرونه واقعًا يحسّونه، ويتنعّمون بنعيمه، ويعايشه من كذب به واقعًا يصطلي به، وبئس المصير!

**القسم الثالث: الغيب الذي يمكن التعرف عليه تفصيلاً في الدنيا، وله صور:**

**أ.ما غاب عن بعض الناس لبعد مكانه**، سواء أكان بعده حقيقيًّا كما يغيب في أغوار الأرض أو آفاق السماء، أم كان بُعده وصفًا مع قرب مكانه حقيقة؛ كأعضاء الجسم الداخلية، والكائنات الدقيقة، فهذه الأمور قريبة جدًا في داخل جسم الإنسان ولكنها بعيدة عن متناول حواسه المجردة فبعد مكانها وصفيّ لا حقيقي.

وغيوب هذا القسم شهادة لمن يعاينها فيصل إلى مكانها بنفسه أو بأدواته غيب على من سواهم إلا أن يرتحلوا إلى مكانها، أو ينقل خبرها إليهم أو تنقل إليهم صورها وتفاصيلها لا سيما بعد توفر آلات التصوير وتقنيات الاتصالات الحديثة.

وتتضمَّن هذه الصورة غيوبًا تعبَّدنا الله بالإيمان بها، وهي من أركان الإيمان ومسائله الكبرى، كالإيمان برسول الله ﷺ في حقِّ من عاش في زمانه ولم يره؛ لبعده عن مكانه ﷺ،

(١) يستثنى من هذا ما يكشفه الله لأنبيائه أو لغيرهم لحكم كثيرة.

(٢) إن غياب هذه الضوابط عن الناس وجهلم بأقسام الغيب جعل بعضهم يشكك في وجود حقائق الدور الأخرى كالجنة والنار أو ينفيها ويتبنى أقوال الضلال من أنها أمثال مضروبة ليس إلا ! لما يرى من تطور أجهزة الرصد والتصوير وشمولها لدقائق موجودات دار الدنيا.

وكالإيمان بالمهديّ والدجال والدابّة لمن تخرج في زمانهم في غير مكانهم، ومنه ما هو دون ذلك من أمور الدنيا التي ثبتت بمنهج علميّ صحيح، فجاءت على معنى يوافق ماجاء به الوحي، ككثير من مسائل الإعجاز العلميّ[١] في الكتاب والسنة، فهي من الغيب الذي يتناوله العلم، بل يتناوله الإيمان الذي هو أخصّ من العلم، فإنه علم يطمئنّ إليه القلب قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، وقال ﷻ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ [الرحمن: ٥]؛ فتصديقها والإيمان بها يعزز إيمان العبد بصدق الوحي، ويزيد يقينه بربّه ﷻ.

**ب. ما غاب عن بعض الناس لاختلاف الزمان،** فهذا يكون شهادة لمن يعاينه، غيبًا على من عاش قبله ومن يعيش بعده، ومن هذا القسم ما لا يمكن التعرُّف عليه لأهل الزمان الأسبق إلاَّ بخبر من عند الله لمن يشاء من عباده[٢]، ويعرفه أهل الزمان الأبعد إن وصلهم بخبر صادق[٣]، ومثاله من أمور الغيب التعبُّدية [٤]: قصص الغابرين التي كانت شهادة لهم، غيبًا على من قبلهم ومن بعدهم، وقد امتنّ الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ بإخباره عنها؛ فكانت من دلائل نبوَّته. وإلى هذا النوع يشير تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:٤٤]، وقد عرف بعض من سبق من الناس أخبار من لحق بخبر من الله ﷻ ، كما في معرفة اليهود والنصارى بخبر محمد ﷺ وصفته، ومعرفة من يعيش منّا إلى ما جاء خبره عن رسولنا ﷺ من فتن وأحداث وأهوال ونحو ذلك.

**ج. ما غاب عن بعض الناس لعدم توافر أسبابه:** وهذا النوع يكون شهادة لمن ملك أدواته وتيسرت له أسبابه؛ فيتمكّن من معرفة تفاصيله،كما يعرفه من نُقل إليه وصفه بخبر يصدّقه، على تفاوت في التفصيل، فليس المخبر كالمعاين، وليس من سمع ممن عاين كمن وصله

---

(١) يُنتبه في هذا الباب إلى الثابت من الحقائق؛ إذ باب الدجل في الأمور الكونية واسع جدًّا، وقد يزعم أناس ثبوت أمر وموافقته للوحي، ثم يظهر خلاف ذلك، مما قد يشكك العامّة من ثم في صدق الوحي.

(٢) قد يُعرّف بعض هذا الغيب لأهل الكهانة والعرافة ونحوها ممن تعينهم الشياطين .

(٣) ينظر : "المختار من كنوز السنة" لمحمد دراز : ٢٣٨ .

(٤) إذ منه ما يعد غيبًا باعتبار المعنى العام كأحداث التاريخ، ومعرفة الحضارات السابقة، أو العلم بزمن الخسوف والكسوف، وولادة الأهلة، وأحوال الجو، وتوقعات الزلازل والبراكين، ونحوها من أمور ماضية أوحاضرة أومستقبلية، فإنه يعلمها من امتلك أدوات العلم بها كالوثائق، أوالمراصد والأجهزة المختلفة، أو بالتجربة والمقايسة فيما تكون له سنن كونية ثابتة مطردة أجراها الله تعالى في خلقه، وكذلك مايعلم بالاستدلالات العقلية كمعرفة حياة الجنين بحركته، ومعرفة عقل الرجل بمنطقه وسمته وأفعاله، وتوقع الربح بدراسة حركة التجارة ومتطلبات السوق.

بعض الخبر. ومن أمثلة هذا النوع ما يُكشف للأنبياء البررة –صلوات الله وسلامه عليهم — عن طريق أنواع الوحي كلّها، وقد ثبت أنّ نبيّنا ﷺ رأى جبريل عليه السلام بصورته الملَكية غير مرة، وكما كان يسمع من أصوات المعذَّبين في قبورهم، واطّلع يوم أُسري به على كثير من أمور الغيب، فرأى الجنة والنار وخاطب الأنبياء والملائكة وغير ذلك مما ثبت في الصحيح.

كذلك يمكن أن يعرف غير الأنبياء تفاصيل غيبيَّة أخرى، ففي حديث تميم الداريّ المعروف[1]، وصف رضي الله عنه ما رآه عيانًا من أمر من الدجال والدابّة وغير ذلك .

وفي نصوص الوحيين تفاصيل بعض أشراط الساعة التي تعطي معارف بأمور غيبيّة لعامّة من يصدّق بهذه الرسالة، إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصل، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير:٢٤]، وقد تخفى كثير من التفاصيل على بعض الناس ممّن لم يصلهم الخبر، أو لم يثبت عندهم صدقه.

ويلحق بهذا النوع أيضًا ما يكشفه العلم الحديث كالغيب الذي يعرفه الطبيب بأدواته من أسرار الجسم الداخليّة أو نوع الجنين بعد تكوُّنه، وما يعرفه عالم الفلك بمناظيره وحساباته المبنيَّة على السنن الكونيَّة، وما يراه عالم طبقات الأرض مما في باطنها من مياه أو معادن ونحو ذلك، فهذا كله من الغيوب التي يمكن التعرُّف عليها تفصيلاً في الدنيا لمن ملك أدواتها، أو وصل إليه خبرها أو صورها باستعمال الأجهزة الحديثة .

ويمكن الجمع بين تصنيف الغيب باعتبار إمكان التعرُّف عليه في الدنيا، وتصنيفه باعتبار علم الغيب وصفات العالم به، فيكون الغيب الذي لا يمكن التعرُّف عليه بحال في الدنيا دالّ على المرتبة الأولى من الغيب الحقيقيّ المطلق، وهي كلّ ما ورد فيه نصّ صريح بأن الله تفرّد بعلمه، بينما تندرج المرتبة الثانية منه – وهي التي لم يرد نص صريح على أن الله تفرّد بعلمها كعالم الجن والملائكة ونحوها – مع الغيب النسبيّ في القسمين الآخرين.

وقد تُعدّ بعض هذه الأمثلة من قسم باعتبار ومن قسم آخر باعتبار آخر، ولا تعارض أو التباس؛ فبعض الأمور تعد غيبًا من أكثر من وجه، فالمعرفة بأشراط الساعة في حق من عاش قبلها، ومن يعاصرها، تُعدّ من (الغيب بحسب الزمان) كما تُعدّ من (الغيب الذي لا يعرف لعدم توفر أسبابه) من وجه آخر. وقد تكون غيبًا لبعض الناس باعتبار وبعضهم باعتبار آخر.

---

(١) صحيح مسلم،كتاب الفتن، باب قصة الجساسة ،رقم :٢٩٤٢

ويبقى الأمر هنا مجرد تصنيف علمي يهدف إلى التوضيح والبيان وضبط المسائل وتقوية الإيمان بالغيب. والمطلب التالي يبين تصنيف علميّ ثالث يمكن أن ننظر من خلاله لأقسام الغيب.

## المطلب الثالث

## أقسام الغيب باعتبار الزمان

ينقسم الغيب بحسب هذا التصنيف إلى ثلاثة أقسام[(١)]:

١. غيب ماض .

٢. غيب حاضر .

٣. غيب مستقبل.

وبيان هذه الأقسام يتّضح مما يلي:

**النوع الأول : الغيب الماضي:**

ويتضمَّن خبر تلك الأحداث البعيدة المتغلغلة في عمق الزمان كقصّة بدء الخلق، وقصص السابقين منذ بدء الخليقة، وما قُصّ علينا من عوالم الملائكة والجنّ ممّا حدث قبل وجودنا في هذه الدار.

ومن هذا القسم ماهو غيب مطلق لا يمكن أن نعرفه في الدنيا بحال؛ إذ لم يخبر عنه المصطفى ﷺ، وليس مجاله مجال بحث وتجريب كخبر بدء خلق الملائكة، وخلق الجانّ، وماذا كان في الكون من عوالم قبل وجودنا، ونحو ذلك. ومنه ما يُعد غيبًا نسبيًّا كقصص السابقين بالنسبة للاحقين ، فقد سمَّاه الله غيبًا بالنسبة إلى رسوله ﷺ وإلينا من بعده، وليس كذلك لمن حضره وعاصره، فهو نسبيّ بحسب المخاطبين وزمانهم، وما يعايشونه من أحداث.

ومن هذا النوع ما يمكن معرفته بالقراءة والسماع والخبر، أو رؤية الصور بالتقنيات الحديثة لمن حدث قبل زمانهم. وقد يتوصّل إلى بعضه بالطرق غير الشرعيّة كالكهانة والعرافة ونحوها، وسيأتي تفصيل هذا وأحكامه .

ولا سبيل إلى معرفة الغيب الماضي من أمور العوالم الأخرى والقصص البعيد الذي أخبرنا عنه القرآن وبدء الخلق معرفة صحيحة يقينيّة إلاّ بخبر صادق، سواء فيما هو من عالم الغيب أو من عالم الشهادة، فبعض الغيب الماضي من عالم الشهادة قد يصلنا عبر ما رصدته

---

(١) أورد الزرقاني هذا التصنيف في كتابه"مناهل العرفان": ٢/٢٨٥ وما بعدها، ولم أجده عند من سبقه من المصنفين، وإن كان مشارًا إليه في كلام العلماء في الغيب عمومًا في كتب التفسير والعقيدة .

العدسات المصوِّرة من الأحداث والوقائع قبل عشرات السنين فيعرض علينا اليوم وكأنَّنا نعيش تلك الوقائع ونرى أحداثها، ممّا أسهم في تقريب الزمان، فأصبحت بعض أحداث الماضي تشاهَد كأنّها حاضر، وهذا فيما يتعلّق بالغيب الذي لم نعرفه لكونه في زمان آخر، ولكنه من عالم الشهادة بالنسبة إلينا أصلاً، أمَّا الماضي الموغل في القدم قبل وجود الإنسان فهو من عالم الغيب الذي لا يصل الإنسان إلى حقيقته بعقله وخياله، وإن افترض فرضيّات وتخيَّل خيالات قد تقترب من الحقيقة في بعض أمور العالم المحسّ بحسب ما تتبع من المنهج العلميّ الصحيح، فالأخبار الموثّقة عن الحقائق العلميّة التي يكشفها العلماء لبعض الظواهر الكونيّة عند تتبُّعهم الأحافير والآثار كمحاولة معرفة كيفية تكوّن القارات، أو مراحل تكوُّن الجبال وعمرها ونحو ذلك، فمثل هذه الأمور لكونها موغلة في القدم فإن تفسيراتها الحاضرة لا تعدو كونها فرضيات وظنونًا راجحة وقويّة، إن تبعت منهجًا علميًّا صحيحًا، ولكنها بكلِّ حال لا تعطي علمًا يقينيًّا [1]، ولهذا قال أحد علماء طبقات الأرض: « ليس في وسع أحد من العلماء أن يصف لنا بدقّة كيف تشكلت الأرض؛ لأنه لم يتح له أن يراها بنفسه، وكلّ ما قيل في هذا الصدد هو في طور الفرضيّات التي يكون لها بعض النصيب من الصحّة أحيانًا» [2].

أمّا معرفة الماضي مما هو من عالم الغيب أصلاً كقصّة خلق السماوات والأرض، وقصة النشأة الأولى والمبدأ وكيفيّة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام فليس من طريق إلى معرفته معرفة يقينيّة إلاّ طريق الوحي، ولأن الإنسان طموح بطبعه إلى معرفة الماضي ووقائعه، فقد زوّده ربّه الذي خلقه من هذه المعارف بقدر ما يعينه على تحقيق عبوديّته لله، وإعمار الحياة ما أغناه بها عن الفرضيّات والنظريّات الظنيّة والفلسفات الوثنيّة.

**النوع الثاني : الغيب الحاضر:**

يشمل الغيوب التي توجد في زماننا، ومنها ماهو غيب مطلق – بمرتبتيه- فنحن نؤمن أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه يدبِّر أمر الكون برحمته وقدرته وحكمته، وأنّ في السماء من الملائكة مالا يعلم عددهم إلاَّ الله، وأنهم مكلفون بأعمال متنوِّعة، ونؤمن بوجود الجانّ والشياطين فيما حولنا، ونؤمن بأنّ الجنّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ونؤمن بأنّ الموتى في

---

(١) ينظر : "الإسلام ملاذ كل المجتمعات" للبوطي : ١١٧

(٢) عالم الجيولوجيا الروسي أوبر تشيف في كتابه "لمحة خاطفة عن نشأة أراضينا"، نقلاً عن كتاب "رحلة عبر الغيب" لعبد الكريم عثمان : ٧٥

عالم البرزخ يجري عليهم من النعيم أو العذاب بحسب أعمالهم ما لو كُشف عنه حجاب الغيب لسمعنا أصواتًا ورأينا أحداثًا على الحقيقة .

كما نؤمن أنّ صدور البشر تخفي كثيرًا من النوايا والهموم ما لا يحصيه إلاَّ العليم بذات الصدور، وهذه الغيوب على أنها حاضرة، وقد يكون منها ما هو أقرب إلينا من حبل الوريد؛ إلاّ أنّنا بوسائلنا البشريّة المحدودة لا نعرف عنها أكثر مما أخبر به الرسول ﷺ تفصيلاً فيما فصّل، وإجمالاً فيما أجمل، وهي معرفة للخبر ومعناه دون كيفه وكنهه.

ومن الغيب الحاضر ما هو من عالم الشهادة المحسّ ، وإنما غاب عنا — أو عن بعضنا – لبعد مكانه، وعدم توافر أدوات الوصول إليه، فهو غيب نسبيّ قد يُعرف بعضه مجملاً، ويُعرف بعضه مفصلاً، وقد يبقى مغيَّبًا لا يعرفه أحد، فالأحداث التي تحدث في أقطار الدنيا البعيدة هي شهادة لمن وقعت عندهم، بينما هي غيب خافٍ على من يبعد عنهم إلاَّ أن تتوافر له أدوات تساعده سواء من الآلات ووسائل الاتصال ومخرجات العلم الحديثة، أو بالإلهام وما في حكمه كرامة من الله أو فتنة واستدراجًا، ويظلّ كثيرًا منه في طيِّ الغيب.

**النوع الثالث : الغيب المستقبل :**

هو كلّ ما يكون في مستقبل الزمان سواء ماكان مطلقًا لا يعلمه أحد إلاَّ الله ﷻ كوقت الساعة والآجال وسائر مفاتح الغيب الخمسة، وما سيكون بعد انتهاء هذه الدار ويوم تبدل الأرض غير الأرض. ومنه ما هو نسبيّ؛ إذ هو غيب مستقبل لأهل بعض العصور بينما هو حاضر مُعاش لغيرهم، وقد يكون ماضيًا لآخرين من بعدهم، ومثل هذا كثير فقد أخبر الأنبياء عن بعثة نبينا ﷺ قبل مبعثه، وأخبر رسول الله عن أحداث كثيرة خبرًا من عند الله بما سيكون فمنها ما وقع وهو غيب ماض بالنسبة لنا ومنها ما يزال من غيوب المستقبل.

وكذلك يشمل الغيب المستقبل كلّ ما كتبه الله وقدّره للعباد في مستقبل حياتهم من رزق وحياة ونحو ذلك؛ فالرزق وإن سبَّب الله للحصول عليه أسبابًا إلاَّ أنَّ تحقُّق ذلك واقعًا ووقت الحصول عليه إنما هو غيب مستقبل علمه عند الله، وأقصى ما يمكن أن يجزم به الإنسان إنما هو ظنّ راجح، فقد تطرأ عليه آفة، أو تتأخَّر نتيجة، وكذلك وقت الأجل فهو وإن ظهرت أماراته، أو ظنّ طبيب اقترابه إلاّ أنّ موعده وساعته ومكانه أمر لا يعلمه إلاّ الله وحده.

وكذلك غلبة الأشخاص أو الأمم والدول أو زوال ملكها إنّما هو غيب مستقبل لا يعلمه إلاّ الله، وقد سبّب لعباده أسبابًا، وأخبرهم أنَّه على كلّ شيء قدير، فمهما بذلوا من جهد وتحرَّوا وجَدُّوا، فلا بدّ أن تظلَّ قلوبهم راجية من لا يعلم ما في غد إلاَّ هو ﷻ، وهذا مقتضى العبودية التي خلقهم لتحقيقها.

ومن الأمور التي تُعدُّ غيبًا مستقبلاً ولم تحدث حتى هذا الزمان ما أخبر عنه رسولنا ﷺ وما وصف من الملاحم والفتن الأخيرة التي ستكون في آخر الزمان، وما أخبر من أشراط الساعة الكبرى فكلّها غيب مستقبل نؤمن أنها ستحدث يقينًا رأينا ذلك أو لم نره، فنؤمن بخروج المهديّ وظهور المسيح الدجال ونزول عيسى ﷺ، وخروج دابّة للناس تكلِّمهم وتسِم المؤمن والكافر، ونؤمن بخبر يأجوج ومأجوج.كما نؤمن بانتهاء الدنيا والبعث والنشور.

ونؤمن بكلِّ ما وصف رسولنا ﷺ من أمور ستقع في الدار الآخرة على ما وصفها لنا سواء منها مايكون في العرصات، أو مايكون بعد دخول السعداء الجنة والأشقياء النار، فهذه الأمور وغيرها مما أخبر الرسل عن وقوعه في مستقبل الزمان لا سبيل إلى معرفتها إلاَّ بخبر من عند الله ﷻ، فهو الذي أطلع عليها رسله وليس استقلالاً من أنفسهم .

فهذا القسم من الغيب منه ما يعلّمه الله بعض خلقه دون بعضهم كأنبيائه–صلوات الله وسلامه عليهم– أو الملائكة أو الجنّ ممّن يشاء الله أن يظهرهم عليه، إلاّ أنّ غالبه غيب مطلق علمه عند الله ﷻ. ولا صحّة لما يُدّعى من إمكان التوصُّل إلى معرفة شيء من هذه الأمور بدلالات العقول وقياسات العلوم كزعم تحديد زمن قيام الساعة بما يسمى علم حساب الجُمَّل[(١)]، أو معرفة ما يكون في العام القادم من سعادة وشقاء أو رزق وفقر أو نصر وهزيمة عن طريق دراسة مواقع الأفلاك وتأثيراتها على الحياة والكون الذي ورثه القائلون به من أهل

---

(١)وهو طريقة تعتمد على ترتيب الحروف الأبجدي مع إعطاء كل حرف قيمة عددية محددة، ومن ثم تحسب القيمة ويعرف بها أمر خفي، وقد شاع استخدام هذه الطريقة عند الأدباء والشعراء لإخفاء تاريخ حدث ما في حروف بيت شعري، حتى سُمّي عند أهل البلاغة (التأريخ الشعري) ، ينظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري أمين:١٨٢. ومحاولة تحديد زمن الساعة بالاستناد إلى هذا العلم باب انحرف فيه عن مقتضى صحيح الإيمان بالغيب كثيرون قديماً وحديثاً، فمضوا يحسبون أعداد الحروف في بعض الآيات أو الحروف المقطعة في أوائل السور ! وقد حذّر ابن تيمية = = من ذلك وذكر أنّ غالب من فعلوا هذا كذابون مفترون يتكلمون بغير علم، ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٤٢/٤، ينظر هامش ص١٣٦ من هذا البحث.

الديانات الوثنيّة ومن اليهود ومن الصابئة[1] حسب معتقدهم في حركات الكواكب[2].

ويلحظ أنه بحسب هذا التصنيف تكون أنواع الغيب المطلق والنسبيّ وأنواع الغيب الذي يمكن أن يُتعرَّف عليه في الدنيا، وما لا يمكن التعرُّف عليه، متداخلة في هذا التقسيم الزمانيّ، فمنها ما هو من الغيب الماضي، ومنها ما هو من الغيب الحاضر، ومنها ما هو من الغيب المستقبل .

والله ﷻ يهب بعض خلقه من الصفات والقوى ما يمكِّنهم من الاطِّلاع على ما يشاء، ويكشف منه ما يشاء لبعض خلقه أو كلّهم بالبلاغ، ويبقى أكثره خفيًّا مستورًا، علمه عند خالقه المتَّصف بالعلم المحيط، لا إله إلاّ هو.

والمبحث التالي يفصّل القول في بيان صفات الخالق وصفات المخلوقين المتعلِّقة بالغيب وأثرها في العلم بالغيب.

---

(١) المقصود بهم الصابئة المشركون وهم (المندائيون) عبدة الكواكب والنجوم، وما يسمونه(الروحانيات العلوية) ، ويعتقدون أن الكواكب مسكن للملائكة وأن لها أرواح ونفوس مؤثرة، ينظر: الملل والنحل" ٣٠٥/٢،و"اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" للرازي: ٩٥

(٢) ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٨١/٤

# المبحث الثاني :
# علم الغيب بين صفات الخالق وصفات المخلوقين

وفيه مطلبان :

الأول : صفات الخالق سبحانه المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب .

الثاني : صفات المخلوقين المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب .

## المطلب الأول
## صفات الله المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب

إنّ هذا الكون المحكم الصنع، المترامي الأطراف، المتنوّع العوالم، الزاخر بالأسرار ينبئ عن خالق عظيم، خلقه بقدرته، يعلم ما يجري في فضائه الواسع، ويرى دقائق ما فيه من الكائنات، ويسمع ما يُجهر فيه وما يسرّ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات، ويدبر أمر عوالمه بحكمته وقيّوميّته.

فالعلم من صفات الله ﷻ، وله أكمل العلم وأعظمه كما تدلّ على ذلك كثير من أسمائه وصفاته التي أخبرنا بها سبحانه ممّا سمّى بها نفسه ووصف بها ذاته ومنها: العليم والعالم وعلاّم الغيوب والخبير والرقيب والحسيب والشهيد والسميع والبصير والحفيظ واللطيف.. وكلّ اسم من هذه الأسماء مع ما يدلّ عليه من صفة لله ﷻ ينبئ عن كمال في العلم لا ينبئ عنه الاسم الآخر، وفي اجتماعها في وصفه ﷻ أبلغ كمال وأعظمه، وفيما يلي عرض صفة العلم لله ﷻ، والأسماء الدالّة عليها مع بيان معانيها من كلام أهل العلم وأثرها في علم الغيب:

أولاً: اسم الله (العليم) الدالّ على اتّصافه بكمال العلم، فجاء بصيغة تدلّ على المبالغة في العلم بدقائق الأمور. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء:٢٢٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة:٦]، والعلم معناه ظاهر، وكماله أن يحيط بكلّ شيء علمًا ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفاتحته، وهذا من حيث كثرة المعلومات التي لا نهاية لها، ثم يكون العلم في ذاته أكمل ما عليه وأتمّ[1]. فهو الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن:٢٨]. و« هو العليم بالسرائر والخفيّات التي لا يدركها علم الخلق »[2]، يعلم مستقرّ كلّ شيء ومستودعه، فعلمه محيط بجميع العالم العلويّ والسفليّ وما فيه من المخلوقات بذواتها وأوصافها وجميع أمورها، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه شيء، كما قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ

(١) ينظر :"المقصد الأسنى"للرازي : ٨٦، و"النهاية"لابن الأثير : ٢٩٢/٣

(٢) "شأن الدعاء" للخطابي : ٥٧

مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩]، علم يشمل الظاهر والباطن والموت والحياة والازدهار والذبول في كلِّ شيء على الإطلاق.

وإنّ تأمُّل نصوص القرآن الكريم، وما حفل به من أخبار الماضي والمستقبل، من قصص السابقين وأحوال اللاحقين، وما سيكون في مستقبل الزمان، وتفاصيل دار القرار، كلّ ذلك ينبئ عن صاحب العلم المحيط ﷻ. قال ابن القيِّم[1]:

وَهوَ العَليمُ أَحَاطَ عِلمًا بِالذِيْ ... فِي الكونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إِعْلانِ

وَبكلِّ شَيءٍ عِلمه سبحانَهُ ... فَهوَ المحيطُ وليسَ ذَا نِسْيانِ

وَكذاكَ يَعلمُ ما يكونُ غدًا ومَا ... قَد كَان والموجودُ فِي ذا الآنِ

وَكذاكَ أَمرٌ لم يكنْ لَوكَان كَيفَ ... يكونُ؟ذَاك الأَمرُ ذَا إِمكانِ[2]

ثانيًا: اسما الله ﷻ (علاّم الغيوب) و(عالم الغيب والشهادة)، عند من عدّ الأسماء المضافة ضمن الأسماء الحسنى[3]، وتدلّ على معنًى خاصّ من العلم، شامل محيط بكلّ ما غاب، سواء كان ممّا كان أوما سيكون، أوما لم يكن لوكان كيف يكون، علم للماضي كلّه، والمستقبل إلى أبد الآبدين بكلّ كلّيّاته وجزئيّاته[4]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الشهير بابن قيم الجوزية، من مصنفاته: مدارج السالكين، والصواعق المرسلة، وشفاء العليل، والروح، وزاد المعاد وبدائع الفوائد.توفي سنة(٧٥١هـ).ينظر:"المقصد الأرشد" لابن مفلح :٣٨٤/٢، و"المنهج الأحمد" للعليمي: ٩٢/٥.وهو من أبرز المتصدين لأصحاب الضلالات من المنحرفين في باب الإيمان بالغيب .

(٢) "شرح القصيدة النونية" لهراس : ٢١٥/٢

(٣) ومن جملة أهل العلم القائلين بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ينظر :"مجموع فتاوى ابن تيمية": ٤٨٥/٢٢ .

(٤) أنكر بعض الفلاسفة من المنتسبين إلى الإسلام علم الله تعالى بالجزئيات، وزعموا أن علمه ﷻ يختص بالكليات! وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة قولهم وتناقضه فقال: « من قال من المتفلسفة إنه سبحانه يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي، فحقيقة قوله إنه لم يعلم شيئا من الموجودات، فإنه ليس في الموجودات إلا ما هو معين جزئي، والكليات إنما تكون في العلم، لا سيما وهم يقولون: إنما علم الأشياء لأنه مبدؤها وسببها، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، ومن المعلوم أنه مبدع للأمور المعينة المشخصة الجزئية، كالأفلاك المعينة والعقول المعينة... فهل يكون من التناقض وفساد العقل في الإلهيات أعظم من هذا» "درء تعارض العقل والنقل": ١١٣/٥، وكذا رد عليهم ابن = =القيم وبين لوازم قولهم الفاسدة ينظر :"مدارج السالكين": ٦٧/١

﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨﴾ [سبأ:٤٨]. وعنده مفاتيح الغيب التي بينها بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ۝٣٤﴾ [لقمان:٣٤]، وقال رسوله الكريم ﷺ: "مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: ...."[١] وذكر الأمور الخمسة الواردة في الآية.

ثالثًا : اسم (الخبير)، وهو اسم من أسماء الله ﷻ سمّى به نفسه فقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٣]، ويدلّ هذا الاسم على جانب من سعة علم الله وإحاطته وشموله عالم الغيب والشهادة على وجه الكمال؛ فالعلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمِّي خِبرة[٢]. والخبير: «العالم بكنه الشيء. المطَّلع على حقيقته»[٣]، فـ« هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرّة ولا تسكن ، ولا يضطرب نفَس ولا يطمئنّ، إلا ويكون عنده خبرُه»[٤]، فهو العالم ﷻ بدقائق الأشياء على ما هي عليه، وهو العليم بذات الصدور.

رابعًا : من الأسماء الدالَّة على العلم بخفايا الأمور ومغيّبات الصدور اسم (اللطيف) في أحد معانيه[٥]، قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٣]، فاللطيف هو الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك البواطن والخبايا في الصدور والحبوب والبذور[٦]، وكذلك اسمه (الباطن)[٧] عند من فسَّره بالعالِم ببطانة الشيء، من

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦.

(٢) ينظر : "المقصد الأسنى" للرازي : ٦٣

(٣) "شأن الدعاء" للخطابي : ٦٣

(٤) "المقصد الأسنى" للرازي : ١٠٣

(٥) قال ابن القيم في النونية يوضح معنيي اللطيف:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان

فالمعنى الأول: إدراك أسرار الأمور بخبرة، وهو المناسب للمراد هنا باللطف كصفة دالة على العلم. والمعنى الثاني اللطف عند مواقع الإحسان، وهو معنى من فسر اللطف بأنه إيصال المطلوب في رفق، ينظر :"توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم" لأحمد بن عيسى : ٢٢٨/٢

(٦) ينظر :"تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي: ٤٨٨/٥

(٧) أدرج أهل العلم اسم (الباطن) ضمن الأسماء المزدوجة التي لا تطلق على الله إلا مقترنة بمقابلها، فيرد مزودجًا مع

بَطَنتُ فلانًا إذا عرفتَ باطنه وظاهره[١].ف« هو الظاهر على كلّ شيء علمًا، والباطن على كلّ شيء علمًا »[٢]. وعلى هذا يدلّ تفسير الرسول ﷺ حيث قال: "وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء"[٣]، فاسمه الباطن يدلّ على الإحاطة والعظمة وسعة العلم والإطلاع على السرائر والضمائر والخبايا ودقائق الأشياء[٤].

خامسًا: ممّا يدلّ على كمال العلم وإحاطته اتّصاف الله تعالى بصفتي السمع والبصر، وتسميه بـ (السميع البصير) .قال تعالى واصفًا نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]، فالسميع هو الذي« لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فيسمع السرّ والنجوى، بل ما هو أدقّ من ذلك وأخفى »[٥] « سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت» [٦]. والبصير: هو المبصر، العالم بخفيّات الأمور[٧]، « الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى »[٨].

ومن دلائل سعة سمعه ﷻ قول أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى النبي ﷺ تكلِّمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة:١]"[٩].

---

(الظاهر) فيقال: (الظاهر والباطن)؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم منها بما يقابله. ينظر: "معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى" للتميمي : ٢١٢

(١) ينظر : "تفسير الأسماء الحسنى" للزجاج : ٦١

(٢) قول يحي الفراء ذكره البخاري،كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ : ١٤٠٦

(٣) أخرجه مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، رقم : ٢٧١٣

(٤) ينظر :"طريق الهجرتين" لابن القيم : ٢٢ وما بعدها، و"الحق الواضح المبين" للسعدي في المجموعة : ٢٢٣/٣

(٥) "المقصد الأسنى" للرازي : ٩٠

(٦) "شأن الدعاء" للخطابي : ٥٩

(٧) ينظر : المرجع نفسه : ٦٠

(٨) "المقصد الأسنى" للرازي : ٩١

(٩) أخرجه البخاري تعليقا،كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء:١٣٤]، وأحمد في المسند ، رقم ٢٣٦٧٥، والحاكم في المستدرك : ٤٨١/٢. وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

سادسًا : منها اسما الله ﷻ (الحفيظ) و(الحافظ)[١]، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝﴾ [سبأ:٢١]، وقال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝﴾[يوسف:٦٤]. ومن معاني الحفيظ: الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه[٢]، والمطَّلع على ما تكنّه الصدور، القائم على كلِّ نفس بما كسبت [٣]،«يحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نيَّاتهم وما تكنُّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية »[٤]. وهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله ﷻ بأحوال عباده كلّها ظاهرها وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وما كتب في الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقادير هذه الأعمال جميعها، وكمالها ونقصها ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاته عليها عباده بفضله وعدله[٥].

سابعًا : من أسماء الله وصفاته ﷻ الدالّة على علمه اسم (الرقيب) قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝﴾ [الأحزاب:٥٢]، وهو اسم يتضمَّن الوصف بالسمع والبصر والعلم والحفظ، فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولحظه لحظًا دائمًا لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه سمِّي رقيبًا[٦]، والله ﷻ رقيب على الأشياء بعلمه المقدَّس عن النسيان، ورقيب على المبصَرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب على المسموعات بسمعه المدرك لكلّ حركة وكلام، فهو سبحانه رقيب بهذه الصفات، تحت رقابته الكلِّيَّات والجزئيَّات وجميع الخفيَّات في الأرضين والسموات [٧].

ثامنًا : اسم الله (الشهيد) ويرجع معناه إلى العلم مع خصوص وإضافة، فإذا أضيف العلم إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد[٨]، والله ﷻ يستوي عنده الغيب والشهادة، فهو شهيد على الأمور الباطنة كما هو شهيد على الأمور الظاهرة، وعلى هذا فمعنى الشهيد في حقِّه

---

(١) وهي من الأسماء التي عدها القائلون بالاشتقاق في بعض الأسماء الحسنى، ومن جملتهم ابن منده والحليمي والبيهقي، ينظر :"معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى" للتميمي : ١٧٦

(٢) ينظر : "تفسير أسماء الله الحسنى" للزجاج : ٥١

(٣) ينظر : "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي : ٣٠١/٥

(٤) "شأن الدعاء" للخطابي : ٦٨

(٥) ينظر : المرجع نفسه : ٦٨ ، و"تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي : ٣٠٣/٥

(٦) ينظر :" المقصد الأسنى" للرازي : ١١٧ ، و"المنهاج في شعب الإيمان" للحليمي : ٢٠٦/١

(٧) ينظر : "المقصد الأسنى" للحمود : ٤٠٢/١

(٨) ينظر :"المقصد الأسنى" للرازي : ٧٩ ، و"النهاية" لابن الأثير : ٥١٣/٢

تعالى: « الذي لا يغيب عنه شيء »[١]، « المطّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيّها وجليّها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكلّ شيء»[٢].

تاسعًا : من أسماء الله (الحسيب)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦]، فالحسيب هو المحاسب لعباده يوم يُرَدُّون إليه، بل هو أسرع الحاسبين، فهو العليم بهم وبعددهم وأعمالهم وآجالهم وجميع أمورهم، قد أحصى كلّ شيء عددًا، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة [٣]، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، فهو المحيط بالأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب ﷻ، فعلمه لا يتوقّف على أمر يكون أو حال يحدث[٤].

فهذه الأسماء الحسنى والصفات العلا لله ﷻ مع ما تدلّ عليه من كمالات بدلالاتها المتنوعة تعرِّف بربّ عليم، علمه شامل محيط يعلم السرّ وأخفى، ويعلم الغيب والشهادة وهو سبحانه « مع خلقه يسمع ما يتناجون به، ويرى ما يخوضون فيه، ويعلم حركات خواطرهم وهواجس ضمائرهم، وتقلُّب لواحظهم، ولا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١] »[٥].

وقد فطر العليم عباده على معارف ضروريّة، وجبلهم على محبّة العلم والرغبة في طلبه وتحصيله فتنوَّعت فيه حظوظهم، وتفاوتت فيه مراتبهم، وكشف منه لبعضهم ما غاب عن حواسّهم ما لم يكشف لغيرهم، وهذا الأمر يتطلّب مزيد بيان وإيضاح مكانه المطلب التالي.

---

(١) "شأن الدعاء" للخطابي : ٧٥

(٢) "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي : ٣٠٣/٥

(٣) ينظر : "جامع البيان" للطبري : ٤١٣/١١

(٤) ينظر :"الأسماء والصفات" للبيهقي : ١٢٧/١

(٥) "شرح النونية" لهراس : ٨٩/٢

## المطلب الثاني

## صفات المخلوقين المتعلقة بالعلم وأثرها في علم الغيب

يزخر الكون الفسيح بالمخلوقات، وتتنوّع فيه الكائنات التي تشترك معًا في العبوديّة العامّة لله سبحانه وتعالى بما فطرها عليه، وتتجلّى في كلِّ نوع منها دلائل قدرة الإله وحكمته ورحمته، فقد أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى، ووهب كلّ نوع ما يناسب الغاية التي خلقه من أجلها وكان من ذلك ما ميّز به الإنسان على سائر المخلوقات من أسباب قيامه بالعبوديّة الخاصّة، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وجبل على فطرة التوحيد.

ولا شكَّ أنّ المخلوقين الذين لهم صفات علم ومعرفة أعمّ من جنس البشر، فأمم الطير والحيوان والنمل وغيرها من أمم عالم الشهادة كلّها لها من الصفات ما يمكّنها من معرفة الخالق عزّ وجلّ والهداية إلى عبادته[1]، قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ**﴾ [الإسراء:٤٤]. وقال عزّ وجلّ: ﴿**كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ**﴾ [النور:٤١]، وكذلك مخلوقات وأمم عالم الغيب كالملائكة الأبرار، والجنّ والشياطين ممّا أُخبرنا عنهم، وقد يكون وراء ذلك عوالم أخرى نجهلها.

ويختصّ الحديث عن صفات المخلوق في هذه الدراسة بنوع الإنسان الذي ننتمي إليه وتهمّنا معرفة صفاته، وحدود إمكاناته؛ لنضبط رغبة المعرفة في نفوسنا، ونتوجّه إلى طلب النافع الذي يمكننا معرفته، ولا نجنح مع حبّ العلم والاستطلاع الذي جُبلنا عليه، فنقحم عقولنا فيما هو أبعد من قدرتها، ونتكلّم فيما ليس لنا به علم، أو ننكفئ مع الشعور بقصور ما نملك من وسائل وصفات، فنضيع مراتب العالمين العابدين.

وشك في أنه لا بدّ للعالم بأمر ما أن يكون متَّصفاً بما يمكّنه من الإلمام به، وكلّما كان الأمر عظيمًا فإنّ صفات العالم به أعظم؛ فالذي يريد أن يكون عالمًا بشؤون الطب لا بدّ أن يتبحّر في معرفة جسم الإنسان، ومعرفة أنواع الأدواء، وصنوف الأغذية والأدوية، وغير ذلك، والذي يريد العلم بأمور الحضارات والبلدان لا بدّ له من صفات تعينه على كثرة التجوال، ودوام

---

(١) ينظر للفائدة في هذا الموضوع :"عبودية الكائنات لله رب العالمين" لفريد التوني.

الفحص والسؤال، ودقّة الملاحظة وقوّة الحافظة وغير ذلك.. ومع أن العالم من الناس يجتهد في تحقُّق الصفات اللازمة لكمال علمه إلا أنه يظلّ في الحقيقة مفتقرًا إلى الإحاطة بكلِّ دقائق ذلك العلم، وسبْر أغوار الحقيقة فيه؛ إذ لا يستطيع مهما بلغ أن يتجاوز حدود صفاته وقواه البشريَّة، لا سيما وأن وراء عالم الشهادة الذي يعجز عن استقصاء أسراره عوالم متنوّعة من الغيبيّات متعلقة به، لذا فإنه كلّما علم شيئًا أدرك أنّه يجهل أشياء، وعرف أنّه لا يحيط بعلم هذا الكون إلاّ صاحب العلم المحيط جَلَّ جَلَالُهُ.

واستقراء ما ورد في النصوص الشريفة عن صفات العلم والمعرفة عند الإنسان يُبرز منّة الحكيم جَلَّ جَلَالُهُ على الناس؛ إذ زوّدهم بما يعينهم على تحقيق غاية ما أوجدهم لأجله، ففطرهم على معارف ضروريّة لحياتهم وعبوديّتهم، وطبعهم بطبائع شتى، ووهبهم قوى مختلفة، وميزهم بصفات تعينهم على طلب العلم ومعرفة الحقّ، وامتنّ عليهم بإرسال الرسل ينبئونهم بما خفي عنهم من أمور الغيب ما يحقّقون به عبوديَّتهم، وتطمئنّ نفوسهم فيعرفون من هم، ومن إلههم ،ولِمَ خلقوا، وإلى أين مصيرهم.

وأعطاهم الحواسّ والعقل ودعاهم إلى التفكُّر والتدبُّر في حقائق هذا الكون، وأسراره لمعرفة المزيد من سننه الكونيّة وبديع خلقه؛ فيكون ذلك معينًا لهم على معاشهم وإعمار أرضهم، وتنافسهم في مراتب المعرفة والعبوديّة، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾** ﴾ [آل عمران:١٩٠]. واختصّ الله منهم من أعطاه مزيد فضل ورجاحة عقل تمكِّنه من معرفة ما يخفى على كثيرين غيره، وخصّ بعضهم بعلم من لدنه لا يصل إليه عبد بعقله، قال تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾** ﴾ [الكهف:٦٥]، وفوق هؤلاء جميعًا اصطفى من عباده من أطلعه على بعض غيبه فقال: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ**﴾ [آل عمران:١٧٩]، وبقي بعد هذا وذاك من العوالم والأمور ما لا يحصيه إلاَّ العليم بذات الصدور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ عباده بقطع الطمع عن التشوّف لأكثر ممّا أعطاهم من المعارف عن الغيب، ونهاهم عن الرجم بالغيب والقول بغير علم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾ [الإسراء:٣٦]، فعالم الشهادة هو عالمهم الذي يستطيعون -أو بعضهم- إدراكه وكشف أسراره بما زوَّدهم الله من

أدوات، سواء بقدرة حواسهم المجرّدة، أو بما يستعينون به من تقنيات العلم ووسائل التصوير والاتصالات[١]. أمَّا الغيب وما فيه من عوالم فهو غائب وراء حسِّهم وقدرتهم، وإن أحسّوا بآثار تدلّ عليه، فلا يمكن أن يصلوا إلى حقيقة معرفته إلاّ بالخبر الصادق ممن له علمه [٢] .

فالمعرفة البشريّة التي هي إحدى خصائص الإنسان ليست بجهده فقط، ولا من عند نفسه وبقدرته، وإنما هي أولاً منحة من خالقه ، ورحمة من موجده الذي أخرجه إلى هذا الوجود عريًّا عن العلم إلاّ ما فطره عليه من معارف فطريّة ضروريّة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨] ومنحه أدوات وأسبابًا يكتسب بها المعرفة ويترقى بها في مراتب العلوم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ [النحل:٧٨]، وأمره باستعمال ما أعطاه من عقل للتفكُّر والاستدلال وصولاً إلى الهدى والإيمان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾ [آل عمران:١٩٠]، فالحديث عن المعرفة الإنسانيّة في النصوص الشريفة تابع للحديث عن العلم الإلهيّ؛ فهي منّة ورحمة من العليم سبحانه، فمنه ابتدت: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [النساء:١١٣]، وبفضله ودعائه تزيد: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤]، وعند كمال علمه تتواضع: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [الأنفال:٦٠]، ﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٠]، لذا قال الملائكة كما ذكر القرآن لنا: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾ [البقرة:٣٢].

فعلم الإنسان محدود، والسموات والأرض عالم فسيح زاخر بموجودات متنوِّعة، ليست كلُّها ممَّا يدركه الإنسان بما زوَّده الله من حواسّ، بل أكثرها وراء مدركاته وأبعد عن قواه في هذه الدنيا.

ويتفاوت الناس فيما يعلمون تفاوتًا كبيرًا بحسب القوى الممنوحة لهم فضلاً من الله ﷻ وعلاقة هذه القوى بخصائص الموجودات، فالموجودات بالنسبة للإنسان تنقسم إلى قسمين:

أ. موجودات مشاهدة: وهي كل ما خلقه الله عزوجل مهيئًا لإدراك الإنسان بحواسِّه،

(١) ما يغيب عن القدرة المجردة للإنسان، ويمكن كشفه بوسائل التقنية الحديثة يدخل ضمن الغيب النسبي الذي يمكن التعرف عليه تفصيلا في الدنيا لمن ملك أدواته كما سبق بيانه .

(٢) ينظر : "عالم الغيب والشهادة" لعثمان ضميرية : ١٥

فهي العالم الذي يحيط بنا من جماد ونبات وحيوان وإنسان وغير ذلك ممّا يُرى أو يُسمع، وتدركه قوى الحواسّ المختلفة، إضافة إلى ما يُكشف لمن يمتلك أدوات تمكِّنه من توسيع مجال الرؤية أو السمع إلى أكثر مما تصله الحواسّ المجرّدة. وهذا القسم غيبه نسبي إذ يمكن كشفه بأدوات خاصة أو في أزمان معينة.

ب. موجودات مغيبية: وهي كل ما أخبر الله به أو رسوله ﷺ ولا يمكن للإنسان إدراكه بحواسه في هذه الدنيا[١] وأعظم موجود نؤمن به بالغيب هو الله ﷻ، وأسمائه وصفاته. ومن هذا القسم مخلوقات كثيرة وعوالم خلقها الله وأخبرنا عنها كاللوح المحفوظ، والجنة والنار، والعرش، وعالم الملائكة، وعالم الروح، وعالم الجنّ ونحو ذلك.

وهذا القسم يسميه الفلاسفة قديمًا وحديثًا (الميتافيزيقيا)[٢]، فيثبتون وجوده إلاّ أنهم لايتلقّون حقائقه عن علاَّم الغيوب، وإنَّما يعدُّون ما توصلهم إليه عقولهم وخيالاتهم -التي تتلاعب بها الشياطين- حقيقة هذا الوجود الغيبيّ؛ لذا كان من المهم أن يعرف الإنسان حدود قواه المعرفية وصفاته المتعلقة بالعلم؛ ليبصر حدود معرفته ومجالاتها ولا يشطح به فكره فيما وراءها، وفيما يلي توضيح لهذه الصفات والمواهب التي زوّد الله الإنسان بها:

**أولاً : المواهب العامة:**

أ.الفطرة :

يُولد الإنسان وعنده معارف فطريّة تشتمل على أساس ما يقيم حياته من معرفة ربِّه الذي خلقه وسواه، وتمييز الخير من الشرّ في أمور حياته، قال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ:

---

(١) بناء على السنة العامة خلافا للمعجزات والكرامات وما يصل عن طريق الوحي .

(٢) الميتافيزيقيا في اللغة اللاتينية: هي ماوراء الطبيعة، وترجع إلى فلسفة أرسطو وتعني عنده: البحث في العلل الأولى للوجود، والأمور الإلهية والمبادئ الكلية، ينظر :"المعجم الفلسفي" لجميل صليبا : ٣٠٠/٢. ويطلقها بعض المفكرين المسلمين في كتاباتهم على الغيب، يقول أنور الجندي: « للمسلمين ميتافيزيقاهم » ينظر:"الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة":٨٦. إلا أنه إطلاق غير منضبط فـ (الميتافيزيقيا) تدل على ما وراء العالم الفيزيائي سواء ما كان موجودًا حقًّا أو خرافة مما يدعيه الكهنة والعرافين، أو من فلسفات من يسموهم حكماء وقد أصبحت (الميتافيزيقيا) في العصر الحديث عَلمًا على تخصص تابع للدراسات الباطنية يُدرّس موضوعات خوارق العادات التي لم يُعرف لها تفسيرًا محددًا والعلل الأولى للوجود من منظور غنوصي في بعض الجامعات الغربية وفي الشرق الأقصى.

"خلقت عبادي حنفاء "(١)، وذكر لنا القرآن إقرار البشر مسلمهم وكافرهم بربوبيَّة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، كما جاء الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى مبنيًّا على أصل ما فطر الله عليه الناس قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم:٣٠]، ولكن هذه الفطرة قد تتعرض إلى ما يفسدها من خارجها فلا تدل على الخير ولا تقود إلى الحق بيّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: "كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصِّرانه أو يمجّسانه ..."(٢)، وقال ابن القيِّم: «وقد أودع الله في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود أنَّه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكلِّ كمال، المنزَّه عن كلِّ عيب ونقص»(٣).

فالفطرة السليمة معرفة عامة في مجال الغيبيَّات، فلا توصل إلى تفاصيل عالم الغيب(٤) وإنما تدلّ عليه إجمالاً؛ فبالفطرة نعرف أنَّ للمعبود الحقّ ﷻ كمالاً مطلقًا، ولكننا لا نعرف تفاصيل كماله وصفاته وأفعاله إلاّ عن طريق خبر صادق من عند الله، ونعرف بالفطرة أنّ الدنيا ليست عبثًا، فهناك جزاء وحساب بعد هذه الحياة، ولكن لا يمكن أن نعرف تفاصيل ذلك زمنًا أو كيفية بفطرتنا، وإنما عرفنا ثواب المتَّقين وجزاء المجرمين بوحي معصوم من عند الله ربِّ العالمين.

فالفطرة السويَّة طريق لمعرفة الحقّ بطريقة مجمَلة، ولكنها ليست طريقًا لمعرفة التفاصيل لا في عالم الغيب ولا في عالم الشهادة، ففي عالم الشهادة لا بدّ من التعليم والتربية وإعمال العقل لمعرفة تفاصيل هذا العالم، وفي عالم الغيب لا بدّ من تصديق خبر الأنبياء؛ ولهذا نفى الله ﷻ عن الإنسان عند ولادته العلم فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]؛ إذ لا بدّ أن يتلقَّى من العلم ما يزكِّي نفسه، ويوقظ فطرته ويعينه على إعمار دنياه وأخراه.

ب. الحواسّ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف في الدنيا بها أهل الجنة ، رقم: ٢٨٦٥ .

(٢) رواه البخاري،كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ رقم: ١٣٥٨، ورواه مسلم،كتاب القدر، باب معنى "كل مولود يولد على الفطرة"رقم : ٢٦٥٨

(٣) "مدارج السالكين"لابن القيم: ٤٦٧/٣

(٤)كأكثر صفات الله تعالى الخبرية وبعض صفاته الفعلية وتفاصيل الدار الآخرة، وأشراط الساعة وأحوال البرزخ وغيرها.

وهي منافذ المعرفة للإنسان، أقدره الله بها على اكتساب مزيد من العلوم والمعارف قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [المؤمنون:٧٨] ، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [السجدة:٩]، ودعاه لاستخدامها وذم تعطيلها عن وظيفتها التي خلقها لها فقال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال مقبِّحًا هذا الصنيع: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ [الأنفال:٢٢].

والناس في قوّة حواسّهم متفاوتون إلاَّ أن ما فتح الله على العباد من وسائل العلم المتنوعة عزّز قدرة الحواسّ، فاتّسع نطاق ما يطّلع عليه الإنسان بحواسّه، وانكشف كثير ممَّا كان غيبًا محجوبًا عن الحواسّ المجرَّدة، فمن يستعين بالمناظير والأجهزة المكبِّرة والمقرِّبة يستطيع أن يوصل مدى الرؤية بعيدًا إلى آفاق رحيبة أو أعماق سحيقة، أو باطن خفيّ لم يكن بمقدوره معاينته بعينه المجرّدة. وكذا الأمر بالنسبة لما يعرفه عن طريق السمع فبعد أن كانت مسموعاته لا تتجاوز الموجات التي تلتقطها أذنه أصبح يستمع بواسطة أجهزة الالتقاط المتنوّعة إلى ما هو أعلى من قدرة سمعه المجرَّد. كما تخطَّى حدود الزمان ليرى ويسمع ما حدث في أزمنة مضت وكأنّه حاضر فيها، وتخطَّى حدود المكان ليرى أحداثًا لا يمكن أن يصل إليها بصره ولا مناظيره، عن طريق ما تنقله إليه أجهزة البثّ المباشر وغيرها، فاطَّلع على كثير مما كان يعدّ غيبًا، وهو من الغيب النسبيّ كما سبق بيانه .

وكما ندب الله ﷻ الإنسان إلى استخدام حواسِّه وقواه، حذّره من الاغترار بها وادّعاء ماهو وراء حدود إمكاناتها، فقال موبخًا مؤدِّبًا من يصنع هذا الصنيع: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف:١٩]، ونهى عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]. وحذّر ﷻ من الانكفاء وقصر المعرفة على ما يتوصّل إليه خلالها وإنكار ما وراء ذلك؛ إذ ما هي إلاّ وسائل معرفة لعالم الشهادة، وتقف عاجزة عن إدراك عالم الغيب الذي علمه عند علاّم الغيوب فقال: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٣٦]،

وقال ﷻ مذكّرًا أنّ وراء ما نعلم كثيرًا ممّا لا نعلم: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال:٦٠]، فربْط الوجود والحقيقة بالحواسّ فقط جهل مطبق[1]؛ ففي العالم وجود حقيقيّ لحقائق مطلقة تعجز وسائلنا المحدودة عن إدراكها، وقصور إدراكنا لا ينفي وجودها، وإنما غاية ما يعنيه قصور علمنا وقدرتنا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف:٧٦]، كما أكّد ذلك كثيرًا النبيّ المصطفى ﷺ، وأخبر أنّ علوم الأوّلين والآخرين إنما هي في علم الله سبحانه كنقرة نقرها عصفور من البحر[2].

ج. العقل :

امتنّ الله ﷻ على الناس بما أعطاهم من الحواسّ وما وهبهم من العقول والأفئدة[3]فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ﴾ [الملك:٢٣]؛ لأنها وسيلة يستدلُّون بها على ما ينفعهم، فصاحب العقل الصحيح يفكر في الكون حوله؛ ويصل بإدراك ما يرى ويسمع ويشمّ ويلمس إلى إدراك كثير مما هو خارج عن نطاق حواسّه وينظر في الكون والآفاق والأنفس وما أودع الله فيها من الأسرار، وما حوته من بدائع الخلق فيستدلّ بها على وجود الخالق، وعلى اتّصافه بالخلق والقدرة والعظمة والحكمة والرحمة وأنه ﷻ أولى بكلّ الكمال .

فالفهم والتعقُّل والإدراك منّة عظيمة وصفات جليلة وهب الله الإنسان منها حظًّا وافرًا

---

(١) من الفرق القائلة بهذا (السمنية) فينكرون ما لا يدرك بإحدى الحواس الخمس، وسار على طريقهم أصحاب المذاهب التي تربط المعرفة اليقينية بالإدراك الحسي فقط، كالوضعية المنطقية التي يجعل تجعل الإنسان بقدرته هو مقياس الحقيقة، ومن ثم فليس هناك حقيقة مطلقة، وإنما الحقائق نسبية تختلف من شخص لآخر وتختلف باختلاف الزمان والمكان والعقول المدركة، يقول قائلهم : ((الإنسان هو مقياس كل شيء، مقياس وجود الأشياء الموجودة وما لا يوجد))، ينظر: "الفلسفة عند اليونان" لأميرة حلمي : ١٣٤

(٢) كما في حديث الخضر مع موسى– عليهما السلام–: "فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرتين. قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر ..." أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله ،رقم: ١٢٢. ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام ،رقم: ٢٣٨٠

(٣) فُسرت الأفئدة في كتاب الله بالقلوب التي تعلم وتفقه والعقول التي تتفكر وتتدبر ، قال ابن كثير : ((أفئدتهم أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم)) ، ينظر: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير : ١٤٦/٢.

إلاّ أنّ مجال العقل مرتبط بإدراك المحسوسات والعلوم الطبيعيّة المبنيّة على الملاحظة والاستنتاج ومعرفة العلل، وكلّما بعدت المعلومات عن حواسّ الإنسان ضعفت قدرة العقل ودقّته في الاستنباط والاستنتاج، ومن ثم خفي عليه تبيُّن وجه الحقّ فيها؛ إذ يمكن أن يتأثّر العقل بخيال الإنسان وعواطفه وأوهامه، فحقائق العلوم مختبرة، ولكنها ليست كلّها من باب واحد، فما كان من الغيب فوظيفة العقل فيه تقف عند حدود التأكُّد من صحة النقل، ثم يتنحّى ليتلقّى عنه، أمّا في عالم الشهادة المدرك بالحواسّ مباشرة فالعقل كثيرًا ما يعطي أحكامًا صحيحة ومؤكّدة بما زوّده الله من القوى بناء على المشاهدات والملحوظات المرئية والمسموعة، بخلاف ما يكون له متعلّق بالحواسّ مع تعلُّق جوانبه وحقائقه بغيوب زمانية أو مكانيّة، نسبية أو مطلقة –كما في تتبع أصل نشأة الكون بالظواهر الفيزيائيَّة والجيولوجيَّة وغيرها، ومعرفة حقيقة النفس وطرق تزكيتها وتهذيبها– فإن نتاج تفكير العقل في مثل هذه الأمور منه ما يُرفض تمامًا إذا تعارض مع غيب حقّ، ومنه ما يقبل داخل حدود أنه علم يبدأ بالاحتمالات وينتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين[(١)]. وإذا كان هذا الشكّ في نتائج دلالات العقل لبعض العلوم النفسيّة والعلوم الفيزيائيّة والكيميائيّة، والجيولوجيّة وغيرها، فهو في مجال عالم الغيب الحقيقيّ أكثر بعدًا عن اليقين، فالعقل يفتح في مجال الحسّ والتجريب آفاقًا واسعة من العلم، ولكنه في مجال الغيب يجب أن يقيَّد ولا يُعتدّ به، فمجال الغيب ليس له، وكلّ ما يستطيعه فيه هو الاستدلال على بعض من عالم الغيب بما يدركه من عالم الشهادة تفكُّرًا وتدبُّرًا واستنباطًا للعلل واستخراجًا للحِكم، كاستدلاله على بعض صفات الله بقياس الأولى، وعلى النشأة الأخرى بالنشأة الأولى. أمّا محاولة إقحامه في إدراك الغيب دون سند من الوحي ودون ترك مجال للغيب لا ترتاده العقول؛ فهي محاولة فاشلة أولاً؛ لأنها تستخدم أداة لم تخلَق لرصد هذا المجال، وهي محاولة عابثة أخيرًا؛ لأنَّها تبدِّد طاقة العقل البشريّ التي لم تخلق لمثل هذا المجال[(٢)]، فما أخبرت عنه الرسل من قصَّة النشأة الأولى، ومن تفصيل أسماء الله وصفاته، ومن أحداث اليوم الآخر

---

(١) اليقين في نتائج هذا النوع من العلوم لا يتحقق إلا إن عضدها خبر الوحي لتعلقها بغيبيات، وقد اعترف بهذا عقلاء الغرب الذين نجوا من لوثة تقديس العقل، ينظر : "الله يتجلى في عصر العلم" مقالة ميريت ستانلي كونجدن : ٢٢

(٢) ينظر :"في ظلال القرآن" لسيد قطب: ٤٠/١، وقد جاء في النص الذي اقتبست منه بعض هذه المعاني والألفاظ التعبير عن الغيب بلفظة (ماوراء الواقع ) وهو تعبير يستعمله بعض المعاصرين ، وأراه غير دقيق لأنه لا يفرّق بين الغيب الحق وبين والخرافة والكذب، وقد يُفهم منه أن الغيب خيالات ووجود ذهني والحق خلاف هذا .

ووصف الجنة والنار، وما أمرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم، وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم مجمل ذلك[١]، فتفاصيل الغيب أبعد بكثير عن قدرة العقول المحدودة، وقد حذر السلف ﷺ من عاقبة إعمال العقل فيما ليس من اختصاصه، قال الطحاويّ[٢]: « ومن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»[٣]، فإدراك الربوبيَّة وعظمة الألوهيَّة، ومعرفة أسماء الله وصفاته لا يستطيعها العقل مهما فكَّر وتدبَّر، قال بعض أهل العلم: « إنما أعطينا العقل لإقامة العبوديّة، لا لإدراك الربوبيّة، فمن شغل ما أعطي لإقامة العبوديّة بإدراك الربوبيّة فاتته العبوديّة، ولم يدرك الربوبية»[٤].

فالعقل إذا تعدَّى حدود مجاله جانب الصواب [٥]، فقد يُنكِر بعض الغيب لجهله به، كما أنكر المعطِّلة والمعتزلة[٦] اتِّصاف الخالق ببعض الصفات كالنزول والاستواء على العرش[٧]،

---

(١) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١١٥/٣

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي المصري ، أحد كبار علماء المذهب الحنفي، من مصنفاته : العقيدة الطحاوية، وأحكام القرآن، ومعاني الآثار، وبيان مشكل الآثار، توفي سنة (٣٢١هـ) . ينظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٢٧/١٥ ، و"الفوائد البهية" للكنوي : ٣١

(٣) "شرح الطحاوية" لابن أبي العز : ١٨٤

(٤)ينظر :"الحجة في بيان المحجة" للأصبهاني : ٣١٩/١ ، وقد ذكره في عقيدة أبي المظفر ولم ينسبه لأحد بعينه.

(٥) كما كان عند فلاسفة تبعوا عقولهم فقط فأثبتوا عقلا كليًّا أو علة فاعلة، وتخبطوا في معرفة الله ﷻ ومعرفة حقائق الغيب تخبطًا كبيرًا، سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الانحراف عن الإيمان بالغيب.

(٦) قال ابن تيمية ذامًّا طريقتهم في إقحام العقل فيما ليس من اختصاصه: « فإن حقيقة الأمر على ما يقول هؤلاء: أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ﷻ، وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًّا له من الصفات فصفوه به، سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه!! » "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٦/٥، وكذا رد على شبهتهم في مسألة دلالة العقل على ما يثبتون وينفون. ينظر :"التدمرية" : ١٦

(٧) قال ابن تيمية مبينًا فساد شبهتهم: « فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام: فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم» ، وأهل السنة والجماعة يثبتون استواء الله على العرش كما يليق بجلاله وعظمته، ولا يقحمون عقولهم في إدراك كيف الغيب ، فلا يلزم من إثباتهم هذا ما يلزم المجسّمة. بيَّن ذلك ابن تيمية بقوله: «أما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة» ينظر للفائدة أقوالهم والرد عليها:مجموع الفتاوى: ٢٧/٥ — ٢٨ ، و"التدمرية" : ٤٨

وصفة الوجه واليدين، أويثبتها وفق ما يدرك في المخلوقين كما فعل المجسّمة والمشبّهة؛ لذا كان تحذير السلف ﷺ من مزلق الافتتان بالعقل كثيرًا، وبيانهم عاقبة إعمال العقل فيما ليس من اختصاصه، مع تأكيدهم- رحمهم الله- على وجوب إعمال العقل فيما خُلق من أجله لتمييز ما قد يراه الإنسان أو يخيَّل إليه، فالعقل ميزان صحيح في معرفة الحقّ والباطل في عالم الشهادة وفي معرفة صدق المخبر عن الغيب من كذبه.

وخلاصة الأمر أنّ العقل لا يمكن أن يكون طريقًا لمعرفة الغيب[1]كما لم تكن الفطرة ولا الحواسّ طريقًا، وإنما يستأنس بدلالتهم الصحيحة ولا يُتلقّى الغيب إلاّ من الوحي المعصوم .

**ثانيًا : المواهب التي يمنحها الله لبعض الناس دون بعض :**

ذكر الله ﷻ أن قد يطلع بعض خلقه على شيء من الغيب بإذنه ، قال تعالى: ﴿**عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾**﴾ [الجن:٢٦-٢٨]، وقال عزّ من قائل : وقال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ**﴾[آل عمران:١٧٩]، ويكون ذلك إمَّا معجزة من عند الله لتأييد أنبيائه ورسله، ورحمة بعباده لبيان منهج العبودية الذي شرعه لهم ، أو كرامة أو نصرة منه ﷻ لأوليائه، وقد استفاضت المعرفة بما للأنبياء في هذا الباب وأنواع الوحي الذي يأتيهم ممّا يرسل الله به ملائكته إليهم، وما يلقيه في روعهم وما يريهم في منامهم، كما حفظ التاريخ كثيرًا من قصص كرامات بعض الصالحين واطّلاعهم على شيء مما يغيب عن البشر مثلهم، وقد يكون في كشف طرف من الغيب للعبد فتنة من الله واستدراجًا؛ لذا كان لا بدَّ من معرفة أنواع هذه المواهب والخصائص، والهدي الصحيح في التعامل معها [2]، وفيما يلي بيان هذه المواهب التي يخصّ الله بها بعض خلقه فتكشف لهم طرفًا من عالم الغيب ولن يكون ضمنها الوحي مع أنه أعظم المواهب لكونه خاصاً بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد خُتموا بمحمد ﷺ .

---

(١) ينظر للفائدة : مبحث العقل في ميدان العقيدة في الإسلام، "مصادر المعرفة" للزنيدي : ٣٩٠ ، ومبحث العقل والمطالب الدينية ، و"منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد"لعثمان حسن : ١٧٧/١

(٢) سيأتي في فصل الأصول المتعلقة بمصادر الغيب الحديث بيان قيمة المعرفة الغيبية الصادرة عن مثل هذه المواهب .

**أ. الإلهام :**

ومعناه في اللغة: التلقين، تقول: ألهمه الله الخير، أي: لقَّنه[١]. والإلهام إلقاء الشيء في الروع، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملأ الأعلى[٢].

ويُعرّف عند المتصوفة بأنّه إيقاع في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر، ويسمُّون ظهوره لدى الإنسان إشراقًا وكشفًا وذوقًا ويسمُّون الموطن الذي يقع فيه الإلهام البصيرة[٣].

وقد يُعبّر عنه بالعلم اللّدنيّ[٤]الذي بيَّن حقيقته ابن تيمية بقوله: « العلم اللَّدنيّ الذي يفتحه الله على قلوب أوليائه المتَّقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم مايحبّه، ما لا يفتح به على غيرهم. وهذا كما قال عليّ ﷺ: إلاّ فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه[٥].وكما في القول المأثور: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم [٦]. وقد دلّ القرآن على ذلك في غير موضع، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء:٦٦-٦٨]، فالله قد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطًا مستقيمًا »[٧].

وتتداخل مصطلحات الذوق والكشف والإشراق كثيرًا مع معنى الإلهام عند المتصوِّفة

---

(١) ينظر : "لسان العرب"لابن منظور:لهم : ٥٥٥/١٢ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن : ٧٤٨ ، و"التعريفات" للجرجاني : ٣٤

(٣) "معجم مصطلحات الصوفية" : ١٠٤ ، وينظر : "المعجم الفلسفي"لجميل صليبا : ٩٣/١

(٤) أصل هذا المصطلح من قوله تعالى عن الخضر عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ فالله أخبر أنه علّمه من لدنه، ولم يصلنا بخبر صادق إن كان علّمه بملك خاطبه، أو نفث في روعه، وليس وراء تتبع ذلك فائدة إلاّ أن مصطلح العلم اللدني استعمل بعد ذلك عند كثير من أصحاب الضلالات على المعرفة الباطنية وسيأتي بيانه .

(٥) أخرجه البخاري،كتاب العلم، باب كتابة العلم ،رقم:١١١ واللفظ له ، ومسلم ،كتاب الحج ، باب فضل المدينة، رقم :١٣٧٠. وهو إجابة منه ﷺ عندما سئل: «هل عندكم من رسول الله ﷺ كتاب تقرؤونه؟ » وفي رواية «هل عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا لم يعهده إلى الناس؟ »

(٦) لا ينسب هذا القول لرسول الله ﷺ فقد ذكره الإمام أحمد ابن حنبل عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، ينظر: "حلية الأولياء" لأبي نعيم: ١٤/١٠ ، وقال الألباني: موضوع ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : ٤٢٣/١

(٧) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٤٥/١٣

وعند من عاصرهم أو خالطهم، وتأثّر بمصطلحاتهم أو استخدمها لمناقشتهم بنفس لغتهم[(١)]، قال ابن تيمية مؤكّدًا اختلاط الأمور في هذا الباب عند كثير من الناس، وأهمية عرض مثل هذه الألفاظ المجملة على المعارف الصحيحة التي أخبر عنها الوحي: «نحن لا ننكر أنّ النفس يحصل لها نوع من الكشف[(٢)] إمّا يقظة وإمَّا منامًا بسبب قلّة علاقتها مع البدن إمّا برياضة أو بغيرها، وهذا الكشف النفسانيّ هو القسم الأول من أنواع الكشف. ولكن ثبت أيضًا بالدلائل العقليَّة مع الشرعيَّة وجود الجنّ وأنها تخبر الناس بأخبار غائبة عنهم كما للكهّان المصروعين وغيرهم... فهذا نوع من المكاشفات والإخبار بالغيب غير النفسانيّ، وهو القسم الثاني من أنواع الكشف، أمَّا القسم الثالث: وهو ما تخبر به الملائكة فهذا أشرف الأقسام، كما دلَّت عليه الدلائل الكثيرة السمعيّة والعقليّة، فالإخبار بالمغيَّبات يكون عن أسباب نفسانيَّة، ويكون عن أسباب شيطانيَّة وغير شيطانيَّة ويكون عن أسباب ملكيَّة» [(٣)].

والإلهام من القسم الثالث، فالإسلام يعترف بالإلهام بصفته مصدرًا للمعرفة لبعض الناس، فإلهام الأنبياء ورؤاهم وحي معصوم، ولأهل الحق إلهامات صحيحة [(٤)]، وقد وقع من ذلك حوادث لكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومن ذلك قول الصديق رضي الله عنه عما في بطن زوجه بنت خارجة:أراها جارية، فكانت كما قال [(٥)]، وليس ثمة أشعَّة مصوّرة ولا أجهزة طبيِّة متقدِّمة، وإنما إلهام ربَّانيّ أو رؤيا صادقة. وكما في قصة الفاروق عمر رضي الله عنه في ندائه سارية وهو على المنبر[(٦)]

(١) فهي ألفاظ مجملة قد يراد بها حق وقد يراد بها باطل، ولكنها عند أهلها مصطلحات لها مدلولاتها وشروطها.

(٢) وهو المقصود بالإلهام، والأولى التزام الألفاظ الشرعية لإغلاق الباب على أهل البدع، والإمام ابن تيمية –رحمه الله وأعلى ذكره في عليين– أبرز من نبه إلى هذا الأمر، إلا أنه لانتشار التصوف في عصره وتصدِّيه لمدافعة بدعهم استعمل كثير من مصطلحاتهم للرد عليهم بنفس لغتهم، وهو الأغلب في استعماله لهذه المصطلحات.

(٣) "الصفدية" : ١٨٧ – ١٨٩

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٨/١٣

(٥) أخبر بذلك الصديق رضي الله عنه ابنته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– فقال : «وذات بطن ابنة خارجة قد ألقي في روعي أنها جارية، فاستوصي بها خيرًا » فولدت أم كلثوم. وفي الموطأ بسند صحيح قول الصديق « إنما هما أخواك وأختاك » وكانت زوجته حاملاً فولدت بنتًا، فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت. ينظر : باب النحلة : ٢٨٥. ومن العلماء من فسّر قول الصديق رضي الله عنه بأنه أُلهم ذلك، ومنهم من عزاه إلى رؤيا صادقة. ينظر : "شرح الزرقاني على الموطأ" : ٤٤/٤

(٦) والقصة كما وردت : «أن عمر رضي الله عنه بعث جيشًا، وأمّر عليهم رجلاً يدعى سارية، فبينما عمر رضي الله عنه يخطب، فجعل يصيح: يا سارية الجبل! فقدم رسول من الجيش فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا صائح يصيح : ياسارية الجبل، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله. فقلنا لعمر: كنت تصيح بذلك » ينظر: "دلائل النبوة" للبيهقي : ٣٧٠/٦

وبينه وبين الجيش آلاف الأميال .

وسبب الإلهام ليس الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس كما يرى فريق من المتصوِّفة والفلاسفة[١]، كما أنَّه ليس نتيجة للعلم بالأدلة الشرعيَّة أو العقليَّة، وإن كان ذلك من أعظم الأسباب وإنما يحصل كثيرًا لمن يصدق في اتباع هدى الكتاب والسنة هداية من الله وفضلا وتثبتًا[٢].

ب. **الرؤى** :

ويقصد بها ما يرى النائم في منامه، فقد تكون رؤيا صادقة تكشف لصاحبها شيئًا من عالم غيب فيعرف حدثًا مستقبليًّا أو شيئاً قبل أن يحدث أو يوجد، ثم يكون الأمر كما رأى .

ورؤيا المؤمن حقّ فقد قال ﷺ : "رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوّة"[٣]. وفي رواية: "جزء من سبعين جزءًا"[٤]، بمعنى أنها نبأ صادق وخبر صحيح، فشابهت صدق الخبر في النبوّة [٥]، ورؤيا الأنبياء نوع من أنواع الوحي[٦].

فالرؤى الصادقة لغير الأنبياء من حيث الأصل كالإلهام موهبة ونوع من الوحي، وهي كرامة من الله لأوليائه، وقد تحدث الرؤيا الصادقة للكافر والفاجر أحيانًا، قال ابن حجر: « الرؤيا الصحيحة وإن اختصَّت غالبًا بأهل الصلاح، لكن قد تقع لغيرهم»[٧] فتكون للفاجر إنذارًا له، وحجَّة عليه، أو استدراجًا له وإمدادًا في غوايته، وقد تتضمن أمر عاماً كما في رؤيا عزيز مصر ورؤيا فرعون ونحو ذلك، وهي للمؤمن تبشيرًا وتوجيهًا أو تسلية عن مصيبة أو

---

، و"البداية والنهاية": ١٣١/٧ ، و"الإصابة": ٣/٢ ، وأخرجها الألباني في السلسة الصحيحة: ١٠١/٣ ، رقم : ١١١٠

(١) يرى المتصوِّفة أنّ الإلهام كشفًا وذوقًا الذي يحصل بطرقهم المبتدعة هو الطريق الوحيد لمعرفة أسرار العالم الغيبي التي لم يتعرض لها الوحي، بل إنه عندهم يفوق الوحي ؛إذ الوحي يعطي خبرًا والكشف يعطي تفاعلاً ومعايشة ، ينظر: "أبحاث في التصوف" لعبد الحليم محمود : ٢٢٨- ٣٤٤

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٣/ ٢٤٦

(٣) أخرجه البخاري،كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءً ،رقم: ٦٩٨٨ ، ومسلم، كتاب الرؤيا ،رقم: ٢٢٦٤

(٤) عند مسلم، كتاب الرؤيا ،برقم ٢٢٦٥

(٥) ذكره ابن حجر عن ابن بطال، ينظر : "فتح الباري" : ٣٧٣/١٢

(٦) ينظر : "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي : ١٢٤/٩ . و"الروح" لابن القيم : ٤٢

(٧) "فتح الباري" : ٣٨١/١٢

إنذارًا، وقد تكون وسيلة إلى معرفة غيب، إلا أنه ينبغي التفريق بين كرامات الصالحين واستدراج الزائغين وأحوال الدجَّالين وأولياء الشياطين. والإنسان بحاجة إلى عقل[١] يميّز به ما رآه أحقّ هو من عند الله، أم باطل من الشياطين أو المسمَّون رجال الغيب[٢]، أم من خيالات النفس؟ إذ ليس كل ما يُرى في المنام رؤيا صادقة صحيحة فقد ذكر رسول الله ﷺ أنواع الرؤى[٣] فقال: "الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ما يحدِّث به المرء نفسه"[٤].

## ج. الفراسة أو التوسم :

وهي النظر والتأمل للشيء والبصر به[٥]، فهي من التبصُّر، وهو التوسُّم، يقال: تفرَّس في الشيء إذا توسَّمه، يقال توسمت في فلان خيراً أي رأيت فيه أثرًا منه، وتوسمت أي تفرست، مأخذه من الوسم أي عرفت فيه سمته وعلامته [٦].فالفراسة تنبئ عن أمر ما غائب وهي حقّ لأهل الإيمان قال ﷺ: "إنَّ لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسُّم "[٧].

وقد يُستعان في الفراسة بمعرفة السمات والملامح أو المنطق والحديث كما في الآية:

---

(١) ينظر :"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٧٨/١٣

(٢) ورد ذكر هذا المصطلح كثيرًا في حديث الإمام ابن تيمية عن الصوفية، و(رجال الغيب) هم جنّ يتمثلون لبعض البشر يخبرونهم بأمور من الغيب، أو يحملونهم للكعبة وقد سماهم بعض الناس (رجال الغيب) وعدّوا رؤيتهم كرامة وكشفًا، وضّح ذلك ابن أبي العز: « من الشياطين ما يسميه الناس رجال الغيب وأن بعض الناس يخاطبونهم، وتحصل لهؤلاء خوارق يزعمون بها أنهم أولياء الله» ثم قال مبينًا حقيقتهم: « رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ ﴾ [الجن:٦-١٠] » ،ينظر: "شرح العقيدة الطحاوية ": ٥٧١

(٣) أنكر الفلاسفة الرؤى عدا النفسانية، ونسبوا كل ما يرى في المنام إلى الأخلاط التي في الجسد، وفسّروا حدوثها بهيجان هذه الأخلاط، وقريب من ذلك صنع علماء النفس في العصر الحديث فجعلوها رواسب الذاكرة وخليط= =الأمزجة فقط !والمؤمن يتلقى علم الغيب من مصدره الصحيح فيعرف من كلام رسول الله ﷺ حقيقة الرؤى وأنواعها.

(٤) رواه البخاري، كتاب التعبير،باب القيد في المنام ،رقم: ٧٠١٧ موقوفًا على ابن سيرين، وعند مسلم،كتاب الرؤيا، رقم: ٢٢٦٣ . وفيه اختلاف في رفعه أووقفه.

(٥) "لسان العرب"لابن منظور: فرس: ١٦٠/٦، وسم: ٦٣٧/١٢

(٦) المرجع نفسه ، و"تاج العروس" للزبيدي : ١٦/ ٣٢٨

(٧) رواه الطبراني في الأوسط: ٢٠٧/٣ وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن،"مجمع الزوائد":١٠/ ٢٦٨ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ١٦٩٣. وهو يغني عن الحديث الضعيف المشتهر : "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر ،رقم: ٣١٢٧ ،ينظر: السلسلة الضعيفة، رقم: ١٨٢١.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠]، ولكن الفراسة المقصودة هنا ليست علمًا يتعلّم ويكتسب، وإنما هي بصيرة يهبها الله لأهل الإيمان، ولا تعدو الفراسة كونها ظنًّا راجحًا؛ لذا لا يمكن الاعتماد عليها لمعرفة يقينيَّة وإن كانت تصدق كثيرًا عند أهل الإيمان .

وليست هي تلك التي قد تحصل بالرياضة والجوع والسهر، أو المبنيَّة على ظنون وأوهام يدّعي أهلها معرفة أسرار خاصَّة[1]، فهذه الفراسة لا تكشف عن حقّ نافع، ولا عن طريق مستقيم، وحقيقتها تخرص وظنون ورجم بالغيب[2]، وقد يصدق بعضها وأكثره يخيب. كما أنها غير الفراسة الخلقيّة التي صنف فيها الأطباء وغيرهم التي قد تكشف عن جوانب من الغيب النسبي[3].

**د. الحدس :**

أصل الحدس في اللغة: الرمي، ومنه حدس الظن وهو الرجم بالغيب ، وهو :الظنّ والتخمين والتوهم[4]، وفي الاصطلاح: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب[5]. والمقصود بالحركة وسرعة الانتقال تمثُّل المعنى في النفس دفعة واحدة، في وقت واحد، كأنّه وحيُ مفاجئ؛ لذا يفسِّره بعض الإشراقيُّين بأنَّه ارتقاء النفس الإنسانيَّة حتى تصبح مرآة مجلوَّة، فتمتلئ من النور الإلهيّ الذي يغشاها [6]. وكذلك هو قريب من معنى الإلهام، فهو مثله معرفة مباشرة لا تستند إلى تجربة واستدلال إلاّ أنّ مكان الإلهام البصيرة، ومكان الحدس العقل[7]،والإلهام عند المتصوفة يحتاج إلى رياضة روحية وتصفية يتم بها ما يزعمون من جلاء البصيرة وتلقي الأنوار، بينما الحدس لا يحتاج ذلك .

والحدس عند من قالوا به سواء أكان معرفة عقلية متعالية عن الاستدلال كما هو في الفلسفة الغربية عند برجسون Bergson [8]أم كان تأمُّلاً وكشفًا وجدانيًّا كما هو في الفلسفة

---

(١) ينظر للفائدة : "الفراسة بين الأمس واليوم" لجمال الكاشف .

(٢) يراجع موضوع الفراسة التكهنية ص١٣٥من هذا البحث.

(٣) "شرح الطحاوية" : ٧٥٣ ، وينظر : "الموافقات" للشاطبي : ٣٦٢

(٤) ينظر: "لسان العرب" :حدس:٤٨/٦

(٥) "التعريفات" للجرجاني : ٨٣

(٦) "المعجم الفلسفي" لجميل صليبا: ٤٥٢/١

(٧) "مصادر المعرفة" للزنيدي: ٥٩٢.

(٨) هو فيلسوف ألماني يهودي، عاش في عام (١٨٥٩–١٩٤١م)، وهو من أوائل المهتمين بما يسمى: القوى الروحية (

الإشراقيَّة لا يخرج عن كونه جزءًا من الإنسان، أو فعلاً من أفعاله، وبالتالي فهو محدود في دائرتي الزمان والمكان؛ لأنَّ الإنسان محدود بهما، وهو عُرضة للخطأ كما صاحبه. ومن ثم فلا مناص للإنسان مهما بلغ من النضج العقليّ والرقيّ الفكريّ من أن يلتجئ إلى الله يستمدّ منه علم ما تقصر عنه طاقته مما يحتاجه[1].

وخلاصة القول أن الإلهام والرؤيا والفراسة والحدس مواهب قد تُوصل إلى علم بحسب مصدرها، فهي مواهب من عند الله فتنة وابتلاء، أو كرامة واصطفاء؛ لذا كان الصالحون يعدّون ما يحدث لهم منها فتنة واختبارًا، لا يطلبون حدوثه أبدًا، ويسعون —إن حدث– للإفادة منه في الخير مع الاستعاذة بالله من شرِّه وفتنته، أمَّا من بعدهم فكثير منهم يعدُّون حصوله لهم كرامة! بل جعلوه مطلبًا يتدرَّبون على الوصول إليه بأنواع من الرياضات الشاقَّة، فتخبَّطوا في ذلك تخبُّطًا كبيرًا، وتلاعبت بعقولهم الشياطين، فظنوا تلك أنوار المعرفة وإشراقات التجلِّي[2]،حتى قال أحدهم: «إنَّ النفوس الناطقة من جوهر الملكوت، وإنما يشغلها عن عالمها هذا القوى البدنيَّة ومشاغلها، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانيَّة، وضعف سلطان القوى البدنيَّة بتقليل الطعام وتكثير السهر، تخلص أحيانًا إلى عالم القدس، وتتَّصل بأبيها المقدَّس وتتلقَّى منه المعارف، وتتَّصل بالنفوس الفلكيَّة العالمة بحركاتها وبلوازم حركاتها، وتتلقّى منها المغيّبات في نومها

---

الميتافيزيقية ) في فلسفة الغرب الحديثة ، ينظر : "موسوعة الفلسفة" ،لعبدالرحمن بدوي :١/٣٢٣

(١) ينظر :"مصادر المعرفة": ٢٩٧ ، ٥٩٢

(٢) قد يتراءى للإنسان من أثر التعب والسهر والجوع أمورًا كثيرة مختلطة، وقد تتراءى له بعد أنواع من الطاعات التي تتطلب جوعًا وسهرًا كالصيام والقيام مع المبالغة فيها على غير منهج القصد والاعتدال، وقد فتن بهذه الأمور كثير على مدى الزمان، قال ابن القيم في نونيته موضحًا هذه الفتنة عند حديثه عن صفة ( النور) لله تعالى :

والنور ذو نوعين : مخلوق ووصف ماهما والله متحدان
وكذلك المخلوق محسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزل فتحت رجلك هوة كم قد هوى فيها مدى الأزمان!
من عابد بالجهل زلت رجله فهوى إلى قعر الحضيض الداني
لاحت له أنوار آثار العبادة ظنها الأنوار للرحمان
فأتى بكل مصيبة وبلية ما شئت من شطح ومن هذيان
وكذا الحلولي الذي هو خدنه من هاهنا حقًّا هما أخوان

ينظر : "توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم" لأحمد عيسى : ٢/٢٣٨

ويقظتها كمرآة تنتقش بمقابلة ذي نقش»[١].ولعلّ هذا الاتّصال وهذا التلقّي الذي يحدث لهم هو ما أشار إليه قول الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]؛ ولهذا كان من أعظم أسباب ضلالهم وفتنتهم وتخبُّطهم بين الضلالات والظنون، قال شيخ الإسلام: « من اتَّبع ما يرد عليه من الخطاب، أو ما يراه من الأنوار والأشخاص الغيبيَّة، ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنَّة، فإنما يتبع ظنًّا لا يغني من الحقّ شيئًا »[٢].

**ثالثًا : السمات العامة للعلم البشري :**

حقيقة الأمر أنّ العلم البشريّ مهما اتَّسع وتنوَّعت مجالاته يظلّ مرتبطًا بالإنسان وصفاته المحدودة القاصرة؛ لهذا عرف القرآن الكريم الإنسان بنفسه كثيرًا، فعرَّفته نصوصه الشريفة بالصفات التي خلقه الله عليها، والمواهب والقوى التي منحها الله له، وعرَّفته بمبدأ نشأته ومصيره، كما دلَّته على مطلوب خالقه ﷻ منه.

فاستقراء نصوص الوحي يضعنا أمام صفات وسمات عامة للإنسان تمثِّل إطارًا لعلمه ومعارفه وقواه، لا يكاد يخرج عنها مهما ارتقى في سلم العلم، ونهل من معين المعرفة، ومهما رجح عقله وتوقَّد ذهنه، ومهما قوي سمعه وبصره أو أشرقت نفسه وصفا فؤاده، وبيان هذه الصفات فيما يلي:

١. القابلية للعلم وتحصيل المعارف :

فالإنسان يولد ضعيفًا جاهلاً، بل هو في ذلك الحين من أضعف وأجهل الكائنات الحيّة، فصغار الحيوانات بعد ساعات من ولادتها تعرف كيف تمارس حياتها، بينما يظلّ الإنسان الوليد سنين عددًا يحتاج إلى ملاحظة ورعاية وتعليم وتدريب لحكمة أرادها الله الذي كرّمه ؛ إذ تُبذل عليه جهود تعليم وتربية وتوجيه توقظ معارفه الفطريّة، وتدلّه على طريق العلم والمعرفة الذي وُلد وعنده الرغبة فيه ولديه أدواته، فهو مفطور على طلب المعرفة، والتربية المتواصلة تضع أقدامه على طريقها، كما أنّ الدين الصحيح يتوافق مع هذه الفطرة ويدعم هذه التربية ويوجه الإنسان إلى المسار الصحيح ففي القرآن يأمر الله الإنسان بالقراءة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ

---

(١) "هياكل النور" للسهروردي : ٢٨ ، نقلاً عن "في الفلسفة الإسلامية" لمذكور : ٥٤/١

(٢) "الفرقان بين الحق والباطل" لابن تيمية : ٩٦

رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق:١] ويرغبه في طريق العلم ، ويعده بكرمه إن قرأ ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق:٣]، ويدعوه لطلب زيادة العلم من ربه العليم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ [طه:١١٤]، ويبيّن له أن ما علمه إنما هو بفضل العليم ومن واسع علمه ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق:٥]، فيظل الإنسان الذي يتربى على تربية القرآن يطلب العلم دائمًا، ويعلم أنه جاهل متى ظن نفسه عالما .

٢. المحدودية بالزمان والمكان :

فالحياة في التصور الإسلامي طويلة ممتدة في دور ثلاث: الدنيا والبرزخ ودار القرار، وما عمر الإنسان في الدنيا إلا سنين معدودة، لا يستطيع تخطِّي حدود ما قدِّر له فيها من حياة. وهو كذلك محدود بالمكان على هذه الأرض، وما يمكن أن يصله خارجًا عنها بتقنيات عصور التقدُّم التقني وهو مهما زاد له مدى لايستطيع أكثر منه مكانًا أو زمانًا.

وهذا المجال المحدود زمانًا ومكانًا هو مجال علم الإنسان بحواسِّه، لا يتجاوزه إلاَّ قليلا بما يصل إليه خبرًا عما يسبق زمانه أو يلحقه، وما يبعد عن مكانه، فمجال علمه عالم الشهادة، الذي يمكنه معرفة كثير من تفاصيله وسبر الحقيقة في أغواره، مع ما يصل إليه بعقله من معرفة مجملة عن عالم الغيب، أمَّا تفاصيل عالم الغيب فقد يتمكَّن من بعض الغيب النسبيّ بفرص تتاح له، أو أدوات تسخَّر له، أما أكثر ذلك العالم فيظلّ غيبًا مجهولاً إلاّ أن يعرفه ممن عنده مفاتحه ﷻ، أو ممن اصطفى من رسله فنبأهم به .

ويذكّر القرآن الكريم الإنسان دائمًا بحدود علمه ، ويحذِّره من القول بلا علم في مجال الغيب: ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ ﴾ [النجم:٣٥]، ويؤكِّد له غياب عوالم كثيرة عنه وجهله بكيفيَّتها فيقول: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف:٥١] ، ويؤكد له أن علمه قليل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾ [الإسراء:٨٥]، فيحدِّد له بذلك وجهته، ويرسم له حدود إمكاناته، ويربطه بما يتلقَّاه عن عالم الغيب من مصدره الصحيح، فلا يلهث وراء سراب، ولا يغترّ بما قد يعرض له من أحوال، أو يتراءى له من أمور، فعالم الغيب محجوب وهو بقدرته محدود بحدود؛ فما يعلمه أقلّ بكثير ممّا يجهله في كلّ مناحي الحياة، ومن ثمّ يتربّى الإنسان على الصدق والعلم الصحيح ويظلّ متطلِّعًا لما يتلقَّاه عن عالِم الغيب من مصدره بكلِّ اليقين والثقة والتصديق.

٣. النقص والقصور والقابلية للخطأ :

فالإنسان يمر بأحوال مختلفة تتفاوت فيها قواه ، ويتأثر بذلك علمه بيّنت ذلك النصوص الشريفة قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤]، فهو ينسى بعد العلم، وقد يجنّ بعد العقل ويعتريه الخطأ [(١)]. قال ﷺ: "كل ابن آدم خطّاء" [(٢)]. ومن سمات الإنسان الجهل، فهو جاهل بنفسه وذاته، فكيف بما يغيب عنه، وما يستجدّ في مستقبل حياته[(٣)]؟

وقد رحم الخالق الرحيم ضعف صفات عباده فغرس المعارف الضروريّة العامة في فطرهم ومنها معرفة الله ﷻ، ومنّ عليهم بإرسال الرسل يبلّغونهم عن الله ما لا يمكن معرفته دون نور الوحي؛ ليتمكنوا من تحقيق ما خلقهم لأجله، ولا يتيهون في أودية طلب الحقيقة بقواهم المحدودة .

٤. تفاوت القوة العلمية :

قوى بني آدم محدودة قاصرة عن عالم الغيب، وهم فيها كذلك متفاوتون، و«ما من صفة من صفات الحيّ وإدراكاته، بل وغير الحيّ إلاّ وهي تقبل التفاضل والتفاوت إلى ما لا يحصره البشر» [(٤)]، والمعرفة والعلم من هذه الصفات التي تتطلب قوى معينة لبلوغ الكمال فيها والناس فيها مراتب ، ومهما بلغوا من العلم ومن القوة المعرفية ففوقهم من هو أعلم منهم فمنتهى الكمال في العلم إليه العليم ﷻ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٦]

٥. التأثُّر بالمعتقدات والإمكانات الشخصيّة والذهنيّة والطبعيّة :

(١) ينظر :" الأخلاق الإسلامية" للميداني : ٣٧٣/١

(٢) أخرجه الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ،رقم: ٢٤٩٩، وابن ماجه ،كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم:٤٢٥١، وأحمد في المسند ، رقم : ١٢٦٣٧.

(٣) حتى إن المنصفين من المتبحرين في علم التشريح والطب أدركوا بعد ذلك العلم العريض أنهم يجهلون كثيرًا من التفاصيل، ويعجزون عن إدراك الأسباب؛ إذ لا مجال لها في عالم الشهادة المنظور، كالدكتور أليكسس كاريل الحائز على جائزة نوبل العالمية للأبحاث الطبية عام ١٩١٢م ،قال في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": « وواقع الأمر أن جهلنا مطبق».

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٥٦٥/٧

الإنسان مخلوق قابل للتأثُّر والتأثير،قال ﷺ: "فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه"[١] وقدرته على التحرُّر من التأثُّر بالأشياء الخارجيَّة ضعيفة إلاَّ أن يعينه الله ويوفقه، ومن ثمّ تتأثَّر معرفته بالأمور وتصديقها وتكذيبها بقدرته وبالمؤثرات الخارجيَّة، فيقترب من الحق أو يبتعد عنه أحيانًا كثيرة تأثُّرًا بما حوله ومن ذلك أنه قد يرى الأمر حقاً لكثرة القائلين به ، وقد يتشكك في حق يعتقده إذا جالس أهل البدع والأهواء ولهذا جرى التحذير من ذلك كثيرًا من السلف رضوان الله عليهم .

٦. قدرة الخيال والوهم :

تخيُّل الشيء هو تمثُّل صورته، فالخيال قوّة مصوّرة أو ممثّلة تريك صور أشياء غائبة فتتوهمها حاضرة، وتسمَّى بالقوَّة المصوّرة، والخيال ظنّ وتوهُّم، وقد يكون الخيال تمثيلاً ماديًّا لشيء خارجيّ أدركته الحواسّ، فيرتسم في النفس ويبقى بعد غيبة المحسّ عنها، أو تمثيلاً ذهنيًّا لشيء يدركه العقل ويرسم له صورة مشخّصة، والإنسان الذي يستخدم خياله كثيرًا يمكن أن يقع في الوهم فيظنّ ما يتخيّله حقيقة واقعة بقوّة تخيُّله، ومن أهل التصوُّف من يرى الخيال هو الوجود ويعدُّون الناس نيامًا لا يرون الدنيا إلاَّ خيالاً، فإذا ماتوا انتبهوا[٢]؛ لذا يعدُّون حالات السكر والفناء وغياب الوعي حالات تجلٍّ للحقيقة، ومعرفة بالغيب، يقول ابن كمونة [٣]: « وفي اليقظة تساعد قوّة المخيّلة على الاتّصال بالغيب» [٤]!

والحقّ أنَّ الخيال من صفات الإنسان التي تختلف كمالاً أو نقصًا بحسب مجالها وما تقود إليه، فاستخدام الخيال في عالم الشهادة قد يصل بالإنسان إلى الإبداع والابتكار كما قد يصل به إلى الوهم والجنون. أمّا في مجال الغيب فلا يمكن أن يكون مصدرًا للمعرفة، فالغيب

---

(١) سبق تخريجه ص٦٣.

(٢) "المعجم الفلسفي" لصليبا: ١/٢٦١- ٥٤٦

(٣) هو سعد بن منصور بن سعد الإسرائيلي، يهودي عاش في بغداد، وعمل مع الغزاة الوثنيين، ارتبطت شهرته بكتابه "الجديد في الحكمة" الذي ألفه وكأنه من المسلمين مهتمًّا بنفس القضايا مستخدمًا نفس اللغة والمصطلحات والتقسيمات، حتى ادعى بعضهم إسلامه والأمر خلاف ذلك، توفي سنة (٦٧٦هـ ) وقيل( ٦٨٣). ينظر:"كشف الظنون" لحاجي خليفة : ١/٦٨٥

(٤) "الجديد في الحكمة" لابن كمونة : ١٢٦- ٤٤٦، و"مبحث عن القوى النفسية" لابن سينا : ١٥٥

عالم له حقيقة واقعة، وليس تصوُّرات وخيالات يصنعها كلّ إنسان ويرسم تفاصيلها بمخيِّلته[١]، فلن يوصله الاسترسال في الخيال إلاّ إلى التخبُّط والجنون.

وهكذا نرى أنّ صفات الإنسان المتعلِّقة بالعلم لا تؤهِّله لسبر أغوار عالم الشهادة الذي يعيش أطرافًا منه، ومن ثم هي عن معرفة حقائق الغيب أعجز، فسائر مصادر المعرفة البشريَّة وسائلها محدودة وقاصرة بالنسبة إلى ما وراء العالم المحسّ الذي تتطلَّع إلى كشف حجبه؛ لأنها صفات قائمة بالإنسان وهو مخلوق محدود، وطالما أن الإنسان بوسائله المحدودة، بل بوجوده المحدود –بالقياس إلى الأزل والأبد– هو الذي يحاول الوصول إلى المعارف والعلوم، فمن المحتَّم أن يكون ما يصل إليه مطبوع بطابعه، وله مثل خصائصه من كونه محدود المدى قابلاً للخطأ والصواب والتعديل والتبديل[٢]،ومن ثمَّ فلا مناص للإنسان مهما بلغ من النضج العقليّ والرقيّ الفكريّ من اللجوء إلى الله ليستمدّ منه علم ما تقصر عنه طاقته ممّا يحتاجه[٣]؛ إذ « لا سبيل إلى نتيجة قطعيَّة يقينيَّة إلاَّ عن طريق هدى الله الذي يبيِّنه للناس. ومن ثمَّ يبقى علم الإنسان فيما وراء ما قرَّره الله له، علمًا ظنيًّا لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال»[٤].

وخلاصة الأمر أنَّ الإنسان بحاجة لمصادر معرفة يتجاوز بها جهله ويتعرف من خلالها على آفاق أوسع من الموجودات المشاهدة، ويعرف حقائق الموجودات الغيبية؛ فهولم يخلق للحدود التي تحدّه بها الدنيا زمانًا ومكانًا، ولا تنحصر حياته في عالمها، وإنما جعله الله فيها للابتلاء والاختبار فكان لا بدّ له من مصادر يتلقَّى منها المعارف المغيَّبة التي تعينه على اجتياز حياته الدنيا بنجاح، وهي معارف عن ربِّه الذي خلقه، وعن المنهج الذي يريده أن يسير عليه، وعن مصيره وجزائه بعد دار الابتلاء، ممَّا لا يمكنه الوصول إلى تفاصيله ومعرفته على وجه اليقين بنفسه وقواه المحدودة .

---

(١) بخلاف ما يعتقده الفلاسفة ومن سار على طريقتهم ومنهم في زماننا أهل ما يسمى (البرمجة اللغوية العصبية) الذين ينطلقون من مبدأ ( الخارطة ليست الحقيقة ) ويعنون بها أن الحقيقة نسبية وهي ما يراها كل إنسان بخياله!

(٢) ينظر :"رحلة عبر الغيب" لعبدالكريم عثمان: ٨٠

(٣) ينظر : "مصادر المعرفة" للزنيدي: ٥٩٣

(٤) "في ظلال القرآن" لسيد قطب : ١١١٦/٢

والفصل التالي يبين المصادر التي يمكن معرفة الغيب الحق منها، وضوابط الأخذ من المصادر التي يختلط فيها الوحي بغيره لتصح للعبد معرفته وتستقيم؛ إذ على ساق المعرفة الصحيحة تقوم العبودية الحقة لله رب العالمين.

# الفصل الثاني:
# مصادر استمداد المعرفة بالغيب

**توطئة:**

لبني آدم ولع بالغ وشغف شديد بمعرفة الأمور الغيبيّة، الماضي منها والمستقبل، وتشتدّ هذه الرغبة إذا كان الإنسان قلقًا تائهًا لا يعرف من هو؟ ولماذا وُجد؟ وإلى أين المصير؟ سواء انتمى إلى أحد الأديان المحرَّفة أو الوضعيّة، أو عاش بلا دين يستقي منه خبرًا صحيحًا عن الغيب، فالإنسان لا يستطيع أن يتجاهل ما يراه من مظاهر الحياة المختلفة التي تدلّ بوضوح على وجود عوالم كثيرة وراء حسّه ومدرَكاته، ووراء عالم الشهادة الذي يعرفه.

ويلبّي الدين الحقّ رغبة الإنسان الفطريّة في المعرفة؛ حيث تتضمّن مصادره كلّ ما يحتاج الإنسان إلى معرفته من أخبار المغيّبات التي تتعلّق بمبدأ خلقته ومصيره والغاية من وجوده، وفضلاً عمّا يحتاج إليه عن بعض العوالم الغيبيّة حوله؛ ومع هذا الكمّ الهائل من أخبار الغيب تجد طوائف ممن يدينون بالإسلام ويؤمنون بالله ورسوله وما أخبروا به من الغيب؛ لا يزالون يلهثون وراء رغبة اكتشاف المزيد أو معرفة الكنه والكيفية لما أخبر عنه النقل!

وتتراوح تأثيرات التشوّف إلى استجلاء حقائق العالم الغيبيّ بين المنتمين إلى الإسلام حسب قربهم أو بعدهم عن مشكاة النبوّة، وحسب التزامهم بأحكام الشريعة الغرّاء التي أحكمت هذا الباب، وحدّدت مصادر التلقّي فيه، وبيّنت الطرق الموصلة إليه، وربّت أتباعها على قطع الطمع في تجاوزه، فمن حاد عن المنهج وانطلق وراء طمعه وولعه تلاعبت به الشياطين، وتخبّط بين حقّ وباطل، واختلطت لديه الأوهام بالحقائق؛ لذا كان تمييز المصادر التي يمكن أن يؤخذ منها خبر الغيب الحقّ عن المصادر الباطلة لمعرفة الغيب وضوابط الأخذ من كلّ مصدر؛ من أهمّ الأمور لتحقيق الإيمان بالغيب والتعبُّد لله بمقتضى هذه المعرفة.

وتتنوّع طرق المعرفة ومصادر العلم، فمنها الحسّ الباطن والظاهر، ومنها الاعتبار بالنظر والقياس، ومنها الخبر(١). وبالطريق الأول؛ تنكشف كثير من أمور عالم الشهادة، وقد تنكشف بعض أمور الغيب النسبيّ، كأن تبصر العين أمورًا كانت مغيّبة في أقطار نائية أو خفيّة في أجهزة الإنسان الداخليّة، أو تعاين شيئًا من آثار عالم الجنّ أو الملائكة، أو دلائل عذاب القبر أو نعيمه بما تملك من الحواسّ.

---

(١) ينظر : "درء تعارض العقل والنقل"لابن تيمية : ٣٢٤/٧

وبالعقل والمقايسة يمكن سبر أغوار الحقيقة في دقائق الطبيعة ومكوّناتها وقوانينها بناءً على ما يصل إلى العقل من المشاهدات والمَلاحِظ المطّردة، وقد يُكشف بذلك بعض ما كان غيبًا نسبيًّا؛ فعن طريق العقل تمكَّن الإنسان من معرفة أوقات الكسوف والخسوف ومواعيد الشروق والغروب المستقبليّة معرفة متناهية في الدقّة والتفصيل قوامها سنن كونيّة دعا الله أولي الألباب للتفكُّر فيها اعتبارًا ومقايسة، وجعلها آية في الانتظام ودليلاً على العناية وإحكام الصنع والتدبير، أمّا الغيب الحقيقيّ فطريق العقل لا يوصل فيه إلاّ إلى معرفة مجملة دون أن يتمكّن من معرفة تفاصيل أكثر عنه إلاّ بالطريق الثالث: وهو الخبر، ويأتي على قسمين: خبر معصوم ثابت عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وخبر غير معصوم وهو المنقول عن غيرهم. والخبر المعصوم هو مصدر المعرفة بتفاصيل عالم الغيب من عند عالِمه ﷻ، فمبلِّغوه معصومون مؤيَّدون بدلائل صدقهم من مرسلهم ﷻ.

ويتّسم منهج الإسلام في المعرفة بتقدير مصادرها وتوجيه كلّ منها إلى مجاله دون إفراط أو تفريط. ومصادر المعرفة ليست كلّها صالحة للتعريف بالغيب؛ فمنها ما يمكن أن يُعرّف به بصورة مجملة، ومنها ما يوصل إلى كثير من تفاصيله ودقائقه، ومن وجه آخر من هذه المصادر ما يكون خبره قطعيًّا ويقينيًّا، ومنها ما لا يتجاوز خبره الظنّ أو غلبة الظنّ. ومنها ما لا يوصل إلى حقٍّ أبدًا فيما يتعلّق بالغيبيّات.

وفي هذا الفصل بيان للمصادر التي تُعرّف بعالم الغيب أو ببعض منه، أو ما قد يتوهّم بعض الناس أنهم يعرفون من طريقه عالم الغيب ويكشفون حجبه، ليكون هذا البيان بمثابة أصول ضابطة وموجّهة عند طلب المعرفة اليقينيّة عن الغيبيات.

# المبحث الأول:

# المصادر التي يمكن معرفة الغيب الحق منها

# المطلب الأول
# الوحي المعصوم كتابًا وسنة

من أعظم منن الله ﷻ علينا أن أرسل إلينا الرسل وأنزل علينا الكتب؛ فهدانا من الضلالة وأخرجنا من الجهالة بما ساق لنا من الخبر الحقّ ، فكشف لنا ما يعرفنا بالإله القدير، وبالمبدأ والمصير، ويعيننا على تحقيق العبودية لله ﷻ؛ إذ ليس هناك مصدر موثوق ينبئنا عن تفاصيل تلك الغيوب إلاَّ الوحي المعصوم من خبر الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد استحفظ الله ﷻ الأمم كتبهم وأوكل إليهم أمانة حفظ نصوصها لحكم كثيرة منها ابتلاء العباد واختبارهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ** ﴾ [المائدة:٤٤]، ولكن تلك الأمم لم تحفظ الأمانة فذهب النسيان بكثير منها، وطالت يد التحريف نصوصها وغيَّر التأويل الباطل ما بقي منها صحيحًا، فانمحت معالم الحقّ فيها، ولم يبق إلاّ شيء يسير اختلط فيه الحقّ بالباطل. ثم ختم الله الرسالات بالإسلام الذي أتمّ به النعمة، وأكمل به الدين، ورضيه شريعة في العالمين، وأرسل به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وتكفَّل بحفظ وحيه المنزَّل عليه ليكون حجَّة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩** ﴾ [الحجر:٩]، فهيّأ له برحمته على مدى العصور صدورًا تحمله، وجهابذة يتحرّون أسانيده. والوحي المعصوم يشمل القرآن العظيم كلام ربّ العالمين، كما يشمل كلام رسوله الأمين فيما يخبر عنه.

**أولاً: القرآن الكريم:**

هو كلام الله ﷻ، منزل غير مخلوق نزل به جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ بلفظه ومعناه، وهو المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته [(١)]، جعله الله معجزًا بأقصر سُوَرِه، وتحدّى العرب أهل البلاغة والبيان أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وكان عجزهم أكبر

---

(١) ينظر : "مناهل العرفان" للزرقاني : ١٩/١

دليل على أنه كلام الله العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

والقرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول، وعمدة الملة ودليل صدق الرسالة، وينبوع الحكمة، ونور البصائر والأبصار، فقد حوت سوره وآياته أهم المعارف التي يبني عليها المؤمن عقيدته، ويكوّن على أساسها تصوراته للوجود والكون والحياة، فاشتمل على بيان أصول الغيب الذي تعبّدنا الله بالإيمان به، وبيان أهم مسائل المعرفة التي عليها صلاح الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩].

والإيمان بالقرآن الكريم متعلق بغيب مطلق هو الوحي وبمشاهد محسوس وهو المصحف فقد شاء الله بحكمته أن يكون إيماننا به ﷻ وبما أخبرنا به إيمانًا بالغيب، وشاء أن يكون خطابه لنا مشاهدًا نراه مسطورًا ونسمعه مقروءًا، وجعله ميسرًا سهلاً للتذكُّر والاعتبار فيهتدي به عامة الناس ويزدادون معرفة وإيمانًا، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر:١٧]، ويعجب من بيانه وإعجازه أهل العلم والمعرفة، وأرباب الفصاحة والبيان. فالقرآن منبع ثرٌّ لكلّ مقبل متدبِّر يزيده علمًا، وإيمانًا ويقينًا واطمئنانًا، بما تضمَّن من التعريف بالله وتفنيد دعاوى أهل الباطل وشبهاتهم، فينفي عنه الشريك والشبيه ويدلِّل على تفرُّده ووحدانيته وكماله، وبما اشتمل عليه من تقرير نبوَّة رسول الله ﷺ وصدقه، وبما حوته نصوصه من بيان السبيل إلى رضا الله ومنهج تحقيق العبوديَّة له. فلا طريق إلى الله أوضح من نهجه، ولا نجاة إلاَّ بالتمسُّك به، فهو نور وفرقان، يفرق بين الشرك والتوحيد، والحقّ والباطل، وبين ما أحلّه الله وما حرّمه، وما يُرضي الله وما يسخطه، كما يفرق بين أوليائه وأعدائه بما أوضح من سبيل كلِّ فريق منهم ومصيره وجزائه.

ونصوص القرآن الشريفة ليست مجرد تراتيل مقدَّسة تتلى أو أصوات متناغمة تؤثِّر في النفوس[١]، وإن كان لها من ذلك أوفر النصيب، فبتلاوة آياته تطمئنّ القلوب، وتنشرح

(١) الاهتمام بتحليل التركيب الصوتي ودراسة أثره على النفوس ومناسبته للمعاني مشهور عند الباحثين في التناسب البياني، فآيات القرآن الكريم فيها من تناسب الأصوات وحسن ائتلافها والتناسب بين الصوت والمعنى ما هو دليل من

الصدور، وينال العبد عظيم الأجر، ولكنّ المقصود الأول منه تدبُّر معانيه، والاسترشاد بهديه قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وذكّر ﷻ عباده بأنّ هذا الكتاب منزل من عنده، وندبهم إلى النظر في إحكامه وإعجازه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء:٨٢]، قال ابن الجوزيّ: «ينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أنّ ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلِّم، ويتدبَّر كلامه»(1).

ودعا الله عباده للاعتبار والاتعاظ بما في القرآن من ذكرى، وحذّر من مغبّة الإعراض عمّا أنزل فيه من الهدى فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾[طه:٩٩-١٠١].

وقد كان من تمام نعمة الله سبحانه على الخليقة بهذا الكتاب العظيم أن تكفَّل بحفظه وعزته، فلا تناله يد بتحريف أو تبديل أو نقص أو زيادة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ

---

دلائل إعجازه، ينظر :"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" للرافعي: ٢١٤.

ولكن المبالغة في الاهتمام بالنظم والأصوات وادعاء أن تأثير الكلام مقصور عليهما يُذكّر بصنيع مسيلمة الكذاب الذي ظن أن العبرة في القرآن بنظم حروفه وأصواته؛ فصاغ من كلامه ما حاول به مشابهة نظم القرآن العظيم، وشتان! ينظر : "التناسب البياني في القرآن" لأحمد أبو زيد: ٢٤٠

وقد ازداد الاهتمام بدراسة صوت الحرف وتأثيره على النفوس في الآونة الأخيرة ضمن الولع باكتشاف أسرار الماورائيات والقوى الخفية، و جاوز الحد المعروف والمقبول من تأثير جمال الأصوات واختيار الكلمات ذات الأجراس الصوتية المناسبة للمعاني، لاسيما فيما يتعلق بالقرآن الكريم ،وأصبح التوجه إلى ما يزعم من خصائص الحروف وأصواتها لا ما تؤديه من المعاني الشريفة والحديث الصادق، وقبل ذلك عظمة المتكلم بها ﷻ!! واستُغل هذا الاتجاه من قِبل الباطنيين للتدليل على (وحدة الأديان) فزعموا أن التراتيل المقدسة في جميع الأديان لها أثر يشابه تأثير القرآن على النفوس والقلوب، فهي طرق متعددة لغاية واحدة! وهذا عين ما كان يزعمه إخوان الصفا من أن المسلمين وغيرهم من أهل الأديان السماوية إنما ترق قلوبهم ويخشعون عند قراءة نصوص الكتب المقدسة لما يراعون من طيب النغمة واللحن في قراءتها، وغيرهم من الناس يستعملون عند الضراعة ألحانًا من الموسيقى تسمى المحزن، هي التي ترقق القلوب إذا سُمعت، وتُبكي العيون، وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ويستدفعون بالبكاء المناحس والبلاء كما يفعل المسلمون بالدعاء! ينظر: "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" : ١٨٦/١

(1) "مختصر منهاج القاصدين" لابن الجوزي : ٤٦

وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، فمع وجود مؤامرات مستمرّة لتحريفه وتغييره[١] إلاّ أنّها باءت بالفشل، فما يكتبونه لا يشتبه على طالب الحقّ بالقرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم هم وإن غيروا حرف من حروف المصحف فأنى لهم الوصول إلى المصاحف التي في الصدور التي ستظل محفوظة بحفظ الله إلى ما شاء الله ولو كره الكافرون!

**ثانيًا: السنة الشريفة:**

الإيمان بالسنة متعلق بالغيب المطلق فهو تصديق لخبر الوحي، وإقرار بصدق النبوة والرسالة، والسنة هي المصدر الثاني للتشريع، ونصوصها الشريفة مع نصوص الكتاب العظيم تمثّل المرجع العلمي المعرفي الكامل الذي يغني المسلم ويكفيه في معرفة أصول المعارف الغيبية وتفاصيلها وأسس القضايا الدينيَّة والدنيوية العامّة، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:٣].

وقد حوت السنة[٢] كثيرًا من أخبار عالم الغيب، فعن حذيفة ﵁؛ قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ماترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، وإن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»[٣]، وقال أبو ذرّ ﵁: «لقد توفّي رسول الله ﷺ، وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا

---

(١)وهي محاولات مستمرة لم تنته، وإن تغيرت صورها وأشكالها عبر العصور؛ فمن تحريف القرآن بلفظه أو معانيه أو من خلال ترجمته، إلى ادعاء أنه بصورته الموجودة الآن محرفًا ومغيرًا عما أنزل على محمد ﷺ، إلى ادعاء نسخه بما أسموه (الفرقان الحق) أو( المصحف العالمي) . ينظر: ص ٣٤٠ من هذا البحث.

(٢) تشمل (السنة) الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ومنها الأحاديث الحسنة التي لم تبلغ رتبة الصحيح، والأحاديث التي استفاضت شهرتها وتلقتها الأمة بالقبول فأخذت حكم المتواتر، وأحاديث الآحاد الصحيحة، قال ابن تيمية: «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء» "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤١/١٨. وقال ابن أبي العز: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقًا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر ولم يعرف بين سلف الأمة في ذلك نزاع» "شرح الطحاوية" : ٣٣٩

(٣) أخرجه البخاري كتاب القدر،باب ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ رقم: ٦٦٠٤، ومسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم : ٢٨٩١

ذكر لنا منه علمًا» [(١)]، فرسول الله ﷺ قد وصف لأمَّته أمور الغيب التي لابدّ لهم من معرفتها، فأخبرهم عن ربِّهم وإلههم ﷻ، وعرّفهم به أتمّ تعريف، فوصفه لهم بكماله ونعوت جلاله، ووصف لهم العرش والكرسيّ، وأخبرهم عن الملائكة والجنّ، والنار والجنّة، ووصف لهم يوم القيامة وما فيه حتى كأنّه رأي عين، وعرّفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم معهم حتى كأنهم بينهم، وعرّفهم من طرق الخير والشرّ دقيقها وجليلها ما لم يعرّفه نبيّ قبله لأمته، وبيّن لهم أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لا يمكن لبشر أن يعرفه بعقله، وأخبرهم عن قصص السابقين وأخبار الأمم الماضية ما لا يمكن أن يعرفه أحد وإن أكثر من ملاقاة الأمم ودراسة الكتب، وهو ﷺ لم يكن يتلو كتابًا، ولم يخالط أهل السير، وأخبرهم عن قصّة النشأة الأولى وبدء الخليقة على نحو من التفصيل الدقيق مع غير تضادّ ولا اختلاف ما لا يمكن أن يصل إليه رجل مهما بلغ ذكاؤه، وصفت سريرته [(٢)].

فبيّن الرسول ﷺ للأمة كلّ ما عليه قوام حياتها ودينها وما يعصمها من المهالك والفتن بنصوص واضحة قاطعة للعذر، ووصفها بأنها كالمحجة البيضاء، قال ﷺ: "تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" [(٣)].

وكلّ ما أخبرت به السنة عن عالم الغيب مجملاً أو مفصَّلاً فهو حقّ واقع، ليس من باب التخييل، ولا تحديث الناس بالأساطير تربية لهم وتزكية لنفوسهم، كما يزعم كثير من أهل الضلالة قديمًا وحديثًا [(٤)] بل «كلّ ما أخبر به رسول الله ﷺ من خبر فهو كما أخبر، وهو حقّ وصدق، معتمد عليه فيما أخبر به وعنه...لا يفرق في ذلك بين ما أخبر به عن الله، وبين ما نفث في روعه وألقى في نفسه، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيفما كان، فذلك معتبر يحتج به ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعًا؛ لأنّه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٥٣/٥، رقم: ٢٠٨٥٤

(٢) ينظر :"إعلام الموقعين"لابن القيم : ٣٧٥/٤

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث العرباض المقدمة،باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ،رقم: ٤٤ وصححه الألباني.

(٤) قالت بذلك قديمًا طوائف من الفلاسفة واليوم يردّد أبواقهم المقولات نفسها، ومنهم المدعو: سيد محمود القمني الذي يدعو إلى النظر فيما أخبر به النبي من القصص والمعجزات والعوالم الغيبية في عصر يحترم العلم– على حد قوله–= = على أنها فلكلور لطيف! كتلك الأساطير الكثيرة التي حوتها الكتب المقدسة في الأديان الشرقية! ينظر كتابه: "الأسطورة والتراث وقصة الخلق" من نشر دار ابن سينا، القاهرة.

ﷺ مؤيد بالعصمة، وما ينطق عن الهوى»[(١)]، فكل خبره ﷺ عن الغيب ليس من عند نفسه، فهو لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ﷻ الذي علمه أن يقول: ﴿ **قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ** ﴾ [الأعراف:١٨٨].

فالسنة هي القسم الثاني من الوحي، قال رسول الله ﷺ: "ألا إني قد أوتيت الكتاب ومثله معه"[(٢)]، وقال تعالى ممتنًّا بها على المؤمنين: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤**﴾ [آل عمران:١٦٤]، قال الشافعي مبيّنًا معنى الحكمة: «ذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله»[(٣)].

وخلاصة القول أنّ الوحي المعصوم كتابًا وسنّة قد اشتمل على كل ما تتطلّع النفس البشريّة لمعرفته مما ينفعها بيانًا كاملاً، وقد نصب الله به على الحقّ دليلاً، قال تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ**﴾ [الأنعام:٣٨] وقد تميز خبر الكتاب والسنة عن خبر سائر ما أصله وحي معصوم كالتوراة والإنجيل؛ بأن الله تكفل بحفظه فبقي على أصله حقًّا وعدلاً، كما تميز بكونه كاملاً شاملاً مبيِّنًا كلّ ما يحتاج الإنسان إلى معرفة الحقّ فيه، ليكون هدى له في طريقه ومعينًا له على القيام بحقّ عبوديّته لله كما يريد منه ويرضى، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣**﴾ [طه:١٢٣]، فلا تجد – مهما قلّبت النظر فيما يسمّى بالكتب المقدّسة عند اليهود والنصارى أو غيرهم– عن الله وصفاته مثل ما في الكتاب والسنة من البيان، فلا تخلو صفحة من صفحات القرآن من ذكر اسم له، أو صفة من صفاته ﷻ[(٤)] بما يحرّك محبّته في

(١) "الموافقات" للشاطبي : ٧٢١

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة،باب لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٤ ، والترمذي كتاب العلم،باب مانهي أن يقال عند حديث النبي ﷺ رقم: ٢٦٦٤ ، وقال هذا حديث حسن غريب من هذ الوجه، وابن ماجه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ رقم: ١٢، والإمام أحمد في المسند: ١٣١/٤،رقم: ١٦٧٢٢، وصححه الألباني في المشكاة،رقم: ١٦٣

(٣) "الرسالة" للشافعي : ٧٨

(٤) ذكر الدكتور عمر الأشقر أنّ مرّات ورود أسماء الله وصفاته في القرآن ١٠٠٦٢ مرة أي في الصفحة الواحدة قرابة

القلوب ويعظم الرجاء فيه والخوف من عقابه، كما حفلت سنة المصطفى ﷺ بتقرير ذلك وتوضيحه، وكذا الأمر في الحديث عن اليوم الآخر، فقد فصلت نصوص الكتاب والسنة خبره ودلَّلت عليه، وناقشت منكريه، ووصفت ما فيه من الجزاء والحساب بأحسن حديث وأبلغ بيان، وكذلك جميع أصول الإيمان وقضايا الغيب بينما لا تجد في كتب اليهود والنصارى عنه إلا إجمالاً يسيراً[١] مع ما شاب كتبهم من التحريف فامتلأت بالأساطير والأكاذيب مع ما فيها من بقايا الحق الذي أخبرت به الرسل؛ لذا لم تعد تصلح لتكون مصادر حقة يُستقى منها خبر الغيب. والمطلب التالي يبين أنواعاً من المصادر التي اختلط فيها خبر الوحي المعصوم بغيره .

---

عشرين مرة في المتوسط. ينظر : "العقيدة في الله" : ٦٠

(١) ينظر :" اليوم الآخر" لفرج أبو عطا الله : ٢٩

## المطلب الثاني
## المصادر التي يختلط فيها الوحي بغيره

تختلف قيمة الأخبار وصدق المعارف والمعلومات بحسب خصائص موضوعاتها، وإمكان البحث فيها ومعرفة خفاياها،كما تختلف بحسب صفات المخبِر فيما يتعلّق بقدرته على كشف حقائقها، أو الوصول إلى مصادرها، وفيما يتعلّق بصدقه وبيانه.

وإذا كانت الأخبار عن أمور عالم الشهادة لا تُقبل إلاّ من عالم بها، صادق في خبره عنها؛ فإنّ الأخبار عن الغيب أولى بذلك، فالغيب بعوالمه وموجوداته وراء قدرة البشر المعروفة، وحقائقه غائبة عنهم، يعلمها عالم الغيب والشهادة الذي خلق الكون وأبدعه ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس ثمة طريق للتعرُّف على تفاصيل الغيب إلا بتلقّي الخبر من الله ﷻ؛ لذا امتنّ على عباده فبعث فيهم رسله؛ يخبرون بما أوحى إليهم مبشرين به ومنذرين، قال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥**﴾ [النساء:١٦٥]، وقد أقام الله ﷻ الأدلّة على صدق الرسل بما ساق معهم من المعجزات التي أثبتت أنّ قولهم حقّ وصدق .

والإيمان بالأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– وخبرهم لمن لم يشهدهم من الغيب الماضي، وكل من آمن بما جاء عنهم ولم يشهدهم ولم يسمع منهم إنما أساس تصديقه؛ ثبوت نسبة الخبر إليهم دون تحريف، فإن اعترى هذا الخبر تغييراً أوتبديلاً فقد خرج عن كونه وحيًا معصومًا يتلقّى منه نبأ الغيب، وتُستمد منه المعرفة بحقائقه، ولذا كان إطلاق الوحي المعصوم محصورًا فما بلغه النبي ﷺ؛ نظرًا لأن الله ﷻ تكفُّل بحفظه إضافة لثبوت عصمة مبلِّغه ﷺ.

أمّا ما نُقل عن غير الأنبياء من خبر المغيَّبات، فلا يُقبل ولا يردُّ إلاَّ بعد تصوُّر مراد القائل، ومعرفة صلاحه من فساده، ومصدر معرفته بما أخبر؛ إذ لا عصمة لأحد غير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم(١)، ومن وجه آخر فلا عصمة لبقاء هذه النقول على أصلها،

---

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٩٢/٤

فحفظها وصدقها منوط بقائليها ونقلتها، وقد تشتبه وتختلط بغيرها. وفيما يلي بيان أهم المصادر التي يختلط فيها الوحي بغيره سواء مما ينسب للأنبياء المعصومين أو غيرهم من البشر.

**أولاً: أقوال الصحابة [1] ﷺ في الأمور الغيبيَّة:**

للصحابة ﷺ مكانتهم الخاصّة في الإسلام، فهم عدول شهد لهم بذلك الله ورسوله، وقد شهدوا نزول القرآن، وعاينوا الرسول ﷺ وسمعوا منه، فالأقوال التي ترد عنهم في شرح بعض الأمور المغيَّبة أو وصفها وإن كانت أخبارًا منقولة عن غير المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم؛ إلاّ أنها تُعدّ حجّة في باب العمليّات والاعتقادات إذا أجمعوا عليها، ويكون هذا من باب تضافر الأدلّة وتعاضدها[2]،فلا بدّ أن يكون إخبارهم بها مبني على سماع من النبيﷺ، ولابد أن يكون إجماعهم لدليل أو دلالة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ومثال هذا في أمور الاعتقاد ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ**﴾ [الأنعام:١٥٨]، أنها طلوع الشمس من مغربها، فقد قال بهذا عدد من الصحابة منهم ابن مسعود ﷺ بينما نُقل عن بعض الصحابة تفسير الآية بأحد ثلاثة: الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها. وكلا القولين في تفسير الآية الكريمة إخبار عن أمر سيقع في مستقبل الزمان. وأولاهما بالقبول ما تضافرت به الروايات عن أصحاب رسول الله ﷺ[3]من أنّ المقصود هو طلوع الشمس من مغربها؛ لأن تعدد الروايات يدلّ على أنّ قولهم ﷺ إنّما كان عن سماع من الرسول ﷺ، وعند البحث يتأكد هذا فقد صح عنه ﷺ أنّه قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لاينفع نفسًا إيمانها، ثم قرأ الآية"[4].

أمّا الأقوال الموقوفة على أحدهم في بعض المغيّبات فلها حالات:

---

(١) جعلت أقوال الصحابة قبل الكتب المقدسة التي أصلها كلام الأنبياء لعدم ثبوت نسبتها إليهم–كما سيأتي – ومن ثم فكلام الصحابة العدول الثقات ﷺ أولى بالتقديم على كلام الرهبان والحاخامات.

(٢) ينظر : "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد" : ١٥٤/١

(٣) ينظر :"جامع البيان" للطبري : ٩٦/٥ وما بعدها

(٤) أخرجه البخاري،كتاب التفسير، باب ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ رقم:٤٦٣٥، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان ، رقم: ١٥٧

١. **أن تكون سُمعت من رسول الله** ﷺ ولم تروَ مرفوعة، وما كان من هذا القسم فإنه يلحق في صحته بالوحي المعصوم فيعد مصدرًا صحيحاً لمعرفة الغيب إذا ثبت صحة نسبة القول إلى الصحابيّ، وكان في أمور لا تُدرَك بالرأي، فـ«لا خلاف في أنّ قول الصحابيّ فيما لا يدرك بالرأي والعقل يكون حجّة على المسلمين، لأنّه لا بدّ أن يكون قاله عن سماع من الرسول ﷺ، فهو إن صح من السنة؛ وإن كان في ظاهر الأمر قول الصحابيّ»[١]، فيُقبل ما جاء فيه من الخبر أو العمل.

وهذا القسم هو أحد الأقسام التي يأخذ فيها المضاف إلى الصحابيّ حكم المرفوع إلى النبيّ ﷺ، مع اشتراط تحرّي صحة الإسناد كما في المرفوع، فالكذب على الصحابة باب واسع، دخل منه كثير من أهل البدع لنصرة مذاهبهم، وأكثر فيه الوعاظ والقصاص موضوعاتهم، فاختلط بالمرفوع والموقوف كثير مما ليس منهما، وقد «نُسب إلى النبيّ وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليّات في بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية والكونيّات وقصص الأنبياء»[٢].

ومن أمثلة الآثار الموقوفة على الصحابة الأثر المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: «الرعد: الملك، والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد»[٣] فهو بيان لأمر غيبيّ لم يرد وصفه في كتاب الله عز وجل، فإن صح إسناده إلى عليّ رضي الله عنه كان حكمه الرفع[٤]؛ إذ لا يعقل أن يحدث رضي الله عنه بأمر الغيب من عند نفسه، وخبر الغيب لا يقبل إلاّ عن المعصوم ﷺ، وإن لم يصحّ الإسناد فلا حجة فيه. أمّا رده لاستبعاده وعدم تصوُّر كيفه فإنّه يخالف منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالغيب، وقد وقع في ذلك بعض المصنِّفين فردُّوا هذا الأثر واستبعدوا معناه[٥]، وعند التتبُّع وجدت فيما روي مرفوع إلى رسول الله ما يقارب معنى الأثر، فعن ابن

(١) "علم أصول الفقه" عبد الوهاب خلاف : ٩٥

(٢) "الإسرائيليات" أبو شهبة : ١٥

(٣) "جامع البيان" الطبري : ١٥٢/١ ، وأخرجه الذهبي في السير بلفظ: "الرعد ملك، والبرق مخاريق بأيدي الملائكة يسوقون بها السحاب"،"سير أعلام النبلاء" : ٥٤٨/٩

(٤) ينظر : "الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد" جمال بادي : ٤٩٨/٢

(٥) منهم من قال بعدم ثبوته وتناقضه مع ما ورد عن الرعد والمطر والبرق في مجموع نصوص الوحي، وفي كشوفات العلم الحديث، ينظر: "روح المعاني" للآلوسي : ١٠٦/١٣، ومنهم من عزاه إلى الإسرائيليات، ينظر : "الإسرائيليات والموضوعات" لأبي شهبة : ٢٩٧. والظن أن الحديث المرفوع لم يبلغهم، أو لم تثبت صحته لديهم .

عباس –رضي الله عنهما– قال: أقبلت يهود إلى النبيّ ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ماهو؟ قال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله" فقالوا: فما الصوت الذي نسمع؟ قال:"زجره بالسحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر"، قالوا: صدقت[١]، فإن صحّ هذا الحديث فهو دليل على أن ما أخبر به علي رضي الله عنه إنما هو عن سماع من النبيّ ﷺ، ولا يُحتج بماثبت من تفسيرات علميّة للرعد والبرق؛ إذ هي تفسير لجوانب غيب نسبي أصله من عالم الشهادة ، والحديث يخبر عن وراءها من الغيب، ومن ثم فلا تُعارِض الحديث .

٢. **أن يكون قوله من باب الرؤيا والإلهام،** فما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من هذا الطريق لا يقبل بإطلاق[٢]، مع الإيمان بأنّ لأهل الحق إلهامات صحيحة، فقد وقعت لبعض الصحابة من الإلهام كرامات ليست موضع شكّ[٣].

فالإسلام يقرّ بالإلهام مصدرًا للمعرفة لبعض الناس، فيعرفون بالإلهام وحده بعض المسائل التي لم ينزل فيها وحي[٤]شرط أن لا يتناقض ما عرفوه إلهامًا مع ما ثبت في الوحي، ويبقى تصديق خبر هذا الإلهام مختصًّا بالملهَم وحده، ولا يُلزم بتصديقه سواه، فكلّ من كان من أهل الإلهام فإنّ عمر رضي الله عنه أفضل منه لثبوت تعيينه في الصحيح بأنّه محدّث، قال ﷺ: "إنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر"[٥]، ومع هذا كان عمر رضي الله عنه يفعل الواجب عليه؛ فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ. فتارة يوافقه فيكون ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي ،كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الرعد رقم:٣١١٧، وأحمد في المسند رقم: ٢٤٧٩، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

(٢) بخلاف ما يراه المتصوفة ومن نحا منحاهم في جعل الإلهام مصدرًا صحيحًا بإطلاق، فيعرضون ما يظنونه بكشفهم على الكتاب والسنة؛ فإن وافق كشفهم وإلهاماتهم الكتاب والسنة قبلوا، وإن عارضها أولوا الألفاظ فادعوا للنصوص معاني باطنة تتوافق مع كشفهم وذوقهم، يقول الغزالي – غفر الله له –: «حد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وجمود الحنابلة دقيق غامض لايطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بالنور الإلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشف لهم أسرار الأمور على ما هو عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه» "إحياء علوم الدين" : ١٠٤/١

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٨/١٣

(٤) هذا لغير الأنبياء أما للأنبياء فهو نوع من الوحي وهو معصوم متيقن من أن مصدره من عند الله كما سيأتي .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء،باب حديث الغار ،رقم: ٣٤٦٩، ومسلم كتاب فضائل الصحابة،باب من فضائل عمر ، رقم: ٢٣٩٨

من فضائله، وتارة يخالفه فيرجع عنه عمر[(١)].وسيأتي لهذا إيضاح أكثر عند الحديث عن إلهام الأولياء.

٣. **أن يكون قوله تحديثًا عن بني إسرائيل،** فقد كانت كتب بني إسرائيل بما حوته من تفاصيل كثيرة في باب القصص وأسماء الأشخاص عامل جذب وتشويق، فكان من الصحابة من يسألون بني إسرائيل رغبة في التعرُّف على تمام بعض القصص التي أشار إليها القرآن أو اكتشاف أسماء شخصياتها وتفاصيل أحداثها، قال ابن خلدون يصف ذلك: «وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكنونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود؛ فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم... فامتلأت التفاسير بالمنقولات عنهم»[(٢)]. وقد كان من الصحابة من قبِل بعض أحاديث بني إسرائيل وحدث بها عنهم لما فهمه من الإذن النبويّ: "وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[(٣)]، ولكن من عُرف بالرواية عن بني إسرائيل من الصحابة قلَّة[(٤)]، وأكثر ما رُوي عن الصحابة من هذا الباب كان في التفسير وفي الملاحم، وأكثره لا تصح نسبته إليهم وحكم تصديقه تابع لحكم الإسرائيليات وسيأتي بيانه.

٣. **أن يكون القول صادرًا عن اجتهاد وتأويل،** وهذا لا يكون من الصحابة ﷺ فهم يعلمون أنّ باب الغيب موقوف على السماع، إلاّ أن يكون قولهم في مسألة تُفهَم على وجوه متعدِّدة، ولم يثبت عندهم صحَّة خبر فاستبعدوه ونفوا ما جاء فيه من الخبر، ومثال ذلك المسألة المشهورة في (عذاب المؤمن ببكاء الحيّ) فقد نفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يعذب الميت ببكاء الحيّ، وظنّت أنّ عمر ﷺ وهِم فيما روى عن رسول الله ﷺ بقوله: "إنّ الميت يُعذَّب ببعض بكاء أهله عليه". وذكرت أنّه ﷺ إنما قال: "إنّ الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه"، وقالت: «حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]»[(٥)]،

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٧٣/١٣ ، ٢٠٥/١١

(٢) "المقدمة" ابن خلدون : ٤٣٩

(٣) أخرجه البخاري ،كتاب أحاديث الأنبياء،باب ماذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٤٦١

(٤) ينظر: "فتح الباري" ابن حجر : ١٦٧/١

(٥) الروايتان متفق على صحتهما، أخرجهما البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ:"يعذب الميت ببعض بكاء= =أهله عليه" رقم: ١٢٨٨. ومسلم كتاب الجنائز،باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم: ٩٢٨

فأنكرت رضي الله عنها الحديث الذي رواه عمر ﵁ لاستبعادها ما فهمت من معناه مما ظاهره يعارض الآية الكريمة، ولكونها سمعت من رسول الله ﷺ نصًّا مختلفًا عنه، قال القرطبيّ: «إنكار عائشة ذلك، وحكمها على الراوي بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضًا، ولم يسمع بعضًا بعيد، لأن الرواة لهذا المعنى من الصحابة كثيرون، وهم جازمون، فلا وجه للنفي مع إمكان حمله على محمل صحيح»[(١)] وقد أكّد ابن تيمية غلط من رد ما ثبت عن رسول الله ﷺ – مع تقديرهم وحفظ مكانتهم – من تعذيب الميت ببكاء الحيّ وضعّف جميع تأويلاتهم، ووجّه ما استشكل عليهم من دلالات النصوص[(٢)]، فما صح به الخبر عن أمر من أمور الغيب يُقبل كما هو ولا يستبعد بالفهم والرأي، وإن حار فيه العقل.

فالخلاصة في هذا الأمر أنّ المقبول من الآثار الواردة عن صحابة رسول الله ﷺ في الغيبيَّات هو ما صحَّت نسبته إليهم أو إلى أحدهم ولم يخالفه غيره من الصحابة، ولم يعارض شيئًا مما ثبت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لاسيما إذا كان الصحابيّ لا يعرف بكثرة نقله عن أهل الكتاب.

**ثانيًا: الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى:**

مما ندين لله به إيمانًا بالغيب أن نؤمن برسل الله وكتبه جميعها، فنؤمن بأنّ الله ﷻ أنزل التوراة على موسى ﵇، وأنزل الإنجيل على عيسى ﵇ مصدِّقًا لما في التوراة، قال تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ [المائدة:٤٦]، وأنزل على داود الزبور، قال تعالى: ﴿**وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾**﴾ [النساء:١٦٣]، ونؤمن أنّ الله نزّل على إبراهيم وموسى عليهما السلام صحفًا، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾** ﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

وإيماننا بهذه الكتب من إيماننا بالغيب الماضي الذي أخبرنا عنه ﷺ فنؤمن بها إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل، قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن**

(١) "التذكرة" للقرطبي : ١٠٢. و"فتح الباري" : ١٩٥/٣

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣٧٥/٤، ٣٧٠/٢٤،وينظر :تفصيل المسألة عند ابن حجر في الفتح : ١٥٢/٣

تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥]. فأخبرنا عن تفصيل بعض ما جاء في التوراة فنؤمن به كما جاء. ونؤمن أنَّ كتب الله كلَّها حقّ وعدل وهداية، وأنّها تصدق بعضها بعضًا، وأنّ القرآن جاء جامعًا لما فيها، ومهيمنًا عليها، وقد نسخ الله به كثيرًا مما كان في الشرائع المخصوصة بزمان ومكان قبله، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة:٨٩]. فالقرآن الكريم نسخ ما سبق، ولم يبقَ مع تقادم الزمان من كتب الشرائع السماويّة قبل الإسلام إلاَّ بعض الوحي الحقّ، ودرس أكثره، وزيد عليه وانتقص منه، وحُرفت بعض نصوصه فلم يعد معصومًا يُتلقَّى عنه، وفيما يلي تعريف موجز بكتب أهل الكتاب:

### أ. الكتب المقدَّسة عند اليهود:

يسمّى الكتاب المقدَّس عند اليهود اليوم (العهد القديم)، ويشمل كتبًا وصحفًا وأسفارًا منسوبة لعدد من الأنبياء وهي:

١. التوراة: وهي الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام وعددها خمسة: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

٢. الزبور: وهو المزامير المنسوبة لداود عليه السلام.

٣. الأسفار المنسوبة إلى عدد من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وعدّها أربعة عشر.

ولهذا يوصف العهد القديم إجمالاً بأنّه سجل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع.

وقد أثبتت الدراسات التاريخيّة الكثيرة أنَّ أسفار العهد القديم كلَّها كُتبت في عهد متأخر عن زمان موسى عليه السلام وعلى مدى ألف عام، فليست التوراة الموجودة ضمنه اليوم هي التوراة المذكورة في القرآن وإن كان فيها بعضها، وكذلك الأمر بالنسبة للزبور، كما أن كُتّاب أسفار الأنبياء ليسوا هم الأنبياء الذين أسندت إليهم الأسفار(١)، ولكنَّ اليهود يزعمون أنَّ روح الله كانت تظلّل الكتَبَة وهم يكتبون وتوجِّههم بالإلهام (١).

---

(١) ينظر: "قصة الحضارة" لوول ديوارنت: ٣٨٥/٢، و"اليهودية" لأحمد شلبي: ٢٦٠، و:

ويقدس اليهود كتابًا آخر مع العهد القديم هو التلمود، وهو مجموع الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات اليهود من جيل إلى جيل، ويتكوَّن من:

١. (المشنا) وهي نصوص تُكرِّر كثيرًا مما جاء في التوراة.

٢. (الجمارا) وهي شروح لنصوص (المشنا)[٢].

والتلمود كالتوراة الموجودة في أيدي أهل الكتاب؛ لم يقل أحد من علماء اليهود وأحبارهم أنه مما أوحى الله به إلى موسى عليه السلام، وإنما يزعمون أنه إلهام من الله للحاخامات[٣].

فالكتب المقدَّسة لدى اليهود ليست هي التوراة التي ذكر الله في القرآن الكريم أنها هدى ونور، فالتوراة التي يذكرها القرآن هي كتاب من عند الله، ووحي معصوم أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام، وما في أيدي اليهود اليوم توراة أخرى قد يكون فيها شيء من توراة موسى عليه السلام، لكن أكثرها من وحي خيالاتهم، وأفكار أحبارهم وأمانيهم ورغباتهم ونحو ذلك، ثم إنّها إن صحت فهي كتب شريعة منسوخة، قد أغنى الله البشريّة عنها بآيات خير منها أو مثلها قال تعالى: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة:١٠٦].

## ب. الكتب المقدَّسة لدى النصارى:

يشمل الكتاب المقدّس عند النصارى اليوم:

١. العهد القديم: الذي يقدسه اليهود مع اختلاف في عدد الأسفار وأسمائها بين النصارى واليهود وبين الفرق النصرانيّة ذاتها.

٢. العهد الجديد: وهو ما يسمونه الإنجيل، ويتكوَّن من أناجيل أربعة هي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، بالإضافة إلى ما يسمَّى بأعمال الرسل، ورسائل بولس، وهناك خامس هو إنجيل برنابا، وإن كانت الكنيسة لا تعترف به[٤].

---

"Encyclopaedia Britannica, 15 th ed., Vol 2, P879"

(١) ينظر :"مدخل لدراسة التوراة والعهد القديم" للبار : ١٢٧

(٢) ينظر : "الأسفار المقدسة قبل الإسلام" لصابرطعيمة : ٤٢، و"الفكر الديني اليهودي" لحسن ظاظا : ١٢ — ٩٣

(٣) ينظر : "الكنز المرصود في قواعد التلمود" لروهلنج، ترجمة يوسف نصر الله : ٣٢

(٤) إنجيل برنابا أقرب الأناجيل إلى روح التوحيد وشريعة السماء، ويفضح كفر القول بأن المسيح ابن الله، ولذلك يقابل بحملات تشكيك كثيرة في صحته، والزعم بأنه نتاج مؤامرة للقضاء على النصرانية، وتؤمن به بعض فرق النصارى .

وكما هو الحال عند اليهود في الأسفار المقدَّسة، فإنَّ هذه الأناجيل لم يدّعِ النصارى نسبتها إلى المسيح عليه السلام وإنما ادّعوا أنّ تلاميذه عليه السلام كتبوها بوحي من عند الله[1]، والنزاع واقع بينهم: هل كل ما في الكتب المقدسة هو قول إلهامي؟ ولم يتمكّن القائلون بأنّ كلّ قول مندرج فيها إلهاميّ من إثبات دعواهم[2].

وهكذا تنسب الأناجيل إلى أصحابها، فليست الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، المتضمِّن شريعة النصارى المنسوخة بالدين الخاتم، ومن ثمّ فليست أناجيلهم تلك في ميزان الإسلام كلامًا لله عز وجل، كما أنها ليست من أقوال نبيّ معصوم عُرِف صدقه بالمعجزات؛ فلا قيمة لها في التعريف بعالم الغيب المحصور مصدره في الخبر الصادق، وإن حوت ضمن أسفارها بعض الحقّ، لأصل تعلُّقها بالإنجيل الذي هو كتاب من عند الله عز وجل. فما جاء فيها مطابقًا لما في الوحي الثابت عن الله في الكتاب والسنة آمنّا به وصدقناه، وما جاء مناقضًا عرفنا بطلانه، وما لم يتبين لنا فيه وجه الصحّة ظلّ خبرًا لا بدّ لقبوله من منهج تثبُّت ودراسة، وإذا لم يمكن هذا التثبت —كما هو الحال مع هذه الأناجيل – فلا نصدّق ما جاء فيها ولا نكذِّبه.

ثم إنَّنا لا نحتاج إلى تتبُّع ما في كتب أهل الكتاب ولا محاولة تمحيص صحيحه من سقيمه، وقد أغنانا الله بكتابه العظيم وبسنة خاتم المرسلين، قال رسول الله ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلُّوا"[3].

وإن كانت هذه قيمة الموجود الآن من التوراة والإنجيل مما نؤمن أنَّ أصوله وحي معصوم كما أخبرنا القرآن، فكيف بالكتب الأخرى التي ليست إلاّ كلام رهبان وأحبار؟ لذا فليس كلّ كتاب ادّعي فيه التقديس يقبل خبره، بل لا بدّ لقبوله من ثبوت أمرين[4]:

١. أن يكون ما فيه منسوبًا لنبيٍّ عُلم صدقه بلا ريب، وأن تكون هذه النسبة ثابتة بطريق قطعيّ يتلقّاه الخلَف عن السلَف جيلاً بعد جيل من غير مظنّة الانتحال أو الكذب.

٢. أن لا يكون فيه تناقض واضطراب لا في نفسه ولا مع أصل التوحيد الذي هو دين الله لجميع الأمم.

---

(١) ناقش عدد من العلماء دعوى الإلهام هذه ، ينظر :"محاضرات في النصرانية" لأبي زهرة : ٩٥ .

(٢) ينظر : "Encyclopaedia Britannica, 15 th ed., Vol 11, P374 and Vol 19, P20 "

(٣) أخرجه أحمد في المسند، رقم: ١٤٢٢٠، وقد حسّن ابن حجر بعض طرقه في الفتح :١٣/ ٣٤٥

(٤) ينظر:"محاضرات في النصرانية" لأبي زهرة : ٩٢

والكتب المتداولَة اليوم في أيدي اليهود والنصارى تفتقر إلى تحقُّق هذين الشرطين فبطل كونها كتب وحي مقدَّسة، ومن ثم فلا تصلح مصدرًا لتلقِّي الغيب.

**ثالثًا: الإسرائيليّات:**

جمع إسرائيليَّة،نسبة إلى إسرائيل وهو اسم ليعقوب عليه السلام. والمقصود بالإسرائيليّات الروايات النابعة من الكتب المقدَّسة عند اليهود والنصارى. فإن كان في هذه المنابع حقّ ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق ففيها كذب صراح[١]، وقد سبق الحديث عنها، وإنما ميزت الإسرائيليَّات عنها لكونها روايات انفصلت عن أصلها، واختلطت بمادة بعض كتب تفسير القرآن العظيم وكتب المواعظ والتاريخ فعدَّها بعض المسلمين جزءً من التراث الإسلاميّ.

وجاءت تسميتها نظرًا إلى أنّ غالبها من ثقافة بني إسرائيل وكتبهم وأساطيرهم[٢]، وإلاّ فمعها بعض النصرانيَّات[٣] المأخوذة من ثقافة النصارى وأناجيلهم، ولكنها لا تكاد تذكَر بجانب المأخوذ من ثقافة اليهود، بالإضافة إلى أنَ النصرانيَّات معظمها في الأخلاق والمواعظ والرقائق[٤] بخلاف الإسرائيليَّات التي تنصبّ على أمور غيبيَّة ماضية ونبوءات مستقبليَّة.

وقد مثّل إدخال الثقافة الدينيَّة اليهوديّة والنصرانيّة في التراث الإسلاميّ غزوًا فكريًّا منظمًا حمل خلاله أهل الكتاب على ثقافة الأمّة، وسعوا إلى النيل من مصادر الدين الحقّ، وأنى لهم ذلك وقد تكفّل ربّ العالمين بحفظ القرآن؟ فوجّهوا جهودهم إلى السنَّة وتراث سلف الأمَّة، وانتهزوا مع المتأثرين بهم من أصحاب المذاهب الباطلة ظروف الفتنة وما أعقبها من صراع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه لتسريب معتقداتهم إلى دائرة الحديث النبويّ بصوغها في شكل أحاديث ونسبتها كذبًا لرسول الله ﷺ من قبل الذين أظهروا الإسلام، أو بإدخالها في شروح العقيدة وخاصّة عن طريق التفسير على أنها من أقوال الصحابة وأئمة المسلمين، أو بنسبتها لموسى وعيسى عليهما السلام، يقول ابن الأثير: « فلمَّا يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوّة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضَعَفة العقول في دينهم»[٥]، ويقول

---

(١) ينظر: "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" : ١٢

(٢) ينظر : "التفسير والمفسرون" : ١/١٦٥

(٣) ذكر هذا المصطلح محمد أبو شهبة في "الإسرائيليات والموضوعات":١٢

(٤) ينظر: المرجع نفسه : ١٤

(٥) "الكامل في التاريخ" لابن الأثير: ٢١/٨

الشهرستاني[(١)]: «وزادوا –يعني أهل التجسيم والتشبيه– في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبيّ ﷺ، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع»[(٢)].

وهكذا حدث اصطناع كثير من الأخبار تتضمّن ما يخالف المعتقد الإسلاميّ، ونقلت أخبار أخرى عن مصادر كتابيّة، فظهرت الأحاديث التي تصف الله ﷻ في ذاته وأفعاله بما يدلّ على التجسيم والتشبيه، والأحاديث والآثار التي تثبت الوصيّة والمنتظر والغيبة والرجعة وغيرها من العقائد التي تزخر بها التوراة والتلمود.

واختلطت الإسرائيليّات التي يجتمع فيها حقّ وباطل بالسنَّة وتراث سلف الأمة، وشاعت بين المسلمين، وظنّ بعضهم صدقها لنسبتها إلى النبيّ ﷺ [(٣)] أو الصحابة والتابعين، أو لفهم قاصر لظاهر حديث رسول الله ﷺ: "وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[(٤)] دون تمييز لضوابط الرواية عن بني إسرائيل التي بينها أهل العلم بتصنيف الإسرائيليّات إلى أقسام على النحو التالي[(٥)]:

**القسم الأول**: وهو ما علمنا صحّته من موافقته لما دلّ عليه الوحي المعصوم كتابًا وسنَّة، وهذا القسم يجوز التحديث به عنهم مطلقًا، فإنّ الحديث قد حذَّر من الكذب مع إذن الجواز قال ﷺ: "بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار"[(٦)]، وكان قد تقدَّم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسُّع في ذلك [(٧)].

---

(١) محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، متكلم من الفلاسفة ومؤرخي الأديان، أشعري، له من المصنفات:الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام توفي سنة ( ٥٤٨هـ)، ينظر:"شذرات الذهب"لابن العماد :٦/٢٤٦، "طبقات الشافعية"لابن شهبة:١/٣٦٦

(٢) "الملل والنحل" للشهرستاني : ٢/٨

(٣) لذا وُجد كثير منها ضمن الموضوعات باعتبار أنها ألصقت بالرسول ﷺ كذبًا وزورًا عليه .

(٤) سبق تخريجه ص٩٦.

(٥) فصّل الخالدي في "من قصص السابقين" هذه المسألة بشكل جيد، ينظر:١/ ٤٦ — ٦١

(٦) سبق تخريجه ص٩٦.

(٧) ينظر :"فتح الباري":٦/٣٨٨، قال الحافظ: «وكان النهي قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك». والمحذور من اختلاط الحق بالباطل وارد الحدوث حتى بعد استقرار الأحكام، فكلما بعد الناس عن عصر رسول الله ﷺ فشا الجهل ورفع العلم حتى تندرس معالم الإسلام كما أخبر رسول الله ﷺ ولهذا فالإذن في الرواية عنهم ليس إذنًا مطلقًا كما إذن الرواية لايعني التصديق المطلق .

**القسم الثاني**: ما علمنا كذبه بمخالفته لكثير مما ثبت عندنا كتعديهم على الله ﷻ بنسبة النقص إليه – تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا –، وطعنهم في الأنبياء صلوات الله عليهم، فقد ورد النهي والزجر عن رواية هذا القسم، فلا تجوز روايته إلاَّ لبيان كذبه والتدليل على تحريفهم لكتبهم وكفرهم بما أنزل عليهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم أنّ أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم» [١].

**القسم الثالث**: ما لم نتبين كذبه من صدقه مما هو مسكوت عنه في الوحي المعصوم كتابًا وسنة، فهذا لا نؤمن به لأنه لم يثبت عن معصوم، ولا نكذبه لاحتمال صدقه، قال ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم" [٢]، وقد جوّز بعض العلماء روايته لما تقدم من إذن الرواية مع اشتراط نسبته إلى بني إسرائيل لئلا يختلط مع الحقّ المعصوم ويشتبه على الناس، وكثير من العلماء على كراهة ذلك لأنّ شرعنا مكتف بنفسه، و«ما يحتاج المسلمون إلى معرفته: فإنّ الله نصب على الحق فيه دليلاً»[٣]. ومن العلماء من ذهب إلى حرمة رواية هذا القسم لأن القرآن نهى نهيًا صريحًا عن سؤال أهل الكتاب في أخبار السابقين وتفصيلات قصصهم، وتحديد أشخاصها وأماكنها وأحداثها وذلك واضح في النهي الوارد في قصة أصحاب الكهف وذكر الخلاف بين السابقين في عدتهم قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:٢٢]. فالنهي في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ أي: يهود وغيرهم، ويدلّ على المنع من سؤال الذين يخوضون في أخبار السابقين

---

(١) أخرجه البخاري ،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، رقم: ٧٣٦٣

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ رقم: ٤٤٨٥

(٣) "مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية : ١٨

وقصصهم ويوردون تفصيلات لحياتهم بلا علم وإنما رجم بالغيب، قال ابن عباس: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم[١].

فالخلاصة أنه لا يُصدّق من أخبار بني إسرائيل إلاَّ بما ثبت عندنا صدقه، وكان موافقًا لما جاء في الوحي تأكيدًا وتعضيدًا على صدق الرسالة المحمديَّة، أمَّا ما ثبت كذبه فيمكن روايته على وجه التحذير منه، وما سوى ذلك فيعرض عنه، وقد كان هذا منهج صحابة رسول الله ﷺ فقد فقهوا ﷺ معنى الإذن في قوله: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[٢] واشتهر عن عمر ﷺ تشديد النكير على من يكتب شيئًا عن اليهود أو يقرأه لاسيما على وجه الاستهداء والإيمان[٣]. وكذا كان فعل ابن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة[٤] للحادثة المعروفة لعمر ﷺ مع رسول الله ﷺ عندما أتى عمر النبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبيّ ﷺ فغضب، فقال: "أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحقّ، فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني"[٥].

أمَّا قيمة الإسرائيليَّات في معرفة الغيب من منظور الإسلام فهي تابعة لقيمة الغيب الموجود في التوراة والإنجيل بعد التحريف ولا تُعد من الوحي المعصوم، ولم تكن بحال مصدرًا صحيحًا للمعرفة الغيبيَّة، بل إنّ خطر الإسرائيليات على المسلمين أكثر من خطر كتب أهل الكتاب نفسها لاختلاط الإسرائيليَّات بتراث المسلمين كالتفسير والحديث والتاريخ وتسرُّبها إلى ثقافة عامَّة المسلمين إذا لم ينتبهوا إلى ضوابط القبول والردّ لما جاء فيها.

---

(١) ينظر : "جامع البيان" : ٢٧٧/٩ ، و"قصص السابقين في القرآن" الخالدي: ١/ ٣٨

(٢) سبق تخريجه ص٩٦.

(٣) فقد نهر عمر ﷺ رجلاً من عبد القيس كان قد نسخ كتاب دانيال، وضربه وأمره أن يمحوه بالحميم والصوف لما سمعه من النبي ﷺ في التحذير من هذا الصنيع : "يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم، وخواتيمه، واختصر لي اختصارًا، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون" ينظر : تفسير ابن كثير : ٤١٢/٤

(٤) أخرج الهروي في ذم الكلام عن مرة الهمداني أن أبا قرة الكندي أتى ابن مسعود بكتاب، فقال: إني قرأت هذا= =بالشام فأعجبني، فإذا هو كتاب من كتب أهل الكتاب، فقال ابن مسعود : إنما أهلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب الله، فدعا بطست وماء فوضعه فيه وأماثه بيده حتى رأيت سواد المدد . ينظر : ٣٦

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ،رقم: ١٤٧٣٦. قال ابن حجر بعد إيراده لطرق هذا الحديث: وهذه جميع طرق هذا الحديث وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا، "فتح الباري": ٦٤٤/١٣

**رابعًا: الآثار الواردة عن التابعين أو أحد أئمة السنة رحمهم الله:**

ما ورد عن التابعين وأئمة السنة في القرون المفضّلة يخبرون فيه عن أمور الغيب فإن مكانة قائليه وتلقيهم العلم عن صحابة رسول الله ﷺ جعل أقوالهم في هذا الباب تابعة لأقوال الصحابة رضي الله عنهم، قال مجاهد بن جبر[١]:«عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»[٢]، ولهذا تلقّى كثير من الرواة كلامهم بالقبول[٣] فحفلت كثير من كتب التراث والتفسير بآثارهم دون تمحيص، والذي عليه أهل العلم أنها لا تقبل بإطلاق، وإنما يجب التثبُّت من صحَّتها، ويفرَّق بين ما ينسَب لجمع منهم، وبين ما ينفرد به أحدهم. ولتمييز قيمة هذا المصدر في معرفة أمور الغيب نستعرض صوره المحتملة فيما يأتي:

- **احتمال وصول الخبر إلى التابعيّ مرفوعًا،** فالآثار المتضمِّنة وصف أمر غيبيّ مسندة إلى أحد كبار التابعين أو أئمة السنة فإن احتمال وصول خبرها إليهم من رسول الله ﷺ ليس بمستبعد؛ إذ لم تكن العناية كبيرة ببيان الإسناد في عهد الصحابة وكبار التابعين إلى نهاية القرن الأول، لما عُرفوا به من الورع وتحرّي الأمانة، ثم لما فشا الكذب والوضع اهتم الرواة بالتزام الإسناد صيانة وحفظًا للسنة [٤]، إلاَّ أنّ كلّ قول يحتمل النسبة إلى رسول الله ﷺ مما ورد عن التابعين فإنه يكون كالحديث المرسل ضعيفًا مردودًا لفقده شرط الاتصال، وللجهل بحال الراوي المحذوف، فقد يكون غير صحابيّ ممن يحتمل أن يكون ضعيفًا[٥]. وإن كان ثقة؛ احتمل أن

---

(١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المفسر التابعي الجليل من أجلّ تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه أخذ التفسير، توفي سنة(١٠٢هـ).ينظر:"تهذيب الكمال"للمزي: ٢٧/٢٢٨-٢٣٥،و"سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٤/٤٤٩

(٢) "جامع البيان" للطبري : ١/٤٠

(٣) وقد ذُكر كثير منها ضمن السير والتراجم كما عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، وعند أبي نعيم في حلية الأولياء، وعند الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وعند ابن الجوزي في المنتظم، كما زخرت بها كتب المتصوفة كالطبقات الكبرى للشعراني، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني، ولعل ذكرها في سياق سير هذه الفئة الخاصة التي لها أوصاف تزكية وجميل ذكر هو الذي أسهم في انتشارها بصورة كبيرة بين عامة الناس دون تمحيص.

(٤) ينظر : "دراسة لمراسيل أبي داود" لعبد العزيز السيروان : ٤٢

(٥) قال السخاوي: «المرسل مراتب أعلاها ما أرسله صحابي له رؤية فقط، ولم يثبت سماعه، ثم المخضرم، ثم المتقن؛ كسعيد بن المسيب، ويليها من كان يتحرى شيوخه؛ كالشعبي ومجاهد، ودونهما مراسيل من يأخذ من كل أحد؛ كالحسن، أما مراسيل صغار التابعين كقتادة، والزهري، وحميد بن الطويل فإن غالب رواية هؤلاء عن التابعين»، "فتح المغيث": ٩٨

يكون روى عن تابعيّ آخر ضعيف وهكذا، وقد وجد بالاستقراء رواية ستة أو سبعة من التابعين بعضهم عن بعض [(١)].

ومثال ما يحتمل سماعه من الرسول ﷺ، ما أورد الذهبيّ[(٢)] بسنده في ترجمة التابعيّ الجليل سعيد بن جبير[(٣)] قال: "إن في النار لرجلاً ينادي قدر ألف عام: يا حنَّان يا منَّان، فيقول: يا جبريل أخرج عبدي من النار، قال: فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يارب ﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**﴾ فيقول: يا جبريل ارجع ففكها، فأخرج عبدي من النار، فيفكها، فيخرج مثل الخيال، فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرًا ولحمًا"[(٤)].

فهذا الأثر يصف أمورًا غيبيَّة وسعيد بن جبير رضي الله عنه من أئمة التابعين، فلا بدّ من تحرّي السند؛ إذ لا يقبل ما فيه من خبر الغيب إلاَّ إذا ثبت رفعه إلى رسول الله ﷺ، فإذا لم يثبت رفعه[(٥)] فلا يُعتقد إلا بما جاء مطابقًا لما في الكتاب والسنة، ولهذا لم يُثبت كثير من العلماء اسم الحنّان من أسماء لله عز وجل لعدم ثبوت الرفع إلى النبيّ ﷺ ، قال ابن العربي: «وهذا الاسم لم

---

(١) ينظر : "توجيه النظر إلى أصول الأثر" لطاهر الجزائري : ٥٥٥/٢

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، من تصانيفه: سير أعلام النبلاء، وطبقات الحفاظ، وميزان الاعتدال، وغيرها كثير، توفي سنة (٧٤٨هـ). ينظر: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي : ١٠٠/٩، و"البدر الطالع" للشوكاني : ١١٠/٢

(٣) هو أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولاهم الكوفي، التابعي المفسر، وأحد كبار أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما . استشهد سنة (٩٥هـ) .ينظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٣٢١/٤ ،"طبقات المفسرين" للداودي : ١٨١/١

(٤) أخرجه الذهبي بسنده في ترجمة التابعي الجليل سعيد بن جبير، ينظر : "سير أعلام النبلاء"سير: ٣٨٨/٤ ، والطبري بإسناده عن سعيد بن جبير في تفسير سورة الهمزة :"جامع البيان ": ٣٠/ ٢٩٦

(٥) روى أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً نحوه بلفظ :" إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : ياحنّان يامنّان ، قال : فيقول الله عزوجل لجبريل عليه السلام: اذهب بعبدي هذا ، فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون ، فيرجع إلى ربه فيخبره فيقول : ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيئ به فيوقفه على ربه عزوجل فيقول له : ياعبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك ، فيقول : أي رب شر مكان ، وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي فيقول : يا رب كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن لا تردني فيها ، فيقول دعوا عبدي" . وقد حسنه الهيثمي، قال في"مجمع الزوائد": رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير أبي ظِلال ،ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان :٦٩٩/١٠، وقال أيضاً: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال:"ينادي مناد في النار:ياحنان يامنان ": ٢٤٦/١٠. وقال النجدي : ضعيف ، "النهج الأسمى" : ٣/ ٧٦، وتتبع الحديث الباحث جمال بادي، وذكر عدم ثبوت الرفع ؛ فالحديث ضعيف فيه إعضال وانقطاع.ي نظر: "الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد"جمال بادي: ٤٩٤/٢،

يرد به قرآن ولا حديث صحيح، وإنما جاء من طريق لا يعوّل عليه»[١]، وإنما أثبتوا اسم المنانّ من طريق آخر صحيح.

وكذا ما أورده الذهبيّ أيضًا بسنده عن معروف الكرخيّ[٢] قال: «إن في جهنم لواديًا تتعوّذ منه جهنم كلّ يوم سبع مرّات، وإنّ فيه لحيّة يتعوّذ منها الجبّ والوادي وجهنم كلّ يوم سبع مرّات، يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: أي ربِّ، بدئ بنا قبل عبَدة الأوثان؟! قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم»[٣]، فهذا الخبر في أمر غيب مستقبل لا مدخل للعقل فيه، فلا يقبل إلاّ بالتحرّي عن سنده، وقد روي هذا الأثر عن معروف بكر بن خنيس الكوفيّ وهو ضعيف، قال فيه يحي بن معين[٤]: كوفيّ ضعيف الحديث، وقال عنه ابن عديّ[٥]: وحديثه في جملة حديث الضعفاء، وليس هو ممن يُحتجّ بحديثه[٦]، ومن ثمَّ لا يُقبل الخبر الوارد في هذا الأثر، لا سيما أن ليس له شواهد أو متابعات، لأنّ المتابعة تعضد ما يقوله الراوي الثقة وتزيل شبهة الوهم والخطأ عنه، بينما التفرُّد بالقول يقوّي احتمال الخطأ أو الوهم؛ إذ إنّ الأولياء ليسوا بمعصومين على المعتقد الصحيح[٧]، وخبر الغيب لا يُقبَل إلاّ من المعصوم ﷺ أو نقل صادق عنه.

– **قد يكون القول عن رؤيا صادقة أو إلهام ربانيّ**، فالإلهام وما في حكمه لغير الأنبياء يمكن أن يكون مصدرًا للمعرفة، وهو نوع من الوحي كرامة من الله لأوليائه. ومنهج أهل

(١) "معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى" للتميمي : ٢٢٥.

(٢) هو معروف الكرخي، أبو محفوظ، بغدادي من كبار متصوفي ذلك القرن ، توفي سنة (٢٠٠هـ)، ينظر:"سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٣٤٥/٩

(٣) أخرجه الذهبي بسنده في ترجمة معروف الكرخي السير للذهبي : ٣٤٥/٩ ، وأخرجه البيهقي بسنده في شعب الإيمان ،رقم ١٩٠٠

(٤) يحي بن معين البغدادي الحافظ، أبو زكريا، من كبار أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، عاش ببغداد، وتوفي بالمدينة، من مصنفاته:التاريخ والعلل،ومعرفة الرجال، والجرح والتعديل، توفي سنة(٢٣٣هـ). ينظر:"سير أعلام النبلاء" للذهبي :٣٥٩/٩،و"شذرات الذهب"لابن العماد:١٥٥/٣

(٥) هو عبدالله بن عدي ، علاّمة الحديث والعارف برجاله، من مصنفاته: الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة، وعلل الحديث، توفي سنة (٣٦٥هـ) ينظر:سير أعلام النبلاء":٢٨٦/١٢. و"شذرات الذهب" :٣٤٤/٤

(٦) ينظر : "الكامل في ضعفاء الرجال" : ٤٥٩/٢ ، و"الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد" : ٥٠٠/٢

(٧) بخلاف ما يدعيه الرافضة من عصمة أئمتهم، ومن ثم يعتقدون في علمهم الغيب، عقد الكليني في"الكافي" بابًا بعنوان: الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، ينظر:"الكافي" للكليني : ٢٦٠/٢

السنة والجماعة في باب الكرامات الإيمان بإمكان وقوعها جملة [١] وأنها قد تكون وسيلة لمعرفة غيب، ولكن لا يلزم الإيمان تفصيلاً بما يُروى من آحاد الكرامات إلاّ ما صح الخبر به، فباب المزاعم والخرافات فيها واسع جدًّا، كما ينبغي التفريق بين كرامات الصالحين واستدراج الزائغين وأحوال الدجالين وأولياء الشياطين [٢].

والإلهام في حقِّ من حدث له يفيد علمًا، ولكن لا يلزم غيره تصديقه؛ فقد ثبت أنّ الله ﷻ قد يُعلم أحدًا من خلقه ما لا يعلمه غيره. وسيأتي تفصيل القول فيما مصدره الإلهام لاحقًا عند الحديث عن الإلهام.

– **قد يكون القول مأخوذًا من الإسرائيليّات**، وهذا يميزه أهل الدراية بالحديث من دراسة السند والمتن ومدى قربه من الثقافة اليهوديّة والنصرانيّة أو بعده عنهما، ومن ثم يكون التعامل معه على ما سبق تفصيله في قسم الإسرائيليّات. ومن أمثلة هذا النوع ما يروى مسندًا إلى هارون بن رباب[٣]قال: «حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم حسن، يقول أربعة: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك »[٤]. فهارون من أئمة أهل السنة في القرن الثاني، وهذا القول منسوب إليه، ولم يرفعه إلى صحابيّ ولا إلى رسول الله ﷺ وهو قول متعلّق بوصف أمر غيبيّ لا يقبل إلاَّ من المعصوم ﷺ، ومن هنا كان الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بما ورد في الوحي المعصوم من أمر العرش وحملته الثمانية وبأنهم يسبحون بحمد ربهم؛ لورود ذلك في كتاب الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر:٧] وإخبار رسول الله ﷺ عنه، أمّا نوع التسبيح وكيفيته وصفة الصوت فهي أمور تفتقر إلى خبر الوحي المعصوم لإثباتها، وما دام لم يثبت فيها حديث صحيح[٥]فلا يُسلَّم بها، ويغلب على الظنّ أنها مأخوذة عن الإسرائيليّات باعتبار الإذن بالرواية عنهم.

---

(١) ينظر : "شرح العقيدة الطحاوية" : ٧٤٦

(٢) ينظر :"الانحرافات العقدية" للزهراني : ٥٠٥ وما بعدها

(٣) هارون بن رئاب التميمي الأسيدي، من أئمة السنة، كان إماماً ربانياً قال عنه أبو داوود:كان أجلّ أهل البصرة توفي سنة (١٢١-١٣٠هـ) . ينظر:"سير أعلام النبلاء"للذهبي:٨٥/٦ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في"حلية الأولياء" : ٥٥/٣ ، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" : ٢٦٤/٥

(٥) ينظر :"الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد" : ٤٩٦/٢

– **قد يكون القول عن اجتهاد ورأي**: وهذا لا يكون من مثلهم إلاّ في فهم نصّ؛ إذ ليس الغيب مقام اجتهاد؛ لذا فإنّ غالب الآراء والأقوال التي لا تستند إلى دليل صحيح في المسائل العَقَديّة المتعلّقة بالغيب ساقها المصنِّفون بصيغ تمريض، ولم يُنسب منها شيء لأحد من أئمة السنَّة ممن يُحتجُّ بقولهم إلا ما ندر[١]، ومثال ذلك ما قيل في مصير الجانّ يوم القيامة من أنّ أهل الإيمان منهم يصيرون ترابًا كالبهائم ويكون ثوابهم النجاة من النار، وهو قول ينسب لطائفة[٢]منهم أبوحنيفة[٣]، وهو قول مبنيّ على اجتهاد مستندُه قول الله تعالى: ﴿ **يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١** ﴾[الأحقاف:٣١]، إلاَّ أنّ قول الجمهور من أصحاب مالك والشافعيّ وأحمد أنهم يدخلون الجنة أصحّ لعموم الأدلّة ودلالتها على أنهم كالإنس في التكليف والجزاء[٤].

وخلاصة القول أنّ ما ورد عن التابعين أو أئمة السنَّة لا يرتاب في كونه حجّة إذا أجمعوا عليه، ويكون مما تلقّوه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، أمّا إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجّة على بعض، وعلى من بعدهم[٥]، قال ابن تيمية عن جيل التابعين: إنّ من عرفهم عرف أنهم لم يكونوا ممَّن يتعمدون الكذب في الحديث، وإنما يُخاف على الواحد من الغلط والنسيان؛ فإن الغلط والنسيان كثيرًا ما يعرض للإنسان، فإذا تعدَّدت جهات ورود الخبر اتفاقًا من غير قصد، عُلم أنه صحيح[٦].وفي الجملة فإن ما نُقل عن الصحابة فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين، لأنّ احتمال أن يكون سمعه من النبيّ ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى؛ ولأنّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقلّ من نقل التابعين[٧]. وليس من

(١) ينظر : على سبيل المثال الأقوال الواردة في مستقر الأرواح بعد الموت، "شرح العقيدة الطحاوية": ٥٨٢–٥٨٧

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٣٤/٤ ، و"فتح الباري":٣٤٦/٦

(٣) هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، الإمام المشهور فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام الأعلام أصحاب المذاهب المتبوعة ، توفي سنة(١٥٠هـ ). ينظر: "البداية والنهاية" لابن كثير:١٠٧/١٠،"سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٣٩٠/٦

(٤) ينظر :"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير: ١٥٢/٤ ، والمسألة مبسوطة في "فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان" لمشهور آل سلمان : ١٤٦/١

(٥) ينظر:"مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية : ٥٠

(٦) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٤٥/١٣

(٧) ينظر : المرجع نفسه : ٣٤٤/١٣

مقتضى الإيمان بأفضليّة القرون المفضّلة، وتقدير أئمة السلف؛ التسليم بكلّ ما ورد منسوبًا إليهم فيما يتعلّق بأمور الغيب، بل لا بدّ من التحقُّق من أنَّه منقول عن المعصوم ﷺ.

**خامسًا: إلهام الأولياء:**

الخبر الذي يرد عن أمر غيبيّ من مسلم غير المعصوم ﷺ، وليس في كلامه شبهة الرفع إلى رسول الله ﷺ، وإنما هو يخبر بدعوى الإلهام الربانيّ وما في حكمه كالرؤيا الصادقة أو التحديث أو الفراسة فلا يقبل خبره بإطلاق ولا يرد بإطلاق؛ إذ منهج الإسلام يقوم على عدِّ هذه الأمور مصادر ممكنة لمعرفة بعض الغيب[١]، وقد وقع منها حوادث لكثير من الصحابة ﷺ، ولكن لا يمكن الجزم بصحَّة ما يُعرف عن طريقها إلاّ بشروط في ذات من يُلهم، وفي ذات الخبر الملقى إليه، لهذا لا تُعدّ من المصادر الصحيحة مطلقًا، ولا من المصادر الباطلة مطلقًا، والغالب على المعرفة الحادثة منها الاحتمال والتوقُّع لا العلم اليقينيّ[٢]، قال ابن تيمية: «الذين أنكروا الإلهام طريقًا على الإطلاق أخطؤوا، كما أخطأ الذين جعلوه طريقًا شرعيًا على الإطلاق»[٣]. ولا يدخل في هذا الباب إلهام الأنبياء ورؤاهم فهي من قبيل الوحي المعصوم[٤]، قال الشاطبيّ[٥]: « اعلم أن النبي ﷺ مؤيَّد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالّة على صدق ما قال وصحّة ما بيّن، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصومًا بلا خلاف، إمّا بأنه لا يخطئ البتة، وإمّا بأنه لا يُقرّ على خطأ إن فُرض، فما ظنّك بغير ذلك؟ فكلّ ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم أو رؤية كشف، مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله ﷻ، وأمّا أمّته فكلّ واحد منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه

---

(١) سبق الحديث عنها في الباب الأول ضمن الحديث عن المواهب التي يمنحها الله لبعض لعباده مما يتعلق بالعلم .

(٢) لهذا نفى بعض العلماء كون الإلهام مصدرًا من مصادر المعرفة يقول النسفي: «والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق» إلا أن التفتازاني وجّه هذا النفي بقوله: «والظاهر أنه أراد أن الإلهام ليس سببًا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للإلزام على الغير، وإلا فلا شك أنه يحصل به العلم، وقد ورد القول به في الخبر» ينظر : "العقائد النسفية مع شرح التفتازاني" : ٤٦

(٣) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٧٣/١٠

(٤) ينظر :المرجع نفسه : ٦٨/١٣ ، وينظر : "مصادر المعرفة" للزنيدي : ٥٩٠

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أحد العلماء الأثبات، فقيه أصولي مفسر محدث متبع للسنة له من المصنفات: الموافقات والاعتصام والمجالس. توفي سنة(٧٩٠هـ).ينظر :"شجرة النور الزكية" لمحمد مخلوف: ٣٣٢/١

حلمًا وكشفه غير حقيقيّ، وإن تبيّن في الوجود صدقه، واعتيد ذلك فيه واطّرد، فإمكان الخطأ والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع فيه بحكم»[١].

فالمعرفة التي يُدّعى أنّ مصدرها الوحي عن طريق الإلهام أو الرؤيا أو الفراسة وإن كانت من عدل ثقة فهي محتملة الخطأ، فقد يُلهم أقوام عواقب أمور بما كشف الله لهم، «لكن هذا ليس مما يجب التصديق العام به، فإن كثيرًا ممن يظن أنه حصل له هذا الكشف يكون ظانًّا في ذلك ظنًّا لا يغني من الحق شيئًا »[٢] و« ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام،إلا بدليل يدل على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس»[٣] و«الشياطين كثيرًا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان، وربما قالت: أنا أبوبكر وعمر، أو أنا المسيح، أنا موسى، أو أنا محمد»[٤].

ولهذا فالمقرّر في الأصول أنه لا يجوز الاستدلال بإلهام الأولياء. وما يزعمه أكثر المتصوفة من جواز العمل بالإلهام[٥]، وما يزعمه بعض الجبرية أيضًا من الاحتجاج بالإلهام جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستدلِّين بظاهر النصوص فأمر ظاهر البطلان، ولا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرّب إليه به من فعل أو ترك على سبيل اليقين إلاّ عن طريق الوحي كما أنه لا طريق تعرف بها مسائل الغيب التي لا مدخل للعقل فيها إلا بخبر الوحي المعصوم .

---

(١) "الموافقات" للشاطبي : ٧٢٢

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٥/١١

(٣) المرجع نفسه : ٥٣٢/١٧

(٤) المرجع نفسه :٤٠٦/١١

(٥) بل عدّوه حجة بإطلاق، ومنهم من جعله الطريق لمعرفة أسرار العالم الغيبي التي لم يتعرض لها الوحي، ولايصل إليها الحس، ويعجز العقل بموازينه ومقاييسه كل العجز عن إدراكها، فجعلوا المعرفة الإلهامية أصدق من معرفة العقل والحواس لأن الإلهام والكشف – في رأيهم- يكون مع علم ضروري أنه من عند الله تعالى أو بالمدد المحمدي! ينظر : "فواتح الرحموت" لعبد العلي اللكنوي: ٣٧١/٢، لذلك استندوا إلى الكشف والإلهام والرؤى دون تمييز، وجعلوا ذلك أصل طريقتهم ومصدر تلقيهم، يقول ابن عربي: «جميع ما أكتبه في تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وإنما هو نفث في روعي من ملك الإلهام» ، ويقول: «اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره» ينظر : "اليواقيت والجواهر" للشعراني : ٢٤/١

وللمتصوِّفة بعض المصطلحات التي تحمل معنى الإلهام وأشهرها (الكشف)، وله أسماء بحسب الأحوال فتارة يسمع الإنسان ما لم يسمع غيره، فيسمى خطابًا ومخاطبات أو هاتف، وتارة يرى ما لا يراه غيره يقظة أو منامًا ويسمى مشاهدات. وتارة يعلم علمًا ضروريًّا لايعلمه غيره ويسمّى إلهامًا وفراسة ومكاشفة، وكلّ ذلك يسمى كشفًا لأنه كشف له عنه[(١)]، وقريبًا منه كذلك الخاطر والوارد والذوق والتجلِّي والمسامرة والحدس وتعريفاتها تتشابه كثيرًا، وتدلّ في جملتها على حصول نوع معرفة في القلب لشيء من الغيب[(٢)].

وحقيقة الأمر أنّ من هذه الأحوال ما قد يكون من عند الله لأوليائه فيكون نوعًا من الإلهام الربانيّ، أو يكون فتنة منه واستدراجًا، ومنها ما يكون نفسانيّ المصدر أو شيطانيّ لمعونة الإنسان أو إغوائه وتضليله.

والخلاصة أنّ قيمة الإلهام والرؤى ونحوها لغير الأنبياء المعصومين من حيث كونها مصدرًا لمعرفة الغيب تختلف بالنسبة للملهم ولغيره من الناس، كما تختلف بالنظر إلى المعرفة الغيبيَّة ذاتها، فما لا يتعارض منها مع الكتاب والسنَّة يفيد صاحبه معرفة، ويكون بمثابة الإشارات والتنبيهات ويظلّ مفتقرًا إلى وسائل يُتحقَّق بها من صدق كونه من عند الله ﷻ[(٣)]، «وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم[(٤)]، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم يجب لهم الإيمان بكل ما يخبرون

---

(١) ينظر :"المعجزة وكرامات الأولياء" لابن تيمية : ٢٨، ومجموع الفتاوى : ٣١٣/١١

(٢) فالكشف عندهم هو: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا. والذوق هو: نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. والوجد هو:ما يصادف القلب من المعرفة ويرد عليه بلا تكلف وتصنع. ينظر: "معجم مصطلحات الصوفية"= =لعبد المنعم حنفي : ٢٢٥، و"التعرف لمذهب أهل التصوف" للكلاباذي : ٨٢

(٣) ينظر : "مصادر المعرفة" للزنيدي: ٦٢٠ ، و"عقيدة ختم النبوة" لأحمد الغامدي: ١٢٧

(٤) قد تكون الرؤيا لمعصوم كأن يُرى النبي ﷺ في المنام، فهذه يشتبه أمرها على كثير من الناس للحديث المتفق عليه: "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي". أخرجه البخاري، في كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ومسلم في كتاب التعبير. فالحديث دل على جواز رؤياه ﷺ في المنام، وأن الشيطان لا يتمثل به، ولكن ما يجب معرفته أن الشيطان قد يدّعي أنه هو النبي دون أن يتمثل به عصمة النبي في عدم تمثل الشيطان به، فيقول كذبًا: أنا محمد. لذا يُسأل من يقول أنه رأى النبي ﷺ عن صفته. ولا يحصل الجزم بأن فلانًا رأى الرسول ﷺ إلا إذا كان ممن رآه في حياته وهم صحابته أو كان ممن يعرف صفته جيدًا ولا يكون في الرؤيا دعوة لمخالفة للشرع بزيادة أو نقص.

وفي كل الأحوال فالإجماع منعقد على أن رؤيا النبي ﷺ ليست مصدرًا للتلقي، وأقصى مافي الأمر أن المعرفة المتوصل إليها من طريق هذه الرؤيا كما قيل في المعرفة من طريق الإلهام. ينظر :"الفروق" للقرافي: ٢٤٤/٤، و"الاعتصام" للشاطبي :

به عن الله ﷻ وتجب طاعتهم في كل ما يأمرون به بخلاف الأولياء فإنه لا تجب طاعتهم في كلّ ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة »[١]، فتكون موافقة الكتاب والسنة هي الفيصل في الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة «فإن كان ما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا مطرد لا ينتقص»[٢]. قال أبو سليمان الداراني[٣]: «ليس ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله ﷻ على ما وافق من قلبه» وقال: « ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة »[٤].

وينبغي أن يُعلم أنَّ كلّ ما يحتاج المسلم إلى معرفته لمعاشه ومعاده قد نصب الله على الحقّ فيه دليلاً، وأمّا ما لا طريق لنا إلى الجزم بصدقه فعامّته مما لا فائدة فيه، فالإعراض عنه أولى.

والمنهج الصحيح لمعرفة الغيب الحقّ هو ما لخّصه ابن تيمية بقوله: «جماع الفرقان بين الحقّ والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك؛ أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحقّ الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حقّ وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حقّ، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه؟ فإنّه يمسك فلا يتكلّم إلاّ بعلم. والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون عِلْم من غير الرسول لكن في أمور دنيويّة مثل الطبّ والحساب والفلاحة والتجارة، وأمّا الأمور الإلهيّة والمعارف الدينيّة فهذه العلم فيها مأخذه عن

---

٣٣٥/١ ، و"فتح الباري" لابن حجر: ٣٨٧/١٢، ومسلم بشرح النووي : ١٢٤/٥

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٠٨/١١

(٢) المرجع نفسه : ٥٢٩/١٧

(٣) هو عبدالرحمن ابن أحمد، وقيل ابن عسكر العنسي الداراني، ولد في حدود الأربعين ومئة، كان زاهد عصره،= =وتوفي سنة( ٢١٥هـ) وقيل( ٢٠٥هـ). ينظر: "سير أعلام النبلاء": ٤٧٢

(٤) ينظر :"حلية الأولياء": ٢٦٩/٩ ،و"البداية والنهاية":٢٥٥/١٠ ،و"أبحاث في التصوف" لعبد الحليم محمود : ٢٢٨- ٣٤٤

الرسول، فالرسول أعلم الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها»[١].

وهكذا يتضح أنّ الوحي المعصوم هو المصدر الصحيح الذي يؤخذ عنه الغيب بيقين، أما ما يختلط فيه الوحي بغيره أو يظنّ أنه من وحي من عند الله كالإلهام ونحوه فله ضوابط تراعى عند النظر فيه، ويبقى وراء ذلك مصادر أخرى يعتمد عليها بعض الناس ويتشوفون لمعرفة الغيب من طريقها وهي مصادر باطلة لا يصحّ أن تكون مصدرًا يُتلقّى منه الغيب بحال وتفصيلها في المبحث التالي.

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٣٥/١٣

# المبحث الثاني:

# المصادر الباطلة لاستمداد معرفة الغيب

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعرفة الباطنية.

المطلب الثاني: الكهانة.

المطلب الثالث: الكتب المقدسة في الأديان الوثنية.

المطلب الرابع: التنبؤات.

# المطلب الأول

# المعرفة الباطنيّة

خُلق الإنسان -كما أخبرت نصوص الوحي- قابلاً للمعرفة مزودًا بأدواتها، مفطورًا على محبّتها، متطلّعًا إليها، وقد بيَّن الله ﷻ له طرق تحصيلها، فأخبره ﷻ أنّه قد سيّر الكون على سنن ثابتة تمكّن الإنسان إن تفكّر وتدبّر من سبر أغوار الحقيقة في عالم الشهادة، أمّا عالم الغيب فقد ساق الله خبره على لسان رسله المؤيَّدين بدلائل الصدق، وخصَّ من بعدهم بعض خلقه بعلم من لدنه كرامة منه، ونهى عن التكلُّف فيما وراء ذلك.

ولمّا كانت الدنيا دار ابتلاء فقد جعل الحكيم ﷻ فيها من الأسباب ما يبلو به عباده، ففي الكون كثير من الأمور التي تحار فيها العقول، وقد تفتن من يتتبَّعها، ومن ذلك ما قد يراه الإنسان حوله من غرائب كأن يرى رجلاً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء أو يدخل في النار ويخرج منها سالمًا[1]، ومنها ما يجده في نفسه كأن يخطر بباله أنّ أمرًا ما سيحدث فيقع كما خطر له، أو يرى حادثة فيشعر أنه قد عايش أحداثها قبل وقوعها، أو يحار في أمر فيسمع هاتفًا يرشده، وغير ذلك كثير مما هو خارج عن العادة المطَّردة[2]، فإن كان ممن يتلقَّى حقائق الغيب من خبر الوحي فإنَّه يعرف أنَّ وراء ما يشاهده ويعلمه كثير مما هو غائب عنه خفيّ، سواء عالم الملائكة وما يعرف من إعانتهم الإنسان على الخير بإذن الله، أو عالم الجنّ والشياطين، وعداء إبليس له وسعيه في غوايته، كما يعلم أنّ الله قد أراد في الكون أمورًا كونيّة لحكم يعلمها، وأمره بأمور شرعيّة وأراد منه أن يشتغل بها لرضا مولاه، ومن ثم يصرف همّه لمراد الله منه.

أمّا إن كان ممن لا يقنع بالتسليم للوحي فقد يسير وراء عقله متتبِّعًا كلّ ظاهرة، لاهثًا لاستكشاف كلّ سبب، وقد يشطح به خياله شطحًا، ويزين له الشيطان ما يفتنه عن الدين ويصرفه عن الطريق المستقيم، فيتتبّع خطوات الشيطان غافلاً عن حيله، منتهجًا لمعرفة الغيب

(١) من هذه الأحوال ماهو كرامة من الله ﷻوكثير منها تنزلات الشياطين على أوليائها.

(٢) تسمى حديثًا خوارق الباراسيكولوجي، والاهتمام بها وبتنميتها للوصول إلى ما يسمونه الإنسان الكامل تزايد بشكل مبالغ فيه تحت اسم تنمية القدرات البشرية الكامنة .

طرقًا غير الوحي يبتغي الوصول منها إلى معرفة الحقيقة المغيّبة! ظانًّا أنّ لديه قوى نفسيّة خاصّة يستطيع بها معرفة الغيب أو بعضه، فيتأمّل خطرات نفسه، ويتبع حدسه وظنّه، ويأخذ برياضات شتى لتنمية خياله، أو يسعى لتعلّم أسرار الخصائص والطبائع الميتافيزيقية(١) لبعض الأشياء، أو يتتبَّع الرموز والإشارات التي يزعم أنها مخبَّأة في باطن نصوص الوحي(٢)!

وقد اتخذت طوائف من الناس عبر التاريخ نفوسهم وباطنهم طريقًا لمعرفة الحقيقة معرفة باطنيّة روحيّة يدخلون في تجربتها بذواتهم ويكتشفونها بأنفسهم -كما يدّعون - ومن ثم هي عندهم أصدق من المعرفة التي يتلقّونها من الوحي؛ إذ الوحي مصدر خارجيّ لا يصل اليقين به يقين الكشف والذوق الذي يعاينونه(٣)-كما زعموا- !

والمعرفة الباطنيّة ليس لها موضوعات محدّدة، كما أنها ليست طريقًا واحدًا واضح الحدود، بل هي علوم متداخلة ومذاهب مختلفة تجمعها غاية واحدة هي تمكين الإنسان من الاتحاد بمصدر المعرفة والأخذ عنه مباشرة، وهو الإله عند من يؤمنون بإله، أو القوّة الغيبيّة – على اختلاف أسمائها – عند الملحدين(٤).

وأصل فلسفتها قائم على اعتقاد مبدأ الصراع في نفس الإنسان بين قوى الخير الروحيّة وقوى الشر الجسديّة الشهوانيّة، وأنّ النفس تروم من هذا الصراع الخلاص من دواعي الشرّ

---

(١) تمييزًا لها عن الخصائص الطبيعية الفيزيائية التي أثبتها العلم التجريبي كوجود قوة جذب للحديد في المغناطيس، أو وجود حرارة محرقة في النار، أما الخصائص الميتافيزيقية فهي خصائص مدعاة لم يدعم دعواها العقل الصحيح ولا التجارب العلمية، ومصدرها معتقدات وثنية مبنية على الكفر بالغيب الحق والتخرص في تفسير الظواهر والأحداث المتعلقة بغيبيات، كما يدعى من خاصية الخرزة الزرقاء في دفع الحسد، أو خاصية حجر العقيق في تسكين الروع عند الخصام! أو خاصية الشكل الهرمي في الشفاء وإطالة العمر! أو أثر مرور كوكب المريخ بمحاذاة الأرض في انتشار الحروب! ونحو ذلك مما مبناه على غيب باطل هو اعتقاد آلهة أو أرواح ذات قوى خاصة فيما ذكر من أشياء. قال ابن تيمية: «إن الشيطان زين لهم نسبة الأثر إلى مالا يؤثر وصفًا ولا نوعًا» "اقتضاء الصراط المستقيم" : ٢٣٤

(٢) تعتمد الطوائف الباطنية من جميع الأديان على هذه الأسرار والخصائص المزعومة للحروف والكواكب وغيرها، ولها كتب خاصة كالقبالة والجفر، ينظر : المعجم الفلسفي : ١٩٥/١، وعلى نفس هذا الأصل اعتمد من قال برمزية الحروف المقطعة في أوائل السور وأن لها معاني باطنية يعرفها خاصتهم، ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٩/٣

(٣) ينظر : "المنقذ من الضلال" للغزالي : ٣٠، "اليواقيت والجواهر" للشعراني : ٨٦/٢

(٤) لا يقصد بالملحدين فقط المنكرون للإله أو النفاة لوجود الغيب جملة كالماركسيين وغيرهم، وإنما يدخل معهم ملاحدة الروحانيين والفلاسفة الذين يثبتون عالم غيب مغايراً للغيب الحق إما بعقولهم وفلسفاتهم، أو بأذواقهم ومواجيدهم وقد يستخدم هؤلاء الألفاظ الشرعية تضليلا لمن لا يعرف أساليبهم الباطنية .

والرجوع إلى أصل خلقتها الخيِّرة، والامتزاج بالكائن العلويّ عن طريق الوصول إلى العرفان الروحيّ، وهذه الفكرة قد تتلوّن حسب الأديان والمذاهب[١]وإن حافظت على المبادئ الأساسية لها المتمثلة في عقيدة وحدة الوجود [٢].

وسميت هذه المعرفة بأسماء عدّة على اختلاف المذاهب وتنوُّع العصور، وفيما يلي أبرز أسمائها:

١. **العرفان أو المعرفة الباطنيّة**، وهي تسمية مبنيّة على القول بأنّ الحقائق لها ظاهر وباطن، وأنّ الظاهر رموز وإشارات يقف عندها العوامّ، أمّا الخواصّ فينفذون بها إلى الباطن الذي لا يعرفه سواهم، فهي علم بأسرار الحقائق الدينيّة؛ إذ يرى الباطنيُّون من الفلاسفة أنّ العقل البشريّ قادر على معرفة الحقائق الإلهيّة بما يفيض عليه من العقل الكليّ، ويعتقدون أنّ الوصول إلى هذه المرحلة يحقِّق العرفان التامّ أو ما يسمُّونه الحكمة.

٢. **المعرفة الغنوصيّة**، Gnosticism، والغنوص لفظة يونانيّة الأصل gnosis معناها العرفان الخاص في أمور الفلسفة والدين، والإدراك الحدسيّ للحقيقة الروحانيّة. وتستخدم للدلالة على طريقة سرّية باطنيّة تسعى إلى معرفة الحقيقة، وتعدها غاية الحياة[٣]، وطريق الخلاص فيها [٤].

---

(١) تدور الأديان الشرقية كلها حول هذه الفلسفة، وكذلك الطوائف الغنوصية من النصارى، وطوائف القبالة من اليهود، وممن اشتهروا بالباطنيّة في الإسلام؛ القرامطة والرافضة والإسماعيلية، والبهائية والقاديانية والبهرة، وكثير من المتصوفة والفلاسفة ممن سلكوا مسلك الحلولية والاتحادية، ينظر: "المعجم الفلسفي": ٧٢/٢، و"معجم الفرق والمذاهب الإسلامية" لإسماعيل العربي : ٥٥

(٢) ينظر:"تاريخ الفلسفة اليونانية" ليوسف كرم : ٢٤٤، "تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب" : ١٠٢، و"موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمن بدوي : ٨٦/٢ . و"الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة" لأنور الجندي : ١٣٨

(٣) قال ابن تيمية عن الفلاسفة الباطنيين: « يظنون أن كمال النفس في مجرد العلم، ويجعلون العلم الذي به تكمل النفوس، مايعرفون هم من علم مابعد الطبيعة، ويجعلون العبادات رياضة لأخلاق النفس، حتى تستعد للعلم فتصير النفس عالما معتزلا موازيًا للعالم الموجود» "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٩٤/٣

(٤) ينظر: "الهرطقة في الغرب" لرمسيس عوض : ٢٥ ، و:

-"The American Heritage dictionary of the English language",2000-

ف(الغنوصية) في معناها الاصطلاحي تعني المعرفة الكشفيّة الروحانيّة التي يدّعي الباطنيُّون من جميع الملل الوصول إليها تتبُّعًا للحكمة السريَّة المحجوبة في الكتب المقدَّسة بواسطة تعاليم (تقاليد) سرِّية متوارثة خاصّة [١].

٣.**المعرفة الإشراقيّة**، ويعنون بالإشراق ظهور أنوار عقليّة تفيض على الأنفس الكاملة عن المواد الجسميّة، فهي تلقٍّ مباشر من العالم الغيبيّ والمعرفة الإلهيّة لمن لهم رياضات روحيّة ومجاهدات نفسيّة جعلت نفوسهم تصفو من الأكدار البشريّة، فحينئذ ينعكس عليها، أو يشرق فيها من العلوم والمعارف ما هو منقوش في العالم العلويّ بزعمهم [٢].

٤.**علم الأسرار**، أو المعرفة السّرية، التي يعدُّون العلم بها حكمة خالدة تحيط بجميع المعلومات، يقول ابن عربيّ [٣]: علم الأسرار، العالِم به يعلم العلوم كلّها، ويستغرقها وليس صاحب العلوم الأخرى كذلك، فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط، الحاوي جميع المعلومات [٤]. وهو علم فوق طور العقل، فهو نفث روح القدس في الروع، يختص به النبيّ والوليّ، ويحصل من طريق الإلهام [٥].

٥. **المعرفة اللدنيّة**، وهي تسمية المتصوّفة وبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام ، ويقصدون أنها معرفة من لدن الله تعالى كما ذكر من تعليمه للخضر عليه السلام: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾**﴾ [الكهف:٦٥]، فالعلم اللدنيّ -كما يعرّفونه- هو علم لا واسطة فيه بين النفس وبين الله، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على القلب الصافي [٦].

يقول ابن عربيّ: «إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله

---

(١) ينظر :"تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب" : ١٠٢، "المعرفة الباطنية" لبوريس مورافييف تعريب فؤاد رامز : ٤/١

(٢) ينظر :"المنقذ من الضلال" للغزالي : ١٢٠، "المعجم الفلسفي" لجميل صليبا : ٩٤/١، "أصول الفلسفة الإشراقية" لمحمد أبو ريان : ١١٩، "عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية" لأحمد القصير : ٤٩٩

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد محيي الدين ابن عربي الطائي الأندلسي، متصوف، له من المصنفات : فصوص الحكم، الفتوحات المكية وغيرها، جمع فيها ما يعقل ومالا يعقل وفيها أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، توفي سنة (٦٣٨هـ) ينظر : "البداية والنهاية" لابن كثير : ٢٥٢/١٧ ، "شذرات الذهب "لابن العماد : ١٩٠/٣

(٤) ينظر : "الفتوحات المكية"لابن عربي : ١٤٠/١

(٥) ينظر : "اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر" للشعراني : ٢١/١

(٦) ينظر :"الرسالة اللدنية" للغزالي : ١١٤

ﷻ بلا واسطة من نقل أو شيخ »[١].

٦. **علم الحقيقة**، وهي تسمية شائعة عند المتصوِّفة أيضًا منشؤها تقسيمهم العلوم إلى علم شريعة وعلم حقيقة، فيجعلون الشريعة التزام العبوديّة، والحقيقة مشاهدة الربوبيّة[٢]، ومن يصل إلى الحقيقة – عند غلاتهم – لا يتقيّد بأمر الشارع ونهيه مما جاء عن طريق الرسول، وإنما يتّبع ما يكشف له ويذوقه ويجده ونحو ذلك[٣]، وهم يصفون هذا العلم بأنّه «ثمرة العلوم كلّها، ونهاية العلوم كلّها، وغاية العلوم كلّها إلى علم الحقائق، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له، وهو علم القلوب، وعلم المعارف، وعلم الأسرار، وعلم الباطن، وعلم التصوُّف، وعلم الأحوال، وعلم المعاملات، أيّ ذلك شئت فمعناه واحد»[٤].

فالمعرفة الباطنيّة بمختلف أسمائها يعدّها القائلون بها مصدرًا للمعرفة القطعيّة تتجاوز جميع المصادر الأخرى قدرًا وسعة؛ فهي تتناول حقائق لا تصل إليها تلك المصادر ويشترط لتمام تحصيلها التحرُّر من تأثير الحسّ والعقل اللذين يحجبان الإنسان عن السموّ إليها عن طريق رياضات وجوع وسهر وتصفية وفناء ومقامات وأحوال، فعندها تحدث المعارج الروحيّة والتجليّات النورانيّة التي يزعمون! بناء على أصلهم الفاسد وهو أنهم إذا صفوا نفوسهم نزل على قلوبهم العلم إمّا من جهة العقل الفعّال أو غيره[٥].

**مصدر المعرفة الباطنيّة:**

يختلف القائلون بها في تحديد المصدر الذي تنبع منه، فالإشراقيّون من الفلاسفة – أهل التصوّف العقليّ – كالفارابيّ[٦] وابن سينا[٧] يردُّون هذه المعرفة إلى **العقل الفعّال** فيقولون: إنّ

---

(١) "الطبقات الكبرى" للشعراني : ٥/١

(٢) ينظر : "الرسالة القشيرية ": ٨٢

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٦٩/١٠

(٤) "اللمع في التصوف" للطوسي : ٤٥٧

(٥) ينظر :"الرد على المنطقيين" لابن تيمية : ٥١٠

(٦) هو محمد بن محمد بن طرخان التركي أبو نصر الفارابي، له مصنفات في الفلسفة والمنطق والموسيقى، له مذاهب وعقائد يخالف فيها معتقد المسلمين الحق، توفي سنة (٣٣٩هـ). ينظر :"وفيات الأعيان" لابن خلكان : ١٥٣/٥، "البداية والنهاية" لابن كثير : ٢٢٤/١١

(٧) هو أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا البلخي، له مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة والمنطق تزخر بمخالفات لمعتقد المسلمين الحق. توفي سنة (٤٢٨هـ) .ينظر:"وفيات الأعيان": ١٥٧/٢،و"سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٥٣١/١٧

العقل البشريّ في طريق رقيّه وتطوُّره يمرُّ بمراحل متدرِّجة بعضها فوق بعض، فهو في أوَّل أمره عقل بالقوّة، فإذا أدرك قدرًا كبيرًا من المعلومات العامّة والحقائق الكليّة أصبح عقلاً بالفعل، وقد يتَّسع مدى نظره ويحيط بأغلب الكلِّيَّات فيرقى إلى أسمى درجة يصل إليها الإنسان وهي درجة العقل المستفاد أو درجة الفيض والإلهام، وهذه الرتبة عندهم هي السعادة التي لا تبلغها إلاّ النفوس الطاهرة المقدّسة التي تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتصعد إلى عالم النور والبهجة[١]. والصوفيُّون المسلمون يرون مصدر هذه المعرفة هو الله ﷻ[٢]بناء على عقيدة الحلول والاتحاد أو عقيدة الوحدة، يقول البسطاميّ[٣]:«أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت، يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربِّي، وأنتم تقولون حدثني فلان! وأين هو فلان ؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو فلان؟ قالوا: مات» [٤].

والفلاسفة يرون مصدرها **النفس** وما فيها من القوى فيعتقدون أنّ النفس فيها قوَّة علميَّة يسمُّونها القوَّة القدسيَّة هي التي ينال بها العلم بلا تعلُّم، وقوة تخيُّلية تخيِّل له ما يعقل في نفسه بحيث يرى أو يسمع في نفسه أصواتًا كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود في الخارج[٥]. والفلاسفة الأفلاطونيُّون يفسِّرون ذلك بأنَّ النفس العارفة هي في أصلها مفارقة للبدن في عالم المثل ولما انحسرت في البدن وشهواته نسيت، وبتصفيتها تعود لما فيها من المعرفة اليقينية في أصل طبيعتها من عالم المثل[٦].

---

(١) ينظر : "في الفلسفة الإسلامية" لمدكور : ٣٦/١ ، و"نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة" لراجح الكردي : ٦٦٧

(٢) أما أصحاب الأديان الوثنية القديمة أو الحديثة فإنهم يعتقدون أنها نابعة من الاتصال المباشر بالقوة المدبرة العليا على اختلاف تسمياتهم لها نحو: برهما، طاو، بودا، أو أسماء لما يعتقدون أنها قوى كونية عظيمة منبثقة عنه نحو: شيفا، فشنو، الكي، التشي، البرانا، الها، الكا، مانا، أو الأسماء الفلسفية في القديم: المطلق، العقل الكلي. وفي العصرالحديث نحو: اللاوعي الجمعي، العين الثالثة، الطاقة الروحية. ينظر: ص٣٠٣من هذا البحث .

(٣) هو علي بن مجد الدين بن مسعود البسطامي الهروي الرازي، كان شيخًا على طريقة الصوفية وله شطحات، له تصانيف كثيرة بالعربية والفارسية وفي النحو والأدب والمعاني والبيان والفقه والأصول والمنطق والتصوف توفي سنة (٨٧٥هـ). ينظر : "أبجد العلوم"لصديق خان : ٥٣/٣

(٤) "الفتوحات المكية" لابن عربي : ٢٧٢/٤

(٥) وقد تُفسر بالمصطلحات الإسلامية على غير المراد الشرعي تضليلا وتلبيساً على المسلمين فيزعمون أن تلك الصور هي ملائكة الله وتلك الأصوات هي كلام الله، ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٢٩/١١

(٦) ينظر : "أطلس –dtv الفلسفة" : ٤١

ويرى الغزاليّ[١] في فلسفته أنّ البصيرة هي مصدر هذه المعرفة، والبصيرة من العقل بمنزلة نور العين من العين، وتنفتح البصيرة على اللوح المحفوظ بتزكية النفس ورياضتها فتنكشف الحجب عن أعين القلوب، ويتجلّى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ[٢].

أمّا الفلسفة الروحيّة الحديثة التي تخلط بين هذه الفلسفات بطريقة جديدة وتدور حول عقيدة وحدة الوجود[٣]، فإنّ مصدر المعرفة فيها هو ما يسمّى العقل الباطن الذي تفيض معرفته على النفس، إذا تحرّر الإنسان من سيطرة العقل وهو الجزء الواعي من دماغه فيدخل في حالة (اللاوعي) ومنه يتّصل بـ(اللاوعي الجمعيّ) فينهل من العرفان بعيدًا عن سجن الجسد وسيطرة العقل الذي يكون قد غُيّب بأحد طرقهم[٤] كما عند أسلافهم[٥].

ويرى أصحاب هذه الفلسفة أنّ المتمرّسين في رياضاتها الروحيَّة أنه يمكنهم الوصول إلى درجات أعلى من العرفان يُكشف فيها الماضي والحاضر والمستقبل، بل ويعاش وكأنّه اللحظة الآنيّة، ويمكن التغيير فيه والتحويل والتبديل[٦]؛ إذ لا حدود للزمان وللقدرة والعلم إذا اتصل الإنسان بذلك العالم الروحانيّ بزعمهم[٧].

---

(١) هو محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، له مصنفات كثيرة منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والمستصفى وغيرها، توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: "طبقات الشافعية" للإسنوي : ١١١/٢، و"العقد المذهب" لابن الملقن: ١١٦، وله –غفر الله له–شطحات وزلات في باب الإيمان بالغيب كثيرة لعله رجع عنها في آخر حياته عندما توفي وصحيح البخاري على صدره .

(٢) ينظر :" إحياء علوم الدين" للغزالي : ٨٦/١ ، ١٦/٣

(٣) وهي نفس الفلسفة الوثنية عند الإغريق والهنود، ولكن روادها المعاصرون من حركة العصر الجديد لا يهتمون بتنظير فلسفتهم بقدر ما يهتمون بإعطاء تدريبات عملية عليها، وسيأتي تفصيل الحديث عنهم في الباب الثاني من هذا البحث .

(٤) سيأتي بيان بعض طرقهم في الباب الثاني من هذا البحث .

(٥) ينظر :

-"The Implication of New Age thought for the quest for truth: A Historical Prespective", Irmhild Helene Horn

-"Angels of Light? The Challenge of New Age Spirituality, Lawrence Osborn, Daybreak

(٦)تُسمَّى في صور هذا الفكر وتطبيقاته المعاصرة نقطة الصفر، التي يعتقدون أن جميع معلومات الكون تتجمع فيها، فهي تشبه أن تكون اللوح المحفوظ – بزعمهم –ينظر :رسالة على أبواب الملحمة (التغيير في المستقبل) لصلاح الراشد، ملحقة بمجلة فواصل العدد ١٢٢ الصادر ٢٠٠٣، ص ٦٠ – ٦٦

(٧) تختلف تسمية المرحلة التي يتم فيها الوصول إلى العرفان وتشرق فيها المعرفة على النفس – كما يدعون – بين= =الطوائف المروجة لها في الأديان الوثنية والفلسفات الإلحادية قديمًا وحديثًا فتسمى: مرحلة النرفانا أوالاستنارة أو التنور

والقائلون بهذه المعرفة يعدّونها سريّة خفيّة، كما أنها شخصيّة ونسبيّة تختلف من شخص إلى آخر بحسب ما يجد في نفسه، ومنهم من يرى أنّ الترقّي في معارجها يعتمد على مطالعة التجارب المدوّنة في كتب الحكمة القديمة المحفوظة التي تمثل تراثًا سريًّا منقولاً للمعرفة الباطنيّة، من وصلوا إلى قمَّتها ممن يسمونهم الحكماء العارفين أو الحكماء الأوائل، وأشهرها كتب (الفيدا) عند الهندوس، وكتاب (القبالة) و(زُهر) لدى قبالة اليهود، وكتاب (الجفر) لدى الرافضة، وقد نشطت حركة التأليف والنشر والترجمة لكثير من الكتب الباطنية ككتب أسرار الحروف التي يُزعم أنها تكشف أسرار المستقبل إلى انقراض العالم، وأصول التنجيم والسحر والطلسمات وما يسمى بالطاقة الخفية أو الحاسة السادسة وغيرها[(١)].

**طرق الوصول إلى ما يسمّى بحالة العرفان:**

تتنوَّع طرق الوصول إلى ما يسمَّى بحالة العرفان وتختلف بحسب الطوائف والمذاهب، وأغلبهم يعتمدون مسلك التزهُّد والخلوة وقهر الجانب الماديّ الذي هو شرٌّ بمنظورهم[(٢)]، وإحياء الجانب الروحيّ للوصول إلى العرفان واليقين، فيكون القصد من هذا التجريد؛ الإطلاع على عالم الغيب ورؤية الملائكة، أو الانفصال عن الجسد، والاتصال بعالم الأرواح، أو الكشف

---

أوالحكمة أو مرحلة الجذب في الأديان الشرقية، وتسمى مرحلة السمو أو النشوة أو الغشية في التطبيقات الروحية المعاصرة، ويسميها أهل الزار الحضرة، وقريب منها ما يسميه المتصوفة الفناء والغيبة في حلق الذكر الجماعي أو غيرها، وقد يكتفى باسم اللاواعي أو اللاشعور في التطبيقات الحديثة لهذا الفكر، ينظر: "التنويم" لصلاح الراشد : ٢٦ ، و"الإسلام في مواجهة الفلسفات المعاصرة" لأنور الجندي : ١٢٧

(١) ينظر :" المعجم الفلسفي" لصليبا : ١/١٩٥

(٢) شاع في التراث الإسلامي الفكري في العصور المتأخرة الحديث عن أن الإنسان ذا طبيعة مزدوجة، تتكون من جسد أصله طين، وله ميول أرضية تتمثل في الشهوات ومطالب الجسد الحيوية ونوازع الشر، ونفخة من روح الله، وهذا هو الجانب الروحاني وهو الوعي والإدراك، ويتمثل في القيم والنزوع إلى الكمال الذي يكون في الإنسان، والذي يبدو من تأمل النصوص أن القول بأن الإنسان مكون من جسد وروح قول صحيح، ولكن القول باختصاص الجسد بالشر ومطالب الدنيا، والروح بالخير والكمالات ليس له مستند من النصوص، بل مقتضى كون النفوس مخلوقة على الفطرة،وكونها خلقت في أحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝﴾ [التين:٤] أن تكون قد جبلت بجسدها وروحها على الفطرة والخير، وليست مطالب الجسد شرًّا في التصور الإسلامي، وإنما الشر طارئ على النفس باستجابتها لوسوسة عدو حذرها ربها منه، فإذا استجابت لذلك العدو فسلكت لتلبية حاجة الروح من المعرفة والأنس حضور حلقات الزار واستجلاب الشياطين ومجالس الذكر البدعي، أو لبت مطلب الجسد في النكاح بالزنا والسفاح فإنها تكون في كلا الحالتين قد ضلت وانتكست إلى أسفل سافلين، ينظر : "تمهيد في التأصيل" للصبيح : ١٦٨

على أمور غيبيَّة سواء من الغيب النسبيّ أو من الغيب المطلق. يقول الغزالي: «فبالمجاهدة والجلوس مع الله في الخلوة مع تطهير القلب عن شواغل الدنيا تنكشف دقائق علوم الدين، وتتفجر ينابيع الحكمة من القلب من غير عد ولا حصر، فتصفية القلب والجلوس في الخلوة مع الله تعالى هو مفتاح الإلهام ومنبع الكشف»(١).

وقد نحا دعاة العرفان الباطنيّ في العصر الحديث منحًى يتناسب مع ثقافة العصر، فاعتمدوا أساليب التنويم الإيحائيّ والمغناطيسيّ(٢) أساسًا للتحرُّر من سيطرة الوعي (العقل) وقوانينه وتأثير معتقداته إلى مايّعونه من العرفان الحرّ في مرحلة (اللاوعي) حيث يتصل المنوَّم بـ (اللاوعي الجمعي) لينهل من معرفة تتجاوز حدود الزمان والمكان بزعمهم(٣).

**تفسير المعرفة الحاصلة بالعرفان الباطنيّ وقيمتها في المعرفة الغيبيَّة:**

حقيقة الأمر أنّ المعرفة التي قد يجدونها بأساليبهم الباطنيّة، كالمعرفة التي يجدها العبد في نفسه أحيانًا من غير طريق الحسّ أو العقل ومن دون أن تصله بخبر، ومن دون تطلّب ورياضات، وهي لا تعدو كونها إلهامًا أو كرامة أو فتنة واستدراجًا، والإلهام كالرؤيا مصدره – لغير الأنبياء – أحد ثلاثة: إما أن يكون بواسطة الملك، أو من الجنّ والشياطين، أو يكون مصدره النفس ذاتها، وما يهمها وتفكّر فيه أو تتخيَّله، يؤكِّد هذا ابن القيم، فاللدنيّ منسوب إلى لدن بمعنى عند، فمعنى العلم اللدنيّ: العلم العنديّ، والشأن فيمن هذا العلم من عنده – من لدنه – وقد ذمّ الله بأبلغ الذمّ من ينسب إليه ما ليس من عنده فقال: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾ [آل عمران:٧٨]، والعلم اللدني حقًّا هو ما قام الدليل الصحيح على أنَّه جاء من عند الله ، كما في قوله تعالى في

(١) ينظر : "فاتحة العلوم" للغزالي : ٢٩.

(٢) خلال دورات تدريبية كثيرة أشهرها دورات البرمجة اللغوية العصبية، والطاقة البشرية بمختلف أسمائها .

(٣) يقول جوزيف ميرفي عن قدرات العقل الباطن (اللاواعي) أو (غير الظاهري) : «ويرى عقلك غير الظاهري بدون حاسة البصر الطبيعية، فهو يمتلك القدرة على رؤية كل ما هو واقع وراء نطاق البصر ... ويمكن لعقلك الباطن أن يغادر جسدك ويسافر إلى أماكن بعيدة، ويجلب – في أحيان كثيرة – معلومات ... ومن خلال عقلك الباطن تستطيع أن تقرأ أفكار الآخرين وتقرأ محتويات الخطابات والخزائن المغلقة » "قوة عقلك الباطن": ٢٠، وناقش وحيد الدين خان في كتابه" الإسلام يتحدى"، مسألة اللاوعي الذي يسمى اللاشعور عند بعض علماء النفس من حيث بطلان الزعم بأنه مصدر المعلومات والحقائق الغيبية، ينظر للفائدة : ٣٤-٣٧

شأن الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف:٦٥]، وما عداه فلدنيّ من لدن نفس الإنسان منه بدأ وإليه يعود، أو من لدن الشيطان والهوى، وقد انبثق سدّ العلم اللدنيّ، ورخص سعره، حتى ادّعت كلّ طائفة أنّ علمهم لدنياً[1]؛ لذا لا يمكن الجزم بمصدر هذه المعرفة إلاَّ بالعرض على الضوابط الشرعيّة سواء في نفس المدّعي لها، أو فيما يدّعيه من معرفة، ولا يغني أحدهما عن الآخر فقد يأتي لمستقيم الحال رؤيا شيطانيّة أو إلهام -وسوسة- من الجنّ فتنة له، فلا بدّ من عرض هذه الأمور غير المعتادة على الشريعة ونصوصها، وهكذا كان يفعل المشهود لهم بالفضل من سلف الأمة فقد عرض لكثير منهم أحوال عجيبة، ولمّا عرضوها على الشريعة ونصوصها وعرفوا باطلها دفعوها بما شرع الله في دفع الباطل فاندفعت[2].

أمَّا غيرهم ممَّن تعلَّقت نفوسهم بالأحوال وخوارق العادات، فقد كانوا يطلبونها ويسعون إليها بالطرائق الروحانيَّة أو الفلسفيَّة، فتلاعبت بهم الشياطين، وظنُّوا أنَّهم أهل خير وكرامة، فالشيطان إنما يأتي للإنسان من الباب الذي تحبُّه نفسه وتهواه، كما فعل مع الأبوين عليهما السلام لما رأى إيناسهما إلى الخلد والنعيم المقيم[3].

وأيّ معرفة تأتي بتغييب العقل وترك تحكيم النقل هي معرفة بعيدة عن الحقّ، فقد جعل الله العقل حاكمًا مميِّزًا بين الحقِّ والباطل وامتنّ على عباده به؛ إذ يمنعهم عن الغيّ والضلال لو تفكروا به كما شرع خالقه وخالقهم[4]. ومن هذا الدعوة لتفريغ القلب وعدم تفريقه بقراءة قرآن أو طلب علم، التي ينادي بها الصوفية، والدعوة إلى التأمُّل في (لاشيء) أو ما يسمَّى بـ(التركيز على الذات) التي يمارسها أهل الديانات الشرقيَّة في تأمُّلاتهم، وينادي بها اليوم المسلمون المفتونون بتطبيقات المذاهب الروحيَّة، قال ابن الجوزيّ[5] في معرض ردِّه على الغزالي[6]: «عزيز عليَّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه، فإنه لا يخفى قبحه، فإنه على الحقيقة طيّ لبساط الشريعة

---

(١) ينظر : "مدارج السالكين" لابن القيم : ٢/٤٧٦ ، ٣/٤٣٢

(٢) ينظر : "الموافقات" للشاطبي : ٣٦٨

(٣) ينظر :"إغاثة اللهفان" لابن القيم : ١/١٣٢

(٤) وقد كان من فتنة بعض الناس بهذا أن اعتقدوا الولاية في البله والمجانين، ووضعوا في ذلك أحاديث على رسول الله ﷺ، حتى عدوا الهذيان الذي يصدر منهم حكمة وحقًّا، ينظر : "شرح الطحاوية" : ٧٦٩ وما بعدها.

(٥) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي أبو الفرج الحنبلي، ينتهي نسبه إلى الصديق رضي الله عنه، وله تصانيف= =كثيرة منها : التحقيق ، والعلل المتناهية وغيرها، توفي سنة (٥٩٧هـ) ينظر: "المقصد الأرشد"لابن مفلح ٢/ ٩٣

(٦) حيث ذكر في الإحياء : ٣/١٩ الدعوة لهذا في سياق ذكره لكيفية تحصيل الإلهامات .

التي حثَّت على تلاوة القرآن وطلب العلم...، وعلى ما قد رتب أبو حامد: تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها، ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك، فيلعب بها إبليس أيّ ملعب، فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة»[1]، وهذا حقيقة ما يحصل لمن يتطلَّبون المعرفة بغير طرقها العقليَّة والشرعيَّة.

وأصل الاعتناء بطلب تجريد النفس والاطلاع على العوالم التي وراء الحسّ إنما نقل عن الفلاسفة القدماء، خاصّة الشرقيِّين منهم الذين يقرِّرون رياضات خاصَّة لم تأتِ بها الشرائع من اشتراط التغذِّي بالنبات دون الحيوان، أو ما يخرج من الحيوان إلى غير ذلك[2]، «ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة فيأمرون بسهر مطلق، وجوع مطلق، وصمت مطلق مع الخلوة فتولِّد لهم أحوالاً شيطانيّة»[3]، ثم كلّ ما يخيّل إليهم في أحوالهم تلك يعدّونه أصل المعرفة حتى ظنَّها بعض المنتسبين إلى الإسلام من جنس الوحي، وعلى ذلك بنوا قولهم بأنّ النبوّة مكتسبة، وأنّ جبريل عليه السلام هو الخيال الذي يتشكَّل في نفس النبيِّ ﷺ، وأنّ كلّ ما يحصل في القلوب من العلم للأنبياء وغيرهم إنما هو من العقل الفعّال، وأنهم يأخذون عن أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال[4].

قال الذهبيّ مبيِّنًا خطأ منهج هذه الطرائق وحقيقة ما يجد أهلها في أنفسهم: «الطريقة المثلى هي المحمديّة، وهي الأخذ من الطيِّبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، وقد كان النساء أحبّ شيء إلى نبيِّنا ﷺ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتَّل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابًا يتولَّد من الجوع والسهر، وولج الشيطان في

---

(١) "تلبيس إبليس" لابن الجوزي : ٣٦٣

(٢) ينظر : "الموافقات" للشاطبي : ٧٢٢

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٠٣/١٠

(٤) ينظر : المرجع نفسه : ٢٣٣/١١ ، لذا وصل الحال ببعض أهل هذه الطرق انتظار النبوة، يقول السهروردي: «لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر»، ويتطاول ابن سبعين على مقام النبوة ويُكذِّب بوقاحة فجة نبينا ﷺ في قوله: "لا نبي بعدي". ينظر: "درء تعارض العقل" : ٣١٨/١ ، و "الرد على المنطقيين": ٤٨٣

باطنه وخرج، فيعتقد أنّه قد وصل، وخُوطب وارتقى، فيتمكّن منه الشيطان ويوسوس له... وربما آل به الأمر أن يعتقد أنه وليّ صاحب كرامات وتمكُّن!!»[١].

والخلاصة أنّ كلّ ما يرد عن طريق هذه المجاهدات والرياضات من معرفة، أو عن طريق ما يزعمون من عالم الأرواح لا يصحّ الاعتماد عليه في الاعتقاد والعمل، ولا يفيد العلم اليقينيّ بحال، فما يجعله الله في القلوب يكون تارة بواسطة الملائكة إن كان حقًّا، وتارة بواسطة الشياطين إذا كان باطلاً، وكثير من الناس تشتبه عليهم الأحوال الشيطانيَّة بالأحوال الرحمانيَّة ويحصل لهم من جنس ما يحصل للكهَّان والسحرة [٢].

فالغالب على المعرفة الباطنيَّة أنها باطل من الشيطان، وممَّا يدلّ على ذلك أنها أوصلت أهلها إلى الإلحاد ونفي حقائق الغيب، وجعلتهم يفسّرون عالمه بآرائهم، قال ابن تيمية: «باطنيَّة الفلاسفة يفسّرون الملائكة والشياطين بقوى النفس، وما وعد الله الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذّة والألم، لا بإثبات حقائق منفصلة يُتنعَّم بها ويُتألَّم بها....وانتهى قولهم إلى وحدة الوجود. كما فعل ابن عربيّ صاحب الفصوص وأمثاله، فإنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كلّ عقل ودين» [٣]. كما جعلتهم يتلقَّون أحكام الشريعة بآرائهم وأذواقهم زاعمين أنها أفهام جديدة للنصوص كشفت لهم، يقول الشعراني[٤]: «الوليّ قطّ لا يأتي بشرع جديد، وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة الذي لم يكن يعرف لأحد قبله، ولذلك يستغربه كلّ الاستغراب من لا إيمان له بأهل الطريق»[٥]، وكثير مما

---

(١) "سير أعلام النبلاء" : ٨٩/١٢ باختصار يسير .

(٢) الفرقان الذي اتفق عليه أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء أو كان له مكاشفة أو تأثير لا يعد وليًّا، ولا يتّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومن رأى من له مثل هذه الأحوال فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال، ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٣٩٨/١٠ ، و"الرسالة الصفدية"لابن تيمية لابن تيمية : ١٨٧-١٨٩. و"فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان" : ٣٥٠/١

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٣٩/١٣

(٤) هو عبدالوهاب الشعراني، فقيه شافعي من رؤوس المتصوفة ، من مصنفاته :البحر المورود في المواثيق والعهود، ولطائف المنن وغيرها، توفي سنة (٩٧٣هـ) ،ينظر: شذرات الذهب"لابن العماد: ٥٤٤/١٠

(٥) "الطبقات الكبرى"للشعراني : ٦/١

يزعمون أنه فهم جديد إنما هو إلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه[1]، وهذا باب واسع انزلق فيه كثيرون قديمًا وحديثًا .

وقد تجاوز بعض أدعياء هذه المعرفة الأثر الشخصيّ المعرفيّ والروحانيّ المزعوم ليتخذوا منها صناعة مختلفة الصور تمثِّل مصدرًا آخر من المصادر الباطلة التي يتَّجه إليها الجهلاء من الناس لمعرفة ما يخفى عليهم من أمور الغيب بأساليب متنوِّعة وطرق شتى يمكن جمعها تحت اسم الكهانة، وفي المطلب التالي بيانها.

(١) من ذلك تفسيرهم الصلوات الخمس بمعرفة الأسرار، وصيام رمضان بكتمان الأسرار ونحو ذلك، ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٩/٣

## المطلب الثاني

## الكهانة

تعدّ الكهانة منذ القديم طريقًا لمحاولة معرفة الغيب والتنبُّؤ به، ومصدرًا يتَّجه إليه الراغبون في معرفة مستقبلهم، ومآل تجارتهم، أو تقرير سفر أو إتمام زواج ونحو ذلك، والكهانة في ظاهرها نوع من المعرفة الباطنيَّة التي تُدّعى من الكاهن، وحقيقتها اتصال بعالم الجنّ والشياطين، عرف الكاهن ذلك أو لم يعرف[(١)].

والكهانة في اللغة: مصدر كهن، والكَهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها، والجمع كَهَنة وكُهَّان، وهي ادِّعاء علم الغيب، والكاهن هو المتعامل بالكهانة ومتعاطيها، فيدَّعي علم الغيب، ويخبر الناس عما سيكون في مستقبل الزمان، ويدِّعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب[(٢)]، قال ابن تيمية: الكاهن هو المتخرِّص، وقيل هو المخدوم[(٣)]. ويطلق عليه أيضًا العرَّاف، فالعراف: اسم للكاهن والمنجِّم والرمال ونحوهم كالحازر الذي يدّعي علم الغيب أو

---

(١) فسر الكهانة –بعض المصنفين – بأنها خاصية من خواص بعض النفوس الإنسانية فيقولون أن للنفس الإنسانية استعدادًا للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها كما عند الأنبياء، وبالضد في الذين لديهم قوة مخيلة للجزئيات فيتلقون بقدراتهم وحي الشيطان، فالكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين! ينظر مثلاً : "المقدمة" لابن خلدون : ٩٦، و"الإيمان بالغيب" لبسام سلامة : ٢٧٥

وهو كلام مردود – مع تقدير قائليه وناقليه – فتفسير ما يحدث من علاقة بين الإنسان وعالم الغيب ليس مجال اجتهاد عقل، بل يؤخذ من خبر المعصوم ﷺ، وإن لم يخبر عنه ﷺ سُكت عنه. وفي القول باستعداد النفوس للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية وبالطباع النارية والهوائية والمائية والترابية فتح باب كبير للدجل والخرافات، وهو قول متأثر بفكر فلاسفة الشرق واليونان الذين فسروا بعقولهم عالم الغيب، وإنما نقله عنهم بعض المصنفين من المسلمين على الظن أنه من باب العلوم العقلية كالطب وعلوم الطبيعة التي نبغ فيها أكثر الفلاسفة ، والحقيقة أنها مجرد تخرص ورجم بالغيب، وترديد للفلسفات المسماة حكمة قديمة .

(٢) ينظر:"لسان العرب"لابن منظور:كهن: ٣٦٣/١٣، و"فتح الباري": ٢١٦/١٠، و"حاشية الجمل": ٧٦/١، و"التعريفات"للجرجاني: ٢٣٥، و"المقدمة" لابن خلدون : ٨٧

(٣) أي : المخدوم من الجن أو ما يدّعى من روحانيات.

يدَّعي الكشف[١]، وفرّق بين الكاهن والعراف بأنّ الأول يخبر بالأحوال الماضية، والثاني يحدّث عن المستقبل[٢].

فالكهّان قد يخبرون ببعض المغيَّبات[٣]، وذلك عن طريق الاتِّصال بالأرواح المجرَّدة من الجنَّ والشياطين، واستعلامهم عن الأحوال الجزئيّة للإنسان، ومعرفة أسراره، وما يتعرّض له في يومه وبعض مستقبله[٤].

وتشمل الكهانة عددًا من الأمور منها ما يكون فيه حالة من حالات الغياب عن الوعي، ومنها ما يكون باستخدام أدوات خاصّة يُدَّعى أنّ لها خصائص وأسرارًا، وتفصيل ذلك ما يلي:

١. **العرافة**: وهي الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفيَّة التي تكون بينهما أو الاختلاط أو الارتباط بناء على خصائص الحروف أو الكواكب وغيرها؛ على أن يكون ما في الحال وما في الاستقبال معلولي أمر واحد، أو يكون ما في الحال علّة لما في الاستقبال[٥].

ويطلق على محترفها العرّاف وهو المنجم أو الحازر الذي يدّعي علم الغيب [٦]. وقد حاز العرافون في عصرنا اعترافات رسميّة، وأصبحت لهم صحف خاصّة في بعض بلاد الإسلام، فصارت ممارساتهم علنيَّة مع ارتداء كثير منهم لبوس الدين؛ فيضاف لاسم العرّاف أو العرّافة لقب دينيّ مثل: **الحاجة** فلانة العرّافة[٧].

---

(١) ينظر :" النبوات" لابن تيمية : ٢٧٠

(٢) "الكليات" للكفوي : ٧٧٣

(٣) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٨٢/١١

(٤) ينظر :"مفتاح السعادة" لطاش كبرى زاده : ٣٦٤/١ ، و"أبجد العلوم" لصديق حسن : ٤٥٣/٢

(٥) ينظر :"مفتاح السعادة": ٣٥٧/١ ، و"أبجد العلوم": ٣٧٩/٢

(٦) ينظر :" النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير : ٢١٨/٣

(٧) في حوار مع العرافة حبيبة التونسية في صحيفة "أضواء" الأسبوعية التونسية في عددها الصادر ٢٠٠٣/٨/١٩م، تؤكد قبل إلقاء تكهناتها بأنها إنما تعلمت علمها هذا بعد التخرج من كلية الإيمان بالله في الحياة وأنها بفضل الله عليها تمتلك قدرة إلهية تمكنها الكشف عن أسرار الماضي والمستقبل ! وللأسف فالصحف اليومية في كثير من بلاد الإسلام تحفل بإعلانات عن العرافة، حيث أصبحت العرافة مهنة مصرح بها رسميًّا في بعض البلاد، وتسجّل ضمن سجلات الغرف التجارية بعد أن كانت محظورة في أواخر الثمانينات .

٢. **التنجيم**: هو محاولة إدراك الغيب بما يدّعى من خصائص النجوم، فالمنجِّمون يعتقدون أنّ بين طلوع النجوم وغروبها أحداثًا وأمراضًا متعلِّقة بها، وينسبون إلى النجوم التأثيرات التي تحدث للإنسان والكون، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها[١]، ويسمَّى محترف التنجيم المنجِّم وهو: ((كلّ من يدعى الغيب من المستقبل البعيد ومكنونات الصدور)) [٢]. وقد عرض المنجمون المعاصرون كثير من تخرصاتهم ورجمهم بالغيب تحت اسم (علم الطاقة)[٣]، الذي هو صورة جديدة من الكهانة والتنجيم المحرّم؛ إذ يدّعي أهله تأثير النجوم على الإنسان ويربطون تاريخ الولادة بنوع الشخصيّة والخواصّ العاطفيّة، فإذا حدّد الإنسان تاريخ ولادته يستطيع أن يحدِّد له المنجم إلى أيِّ نوع من النجوم ينتمي، وأيّ الناس ينسجم معهم أكثر، كما يكتشف المهنة التي تناسبه، ومتى وفي أيّ اتجاه يمكنه أن يسافر أو لا يسافر، وأيّ السنوات والشهور هي الأنسب له[٤]!

ومعلوم أن اعتقاد تأثير النجوم على الأشخاص والحوادث الأرضيّة إنما هو من معتقدات الصابئة الذين يعظمون الشمس والقمر والكواكب،وكان الأقدمون منهم يبنون لها الهياكل ويعبدونها ويتذلَّلون لها، ولكن صورة الشرك قد اختلفت في أتباعهم اليوم لا سيما أتباعهم من المسلمين الذين يتمسكون ظاهرًا بالدين ويرفضون ما هو ظاهر جليّ من الشرك والعبوديّة لغير الله، ولكنهم يتابعون أصحاب هذه العقائد في ضلالهم، بعد أن صدّقوا زعم براءة هذه الصور من التنجيم المحرَّم وأنّه مجرّد علم عامّ من نتاج الحضارات الماضية لابد أن ينتفع به! يقول معدّ كتاب (علم الطاقات التسع) مخادعًا نفسه وكثيرًا من الجاهلين: «إنّ علم الطاقة بتأثيره على

---

(١) ينظر :"معالم السنن" للخطابي: ٣٧١/١، و"مجموع فتاوى ابن تيمية": ١٩٢/٣٥، و"المقدمة" ابن خلدون: ٥١٩، و"أبجد العلوم" لصديق حسن : ٥٥١/٢

(٢) ينظر : "معجم لغة الفقهاء" لقتيبي وقلعجي : ٤٦٣

(٣) لفظة (الطاقة) مألوفة لدى الناس في مجال العلوم التجريبية، وتدل على الطاقة الفيزيائية بتحولاتها المختلفة فمنها الحرارية والنووية والميكانيكية وغيرها، لكن (الطاقة) المقصودة في هذه التكهنات هي قوة غيبية يسمونها (قوة الحياة) أو(القوة الحيوية)، وهو مبني على فلسفة الديانات الشرقية واعتقاد الطاقة الكونية التي يعتقدون أنها يمكن أن تضاعف قدرة الإنسان العلمية الكشفية فيطلع على مغيبات، وقدرته التأثيرية فيحرك الأشياء عن بعد ونحو ذلك! لاسيما إذا عمل على تنميتها بممارسة الطقوس والأنظمة الغذائية التي أعيدت صياغتها بشكل تدريبي يهتم بتغييب العقل والخروج عن حالة الوعي التام ! أوبتعلم أسرار الانتفاع بطاقة الحروف والأشكال الهندسية والأهرامات والألوان والأحجار الكريمة !

(٤) ينظر :صفحة التعريف بالكتاب في الخلف من علم الطاقات التسع لميتشو كوشي، ومن إعداد يوسف البدر.

الحياة البشريّة لا يُعد تنجيمًا أو علمًا بالغيب؛ فلا يعلم الغيب إلاّ الله ﷻ»[١]، ثم يقول: « أرجو أن تستفيد من هذا العلم في فهم طاقة كلّ إنسان عند ولادته وتأثيرها على ميوله وعواطفه وعلى صحَّته، وتدرك كيف أننا نطوّع هذا المفهوم ونسخِّره لخدمة قضايانا الصحيّة والاجتماعيّة، وكيف نوفق بين الأزواج مختلفي الطاقة »[٢]، ولعمر الله إنه التنجيم المحرم ولكن بصورة تتناسب وما وصل إليه الناس في العصر الحديث، فلم يعد أهله يقولون: من ولد في برج كذا فهو سعيد، ومن ولد في برج كذا فهو شقي، وإنما يقولون: من ولد ببرج كذا وجب أن يفعل كذا، ويحذر من كذا، ويأكل كذا، ويتزوج ممن ولد في برج كذا، ولا يسافر إلا في سنة أو شهر كذا، وفي اتجاه كذا، وتربح تجارته إن باع في شهر كذا! [٣] وليس بين الأمرين إلاَّ اختلاف صورة ، وربما لايعلم المسلمون الذين يمارسون هذه الكهانة العصرية أنفسهم حقيقة ما وقعوا فيه لجهلهم بهدي الرسول ﷺ وبطرق الباطل وحقائقها، ولأنّ تلقِّيهم لهذه العلوم كان في معاهد أو جامعات مما يعدُّ عند غالب الناس مصدرًا موثوقًا للمعلومات لا سيما إذا أحيط مقدموه بألقاب ونعوت توهم رسوخ أقدامهم في العلم[٤].

قال القرطبيّ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]: «وليس المنجّم ومن ضاهاه ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما شاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه، قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم وتبايُن رتبهم، مع اختلاف طوالعهم وتبايُن مواليدهم، ودرجات نجومهم فعمَّهم الغرق في ساعة واحدة فإن قال المنجم — قبَّحه الله– إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون مقتضى ذلك أنّ الطالع أبطل أحكام الطوالع الأخرى على اختلافها عند ولادة كلّ واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبدًا من

---

(١) المرجع نفسه : ٦

(٢) المرجع نفسه : ٧

(٣) ينظر للفائدة: "القول المفيد على كتاب التوحيد"للعثيمين:٢/١٢٥.

(٤) من ذلك: خبير الصحة،كبير المعالجين بالطاقة، وكبير المدربين المميز، ومستشار البحث عن مشاكل الإنسان الحيوية، خبير الماكروبيوتيك. وغيرها من الألقاب التي توهم بالمعرفة العصرية، بل والتخصص الدقيق.

عمل المواليد ولا دلالة فيه على شقيٍّ ولا سعيد ولم يبقَ إلاَّ معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم. وقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجِّم أنَّ طالع مولدي يقضي عليَّ بميتة الغرقِ!

قل للمنجم: صحبة الطوفان هل وُلد الجميع بكوكب الغرق؟ »[١]

ويكثر هذا الاستهداء بهذه الأمور الخفيَّة عند من ليس لديهم من هدى النبوَّات حظٌّ، أو ليس لهم من اتباع هديهم نصيب، ولذا قال ابن حجر: «كانت الكهانة فاشية خصوصًا في العرب؛ لانقطاع النبوَّة فيهم »[٢]، أمَّا تعلُّم الاستخارة الشرعيَّة التي كان الرسول ﷺ يعلِّمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن[٣]، فاستخار الله عند سفره وعند بيعه وشرائه وعند زواجه وفي كلِّ أمره لم يحتج إلى معرفة برجه وطالعه، وإن زعم من زعم أنّ له تأثيرًا على حياته؛ لذا يستغني المؤمنون بالغيب الحق بما جاءهم من الوحي وما عرفوا من هدى الأنبياء عمَّا عند غيرهم، ولابد لهم أن يحملوه للبشريَّة بفخر واعتزاز، وهكذا كان الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان وما ضلّ مؤمن في هذا الباب إلا لخفاء ما جاء به الرسول عليه، وقلّة نصيبه من الفهم الذي وفِّق له أصحاب نبيِّه الذين اكتفوا بما جاء واستغنوا به عما سواه.

٣.**الرمل**: وهو الخطّ على الأرض بنقط وأشكال خاصّة متعلِّقة بعدد الكواكب وأشكالها والعناصر الخمسة[٤]، ثم تفسير ذلك بما يزعمون من السعود والنحوس وغيرها[٥].

٤.**الفراسة التكهنيّة:**

وهي نوع من الكهانة يتستر باسم الفراسة؛ لذا ميّزتها بوصف(التكهنية) عن الفراسة والتوسم

(١) "الجامع لأحكام القرآن" : ٢٨/١٩ باختصار يسير.

(٢) "فتح الباري": ٢١٦/١٠

(٣) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى :﴿ قل هو القادر﴾ ،حديث رسول الله ﷺ :"إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ..."

(٤) هي الأرض والخشب والنار والماء والمعدن، ويعتقد أهل الديانات الشرقية بتأثيرها في الكون بناء على علاقة هدم وبناء خاصة، وتحولات دائمة بينها، وبناء على علاقتها بالكواكب. المرجع نفسه :١٥ :

-"Encyclopedia Britannica" 15th edition " Chinese Philosophy/Religion",Vol. 4, PP 417-422.

(٥) ينظر : "المقدمة" لابن خلدون : ١٠٣، ١٠٨

الوهبي[١]، فلم تعد الفراسة في عصرنا تعني ذلك الخاطر الذي يحصل لأهل التقوى، كما لم تعد تعني تلك الملكة التي يستدلّ بها على بعض الأخلاق والأفعال من الملامح والكلمات والنظرات[٢]، وإنما انحرف مفهومها إلى نوع من الكهانة وأصبحت ترمي إلى التنبُّؤ بالغيب استدلالاً بالخطوط الموجودة في الأكفّ والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر[٣]على أحوال الناس والسعادة والشقاوة والغنى والفقر وما شابهه وزعم علاقة سرّية بين الألوان والأشكال، وبين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعيَّة وأنّ هذه العلاقات تنبئ عن المستقبل والماضي[٤]، أو الاستدلال بخط الشخص وتوقيعه على ماضيه أو مستقبله من سعد ونحس، فخلطوا بين الفراسة والتوقع والتخرص، وأصبحت الفراسة الحديثة من علوم الشعوذة والكهانة[٥]

### ٥.علوم الأسرار[٦]ومنها علم الحروف:

وموضوعه الحروف الهجائيّة، وهو مبنيٌّ على خواصِّ مزعومة للحروف إفرادًا وتركيبًا بحسب معتقدهم أنّ للحروف جسمًا وروحًا ونفسًا وقلبًا وعقلاً وقوّة كليَّة وقوة طبعيّة(طاقة)، وتتعلَّق بخواصّ الحروف، فيزعم أهل هذه العلوم أنهم يمزجون قوى الحروف والكلمات بقوى الكواكب؛ فيرشدهم هذا المزج –بزعمهم– إلى المغيَّبات[٧]، ويدلُّهم على المقدَّرات[١]، ويعتمدون فيه على

(١) تراجع صفة الفراسة ص٧٤ من هذا البحث.

(٢) ينظر : "الذريعة إلى مكارم الشريعة" للراغب الأصفهاني : ١٨٧، و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير: ٤٢٨/٣

(٣) يسمى بعضهم هذا النوع (علم الأسارير).

(٤) ينظر : "مفتاح دار السعادة" لابن القيم : ٣٥٢/١ ، و"التنجيم والمنجمون" للمشعي : ٣٠١

(٥) ينظر على سبيل المثال: "الفراسة"للفخر الرازي، و"علم الفراسة" لإحسان حقي، و"علم الفراسة والتشخيص"لميتشو كوشي، ترجمة يوسف البدر، و"الفراسة بين الأمس واليوم" لجمال الكاشف، وسترى من أول الصفحات أنك تطالع كتبًا في الكهانة والرجم بالغيب ليس لها من الفراسة إلا الاسم زيفًا وتضليلاً.

(٦) تسمى علومًا وهي جهالات وضلالات، قال ابن تيمية: « ومن الكلام ما يسمى علمًا وهو جهل، مثل كثير من علوم الفلاسفة وأهل الكلام، والأحاديث الموضوعة والتقليد الفاسد وأحكام النجوم. ولهذا روي: إن من العلم جهلا، ومن القول عيًّا ومن البيان سحرًا » "الاستقامة" : ١٦٠/٢

(٧) ومنه حساب الجُمّل، وقد قام على أساس هذا العلم الفاسد كثير مما سمي (الإعجاز العددي في القرآن) وتهوّك= =فيه طائفة من الباحثين ومن ذلك تحديد وقت زوال دولة إسرائيل بعام ٢٠٢٢ م ، ينظر: "الإعجاز العددي في القرآن" لبسام الجرار وله :"زوال إسرائيل ٢٠٢٢ نبوءة أم صدفة رقمية"، و"الإعجاز العددي" لعبد الرزاق نوفل، و"تنبؤات مستقبلية"

كتاب (الجفر) الذي يزعمون أنه مشتمل على حوادث الزمان على مرّ العصور من طريق علم الحروف [٢]، وأضاف من تأثَّر بهم من المسلمين الكلام في خواصّ أسماء الله الحسنى بناء على أسرار حروفها لاستنتاج الاسم الأعظم، أومعرفة ما يزعمون من خواصّ شفائيّة لكل اسم، أو معرفة ما يُدّعى من خُدَّام الأسماء الذين يتولَّون قضاء حاجات الداعي أو إخباره عن الغيبيَّات.

ومن الكهانة أيضًا الكلام عن المغيَّبات بوسائط كثيرة كالنظر في الأجسام الشفَّافة، وفي المرايا وطساس الماء، وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وقراءة الفنجان واستنباء الطيور والسباع، ومنها الزجر وهو التكلُّم بشيء من الغيب عند سنوح طائر أو حيوان والفكر فيه بعد مغيبه، وقراءة الخطّ حيث يتنبَّؤون – من خطِّ الشخص وطريقة كتابته – بماضيه ومستقبله وما يحبّ ومايكره وكثير من مكنونات صدره، ومن الكهّان أهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى ونحوهم[٣]، وهؤلاء يزعمون أنّ كلّ ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام يستخرج به علم لما يستقبله، وتسمى أحيانًا بعلوم التأثير وهي خلاف الفأل الشرعي الذي كان يعجب النبيّ ﷺ[٤].

وقد راجت في عصرنا كثير من هذه الصور بالإضافة إلى صور جديدة تتخذ أسماء علميَّة نحو (علم الطاقة) بأنواعه المختلفة ،أوتحت ستار (تحليل الشخصيّة)[٥]، فلبست الكهانة

---

لمحمد سلامه، وذكر فيه متى تكون نهاية أمريكا وتاريخ ميلاد المهدي، وملخص لأهم الأحداث من عام ٢٠٠٧ إلى ٢٠٧٠م زاعمًا استخراج ذلك كله بإعجاز القرآن العددي في تمحُّل ظاهر لا يخفى، وإن كانوا يؤكدون بقولهم – غفر الله لهم –: «وهي احتمال راجح، ولا نقول بيقين» احترازًا من أن يرموا بالرجم والكلام في الغيب، إلا أن ترجيحهم لا يعتمد على مرجحات يعتد بها – إلا ما صدقوه من شفرات الأرقام وأسرارها وحساب الجمل– لذا فهو حقيقة الرجم بالغيب وإن سموه بغير اسمه. ينظر: "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" للرومي عند حديثه عن الإعجاز العددي : ٦٩٧/٢، ينظر تعريف علم حساب الجُمل هامش ص٥١ من هذا البحث.

(١) ينظر : "المقدمة" لابن خلدون : ٤٨٨ ، و"مفتاح السعادة" لطاش كبرى زاده : ٥٩٢/٢

(٢) ينظر : "المقدمة" : ٣٣٤

(٣) ينظر : المرجع نفسه : ٩٧

(٤) ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٨٠/٤،والحديث أخرجه البخاري،كتاب الطب، باب لاعدوى، رقم: ٥٧٧٦ ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، رقم: ٢٢٢٤ .

(٥)كتحليل الشخصية من خلال أول حروف الاسم، أو من خلال اللون المحبوب، أو نوع الحيوان المفضل وغير ذلك كثير، ويظهر في استخدامهم مصطلح تحليل الشخصية التلبيس الذي يلبسون به على الناس إذ يظن طلاب هذه التحليلات أنها أداة علمية بناء على المعروف من المقاييس العلمية وطرق الاختبار الاستقرائية الرامية للكشف عن سمات

بهذه الأسماء ثوبًا عصريًّا في ظاهرها أو طرائق عرضها، وجدّدت أساليبها، وبعثت صورها القديمة. وفيما يلي عرض بعض الصور الكهانة التي انتشرت في العصر الحديث:

أ. ما يسمّى **طاقة البنْدول**: وهي طريقة للمعرفة المغيبة تعتمد استخدام آلة متأرجحة توضع فوق رأس الشخص، أو فوق البطن – ويستعمل غير المحترفين إبرة معلّقة بخيط عوضًا عنه – ثم ينظر إليه وبحسب اتجاه دورانه وعدد الدورات يكون الخبر عن نوع جنين امرأة حامل، أو نوع المرض أو وقته، أو صلاحيَّة مهنة لمستقبل إنسان أو فسادها، أو نجاح سفر أو تجارة ونحو ذلك[1]. ويعدّ معتنقو (فلسفة الطاقة) البندول جهازًا لقياس طاقة الأجسام الحيوية ومن ثم يبنون عليها تنبؤاتهم بالصحة أو المرض، وبالسعد أو النحس في أمر ما كسفر أو زواج أو مسكن ونحوه!

ب. ما يسمّى **العلاج بخط الزمن**: وهو نمط جديد للرمل، وصورته أن يخط المعالج (الكاهن) خطًّا وهميًّا على الأرض أو الجدار؛ ليتخيَّل الشخص المعَالجَ أنّ هذا الخطّ هو الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله؛ حيث يؤمن أصحاب هذه الطريقة بأنّ ذكريات الإنسان وقراراته وتجاربه وأقداره الجيِّدة والسيِّئة، السابقة والآنيَّة والمستقبليّة تحفظ متسلسلة على شكل خطّ يتّصل في نقطة ما بالكون ويمكن الوصول لها عن طريق الاتصال في حالة (اللاوعي) بـ (اللاوعي الجمعي) ومن ثم التأثير فيه، فخطّ الزمن هو الذي تجري عليه الأقدار وهو مصدر الأحداث ومخزنها، كما في المفهوم الإغريقي القديم عند أرسطو وغيره في أن الإنسان يخزّن تجارب حياته على شكل خطوط محدّدة ويمكن التأثير فيها.

ويعتمد أصحاب هذه الممارسة على مبادئ التنجيم، فيزعمون أنَّ لكلِّ شخص نجمًا خاصًّا، ومن خلال التأمُّل والتخييل أو التنبُّؤ في بعض الأحيان يتولَّد إحساس عميق في معرفة الشخص ذاته (من أين أنا؟) وعندها يكتشف خطّ الزمن الخاصّ به ويراه، ويتصّل من خلاله بالكون، ويصل إلى ما يريده من المعارف الماضية أو التطلُّعات المستقبليَّة! لذا ينصب الاهتمام

---

أو ميول إيجابية في الشخصية خلال مقابلة الشخص أو ملاحظة بعض فعاله أو تصريحاته. أما ما يتعلق بأحداث الماضي أو المستقبل أو مكنونات الصدر دون قرينة صحيحة فماهي إلا كهانة وإن اتخذت من تحليل الشخصية ستارًا لها. قال الدكتور ابراهيم الحمد معلقًا على الاعتقاد بتأثير تاريخ الميلاد أو الاسم: «كل ذلك شرك في الربوبية ؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب » ينظر كتابه :"رسائل في العقيدة" : ١٠٣

(١) ينظر : مقدمة كتب "سر طاقة البندول" لجريج نيلسن، ويوسف بولانسكي، ترجمة فارس ظاهر : ٩

أولا على تدريب الشخص لاكتشاف خطّ الزمن الخاص به، وذلك بعد تغيير وعي الشخص بمساعدة الأصوات الهامسة والأضواء الخافتة إلى حالة (اللاوعي) الذي من خلاله يمكن الوصول إلى معرفة ماضي الشخص ومستقبله والتأثير عليه، من خلال إجابته عن بعض الأسئلة الموجّهة إليه لاستخلاص ما في ذاكرته من أحداث ماضية وجمع المعلومات عن شخصيّته وعواطفه وأفكاره السلبيّة والإيجابيّة حول الأحداث السابقة وأمنياته المستقبليّة، ويزعمون أن الشخص الذي يصل لخط زمنه ينكشف له الماضي، ويعيش أحداثه مرة أخرى، ويخبر عنها خطوة خطوة حتى يخبر بتفاصيل ما حدث قبل إدراكه وتمييزه، كأن يخبر بما يسمع وهو جنين في بطن أمه[(١)]!!بل قد يخبر عن أمور رآها قبل أن يوجد في هذه الحياة[(٢)]! ثم يُكشَف له الزمن المستقبل ويتحدَّث عن أمنيات مستقبله ويتخيّلها وكأنه يعاينها معاينة ويعيش أحداثها ويقابل أشخاصًا ويحدِّثهم[(٣)]!وقد يحدث كثيرًا أن تجري بعض الأمور على ما وصفها في حالته تلك، وقد يلقى في مستقبله الحقيقيّ الأشخاص الذين لقيهم وهو في الزمن المستقبل أثناء جلسة العلاج بخطّ الزمن!

وأصحاب هذه الممارسة في الغرب يزعمون أنّ لديهم إرادة حرَّة مطلقة مضادّة للقدر تمكّنهم من تغيير حياتهم ماضيها ومستقبلها باختيار منهم!

---

(١) ينظر: "التنويم"لصلاح الراشد:٤٢

(٢) تعتمد فلسفة العلاج بخط الزمن على عقيدة تناسخ الأرواح، وعلى قانون الكارما الذي يحكمها، فتفسّر ما في المريض من داء أو نحس وشقاء على أنه متعلق بحياة سابقة له لا يذكرها في حالته العادية، وتكشف له عندما يكشف له الماضي عن طريق خط الزمن، أكد ذلك مخترع العلاج بخط الزمن تاد جيمس في كتابه :

-"Time Line Therapy and the Basis of Personality", Tad James & Wyatt Woodsmall, Meta Publications, 1988.

(٣) انتشر هذا النوع من الكهانة في العصر الحديث وهو مسجل كاختراع باسم (تاد جيمس) وهو دكتور ساحر وأحد رواد الباطنية الغربيين في العصر الحديث. وامتهن العلاج بخط الزمن بعض أبناء الإسلام جهلاً منهم بحقيقته فظنوه مهارات نفسية علاجية! وعلى يد هؤلاء المبتدئين لا يصل كثير من المعالَجين إلا إلى الخيال القوي بينما يؤكد الذين تدربوا على يد (تاد جيمس) أنه يعيدهم عبر خط الزمن إلى ماضيهم وأحياناً إلى حياتهم السابقة – بناء على عقيدة التناسخ – ويصلهم عبر خط زمنهم بالكون، ليكتشفوا أسباب سعادتهم وشقائهم ويعالجونها! ولا عجب فالجن يعينون أوليائهم من الكفرة والسحرة أكثر .

فالعلاج بخطّ الزمن صورة جديدة للكهانة التي جاء التحذير والوعيد منها كما صحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: "العيافة والطيرة والطرق من الجبت"[(١)]، فكلّها أمور تشترك في ادّعاء المعرفة بالغيب والاستدلال على ما يجري من الحوادث والحالات بظنون حدسية وتخمينات، كما أن لها تعلق بإعانة الجن لأهلها سواء كان بطلب منهم واستعانة بهم أو إعانة لهم فتنة وإغواء «فالإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض الأخبار تفعله الجن كثيرًا مع الكهان، وهو معتاد لهم مقدور...والرب قد أخبر في القرآن أن الشياطين تنزل على بعض الناس فتخبره ببعض الأمور الغائبة» [(٢)] قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

ج. ما يسمى **جلسة تحضير الأرواح**: وهي جلسات خاصّة تجري فيها طقوس معيَّنة في غرفة مُعدَّة بأضواء خافتة وشموع، ويستخدمون فيها شخصًا يسمونه الوسيط، يزعم أنه من ذوي الاستعدادات الفطريّة الخاصّة للاتّصال بأرواح الموتى، واستنبائهم عن الغيب، أو استعمالهم في الشفاء ونحوه [(٣)].

وتقوم تلك الجلسات أحيانًا على مجرّد دجل وخداع،ولكنّ أكثرها يعتمد على استخدام الجنّ والشياطين، وقد كان أسلوب التعامل مع الجن على أنهم أرواح موتى شائع منذ القدم قال ابن تيمية:« ومن هؤلاء [ أهل الحال الشيطاني من الكفرة والمشركين والسحرة ونحوهم] من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت يكلِّمهم، ويقضي ديونه، ويردّ ودائعه...وهو شيطان تمثّل في صورته فيظنُّونه إيَّاه»[(٤)]، إلاّ أن الروحيّة الحديثة وضعته في قوالب جديدة، فكثير من أشكال الكهانة الجديدة تحاط بما يخفي حقيقتها، بل إنّ الذين يمارسونها أنفسهم قد لا يعرفون أنهم يمارسون الكهانة لما زين لهم الشيطان وأمدهم في باطلهم؛ لذا يكثرون من

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الطب،باب في الخط وزجر الطير، رقم ٣٩٠٧، وأحمد في المسند ،رقم: ١٥٤٨٥، وحسنه النووي في رياض الصالحين ،رقم : ١٦٦٧، وقال الراوي عوف : العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض .

(٢) "النبوات" لابن تيمية : ١٠

(٣) ينظر للفائدة : "الروحية الحديثة دعوة هدامة :تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية"، فقد فصّل كاتبه محمد محمد حسين حقيقة ما يفعلون بعد أن عايشهم وعرف حقيقة ما يفعلون، وينظر: الفتوى الصادرة بشأن هذه الجلسات:الفتاوى الذهبية، ٢٣٠

(٤) "جامع الرسائل" : ١٩٤

الاستدلال بالآيات والأحاديث، ومن استعراض نماذج من كرامات الصالحين التنبُّئيّة، إلاّ أنّ الأصل الموضوعي الواحد لكافّة أنماط الكهانة وأشكالها ظاهر وهو محاولة اختراق الغيب من غير طريق الوحي المعصوم.

وقد سميت بعض صور الكهانة (خوارق الباراسيكولوجي) أو(خوارق اللاشعور)[١] ويدّعي متعاطوها ومروجوّها أنها مجرّد أمور خارقة للعادة لم يتوصَّل إلى تفسيرها[٢]، ولم يكن طريق تحصيلها متاحًا للجميع فيما سبق، أمَّا الآن – في عصر العلم– فقد أوشكت أن تكون أمورًا معتادة في متناول الجميع! فهي إنما تحدث بملكة أو قوَّة من قوى النفس قد تظهر عند شخص كموهبة فطريَّة، كما يمكن لأي أحد اكتسابها أو تنميتها بالتدريب، وأوّل طريق ذلك تغييب العقل الذي يرفض مثل هذه الفكرة ويُخضع أمور عالم الشهادة لاستدلالات وقياسات؛ لذلك اعتمدوا في تطبيقاتهم الكثيرة على التنويم لينطلق (اللاواعي) من إسار العقل الواعي ويسمونه العملاق أو القبطان الخفيّ أو الذات الحكيمة، فيتخطّى حدود عالم الشهادة، بل حدود عالم العقل والقدرات البشريّة المحدودة[٣]، وهو ذات ما كان يفعله الكهَّان الذين كانوا يعمدون غالبًا إلى تغييب الوعي[٤]؛ باستدامة النظر فيما يستخدمون من المرايا أو الماء ونحوه، أو ترديد

(١) ويقصدون بها كل الظواهر التي تحدث خلاف العادة في العلم أو العمل.

(٢) اعتقد بعض المصنفين من المعاصرين صحة هذه الادعاءات نتيجة للبوس العلم التي تلبسها وأشاروا لها في كتاباتهم على أنها حقائق علمية جديدة والأمر خلاف ذلك، وكان الأولى بهم التثبت أو الوقوف، وعدم الاعتماد على ما يشاع من دعوى مصداقيتها، حتى لا نورِّث تراثًا مضللا للأجيال القادمة يتعلمون منه أن معرفة المغيبات ملكات تكتسب، وتغييب العقل عمل مشروع، والعلاج بالأحجار والأهرام علم تجريبي! والطاقة الفلسفية كالطاقة الفيزيائية حقيقة علمية. ينظر على سبيل المثال أنواع الضلالات التي عدّها طنطاوي جوهري حقائق علمية:"تفسير الجواهر في تفسير القرآن": ٨٤/١، ٢٩/٨، ٢٩/١٨.

(٣) نشطت تطبيقات الفلسفة الروحية في ظل ازدهار حركة الترجمة والتأليف والنشر فامتلأت رفوف المكتبات بكتب (الباراسيكولوجي) و(الماكروبيوتيك) التي تختلط فيها الكهانة بالسحر والشعوذة بشيء من العلوم العامة والنصوص الدينية، وتروّج لتطبيقات الشرك والوثنية! كما أن المتصفح للشبكة العنكبوتية يرى كثرة ما يروّج له منها في مواقع المدربين المسلمين تحت سحابة من النصوص الشرعية! بتأويلات باطلة وأفهام سقيمة .

(٤) يفسر ابن خلدون غيابهم عن الوعي بأن سببه رفع حجاب الحس عنهم فتبدو لهم مدركاتهم النفسانية! بناء على الأصل الفاسد الذي ذهب إليه من أن الكهانة ملكة وصفة واستعداد فطري وإن كانت مذمومة ! ويؤكد ابن= =خلدون — غفر الله له — أن علامة تنبئهم خروجهم عن حالتهم الطبيعية إلى مبادئ غيبة عن الحس كالتثاؤب والتمطمط، ومن لم توجد له هذه العلامة فليس من إدراك الغيب في شيء، وإنما هو ساع في تنفيق كذبه! فما أعجب قوله– يرحمه الله – وكأن اصطناع هذه العلامة عسير، وكأن من تأتيه العلامة ويغيب عن وعيه يكون كلامه من إدراك غيب وليس من تلاعب

سجعهم حتى يغيب وعيهم ويأتيهم شيطانهم فيخبرهم بأمر مغيَّب كمكان شيء مفقود، أو اسم سارق أو قاتل، وقد يكون خبرهم حقًّا أوكذبًا[(١)]، إلاّ أنه في كلّ حال كهانة يحرم استماعها وتعاطيها وتصديقها بما هو معروف من أحاديث رسول الله ﷺ، «والجنيّ إذا أراد أن يُري قرينه أمورًا غائبة سئل عنها؛ مثلها له، فإذا سُئل عن المسروق؛ أراه شكل ذلك المال، وإذا سُئل عن شخص؛ أراه صورته، ونحو ذلك»[(٢)].

**قيمة الحق في المعرفة التكهنية:**

يخرج مجال الغيب عن قدرات الإنسان العادية؛ لذا يستعين الكهان في معرفته بالجنّ والشياطين الذين يعلمون بعض ما غيّب عنا، ويخبرون به أولياءهم مع بعض أكاذيبهم، بين ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال النبي ﷺ: "ماكنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟" قالوا: كنا نقول يموت عظيم، أو يولد عظيم. قال رسول الله ﷺ: "فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرًا سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كلّ سماء، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع، فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه فهو حقّ، ولكنهم يزيدون"[(٣)]، فالشياطين تخبر أولياءها ببعض ما تستطيعه من غيب نسبيّ، وتخلط معه باطلاً من عندها.

---

الشياطين به .

(١) ليس بمستغرب عند من يتلقى خبر الغيب من الوحي أن يكون في كلام الكهان بعض الصدق، وأن تتحقق بعض تكهناتهم وتنبؤاتهم في الواقع فقد شرح ذلك رسول الله ﷺ كما ذكر أعلاه، ومما يجب العناية به حتى لا تزل الأقدام في أمثال هذه المسائل – التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فتكذيبهم وعدم الالتفات إلى تنبؤاتهم هو مقتضى الإرادة الشرعية. يقول الباحث بسام سلامه: «والغريب أن تكهنات الكهان كانت تصدق في بعض الأحيان»! "الإيمان بالغيب" : ٢٧٧. ويقول أحمد الشنتناوي في كتابه "التنبؤ بالغيب" ص١٢ : «إن التنبؤات الكاذبة لا يجب أن تقلل من قيمة النبوءات على الإطلاق ولا تقلل من مصداقية أخبارها في العادة » !

(٢) "النبوات"لابن تيمية : ٤١٣

(٣) أخرجه مسلم ،كتاب السلام،باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم: ٢٢٢٩

ومنه ماهو كذب محض وإغواء من الشياطين لبني آدم: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦]، فـ « الشياطين كثيرًا ما تتصوّر بصورة الإنس في اليقظة والمنام، وقد تأتي لمن لا يعرف، فتقول: أنا الشيخ فلان، أو أنا أبوبكر، أو أنا إبراهيم، أنا محمد... ومنهم من يزعم أنه يدخل الحجرة ويسأل النبيّ فيجيبه» [١].

وقد ذكر التاريخ أنّ الأسود العنسيّ[٢] الذي ادّعى النبوّة كان يخبر ببعض الأمور المغيبة، وكذلك مسيلمة[٣]فقد كانت شياطينهم تخبرهم بهذا.

ومثل ذلك يحدث كثيرًا عند أهل الزيغ والضلال فإنّ الصابئة «أصحاب دعوات الكواكب الذين يدعون كوكبًا من الكواكب ويسجدون له ويناجونه...فإن هؤلاء تنزل عليهم أرواح تخاطبهم وتخبرهم ببعض الأمور، وتقضي لهم بعض الحوائج، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، ومنهم من يظن أنها ملائكة وإنما هي شياطين تنزل عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف:٣٦]»[٤]، وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

وقد كان في أصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة؛ ولكن ليس بمتّبع للرسل، ولا يؤمن بما جاءوا به، ولا يصدقهم بما أخبروا، ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين، وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الأمور، ولهم تصرُّفات خارقة من جنس السحر، وهم من جنس الكهّان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين. قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ

---

(١) قال ابن عبد البر لمن يدعي هذا : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟ فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت وأجابه ؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها؟ ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٠٧/١٠

(٢) هو عبهلة بن كعب بن غوث، ادعى النبوة في زمن النبي ﷺ، قتل سنة (١١هـ). ينظر: "البداية والنهاية": ٤٢٥/٩

(٣) هو مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، يضرب به المثل في الكذب، ادَّعى النبوة على عهد النبي ﷺ فألزمه الله لقب الكذَّاب، قتل سنة (١٢هـ) . ينظر : "البداية والنهاية": ٢٥٢/٧، ٥٠٦/٩

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٥١/١٠

كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]. فهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متَّبعين للرسل فلا بدّ أن يكذبوا، وتكذبهم شياطينهم، فهم من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن[١].

والخلاصة أنّ هذا السيل من الأساليب القديمة والجديدة إنما هو صور متنوّعة لملّة واحدة هي ملّة إبليس، فالكهَنة رُسل إبليس، يهرع إليهم كلّ من لا يعتصم بما جاء به الرسل، فهم عند أتباعهم بمنزلة الرسل[٢]، ورسالتهم الكفر لذا فقد حرم الله ﷻ سؤال الكهنة أو مطالعة ما يخبرون به من المغيبات، لاسيما وقد أغنى الله عباده بما كشف لهم ﷻ بطريق الخبر الصادق عن كلّ ما يفيدهم ويطمئن نفوسهم من أمر الغيب، وتعبّدهم بالإيمان بما حجبه عنهم، والانشغال بما أمرهم بمعرفته والعمل به، قال رسول الله ﷺ: "من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"[٣].

ويمثّل تراث التكهُّنات والرجوم الغيبيَّة جزءً مهمًّا من الكتب المقدَّسة لدى أصحاب الأديان الوثنيّة، يتلقَّون عنه معتقداتهم وتصوُّراتهم للوجود والكون والحياة، كما يأخذون منه طريقة عبادتهم واتّصالهم بعالم الغيب، وفي المطلب التالي بيان أبرز هذه الكتب.

---

(١) ينظر : المرجع نفسه: ٤٥٢/١٠

(٢) ينظر :"إغاثة اللهفان" لابن القيم : ٢٧١/١

(٣) رواه أبوداود، كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم: ٣٩٠٤، ورواه أحمد في المسند : ٣٢٩/٢ ،رقم: ٩٢٥٢ وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك: ٧/١ ، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في المشكاة : رقم ٤٥٩٩

## المطلب الثالث
## الكتب المقدسة في الأديان الوثنية

الكتب المقدّسة عند الأديان الوثنيّة كثيرة ومتنوّعة، وتختلف من دين إلى دين، بل من طائفة إلى طائفة، ودراسة هذه الكتب تبيّن أنها مجموعة أقوال لمن يسمُّونهم العارفين أو المستنيرين أو الحكماء، الذين هم فلاسفة أو كُهّان.

وهي كتب تشتمل على حقّ وباطل، وتزخر بالأساطير والكلام الغامض (الأسرار) التي تخضع عبر العصور لتفسيرات الكهَّان وشروحهم، ومن أشهر هذه الكتب:

١.**الكتب المقدّسة في أديان الشرق:**

يزخر الشرق أقصاه وأدناه بأديان كثيرة، متنوّعة ومتداخلة وذات جذور ضاربة في عمق التاريخ، وقد كانت سابقة لفلسفات الإغريق، فكثير من المؤرِّخين يقرِّرون بأنَّ الفلسفة اليونانيَّة القديمة مستقاة من منابع الفكر الفلسفيّ الفرعونيّ والهنديّ والبابليّ[١]، والكتب المقدّسة في هذه الأديان كثيرة جدًّا؛ إذ أصل الفلسفة القائم على تقديس الوجود كلّه؛ يجعل القداسة مطَّردة في المخلوقات والكلام والأفكار؛ إذ ليس التقديس وصفًا لإله حقّ مباين لخلقه ﷻ وإنما هو عندهم صفة لألوهية تتمازج وتتّحد – تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا– مع عناصر الوجود بحسب معتقد وحدة الوجود الذي تقوم عليه تلك الفلسفات.

ومن هذه الكتب مطبوع متداول، ومنها مخطوط بلغات شبه مندثرة مثل (الهيروغليفية) و(السنسكريتية) و(البالية) [٢]، فلا يفكّ رموزها وأسرارها إلاّ الكهّان الذين يسمُّونهم الحكماء، والقسم المتداوَل منها يعتمد على مجموعة كتب أصلية تعدّ هي منابع هذه الفلسفات وأصولها، ومن أشهرها:

**أ.كتب (الفيدا)** المقدّسة لدى الهندوس[٣]وغيرهم من أديان الشرق: والفيدا كلمة

---

(١) ينظر : "الفكر الشرقي القديم" : ٦

(٢) الهيروغليفية هي لغة الفراعنة القدماء، والسنسكريتية لغة الهند القديمة، والبالية لغة أهل التبت.

(٣) الهندوسية هي أكبر ديانة هندية وتعد صورة مطورة للفيدية والبرهمية التي تسبقها في الهند ولا يُعرف للهندوسية مؤسس. وليس لها عقيدة محددة. ينظر :"أديان الهند الكبرى" لشلبي:٣٧،و"فصول في أديان الهند" للأعظمي:١٤، "الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى":٩

باللغة السنسكريتية، معناها: العلم والحكمة، ويؤرّخ لبدايات نصوصها بـ ١٥٠٠ق.م، وكانت نصوصها مصدر إلهام للفلاسفة الهنود على امتداد العصور، فكتبوا على متونها الشروح حتى العصر الحالي، ومن أشهر ما كتب من شروحها: الأسفار المقدسة الأربعة وهي: (ريج فيدا، ياجور فيدا، سآم فيدا، آتور فيدا)، ويعدّ (ريج فيدا) الذي يعني أشعار الحكمة المصدر الأدبيّ المهم في الثقافة الهنديّة، فألحقت نصوصه بنصوص (الفيدا) كأجزاء ختامية مع نصوص تسمى (الأوبيشناد) وهي حافلة بالفكر التأمُّلي فيما يتعلَّق بأسرار الحياة[1].

وقد جمعت (الفيدات) خليط العلوم الروحانيّة والأناشيد الدينيّة للعبادة، والأساطير والملاحم التاريخيّة وقوانين القرابين ومقالات السحر والرُّقى الروحانيّة، يقول أحد مفسِّري (الفيدا) أنه يشتمل على أفكار ثلاثمائة ناسك.

ب. **كتاب (منو اسمرتي)** ويعدّ خلاصة التشريع الهندوسيّ، وهو كتاب مؤلَّف من اثني عشر بابًا، يبحث كلّ باب في موضوع من الطقوس والعادات ومنهج الأخلاق والسياسة والاقتصاد والإدارة، وأمور الزواج والمرأة وغير ذلك.

وتؤرِّخ الدراسات التاريخيَّة بدايته ما بين القرنين السادس والعاشر قبل الميلاد، مع أنّ من الهندوس من يدّعي أنَّه أزليّ وقديم من الإله (برهما) ألهمه للإله (منو)، وأصله مكتوب باللغة السنسكريتية[2].

ج. **كتاب (تري بيتاكا)** المقدّس عند البوذيِّين، وهو يتضمَّن النصوص الدينيّة التي جمعتها المجامع البوذيّة المختلفة طيلة قرون، وينسب البوذيُّون الكتاب إلى بوذا وأتباعه الأولين، وإن كان قد دُوِّن بعدهم بقرون طويلة.

ويشتمل الكتاب على نظام الرهبنة وقوانينها، ويروي سيرة بوذا وأهم خطبه وتعاليمه، والطقوس الدينيّة لطالب البوذيّة، وفي قسمه الأخير شرح للقضايا الفلسفيّة المعقّدة التي قامت عليها الديانة البوذية[3]، والأصل الذي استنبطت منه تعاليمها[1]، بالإضافة لما يسمونه (انجيل

---

(١) ينظر :"قصة الحضار" لول ديوارنت : ٣٨/٣ ، و"الفكر الشرقي القديم" لجمال المرزوقي: ٢١٧، و"الفلسفة في الهند" لزيعور : ٣٣٠

(٢) ينظر : مقدمة "منو اسمرتي"، شرح وتعريب إحسان حقي .

(٣) هي ديانة من ديانات الهند الكبرى قامت كحركة معاندة لبعض الأفكار الهندوسية، وكردة فعل للنظام الطبقي= =المعتمد فيها، لذا كان أساسها رعاية المنبوذين والتخلص من الألم، أسسها (بوذا) ، وانحسرت مؤخرًا من الهند إلى التبت

بوذا) الحاوي على قصائد تعدّ من أهم التراتيل البوذية تتحدث عن التأمُّل والحبّ والجمال[٢].

كذلك يوجد لدى أهل الديانة السيخيّة[٣]والجينيّة[٤]وغيرها من أديان الهند كتبهم الخاصة إلاّ أنّ كتب الهندوسيّة والبوذيّة أوسع انتشارًا لكون الديانتين أكثر تابعًا من غيرها، وكتبها معتمَدة لدى أصحاب الديانات الأخرى مع وجود كتب خاصّة لكلّ ملّة.

ومن أشهر الكتب المقدسة في أديان الصين (الكلاسيكيات) وتشمل تراثًا فلسفيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا صينيًّا وعددها تسعة، خمسة منها تنسب لـ (كنفشيوس) وتعرف باسم الجنحات الخمسة، أي: كتب القانون الخمسة، وهي: ( لي-جي)كتاب الشعائر، و( إلاي-جج) كتاب التغييرات وهو المتضمن للأبحاث الماورائية، و( الشي-جج )كتاب القصائد والأناشيد التي تصف كُنه الحياة البشرية وأهم تعاليم الحياة السعيدة، وكتاب (التشو-شيو) وكتاب (الشو-جج) في تاريخ حضارة الصين، أمّا الأربعة الباقية فتعرّف بكتب الفلاسفة، ويعتقدون أنها بوحي منه لتلامذته كتبوها بعد وفاته، وآخرها منسوب لتلميذه الأعظم (منشيوس) الذي له مجموعة آراء في الماورائيات والأمور الغيبيّة في بداية الكون والإنسان والوجود، وفي الموجودات وغيرها[٥].

---

والصين واليابان ومازجت الأديان هناك وتلونت بصور كثيرة ، ينظر: "البوذية"لنمسوك :٢٠، و"أديان الهند الكبرى":١٣١، و"فصول في أديان الهند":١٢٩، و"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى":٧١

(١) ينظر :"البوذية" لنمسوك : ٢٤-٣١ ، و"أديان الهند الكبرى" لشلبي : ١٨٥

(٢) ينظر: " الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى": ١٨١

(٣) هي ديانة هندية جديدة بالنسبة للديانات الهندية الأخرى، وهي مزيج من الآراء والمعتقدات المقتبسة من عدد من الديانات، أسسها (نانك) ووضع لها كتابها المقدس (كرو كرنتها صاحب) جمع فيه أمورًا متناقضة وعقائد متضاربة، ففيه مزج عجيب بين عقائد وشرائع من الإسلام والهندوسية والبوذية وغيرها من الأديان. ينظر:"فصول في أديان الهند" للأعظمي:١٦٦،"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى":١٧٣

(٤) وهي أحد ديانات الهند التي يدعي أتباعها أن دينهم أقدم دين في العالم وأن (مهابير) زعيمهم إنما جدد أصول ديانتهم ونشر عقيدتها وقد سبقه ثلاثة وعشرون زعيمًا يعتقد الجينيون فيهم الألوهية، ومن أقدس كتبهم كتاب(تتوارت سوترا) الذي هو إلهامات مهابير المدونة.ينظر: "أديان الهند الكبرى":١١٤، و"فصول في أديان الهند":١١٣، و"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى":١٥١

(٥) ينظر : "فلاسفة الشرق" : ٢٦٩، و"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى" : ٢٢٨

ويوجد في الصين واليابان كُتبًا غير هذه بحسب الديانات المختلفة إلا أن كتب الكنفشيوسية[١] السالفة الذكر مقدسة حتى لدى أهل الديانة الطاوية[٢] والشنتوية[٣] وغيرها لا تختلف كثيرًا عن مضمون هذه الكتب فتشمل جانبًا فلسفيًا لتفسير الغيب الماضي والوجود والحياة ، وتشمل جانبًا تشريعيًا يتناول الأخلاق والآداب وتعاليم نظام الحياة .

وفي خضم الاهتمام المتزايد في الآونة الأخيرة بإحياء الوثنيات تحت اسم ( التراث المعرفي) أو(الحكمة القديمة) تُرجمت كثير من هذه الكتب، ومن ثم سرت مفاهيمها ومبادؤها وتطبيقاتها الحيوية ظهرت ترجمات لنصوص (الحكمة الفرعونيّة) وأشهرها (حكمة بتاح حوتب)[٤]التي حوت فلسفة عن التكوين وتعاليم وطقوس للحياة العامة مع أناشيد وترانيم متنوِّعة[٥].وكذا (حكمة زرادشت ) الفارسية ، وكتب الصابئة القائمة على التنجيم وغيرها.

وقد يظهر لمطالِع نصوص بعض هذه الكتب المقدسة احتواؤها على أمور حقّ فيظنّ أنها ذات أصل سماويّ[٦]، أو أنها من بقايا كلام أنبياء سابقين،ثم طالتها أيدي التحريف

---

(١) الكنفشيوسية ديانة صينية قديمة اتسمت بالفلسفة التطبيقية فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع، ولم تول المباحث اللاهوتية اهتماماً وإن كانت أقامت فلسفة الحياة ونظامها على أساس ميتافيزيقي يعتمد فلسفة الانسجام المركزي مع قوة عظمى ومراعاة الحياة الروحية لإيجاد الإنسان المتعالي، ينظر:"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى": ٢٢٦ ، و"من قاموس الأديان"للسحمراني: ٦٦.

(٢) الطاوية ديانة صينية قديمة مأخوذة من كلمة( الطاو) ومعناها: الطريق أو السبيل ، ويقصد بها الطريق إلى السماء أو إلى القوة، أو القداسة، وتقوم على الأسرار والتأمل ومخاطبة الأحاسيس، وهي فلسفة تبحث عن الخلود ادعى مؤسسها(لاوتسي) أنه اكتشف اكسير الحياة، وادعى كثير من معلميها شفاء الناس من الأمراض، ينظر:"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى": ٢٦٨ ، و"من قاموس الأديان"للسحمراني: ٥٦.

(٣) الشنتوية ديانة يابانية يعني اسمها: طريق الآلهة، وهي في صورتها المعاصرة مزيج من الطاوية والبوذية مع المعتقدات الوثنية وعبادة الأسلاف وتسمى (زن)، وتعتمد فلسفة الشنتوية للوجود على فكرة الإلهين ( ذكر وأنثى)، وطقوسها لا تتعلق بعابد ولكنها أنظمة للحياة اليومية يتوجه فيها الشنتوي للآلهة الكثيرة ، ينظر:"الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى": ٢٨٠، و"من قاموس الأديان"للسحمراني: ١٠.

(٤) (بتاح) اسم إله رئيس من آلهة الفراعنة فمنه تكونت أسر من الآلهة، و(بتاح حوتب) وزير الملك (أسيسي) من ملوك ٢٤٠٠ق.م، وقد كان منصب الوزير مهمًا جدًّا فهو الشخصية التي تلي الملك في المقام . و(بتاح حوتب) حرفيًّا تعني : ليت الإله بتاح يكون راضيًا. ينظر : "الفكر الشرقي القديم": ٢٧٨

(٥) ينظر :"نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة" لكلير لالويت، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر القاهرة ١٩٩٦ م .

(٦) ومن ذلك على سبيل المثال كتاب (باتنجل) المقدس لدى الهندوس، الذي ذكره البيروني ونقل منه نصوصًا= =كثيرة

واختلطت بكلام الشرّاح والكهّان، فخرجت عن أصولها، وامتلأت بالمتناقضات كما حدث للتوراة والإنجيل، ويُروج لهذا الظن كثير من المصنفين ودعاة وحدة الأديان ويدْعون من ثم إلى مطالعة هذه الكتب والإفادة منها في تعزيز مايدعو إليه القرآن أو شرح ما أجمل فيه! بل ويطرح بعضهم فكرة أن بوذا وكنفشيوس قد يكونون أنبياء فالقرآن أخبرنا أن هناك رسلاً لم يقصص خبرهم علينا[1]، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]، والذي يظهر من مطالعة سيرهم والمنقولات عنهم أنهم ليسوا كذلك، لكن التأريخ لسيرتهم ليس موثقًا بصورة تضمن القطع بأي رأي من الآراء، والمسلم في مجال الغيب ومنه الأنبياء السابقين لايفتح مجالا للظنيات كما لا ينفي بلا بينة؛ فمجال الغيب لا تصحّ فيه الظنون، وإنما يبنى على ما صح به الخبر فلا يصح أن نؤمن برسل معينين ما لم يسمهم الوحي كتابًا أوسنة، ولا نؤمن بكتب معيّنة أنها من كتب الله أو أصلها منه ﷻ ما لم يخبرنا بذلك الوحي المعصوم، ومن ثم فإن ما يظهر من حقّ في هذه مثل هذه الكتب كما يحتمل أن يكون من بقايا رسالات سابقة، يحتمل أن يكون وراءه استنتاج عقل صحيح؛ فالعقل يوصل بدون النقل إلى تخوم الحقيقة، فإن لم يُسلِّم قياده للنقل ضلّ وتخبّط، وربما لهذا شملت حقًّا وباطلاً. فدراسة تاريخ هذه الكتب أكّدت أن أحدًا من المؤرِّخين لم يدَّعِ أنها وحي من عند الله، وإنما أقصى ما هنالك نسبتها إلى من يسمونهم حكماء، كما أنها لم تخضع في جمعها وتدوينها لسند متّصل إلى قائليها الأصليين، فلو سلَّمنا بوجود شبهة احتمال كون بعضهم أنبياء لا نعلمهم ولم يسمِّهم لنا الوحي، فإنها قد كتبت بعدهم بقرون وكتابها مجهولون، كما أنها تخضع لتعديلات متوالية على مرّ العصور، ومن ثم فهي مصادر لا تصلح بحال أن يستقى منها خبر عالم الغيب الذي لا يُعرف إلا بالخبر الصادق عن الوحي المعصوم الذي أغنانا به الله وتكفّل بحفظه لنا، كما أنها لا تصلح بحال أن تكون مصدرًا لمعرفة الأخلاق أو الآداب وإن احتوت على شيء من هذا لليقين بأن كل ما قد يوجد فيها من خير ففي القرآن أخير منه قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

---

يتّضح منها اشتماله على العقيدة والفقه والفلسفة وغيرها، وفي نصوصه ما يدلّ على توحيد الله ﷻ ووصفه بالكمال والجلال .و(باتنجالي): اسم أحد حكماء الهند، وقد ذكر زيعور في "فلسفة الهند":٣٤٤ أنه وضع ثلاثة كتب في اليوغا والتفسير ما بين ١٠٠-٣٠٠ ق٠م، فلعل أحدها هو الكتاب الذي نسبه البيروني إليه فقال (كتاب باتنجل).ينظر: "تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" :٢١

(١) ينظرعلى سبيل المثال: "فلسفة الهند": ٤٣٩

**مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة:٤٨] فكلّ الشرائع منسوخة بالإسلام، وكلّ الكتب منسوخة بالقرآن، ومن ثم فقد حوى هذا الدين وكتابه العظيم كلّ خير وُجد في غيره بل وزيادة بالإضافة إلى عصمته من التحريف، قال تعالى: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ** ﴾ [البقرة:١٠٦].

والخلاصة أن هذه الكتب تزخر بالكتابات عن أمور غيبية محضة ففيها الحديث عن أصل الكون، وبدء الخليقة، وعن الإله أو الآلهة وعن المعرفة وغاية الحياة وعن الجزاء بعد الموت وعن ما يسمونه القوى الغيبيّة والطقوس السحرية بمتناقضات وأساطير لا تكاد تتّفق في كتاب واحد منها؛ إذ هي نتاج عقول بشريّة حاولت أن تسبر عالم الغيب، وأن تستعمل ما أعطيته لإقامة العبودية في إدراك الربوبيّة، فأوحت إليها الشياطين، وخلطت لها حقًّا بباطل، فضلَّت ضلالاً بعيدًا ، كما أن فيها ما يتعلق بإصلاح الحياة والمعاش وطريق الوصول إلى السعادة بحسب ما يظهر للعقول المقطوعة الصلة عن خبر الوحي الحق ومن ثم وصلت إلى حقّ فيما تستطيعه وتخبطت فيما وراء قواها وحدود معرفتها، وهذا مما يعظم ثقة المؤمن واعتزازه بمصادر التلقي المعصومة التي يتلقى منها عقيدته وعبادته وأصول منهاج حياته ، فيقبل على القرآن الكريم متدبِّرًا كما أمره ربُّه ﷻ: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾** ﴾ [النساء:٨٢]،ويعظّم فرحه بالسنة: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾** ﴾ [يونس:٥٨].

ولكن الشيطان يزين الباطل لبني آدم الضلال؛ لذا تلقّف هذه الأساطير الموسومة بتراث (الحكمة)! أغرار من الناس يحاولون معرفة المستقبل، ظنّوا أن فيها معرفة خالدة يمكن أن تكون رافدًا مهمًّا يكشف لهم عن الغيب، فاعتمدوا فلسفاتها، وصاغوا بعض مادتها في قوالب جديدة مثّلت مصدرًا إضافيًّا من المصادر الباطلة لمعرفة الغيب، وفي المطلب التالي بيانها.

# المطلب الرابع
# كتب التنبُّؤات

كتب التنبُّؤات[١]هي الكتب التي شملت تنبُّؤات الكذَبة من الأحبار أو الكهان على امتداد الزمان وتعتمد كثيرًا على كتب العقائد الوثنية ك(الفيدات) والعقائد الباطنية ك(زهر) و(الجفر)، وتعد مادتها شفرات مهمة يستمد منها المتنبئون في تنبؤاتهم[٢]، ويلحق بهذه الكتب محاولات اجتهادية غير موفقة من بعض المسلمين في ظل غياب تطبيق أصول الإيمان بالغيب والانحراف عن المنهج الصحيح للتعامل مع قضاياه.

ويُعرّف التنبؤ بأنه: محاولة استشراف لعالم الغيب وتوقع لأحداثه بكل أو بعض تفصيله من غير خبر الوحي[٣]، فلا يدخل ضمن الحديث عن التنبؤات النبوءات الصادقة التي حوتها الكتب السماوية، أو سنة المصطفى ﷺ، كما لا يدخل التنبؤ العلمي بالغيب؛ فالتنبؤ العلمي الذي قد يكشف طرفًا من الغيب النسبي يقوم على أسس علمية وربط محكم بين الأسباب والنتائج، ويُبنى على ملاحظة التكرار المطرد للأحداث فهو استدلال بقرائن جلية على أمور مستقبلية؛ كتوقُّع أحوال الطقس، ومواعيد نزول المطر، وأوقات الكسوف ونحو ذلك، بخلاف الكذب والدجل أو العرافة والكهانة وما شابه ذلك من وسائل التنبُّؤات، فليس لهذه الأمور أسس علميّة تستند إليها.

ومما يميز التنبُّؤات — كما يزعم المتنبِّؤون والمؤمنون بهم - كون المستقبل يبدو فيها وكأنه ماض يمكن قراءته كقراءة التاريخ، ولذلك تأخذ صبغة الحتم لا التوقُّع!

وترتبط التنبُّؤات كثيرًا بالفواصل الزمنيّة أو المراحل الانتقاليّة في التاريخ كنهاية قرن أو ألفيّة سواء في موعد توقُّعها، أو زمن ترويجها تأثرًا بالفكر المسيحيّ، فمن أشهر التنبُّؤات، التنبُّؤات حول نهاية العالم التي أصبحت تراثًا مشتركًا يعاد إنتاجه مع اختلافات طفيفة في

---

(١) وقد تسمى كتب النبوءات، وأثبتُّها التنبؤات لأن النبوءة أقرب في الإطلاق على الخبر عن الله، بخلاف التنبؤ الذي يُطلق على الادعاء ، يقال: تنبأ الرجل إذا ادعى النبوءة. ينظر : "لسان العرب"لابن منظور : نبأ : ١٦٢/١

(٢) ينظر : "المعجم الفلسفي" : ١٥٩/١

(٣) مستفاد من تعريف عند الباحثة حياة باأخضر :"التنبؤ بالغيب عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام" (رسالة دكتوراة غير منشورة) : ١٨٦/١

التفاصيل والصياغة ليتناسب مع الأحداث والأسماء في زمن ترويجها، بحيث أصبح لها أنموذج متكرِّر مع بداية كلِّ قرن، ومن بداياتها نبؤة (القديس أوغسطين) الذي تنبأ بعودة المسيح ونهاية العالم على رأس الألفيّة الأولى.ثم ارتبطت نهاية العالم بالألفيّة الثانية، بل قد سرت فكرة نهاية العالم على رأس ألفيّة للفكر الإسلاميّ؛ فأشاع بعض الناس أن نهاية العالم تكون على رأس الألفيّة الهجريّة الأولى فدحضها السيوطيّ بكتابه (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف).

وفي عام ٢٠٠٠م عاش العالم حالة ترقُّب لساعة الصفر والمتغيِّرات الكونيَّة الهائلة التي ستحدث بتأثير ترويج الإعلام للتنبُّؤات، وها نحن في العام ٢٠٠٦م والمتنبِّئون مشغولون بصياغة جديدة يطلقون بها نبوءاتهم!

وتذكر كتب التنبُّؤات عادة أخبارًا عامّة ستحدث في العالم لمئات من السنين المستقبليّة -كما يدّعون- أو تضع أسسًا عامة لاستكشاف أحوال الأمور المستقبلية الخاصّة بالأفراد وطبائعهم وما يناسبهم من الأماكن والارتباطات ونحو ذلك، ومثالها ما يتعلّق بالتاريخ الصينيّ والأبراج، وتعتمد على معرفة تاريخ الميلاد.

وفي العصر الحديث أصبحت التنبُّؤات تصدر بشكل دوريّ سنويّ تخبر عما سيكون في ذلك العام من أحداث — رجمًا بالغيب – علاوة على ما تزخر به المجلات من الأعمدة الخاصة بأخبار الغد أو الأسبوع أو الشهر، ويطالعها جماهير المسلمين، إن لم يكن بتتبع وتصديق فللتجربة أوالتسلية! ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

ومن أشهر كتب التنبؤات:

**١ . تنبُّوءات (نستراداموس):**

وهو كتاب منسوب إلى مايكل نستراداموس (١٥٠٣ — ١٥٦٦م)، وقد طبع عام ١٥٥٥م تحت اسم (قرون) في فترة كان التنجيم فيها سائدًا في ثقافة الغرب حتى أنّ الطبعة الثانية كانت مزوّدة بقسم للتنبّؤات الخاصّة بملك فرنسا.

ونستراداموس الذي اقترن اسمه كثيرًا بعالم التنبُّوءات هو طبيب ومنجّم فرنسيّ من القرن السادس عشر، كان راهبًا يهوديًّا ثم تنصّر، وينظر إليه أتباعه في القرن الحادي والعشرين على أنه نبيّ مُلهَم. وتعدّ الكتب التي تحدَّثت عن نبوءاته من الكتب الأكثر مبيعًا في العالم، وقد تنبّأ في كتابه بأمور تأتي بعده بقرون، ويُفسِّر بعض مؤيِّديه ذلك بأنَّه من قبيل الرؤى الصادقة أو

الإلهامات التي تحدث في واقع حياة البشر، ويقول آخرون: إنه ورث بعض ما جاء في نبوءات الأنبياء السابقين[١].

وقد صاغ نستراداموس التنبُّؤات على شكل رباعيَّات -أربعة أسطر- في مجموعات من مائة، وهو في رباعيّاته يعبِّر بكلمات من لغات أربعة هي اللاتينيّة والفرنسيّة والأسبانيّة والعبريّة ممّا يجعل الكلام أكثر غموضًا، ومعظمه مبهم خال من المعنى بأسلوب رمزيّ يحتمل تأويلات كثيرة، بحيث يمكن حمل العبارات على كثير من المعاني، فالصفة السائدة لتنبوءاته أنها مشوّشة ومبهَمة إلا أنها تُعرَض من شراحها وكأنها واضحة جلية، ولكن بعد وقوع الحدث! والحقيقة أنّه لا علاقة لما يقوله الرجل بالواقع الذي يزعم الشرّاح أنّ نستراداموس تنبأ به[٢].

وبالنظر في تلك التنبُّؤات- سواء كان نستراداموس هو صاحبها، أو لفِّقت له فيما بعد-تتّضح كثرة الأفكار والتوجُّهات والإيحاءات التي تنادي بالاستعداد لعودة المسيح، الذي سينتصر على الشرّ ويقيم السلام في العالم، بالإضافة إلى إعادة بناء هيكل سليمان[٣].

**٢. بيانات أمين محمد جمال الدين:**

نُشرت في كتابين وتداولها الناس في العصر الحديث، والكتاب الأول بعنوان: (عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام)[٤]، والثاني بعنوان: (هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام)،

---

(١) مع دعاوى صدق تنبؤاته وتحققها إلا أن التنبؤات التي جاءت بعد صدور الكتب التي تتحدث عن نستراداموس لم يتحقق منها شيء، فعلى سبيل المثال لم تنشق الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن العشرين -كما زعم- ولم يقم قائد عربي إسلامي في عام١٩٩٩م بهجوم نووي على الغرب يتحطم برج إيفل على إثره، وانتظر الناس في الغرب أن تحل الكارثة بباريس في شهر آب أواخر التسعينات، ولا تزال باريس، ولا يزال برج إيفل قائمًا.

(٢) ينظر على سبيل المثال:"تنبؤات نوستراداموس نقد وتحليل" لمحمد جبر، مكتبة الصحوة، الكويت، ط١، ١٩٩٧م .

(٣) تشكل هذه التنبؤات رافدًا إضافيًّا لإحياء نبوءات التوراة والإنجيل المحرفَين ونشرها لبناء توجّه عام، والتأثير على الأفراد والجماعات والسياسة العامة في الغرب، ومن الطبيعي أن يفرز ذلك الجو المشحون بهذه التنبؤات جماعات نصرانية ويهودية متطرفة، تشبعت بتلك الأفكار المشوّهة ووصلت إلى درجة عالية من التطرف، وقد تعمل على تحقيق هذه التنبؤات على الكيفية التي يرمز لها نستراداموس من قيام حرب عالمية ثالثة للقضاء على المسلمين، استعدادًا لقدوم المسيح الجديد، وقد عرض هذه النتائج وأكدها كتاب "إجبار يد الله" لجريس هالسل الذي ترجمه للعربية محمد السماك بعد أن عدّل العنوان – تأدبًا مع الله -إلى "يد الله"، وكتاب "حمى سنة ٢٠٠٠م" لعبد العزيز مصطفى، وكتاب "يوم الغضب" لسفر الحوالي .

(٤) انتشرت المؤلفات في الآونة الأخيرة كثيرًا عن قرب ظهور المهدي ونزول المسيح عليه السلام، وما كتبه أمين جمال الدين أنموذجًا منها واسع الانتشار، وهناك غيره كثير مثل : "ثلاثة ينتظرهم العالم" لحمزة الفقير، و"المسيح الدجال ومعركة هرمجدون" لهشام أبو حاكمة، و"ترقبوا ظهور المسيح الدجال والمهدي"لفائق داود، و"الزلزال العظيم" لفاروق

وهو بها ينشر تنبوءات نسترادامس وينزلها على الأحداث، ويحاول التوفيق بينها وبين أحاديث في الفتن وأشراط الساعة، فقد أكَّد في مقدِّمة كتابه الثاني على صدق تنبّؤات نسترادامس، وأنّ مصدر هذه التنبؤات وثائق إسلامية استولى عليها "نوستراداموس" من المكتبات، وأن المسلمين أولى بمعرفة هذه التنبؤات ونشرها وهي التي ذكرها الرسول ﷺ عندما حدث الصحابة عن الفتن و ماسيكون في آخر الزمان في خطبة طويلة !

وفي الكتابين وصف لملاحم آخر الزمان بأسماء البلاد والأشخاص يعتمد على كتاب الفتن لنعيم بن حماد[1] الذي قال عنه ابن حجر: «وأما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة»[2]، وقال الذهبي: « لا يجوز لأحد أن يحتج به – يعني نعيم ابن مسعود– وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائب ومناكير» [3]وقال: « ونعيم منكر الحديث إلى الغاية»[4] والمعروف أنّ السلف ﷺ لم يعتمدوا من أحاديث الملاحم والفتن إلا على اليسير الذي اتّصلت أسانيده [5]. فمثل ذاك الصنيع يعدّ من باب التنبُّؤات التكهُّنية والرجم بالغيب الذي ورد النهي عنه كثيرًا في نصوص الكتاب والسنة، ومنهج السلف ﷺ في هذا الباب: الإيمان بما صحّ من هذه الروايات، دون إقحام الظنون في تعيينها وترتيب بعضها على بعض بمجرد الرأي أو باعتماد الغرائب والمناكير[6]، ناهيك عن الاعتماد على أقوال الكذبة والعرافين.

### ٣. رسائل على أبواب الملحمة[7] لصلاح الراشد:

الدسوقي"،و"أسرار نهاية العالم"و"الشر القادم" لفهد السالم، والملحوظ أنها جميعها تعتمد على كتاب نعيم بن حماد في الفتن الزاخر بالضعيف والمناكير .

(١) نعيم بن حماد المروزي، أول من جمع المسند في الحديث، من العلماء من وثقه والأكثر ضعفوه، وقالوا: كثير الوهم، يشتبه عليه ، توفي سنة(٢٢٨هـ)، ينظر:"سير أعلام النبلاء":٢٤٩/٩، "شذرات الذهب"لابن العماد:١٣٣/٣.

(٢) "تهذيب التهذيب"لابن حجر : ٤٦٣/١٠

(٣) "سير أعلام النبلاء" للذهبي : ٢٥٨/٩

(٤) "تلخيص المستدرك" : ٥١٦/٤

(٥) ينظر : "لسان الميزان" لابن حجر : ٩٢/١

(٦) ينظر للفائدة:"كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون" لمازن السرساوي،من نشر المكتبة الإسلامية بالقاهرة

(٧) هذه المنشورات ليس لها قيمة علمية يعتد بها، وإن كانت مطبوعة وموثقة ومنشورة على هيئة ملحق مستقل مع الأعداد من ١١٥ –١٢٢ . عام ٢٠٠٣ م من مجلة "فواصل" التي تصدر من الرياض، وقد أوردتها لكونها تدعو إلى منهج منحرف في التعامل مع الغيب وتمثل نموذجًا متكررًا لبث التنبؤات، ولكثرة تداولها بين عامة الناس؛ إذ توزع مجانًا في معارض

هي تسع رسائل موجزة كتبها صلاح الراشد مدَّعيًا أنها تغني صاحبها عمّا سواها في معرفة فتن آخر الزمان؛ لأنه اعتمد على جمع تنبُّؤات الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، والكتب المشهورة في التنبؤات، وذكر منها كتاب نسترادامُوس، بالإضافة إلى كتب الفتن والملاحم مع أحاديث المصطفى ﷺ، ثم فسّرها بإلهامات شيخه[1]، وفسّر الأحاديث النبويّة بالأحداث الجارية، وسمّى الأشخاص والأماكن، بل زاد على ذلك ما تعلّمه من أديان الشرق من الاعتماد على ما يدّعي من المعرفة الكشفيّة وقدرات تغيير الأحداث من خلال جلسات التأمُّل الروحيّة للدعوة إلى العمل على تغيير المستقبل الذي تدلّ عليه التنبُّؤات من خلال القدرات البشريَّة الكامنة، فخلط بين الصحيح والباطل في الأخبار وفي منهج التعامل مع الغيب المستقبل وتخبَّط تخبُّطًا شديدًا.

**أما النوع الثاني من كتب النبوءات**، فهي الكتب التي تعطي قواعد عامّة يُزعم أنها تكشف لمطالعها مستقبله الخاصّ، فيحدِّد بناء عليها حركته وسفره وأصدقاءه وعلاقاته وأشهرها الكتب المصنَّفة على الأبراج الحيوانيَّة الصينيّة، ومنها على سبيل المثال:

**١ . كتاب كشف الحجاب عن عالم الغيب**: الذي تنشر به كاتبته هيام خضر معتقد تأثير الأبراج الصينيّة المسماة بأسماء الحيوانات في تحديد سمات الشخصيّة، فللحيوان الحاكم عام الولادة تأثير بالغ على حياة مواليد ذلك العام! ومن ثم يتمّ تحديد ما يناسب شخصية الشخص، فتختار الاتجاهات التي يسافر فيها، والعلاقات التي يبنيها بحسب ما تدلّ عليه دلالات البرج وما ينتمي له من العناصر الخمس الأساسية: الخشب والنار والأرض والمعدن

---

الكتب، كما أن كثيرًا من مادتها مسجل بشكل مسموع ومنشور على الشبكة العنكبوتية، ومن وجه آخر لأن كلام صلاح الراشد يؤخذ على أنه كلام ثقات فوجب التنبيه على أنه – إن التمسنا حسن الظن لقائله– لا يعدو قيمة كلام نعيم بن حماد المنكر، وإن كان وصف الثقة منقول لصاحبه، وتأتي خطورة مثل هذه المنشورات لكونها مع ما فيها من كاذب الأخبار تروج لمنهجية عملية في التعامل مع التنبؤات مستقاة من عقائد الأديان الشرقية والمذاهب الروحية ولا تقف عند حدود الخبر.

(١) الذي يبهم اسمه بناء على عهد أخذه الشيخ على جميع تلاميذه! ويشير إليه بـ: (العلامة عليم الدين)، وهو فيلسوف يعيش في مزرعة في جبال سريلانكا، خصص فيها دار لاستضافة تلاميذ من الجنسين يتم اختيارهم بعناية من قبله ثم يستقدمهم للحياة هناك والتعلم فترات طويلة في السنة على برامج حيوية متنوعة ومتدرجة المفاهيم، تشمل جميع تطبيقات فلسفة الطاقة الحيوية ، ينظر: رسالة"فن صناعة الحياة الطيبة" عدد٢٨، بتاريخ١سبتمبر ٢٠٠٣م.وعدد ٣١، بتاريخ ١نوفمبر٢٠٠٣م.

الماء، التي تقسم فيما بعد إلى نوعين: إيجابيّ وسلبيّ وحسب المصطلح الصيني (ين ويانج).

٣. **كتاب علم الطاقات التسع**: وهو كتاب أعدّه يوسف البدر بعد ترجمة كلام مؤلفه الياباني (ميتشو كوشي) ويعتمد على الأبراج الصينيّة بتسليط الضوء على ما يدّعى من أثرها بحسب تقسيم العناصر في طباع الناس بطباع ترابيّة أو ناريّة أو معدنيّة أو شجريّة أو مائية، ومن ثَمّ تحديد مستقبل حياتهم وسعدهم ونحسهم ونجاحهم وفشلهم بحسب مراعاتهم هذه الخصائص في حياتهم، ويعد هذا الكتاب واحدًا من سلسلة منشورة تحت مظلّة ما يسمى (الماكروبيوتيك) [1]الذي يصوغ العقائد البوذيّة والطاويّة في قوالب تطبيقيّة عمليّة متعدِّدة في مظاهرها ما بين تطبيقات صحيّة شفائيّة وتطبيقات نفسيّة اجتماعيّة، وهذه الأخيرة تعنى كثيرًا بالتنبُّؤات المستقبليّة عن طريق ما أسموه الطاقات التسع، أو عبر ما يدرجونه تحت اسم الفراسة بزعم التعرُّف على سمات للنفس تكشف عن كثير من ماضيها ومستقبلها مما حقيقته كهانة وعرافة، وإن ألبسوه لبوس العلم ووضعوه تحت أسماء شرعيّة أو ألفاظ مجملة.

وقد أدّى غياب المنهج الإسلاميّ في التعامل مع النبؤات إلى وقوع فئام من المسلمين في أسر الرؤية الغربيّة وتبنِّي منهجيّتها حيال التنبؤات، تلك النظرة التي تقوم على العمل وبذل الجهد لتحقيق النبوءة وإيقاعها، فكثير من الحركات الدينيّة النصرانيّة الإنجيليّة، وحركة المبشِّرين التوراتيِّين[2] في العالم تبذل جهودًا سياسيّة وتثقيفيّة وتجعل نبوءة (هرمجدون) لتدعيم قيام دولة

(١) الماكروبيوتيك هو في الأصل فلسفة خاصة للوجود والكون والحياة، تتضمن رياضات ونظام غذاء وتأملات وغير ذلك، وقد رُوج لهذه الفلسفة من قبل الباطنيين بظاهر برّاق تحمله دلالات ترجمة الكلمة، فلفظة (الماكروبيوتيك) تعني: الحياة المديدة، وقد انتشرت فلسفته بشكل تطبيقات متنوعة تناسب العصر؛ صحية ورياضية، وهو في حقيقته ممارسة عملية لعقيدة وحدة الوجود بحسب مفهوم الديانة الطاوية وبوذية زن اليابانية؛ فجميع تطبيقاته تعتمد على فلسفة التناغم مع الطاقة الكونية (الماكرو) أي: المطلق، من خلال مراعاة التوازن بين قوتي (الين واليانج) الميتافيزيقيين المتضادتين للوصول للشفاء، والسمو الروحي بزعمهم. وقد انخدع بتطبيقاته كثير من المسلمين وحاولوا التوفيق بين مفاهيمه وفلسفته والدين الإسلامي، كما حاول الفلاسفة من قبل التوفيق بين فلسفة الإغريق والإسلام! ينظر على سبيل المثال :"الماكروبيوتيك" لخالد التركي: ٢٧-٣٧،و"مقدمة بين الطب النبوي والماكروبيوتيك" لأسامة صديق : ٣٠

(٢) هي حركات دينية متطرفة ، تمثّل اتجاهاً صهيونياً مسيحياً يسعى لدعم قيام إسرائيل كشرط أساسي لنزول المسيح المخلِّص ووقوع القيامة؛ وهو ما يكفل لإسرائيل دعمًا وتأييدًا ماليًا وسياسيًا غير محدود أو مشروط من قبل اليمين المسيحي الأمريكي الذي تتشكل منه النخبة الحاكمة الحالية.

صهيون وبناء الهيكل شرطًا رئيسًا لتحقيق أهم نبوءة يطمحون إلى تحقيقها وهي نبوءة أرض الميعاد لليهود، ومن ثم نزول المسيح عليه السلام وحصول الألفيّة السعيدة بحسب عقيدة النصارى[١].

ويمكن تلخيص المنهج الإسلاميّ في التعامل مع النبؤات بما يلي:

١. عرض النبؤات الواردة في كتب الملاحم والتاريخ على منهج التثبُّت الخاصّ من حيث صحّة السند وموافقة ما جاء في الكتاب والسنَّة، وعدم أخذها على أنها تراث دينيّ وأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ أو نقول ثابتة في كتب بني إسرائيل.

٢. الإيمان بما صحّ إسناده من هذه النبوءات، دون انتظار وقوعه، أو العمل على الإسراع بتحقيقه، فإنما هو نتيجة قَدَريّة لا ينبغي أن ينشغل بها العبد عن العمل المأمور به.

٣. الإعراض عن أقوال العرّافين والكهَنة إعراضًا كاملاً مهما اشتبه بما نعرف من الحق حفاظًا على الإيمان، فتصديق الكهانة كفر.

وبعد، فما التنبُّؤ في حقيقته إلا نوع كهانة وخبر من الكذوب يصدق في بعضه ويكذب في أكثره، ومع عدم تحقُّق مئات التنبُّؤات في واقع الحياة إلاَّ أنّ ما يتحقّق منها أو ما يزعم مروِّجوه أنه تحقّق فإن إبليس يزيِّنه كما قال فيما ذكره القرآن الكريم: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾**﴾ [الحجر:٣٤]، ﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾ [النساء:١١٩]، فهذا شأنه في كلّ ضلاله، فترى الناس يتناقلون أخبار التنبُّؤات فيما بينهم، ويشيعونها على وجه الأماني مما يزيد اعتقاد الجهلاء في العرّافين والكهّان ويعظم فتنتهم بهم، فالخوف من المجهول وترقُّب المنتظر مما جبلت عليه النفوس البشريّة، فتنساق وراء محاولات التعرُّف عليه لا سيما إذا لم تقبل على مصدر الغيب الحقّ، وتبني على حقائقه إيمانها وعبوديّتها لله عز وجل.

والناس في معرفة حقائق عالم الغيب متفاوتون، ومن ثَمّ يتفاوتون في إيمانهم بها وإن كان لا بدّ من تحقيق الأصول التي يدخلون بها في الإسلام، ثم تختلف أحكامهم في الإيمان بالغيب بحسب العلم أو الجهل، والإقرار أو الإنكار، والعناد أو التأويل وتفصيل هذه الأحكام وضبط أصولها هو موضوع الفصل التالي.

---

(١) ينظر : "قبل الكارثة نذير ونفير" لعبد العزيز مصطفى : ٢٠٦

# الفصل الثالث:
# أحكام الإيمان بالغيب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أحكام الإيمان بالغيب بحسب مسائله.

المبحث الثاني: مراتب المؤمنين بالغيب وأحكامهم.

المبحث الثالث: أحكام المخالفين في باب الإيمان بالغيب.

**توطئة:**

كلّ أمر أوجبه الله ﷻ على عباده علمًا أو عملاً فالناس متفاضلون في تحقيقه؛ منهم من يقوم بالحدّ الأدنى فيقتصر على الواجب فقط، ومنهم من يقوم بالحدّ الأقصى الذي يطيقه ويأتي بما يستطيع من المستحبّ، ومنهم من يغلو ويتجاوز الحدود المشروعة، ومنهم من يُنقص عن الواجب أو يفرط فيه، وبين ذلك مراتب كثيرة يتفاوتون فيها تفاوتًا لا ينضبط طرفاه[١]، وقد بيّن الله ﷻ تفاوت عباده المصطفَين على مراتب ودرجات فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

وممَّا يتفاوت العباد فيه: معرفتهم بخبر الغيب وإيمانهم به، قال ابن حجر: «في قوله ﷺ: "أنا أعرفكم بالله"[٢]، دليل ظاهر على أنّ المعرفة درجات، وأنّ بعض الناس فيها أفضل من بعض»[٣]، فلهذه المعرفة حدّ أدنى يتحقّق به أصل الإيمان، ولها مراتب يحصل بها كمال الإيمان واليقين بحسب فضل الله على أهلها ومشيئته في وصول البلاغ إليهم، وقيامهم بمقتضى معرفته ﷻ من التزام أمره ظاهرًا وباطنًا، وبحسب تفاوت مداركهم وعقولهم قوّة وضعفًا، كما أنّ المسائل نفسها تتفاوت وضوحًا وخفاء؛ فمسائل الأصول الظاهرة المتواترة ليست كتفاصيل مسائل الفروع التي تخفى على كثير من الناس.

ومن فضل الله ورحمته أنّه يقبل من عباده هذا التفاوت، ويجعل له أثرًا فيما يوجبه عليهم في ثوابهم أو عقابهم وهو القائل ﷻ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾[الأنعام:١٥٢]، ولو كان لا يدخل الجنة إلاّ من يعرف الغيب ويؤمن به كإيمان النبيّ ﷺ وكبار صحابته ﭫ لم تدخل أمّته الجنّة؛ فإنهم أو أكثرهم لا يستطيعون هذا؛ بل يدخلونها وتكون منازلهم متفاضلة بحسب قوّة إيمانهم وصفاء معرفتهم وإخلاص عبادتهم لله ﷻ [٤].

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٨٤/٢

(٢) أخرجه مسلم ،كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ، رقم:٢٣٥٦ وعند البخاري بلفظ إني لأعلمهم بالله، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ،رقم: ٦١٠١

(٣) ينظر : "فتح الباري"لابن حجر: ٩٦/١

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٥٤/٥ ، ٥٦٥/٧

وهذا الفصل يبيِّن أحكام الإيمان بالغيب بحسب مسائله أصولاً وفروعًا، وبحسب تفاوت الناس في معرفته والإيمان به، بهدف استخلاص أهمّ الأصول والقواعد التي تضبط الأحكام المتعلِّقة بأسماء العباد فيه[١].

---

(١) أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين التكفير والإرجاء، كما هم وسط في جميع المسائل، ينظر للفائدة : وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد با عبد الله : ٣٣١- ٣٥٣

# المبحث الأول:

# أحكام الإيمان الغيب بحسب مسائله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسائل الغيب التي هي أصول الإيمان وأركانه.

المطلب الثاني: مسائل الغيب التي هي فروع الإيمان ومكملاته.

## المطلب الأول

## مسائل الغيب التي هي أصول الإيمان وأركانه

تختلف مسائل الاعتقاد الغيبيّة وتتنوّع؛ فمنها مسائل أصول وأركان لا يتحقّق الإيمان إلاّ بمعرفتها، والإقرار بها شرط من شروطه، وإنكارها كفر يخرج من الملّة، ومنها مسائل فروع قد تخفى على عامّة الناس، أو يعجزون عن فهم المراد بها.

ومن الخطأ جعل المسائل الخبريّة كلّها أصولاً، والمسائل العمليّة كلّها فروعاً، فقسمة العلوم إلى أصول وفروع على أساس التفريق بين الاعتقادات والعمليّات قسمة لا تنضبط بعموم[١]؛ فمسائل الأصول توجَد في المسائل الخبريّة الاعتقاديّة والعمليَّة على حدٍّ سواء كما توجَد فيهما مسائل الفروع، و«الحقّ أنّ الجليل من كلّ واحد من الصنفين —العلميّ والعمليّ— مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع»[٢]، فالعلم بالواجبات كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرَّمات الظاهرة المتواترة، والقيام بها هو من الأصول العمليّة الظاهرة، كما أنّ العلم بأنّ الله واحد أحد، وأنّه على كلّ شيء قدير، وبكلّ شيء عليم، وأنّه سميع بصير، وأنّ القرآن الكريم كلامه أنزله على خلقه، وأنّه لا يغفر أن يشرك به، وأنّه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ونحو ذلك؛ من قضايا أصول الاعتقاد الخبريّة الظاهرة المتواترة.

ومن المعلوم أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، تزيده الطاعة، وينقصه العصيان، دلّ على ذلك الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمّة[٣]. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) قال بهذا التقسيم طائفة من الفقهاء والأصوليين تأثرًا بالمتكلمين، وقد نتج عن تعميمه شبهات وضلالات جعلت كثيرًا من أهل العلم يردون على القائلين به ويعدونه بدعة في الدين، ينظر: "مختصر الصواعق المرسلة" : ٤١٣/٣، و"منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد" لعثمان حسن : ٢٤٦/١ ، لذلك لا يُقبل هذا التقسيم على إطلاقه وتعميمه، وإنما يمكن القول به عند النظر في أساس وجود العمل؛ إذ لا يتصور أن يوجد عمل بلا خبر مسبق عنه، وبلا اعتقاد يبعث على القيام به أو الكف عنه ؛ لذا كان العلم سابقًا للعمل كما هو مقرر معروف ، ويشهد له قول الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد:١٦-٢٠] ، والله أعلم!

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٥٦/٦

(٣) لا يكاد يخلو مصنَّف من مصنَّفات عقيدة أهل السنة والجماعة من مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، والتدليل على أنها من مسائل الأصول الثابتة بالكتاب والسنة، وقد خالف في هذا الأصل المبتدعة الذين يرون الإيمان كل لا يتجزأ،= =فنفت المرجئة دخول العمل في مسمى الإيمان، وقالت مرجئة المتكلمين: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب، فجعلوا إيمان

﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران:١٧٣]،وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]، وقال ﷻ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[المدثر:٣١]، وقال ﷻ: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤].

وقال ﷺ: "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان"[(١)]. وقال ﷺ: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"[(٢)].

فالنصوص دالّة على زيادة الإيمان بمنطوقها، وعلى النقصان بمفهومها؛ إذ كلّ قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة[(٣)]، وقد «ثبت لفظ الزيادة والنقصان في الإيمان عن الصحابة، ولم يعرف لهم مخالف من الصحابة»[(٤)]، فروي عن كثير منهم قولهم: الإيمان يزيد وينقص[(٥)]، ونقل ابن عبد البرّ إجماع السلف على ذلك[(٦)].

فالإيمان مركَّب من أصل لا يتمّ بغيره، ومن فروع وشعب منها ما هو واجب ينقص بفواته نقصًا يستحقّ صاحبه العقوبة، ومنها ما هو مستحبّ يفوت بفواته علوّ الدرجة[(٧)].

---

الفساق وعدول الأمة سواء! وكفّر الخوارج مرتكب الكبيرة لاعتقادهم أن الإيمان لا يتفاضل بل يوجد كله أو يذهب كله، وتبعهم المعتزلة إلا أنهم قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فأخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان كالخوارج دون أن يدخلوه في الكفر.
وقد رد أهل السنة على المخالفين بأدلة النقل والعقل، فبينوا الحق ودحضوا الباطل وفندوا شبهه، ينظر للفائدة : "الإيمان" لأبي عبيد : ٧٢ وما بعدها، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٢٢/٧

(١) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ،رقم:٩، ونحوه عند مسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم:٣٥

(٢) أخرجه أبو داود،كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه برقم:٤٦٨١، وأحمد في المسند : ٤٣٨/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٤١/٣.

(٣) ينظر :"فتح الباري": ٤٧/١ ، واستدل بعض السلف على النقصان بالحديث المتفق عليه في البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم ،رقم :٣٠٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات، رقم :٨٠ :"ما رأيت من ناقصات عقل ودين.."، قال البغوي:« إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء الحديث بالنقصان في وصف النساء » "شرح السنة" : ٣٩/١

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٢٤/٧

(٥) ينظر أقوالهم في "الشريعة": ٥٨٠/٢ وما بعدها،و"الإبانة" لابن بطة: ٨٤٣/٢، و"شرح أصول الاعتقاد" ٩٤٢/٥

(٦) ينظر :" التمهيد" : ٢٣٨/٩

(٧) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٣٧/٧

وزيادة الإيمان تكون بتحقيق فروعه وشعبه من بعد أركانه، كما تكون في أصل التصديق الذي لا يتمّ الإيمان إلاّ به، وكذلك نقصانه إلاّ أنّ للنقصان حدًّا أدنى يخرج من لا يتحقّق به من دائرة الإيمان كلِّيًّا.

وأصل الإيمان هو ما تدلّ عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله؛ فمن اعتقد وجود الله ﷻ، وآمن به إلهًا حقًّا مستحِقًّا للعبادة وحده دون سواه، وأنّ محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه فقد حقّق الأصل الذي لا يتمّ إسلامه ولا إيمانه إلاّ به(١)، وبه ينجو من النار، قال ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، حرّم الله عليه النار"(٢)، وقال: "لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان"(٣).

وممَّا هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنّ النبي ﷺ لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرَّد القول باللسان، وإنّما بقول القلب وإخلاصه(٤)معتقِدًا مضمونها منقادًا عاملاً بمقتضاها ولوازمها، فإنما يوصف بالإيمان من صدّق بهذا الأصل، وآمن به، وعمل به دون المنافق.

ويتفاوت أهل الإيمان في تحقيق هذا الأصل تفاوتًا كبيرًا وإن تساووا في الإقرار والتصديق به؛ إذ لا يلزم من تساويهم في أصل التصديق التساوي من كلّ وجه، بل التصديق القائم في قلوبهم يتفاضل أيضًا، فإيمان الصدِّيقين الذي يتجلّى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب، ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شُكِّك لدخله الشكّ(٥).

---

(١) على أن لا يكون منكِرًا لأصل من الأصول الستة أو غيرها مما علم أن الوحي قد جاء به، فالإقرار بوجود الله ﷻ فقط لا يعطي صاحبه وصف الإيمان، وتسمية أهل المذاهب الباطلة المقرين بالله فقط مؤمنين إنما هو قول الكرامية المبتدع، فالمقصود هنا من لم يبلغه إلا هذا الأصل، ومات قبل أن يعرف التفاصيل، كالذين يكونون في آخر الزمان عندما يندرس الدين – كما أخبر النبي ﷺ – ولا يبقى معهم إلا "لا إله إلا الله ".

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ رقم: ٣٤٣٥، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم: ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ، رقم: ٩١

(٤) يشهد لهذا استقراء أحاديث المصطفى ﷺ، فالنصوص التي أطلقت النجاة من النار بينتها وقيدتها نصوص أخر، منها قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله مخلصًا"، و"متيقنًا"، و"يصدق قلبه لسانه"، وفي بعضها: "يقولها من قلبه"، و"قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه"، وفي هذا دليل على اشتراط عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين. ينظر: "شرح الطحاوية": ٤٦٥، من كلام المحقق عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط.

(١) ينظر : "جامع العلوم والحكم" : ٢٨، و"المنهاج في شعب الإيمان" للحليمي : ٥٥/١

قال ابن أبي العز واصفًا هذا التفاوت: «تفاوت نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلاّ الله، فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدرِّيّ، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، وكلّما اشتدّ نور هذه الكلمة وعَظُم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوّته. ومن عرف هذا، عرف معنى قول النبيّ ﷺ: "إنّ الله حرّم على النار من قال لا إله إلاّ الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى"(١)»(٢).

فلا يوجد إيمان إلاّ بتحقيق الشهادة إقرارًا وتصديقًا وانقيادًا، أمّا سائر مسائل الغيب التي أخبر بها الوحي - بعد هذا الأصل - فإنّ وجوبها يتنوّع بتنوُّع الناس(٣)، ومعرفتها والإيمان بها من أسباب تحقيق العبوديَّة وزيادة الإيمان، ولهذا فصّل أئمة السلف القول في بيان ما أخبر به الرسول ﷺ، فجمعوا في مصنَّفاتهم أصول المسائل وفروعها بأدلّتها وأسانيدها فكانت مرجعًا مهمًّا لكلّ مسلم يطلب الحقّ فيما يعتقد تفصيلاً، وينشد اليقين والثبات(٤).

ومسائل الأصول التي تميّز إيمان أهل الإسلام بالغيب عن غيرهم هي التي يدلّ عليها قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وهي التي عرّف النبيّ ﷺ الإيمان بها في حديث جبريل المشهور، فقال مجيبًا جبريل حين سأله عن الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه"(٥)، فالإقرار بهذه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم: ٤٢٥، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم: ٣٣

(٢) "شرح الطحاوية" : ٤٦٤ باختصار.

(٤) سيأتي في المبحث الثاني من هذا الفصل تفصيل القول في مراتب المؤمنين بالغيب وأحكامهم.

(٥) من هذه المصنفات ما يعتمد على إيراد نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين بتبويب وتصنيف، وقد يتخللها شيء من التعليق، ومن أبرزها: "السنة" للإمام أحمد، و"التوحيد" لابن خزيمة، و"الشريعة" للآجري، و"التوحيد" لابن منده، و"شرح أصول الاعتقاد" للالكائي وغيرها، ومن المهم مطالعة النسخ المحققة منها التي ميزت بعض ما فيها مما لا يحتج به. ومنها ما يعتمد على بيان المعتقد المستفاد من النصوص نحو: "عقيدة الطحاوي" و"العقيدة الواسطية"، و"عقيدة السلف أصحاب الحديث" للصابوني، و"عقيدة السفاريني" وغيرها.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ، رقم:٨.

الأمور جملة – لمن علم بها — من شروط الإيمان، بل هي أساس عقيدة الدين الإسلاميّ وشريعته، وبها يتمّ الإيمان الواجب الذي تعبّدنا الله به، وهي أركانه أو أصوله الستة[١].

وتشكّل هذه الأركان وحدة مترابطة؛ فالإيمان بالله يقتضي الإيمان برسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كما أنّ الإيمان بالرسل والكتب يتضمّن بقيّة أصول الإيمان التي أخبرت بها الرسالات، فلا يؤمن عبد بكتب أنها منزلة من عند الله ما لم يكن قد آمن بالله ﷻ ورسله، وصدّق بما جاء فيها من خبر الملائكة واليوم الآخر، وهكذا في سائر الأركان فهي غيب معتمد على إثبات غيب.

وتتضمّن هذه الأركان الستة أصول المسائل الخبريّة وفروعها كالإيمان بحدوث العالم، وتوحيد خالقه، وإثبات صفاته، ونفي الشبيه عنه، ونبوّة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافّة، وتأبيد شريعته، وبأنّ كلّ ما جاء به حقّ، وبأنّ القرآن والسنّة منبع أحكام الشريعة وغير ذلك مما سيأتي تفصيله، فكلّ من آمن بهذه الأركان دون أن يشوبها ببدعة تؤدّي إلى الكفر فهو مسلم موحِّد، أمّا إن ضمّ إلى إيمانه بها بدعة شنعاء نُظر؛ فإن كانت بدعته من جنس ما ينقضها أو أحدها كالقول بالتناسخ أو إنكار القدر كَفر، وإن كانت ممَّا لا تنتقض به الأصول فيبقى لأهلها الوصف بالإيمان مع الكلام في بدعتهم على تفصيل ليس هذا موضعه[٢].

وكذلك من أنكر شيئًا من هذه الأركان أو شكّ فيها[٣]، فأنكر رسولاً أو كتابًا ممّن سمّى الله ﷻ، أو أنكر شيئًا مما ثبت وجوبه بالوحي كوجوب الصلاة أو الصيام فإنّه يكون كافرًا ضالاً عن الحقّ بعيدًا عن الهدى[٤]، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

(٢) بناء على ما ورد في حديث جبريل المشهور، وإن كانت هناك أقوال أخر في تعداد أصول هذه المسائل، فقد عدها بعض العلماء سبعة للتأكيد على بعض منها، وعدها بعضهم أربعة أو خمسة لدخول بعض الأصول في بعضها الآخر، فمن جعلها سبعة أفرد الإيمان بالجنة والنار فالإيمان بهما ضمن الإيمان باليوم الآخر عند من لم يفردها. ومن لم يذكر القدر أدرج الإيمان به ضمن الإيمان بالله تعالى، فقال: أصول الدين الخمسة، ينظر: "شرح الطحاوية": ٤٠٥. وفي الحديث الذي رواه الترمذي : ٣٢/١، قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر" والأمور الأربعة المذكورة تتضمن الباقية فالإيمان بالرسول ﷺ يتضمن الإيمان بما أخبر به من الغيوب.

(٣) ينظر للتفصيل "الفرق بين الفرق" للبغدادي : ١٨وما بعدها.

(١) بخلاف الجاهل والمتأوِّل والمخطئ، وسيأتي تفصيل حكمهم في المبحث التالي ص١٦٧.

(٢) ينظر : "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" : ٧٧، و"العقيدة في الله" لعمر الأشقر : ١٩

﴿وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦]، وبين ﷻ أن الكفر ببعضها كفر كذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

ويشمل كلّ ركن من أركان الإيمان مسائل كثيرة من مسائل الغيب، والإيمان بمجمل ما تشتمل عليه أركان الإيمان من مسائل الغيب واجب، أمّا معرفة تفاصيل ذلك كما جاء بها الخبر الصادق فيتنوّع وجوبه على الناس بتنوُّعهم واختلافهم، إلاّ أنّه سبب في زيادة الإيمان على كلّ حال، وفيما يلي بيان جمل ما تتضمّنه هذه الأركان:

**١. الإيمان بالله ﷻ:**

وهو الأصل الذي تقوم عليه كلّ مسائل الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر:١٣]. وقد دلّت أدلّة الفطرة والعقل والشرع والحسّ [(١)]على وجود الله ﷻ ووحدانيّته.

ويتضمّن الإيمان بالله أربعة أمور: الإيمان بوجوده ﷻ، والإيمان بربوبيّته، والإيمان بألوهيّته، والإيمان بأسمائه وصفاته على الحقيقة دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تكييف[(٢)]

وقد غلب على منهج الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم- في التعريف بالله ﷻ منهج الإثبات المفصّل لنعوت الكمال والجلال والجمال والتنزيه المجمل لله تعالى[(٣)]عن كلّ نقص وعيب، فبيَّنت نصوص الكتاب والسنة صفات الكمال لله ﷻ تفصيلاً، ومن ذلك بيان أنّه الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنّه حيٌّ قيُّوم مريد قادر متكلِّم، وأنه ﷻ مستوٍ على عرشه،

---

(١) تتبع هذه الأدلة واهتم ببيانها كثير من أهل العلم والفضل عبر العصور، ولخصها العثيمين في رسالة نفيسة في بابها بعنوان شرح أصول الإيمان، من المفيد مراجعتها.

(٢) التحريف يعني تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها، ويطلق عليه أيضا التأويل.و(التعطيل) نفي الأسماء والصفات أو بعضها أو نفي معانيها وإنكار قيامها بذات الله تعالى .و(التكييف) حكاية كنه الأسماء والصفات. و(التمثيل) مساواة غير الله بالله ذاتًا وصفاتًا أو العكس ، والفرق بينه وبين التكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل ،ينظر:"المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية" للبريكان :٣٣وما بعدها ، و"شرح لمعة الاعتقاد" :١٥-٢٧ ،

(١) ينظر: "شرح الطحاوية" : ٦٩، و"القواعد الكلية" للبريكان : ١٥٢

عالٍ على خلقه، وهو خالق عباده ورازقهم، الرحمن الرحيم، فهو الإله الحقّ المتّصف بكلِّ كمال على التفصيل والإجمال.

أمَّا التنزيه فقد ذُكر مجملاً ومتضمِّنًا لمديح(١)، ومن ذلك وصف الحقّ ﷻ أنّه القدُّوس السلام، الذي تقدَّست ذاته، وتعالت صفاته، وسَلِم من كلِّ نقص وعيب، ليس له ند ولا شريك ، وأنّه لم يلد ولم يولد، ،ولم يكن له كفوًا أحد، فليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته.

ومنهج أهل السنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات هو الوقوف في الإثبات والتنزيه على ما جاء في الكتاب والسنة، فالتعريف بالله ﷻ منوط بخبر الوحي، ولا يُعرف بمجرد استدلال عقل أو إعمال فكر، فكلّ من أنكر وجود الله كما أثبتته النصوص الشرعيَّة(٢)، أو ألحد في أسمائه وصفاته فحرَّفها أو جسَّمها أو عطَّلها أو جعل له ندًّا فيها فقد افترى على الله بهتانًا عظيمًا، ووقع فيما لا يغفر من الذنب، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ** ﴾ [النساء:١١٦]، فالذنب الذي لا يغفره الله هو الإشراك به، ويلحق بالشرك الإلحاد كإنكار وجوده ﷻ، أو إلحاق شيء من صفات النقص به – تعالى الله عما يصفون علوًّا كبيرًا – وما يتفرَّع عن ذلك من مقالات الضلال.

أمَّا الجهل ببعض صفاته وكمالات ذاته من بعض الوجوه فلا يقدح في أصل الإيمان عند أهل السنَّة(٣)، وإن كان يُنقص مرتبة صاحبه عن مراتب أهل العلم والإيمان(١)؛ إذ كلَّما زاد

(٢) وقع بعض من تأثر بالفلسفة والكلام في تفصيل النفي للرد على كلام أهل البدع ونفي ما تكلموا به في حق الله مما لم يرد به الخبر! ومن ذلك على سبيل المثال قول الغزالي: « وأنه ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض... » "قواعد العقائد" :٥١، وقول يحي العمراني في بيان عقيدته: « وهي الإيمان بأن الله سبحانه واحد لا شريك له،...ليس بجوهر ولا جسم، ولا عرض، ولا بمحل الأعراض والجواهر والأجسام... » "الانتصار على المعتزلة القدرية الأشرار" : ٩٨/١

(٣) أما الاكتفاء بإثبات (موجود حي) وراء هذا الكون، أو إثبات (قوة عظمى مدبرة)، أو (سبب فعال) أو (كائن أعلى ذكي) أو ما سمِّي حديثًا (طاقة كونية)، دون الإيمان بالله ﷻ وأسمائه وصفاته على ما جاء في النصوص الشرعية فلا يسمى إيمانًا بالله، وإنما حقيقته الكفر بالله، وإن أثبتوا لما يؤمنون به بعض صفات تشتبه في ظاهرها ببعض ما أخبر الله عن نفسه – تعالى عن الشبيه والمثيل – فلا يعد مؤمنًا بالله إلا من أثبت وجود الله وأسمائه وصفاته على الحقيقة التي أخبر بها الله ورسوله، وقد أدى إطلاق اسم الإيمان – من بعض المصنفين في العقائد والفكر المعاصر والمترجمين للفكر الغربي والشرقي– على إثبات مثل هذه الأمور إلى تلبيس الحق لدى كثير من الناس.

(١) ينظر : "شرح المواقف" : ٣٧٢/٨

علم العبد بأسماء الله وصفاته وآياته ازداد إيمانه وكملت عبوديَّته؛ فمن أحصى أسماء الله ومعانيها وآمن بها وعمل بمقتضاها؛ كان إيمانه أكمل ممَّن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملاً أو عرف بعضها فقط(٢).

**٢. الإيمان بالملائكة:**

وهم عالم غيبيّ، خلقهم الله من نور وجعلهم عابدين له، ومنحهم الانقياد التامّ لأمره، والقوّة على تنفيذه ، وليس لهم من خصائص الربوبيّة شيء.

فالإيمان بهذا الركن يتضمَّن: التصديق والإقرار بوجودهم، والإيمان بأنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون(٣). والإيمان بصفاتهم كما أخبر الله ﷻ في كتابه، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ [فاطر:١]، وكما بين رسوله ﷺ كإخباره بأنّ الله خلقهم من نور(٤)ففي الحديث: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم"(٥)، وليس لنا أن نتجاوز هذه الصفات باحتمالات عقليَّة أو تكهُّنات، فنؤمن بأنّ كلّ ما أخبر عنهم رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة فهو حقيقة على ما أخبر، وإن لم تدرك كيفه عقولنا؛ إذ لا طريق لمعرفة حقيقتهم إلاّ طريق الكتاب والسنة، وكذا الأمر فيما يتعلَّق بأسمائهم وأعمالهم، فنؤمن تفصيلاً

---

(٢) بخلاف ما يذهب إليه الخازمية من الخوارج حيث ترى فرقة المعلومية منهم أن من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو جاهل به، والجاهل به كافر، والمجهولية بخلافهم يرون أن من عرف الله ببعض أسمائه فقد عرفه حق المعرفة، ينظر : "مقالات الإسلاميين" للأشعري : ٩٦، و"الفرق بين الفرق" للبغدادي : ٩٨

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٣٤/٧

(٤) ينظر : "الشفا" : ٣٠٣/٢

(٥) لم يبين الرسول ﷺ فيما ثبت من الأحاديث أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولا سبيل لمعرفة ذلك على اليقين إلا منه ومن ثم لا يلتفت لما روي عن عكرمة ﷺ أنه قال: (خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة)، ولا ما روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال: (خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر)، ولو ثبت نسبته إليهم ولعله من خبر الإسرائيليات. ينظر: "عالم الملائكة الأبرار" لعمر الأشقر : ٩

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة، رقم: ٢٩٩٦

بمن ذكرهم الوحي كجبريل وإسرافيل وميكائيل ورضوان ومالك، ومنكر ونكير[١]، وحملة العرش والحفظة وغيرهم على ما بين الله ﷻ في القرآن أو بينه رسول الله ﷺ من صفاتهم وأعمالهم.

ومن أنكر وجود الملائكة فهو منكر لكلام الله ورسوله؛ إذ لا مجال للتأويل فالنصوص المخبرة عنهم واضحة وصريحة قاطعة، لذا كان الإقرار بحقيقتهم مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين، وتأويل ذلك إنما هو إنكار للحقّ الثابت بالوحي، وهو صنيع الفلاسفة المنتسبين للإسلام تأثرًا بأساتذتهم في الفلسفة اليونانية القديمة، وبمثل قولهم يقول كثير من أصحاب المدارس العقليّة في كلّ زمان، يقول أحدهم من المعاصرين[٢]: «إن ما نعتبره بعض مبادئ الطبيعة[٣]، كان أسلافنا يعتبرونه ملائكة»!

ومن ذلك الزعم بأنهم نفوس مجرَّدة في ذواتها متعلِّقة بأجرام الأفلاك، أو عقول مجرّدة ذاتًا وفعلاً، وأنَّه لا كلام لهم يُسمع؛ لأنّ الكلام من خواصِّ الأجسام، وأنّ الأنبياء عليهم السلام إنما أخبروا عنهم على سبيل التخييل لا الحقيقة !

أو أنهم هم القوى المدبِّرة للعالم، وأنّ من صفاتهم العلم بالكوائن ماضيها وآتيها وغيره مما يبنى على قواعد الفلسفة ومعتقدات الصابئة، فإنّه ضلال كبير يوصل إلى الكفر[٤].

### ٣.الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

---

(٢) ذكر القاضي في "الشفا": ٣٠٣/٢ أن عزرائيل من الملائكة المسمون بأسمائهم. ولم يثبت فيه – على حدّ علمي – حديث صحيح. فلا يجب الإيمان بهذا الاسم تعيينًا، وإنما يلحق بمن لم تثبت الأخبار بتعيينهم ولا وقع الإجماع على كونهم من الملائكة فيتوقف فيه، ويُطلق عليه ما أطلقه القرآن والسنة(ملك الموت).

(٣) القائل هو المدعو سيد أمير علي، في كتابه"روح الإسلام" : ٧٨

(٤) من المعروف في السنن الكونية التي يسمونها مبادئ القوانين الطبيعية أن تكوّن الرياح وهبوبها وتكوّن المطر ونزوله يسير وفق سنن مطردة، جعلها الله آية لعباده ودليلاً على إحكام صنعه، ولا يعني كشف العلم عن بعض أسبابها الظاهرة إبطال ما ثبت بالخبر الصادق من الأمور الغيبية كوجود ملك موكل بالرياح وآخر بالمطر، وأن مع كل قطرة مطر ملك إلى موضعها وغير ذلك مما أخبرنا به عالِم الغيب والشهادة ﷻ. لكن الذين في قلوبهم مرض وشك يقفون عند الأسباب الطبيعية التي كُشفت، ويجحدون ما وراء ذلك من غيب ويغفلون عن مسبب الأسباب، فتجد الشُبه طريقها إلى قلوبهم – نسأل الله الهدى والثبات – وأما الذين آمنوا فيعلمون أن ما علموه هو بعض الغيب النسبي، ويزيد إيمانهم بربهم وخشيتهم له.

(١) ينظر :"شرح المواقف" : ٢٤٥/٨ ، وينظر : حاشية السيالكوتي على شرح المواقف مطبوع معه : ٣١٢/٨

وهو أصل مهمّ من أصول الإيمان بالغيب وركن من أركانه، وتعلقه بالغيب من وجهين؛ فالإيمان بالنبوة والرسالة إيمان بغيب مطلق هو الوحي، ومن وجه آخر فإن الأنبياء غيب ماض فيكون الإيمان بهم من الغيب النسبيّ عند من لم يعيشوا في زمانهم.

والأنبياء عليهم السلام وسائط بين الله وعباده في تعريف العباد بكثير من نبأ الغيب فيما يتعلّق بربِّهم وما يصلح دينهم ودنياهم معاشهم ومعادهم، ويبيِّن لهم حالهم بعد وصولهم إلى ربِّهم ﷻ [1].

والإيمان المجمل بهذا الركن يتحقّق بإثبات النبوة وأنها اصطفاء من الله ﷻ لصفوة البشريّة وخيارها، وأنه أرسل من شاء منهم لهداية البشر، وإرشاد الخلق، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل:٣٦] وجعلهم مبشِّرين ومنذرين ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويبيِّنوا لهم بالحجَّة مراد رب العالمين، قال تعالى: ﴿**رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء:١٦٥].

كما يتضمّن الإيمان بأنهم – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – معصومون من كبائر الذنوب ومن الخطأ في تحمّل الرسالة وبلاغها، فلا ينسون شيئًا ممّا أوحاه الله إليهم إلاّ ما أنساهم الله إيّاه بعد نسخه، ولا يكتمون شيئًا مما أُمروا بتبليغه، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [المائدة:٦٧] فقد بلّغوا الرسالة وأدَّوا الأمانة وجاهدوا في الله حقّ جهاده، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أمّا الإيمان المفصّل فيكون بالإيمان بكلّ من سمّى الله لنا منهم أو نبيّه ﷺ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾** ﴾ [آل عمران:٨٤]، وقال ﷻ واصفًا صنيع المؤمنين: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾** ﴾ [البقرة:٢٨٥].وقد سمى الله لنا بعضهم[2]

(٢) ينظر:"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٩/٩٦

(١) الذين سماهم الله خمسة وعشرين نبيًّا في كتابه هم: محمد وأدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وهود وصالح، وشعيب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وإدريس وذا الكفل، وزكريا ويحي وعيسى وإلياس واليسع

وذكر أنّ ورائهم كثيرون لا نعلمهم قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨]، وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قلت يارسول الله، كم وفاء عدّة الأنبياء؟ قال: "مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا"[(١)]، فلا بدّ أن نؤمن بكلّ من عرفناهم بأسمائهم من الكتاب أو سنَّة المصطفى ﷺ، وليس لنا أن ننسب النبوّة لأحد لم يثبت تعيينه من أنبياء الله ﷻ، فقد توقّف المصطفى ﷺ في أمر من أُخبر عن صلاحهم وقصصهم، ولم يُخبَر عن نبوّتهم فقال: "ما أدري أتُبّع نبيًّا أم لا، وما أدري ذا القرنين نبيًّا أم لا"[(٢)].

فمن شروط الإيمان بالنبوّة والأنبياء الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ في الوحي كتابًا وسنة إيمانًا مجملاً، أمَّا معرفة تفاصيل خبر كلّ من سمّى الله من رسله والاتعاظ بما في قصصهم، فإنه يزيد من الإيمان واليقين لمن عرفه وآمن به، ويكون قد حقّق بذلك الإيمان الواجب عليه،«ومن كذب واحدًا منهم فقد كذب الجميع»[(٣)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

ويلحق بالتكذيب بالأنبياء كلّ قول أو اعتقاد يقدح في عصمتهم، وينسب القبائح إليهم كحال اليهود لعنهم الله ومن شايعهم من أهل الأهواء والبدع في كلّ عصر.

أمَّا الإيمان بمحمّد ﷺ فهو غير الإيمان بسائر الرسل؛ لأنّه النبيّ الخاتم[(٤)]فلا بدّ أن يتضمّن الإيمان به تصديقه بكلّ ما أخبر، واتباعه فيما جاء به من الأمر والنهي إجمالاً

---

وإسماعيل ويونس ولوط صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسمى رسول الله ﷺ غيرهم وهم: شيث ويوشع بن نون عليهما السلام. وذُكر الخضر ﷺ في قصته مع موسى بدلالات تدل على نبوته وهو الراجح والله أعلم، ينظر : "البداية والنهاية" لابن كثير : ٣٢٦/١

(٢) أخرجه أحمد في المسند، رقم: ٢١٧٨٥ وهو في مشكاة المصابيح: ١٢٢/٣ وقال الألباني في تحقيق المشكاة: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب السنة،باب التخيير بين الأنبياء ، رقم: ٤٦٧٤ بلفظ: "ما أدري أتبع نبي هو أم لا وما أدري أعزير نبي هو أم لا"، ورواه الحاكم ،رقم: ١٠٤ وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، والبيهقي،رقم : ١٧٣٧٣، ينظر: صحيح الجامع الصغير : ١٢١/٥

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٨٠/١٩

(٣) تمثل عقيدة ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ ركنًا مهمًا في تحقيق الإيمان بالأنبياء؛ لأنها السياج الذي يحمي الشريعة من

وتفصيلاً، فنصدِّق ما أخبر به، وصحّ نقله عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا؛ ونشهد أنّه حق وصدق سواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه(١)، ونؤمن بأنّه خاتم النبيِّين، وأنّ شريعته ناسخة لجميع الشرائع(٢)، ونطيعه فيما أمر، ونجتنب مانهى عنه وزجر، ولا نجاة إلا بتحقيق هذا الإيمان به واتّباع سنة رسول الله والعمل بشريعته ﷺ.

### ٣.الإيمان بالكتب:

وهو الإيمان بما أنزل الله ﷻ من كتب على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم. والإيمان بالكتب فرع عن الإيمان بالغيب، فالإيمان بها تصديق بخبر الوحي وإيمان بمنزلها ﷻ، وهي طريق مهم لمعرفة الغيب فيما يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل. والإيمان بها يكون بتصديق ما أخبر القرآن العظيم من خبرها تفصيلا أو إجمالا ، فنؤمن بأن الله ﷻ أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ **الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ** ﴾ [آل عمران:١-٤]، وقال: ﴿ **وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا** ﴾ [النساء:١٦٣]، فالإيمان بجميع الكتب من مقتضيات الإيمان بصدق القرآن الكريم الذي بقي محفوظًا معصومًا وأخبر عن سائر الكتب، إلاّ أنّ الإيمان بالكتب السابقة يكون إجمالاً فيما أجمل منها، وتفصيلاً فيما فصّل ونقل إلينا بخبر صحيح، فقد أخبرنا الله في القرآن أنها حُرفت عما كانت عليه بالزيادة والنقص والتبديل، أمّا القرآن الكريم فقد أخبرنا الله ﷻ بأنه تكفّل بحفظه ليكون حجّة على الناس إلى يوم الدين، فقال: ﴿ **إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩** ﴾ [الحجر:٩]، وأنه شمل ما في الكتب قبله وهيمن عليها وصدّقها ونسخ بشريعته شرائعها، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ** ﴾ [المائدة:٤٨]، فيجب الإيمان بأنّ القرآن كلام الله ﷻ، أنزله على رسوله وحيًا،

---

محاولات الإبطال، ويحمي الأمة من محاولات الصرف عن دينها، ينظر للفائدة : "عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية" لأحمد الغامدي.

(٤) ينظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٣١٣/٧، و"شرح العقيدة الطحاوية": ٤٢٤، و"شرح لمعة الاعتقاد": ٢٥١

(٥) ينظر :"أصول الدين" للبغدادي : ١٥٩، و"الفرق بين الفرق" : ٣٣٢، و"شرح الطحاوية" : ١٤

والإيمان بأنّ كلّ ما فيه من الأخبار والأحكام والشرائع حقّ، والوقوف عند أمره ونهيه، وكلّما ازداد العبد بكتاب الله معرفة، ولآياته تلاوة وتدبُّرًا؛ زاد إيمانه وترقّى في مراتب الإيمان واليقين.

ومن تمام الإيمان بالكتب والرسل الإيمان بصدق ما أخبروا به ومن ذلك الإيمان بعالم الجن والشياطين الغيبيّ، فالجنّ -كالملائكة- مخلوقات غيبيّة لا نعرف حقيقتها إلاّ عن طريق ما جاء به الوحي كتابًا وسنة، وإن كان الاتصال بهم عن طريق الحسّ معروفًا في حالات إلاّ أنّه اتصال لا يفيد العلم اليقينيّ؛ لذا كان الصواب الاقتصار على ما ورد في النصوص من خبرهم، ففيه كلّ ما نحتاجه لمعرفتهم، وتوقّي شرورهم والنجاة من حبائلهم، وقد بينت نصوص القرآن أنّ الجانّ مخلوقون قبل الإنس، وأنهم خلقوا من نار، قال تعالى: ﴿**وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ** ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٧]، وأنهم مكلّفون بالعبوديّة مثلنا منهيُّون عن الكفر والعصيان: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وقد أخبرنا الله ﷻ عن بعض صفاتهم وأعمالهم لتكون عونًا لنا في النجاة من الفتنة بهم، ومن أهمّ ذلك ما حفلت به نصوص القرآن من خبر إبليس وحسده وعداوته لآدم عليه السلام وتربُّصه بذرِّيته إلى يوم الدين ليحذره الناس، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ [فاطر:٦]، وبيَّنت نصوص السنَّة كيفيَّة التحُّصن من شرِّه تفصيلاً.

فكلّ ذلك نؤمن به على حقيقته ومن أنكر القرآن، أو حرفًا منه، أو غيّر شيئًا منه، أو زاد فيه، أو أنكر شيئًا مما نصّ عليه القرآن وأثبته، ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام كفر[1]، ويلحق به من ينتقصه، فيزعم أنه كتاب أساطير مفيدة! وتعاليم قديمة تناسب عصر من نزلت عليهم وحظّهم من الإدراك والفهم!!

**٤.الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان باليوم الآخر من أهمِّ أصول الاعتقاد، وقد جاء ذكره في القرآن والسنّة كثيرًا مقترنًا بالإيمان بالله ﷻ، فالإيمان به -بعد إثبات الوحدانية لله تعالى- هو أساس الاستجابة لمنهج العبوديّة لله ﷻ، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾ [البقرة:٢٣٢]، وقال: ﴿**إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾ [النساء:٥٩].

(١) ينظر :" الشفا" : ١٠٧٦/٢

ولا سبيل لمعرفة هذا اليوم وتفاصيل ما يكون فيه إلاّ بخبر الوحي فهو من المستقبليات الغيبيّة التي لا مدخل للعقل فيها؛ لذا أفاضت نصوص الكتاب والسنة في بيان أسمائه وتفاصيل وقائعه حتى كأنّه رأي العين، فأخبر القرآن الكريم عن البعث، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝﴾ [الأنبياء:١٠٤] وأخبر ﷻ عن الحساب والجزاء ودلل عليه بأنواع الأدلة العقلية والبراهين الواضحة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝﴾ [ق:٩-١١] وردّ على منكريه وأنكر عليهم استبعاد وقوعه، قال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١١٥]، وذكر الجنَّة والنار وما أعدَّ الله فيهما من الجزاء تفصيلاً فلا تكاد تقرأ صفحة من صفحات القرآن إلاَّ وتجد فيها شيئًا عن خبر اليوم الآخر.

كما فصَّلت سنَّة المصطفى ﷺ وصف أحداث البعث والمحشر وأهوال القيامة وأصناف أهل النار ودرجات الجنان وأنواع النعيم وصنوف العذاب ممّا أطلع الله عليه نبيّه ﷺ فبلّغه أتمّ البلاغ [1].

والإيمان باليوم الآخر يشمل التصديق بكلّ ذلك ممَّا ورد في كتاب الله أوسنَّة رسوله ﷺ من بعث وحشر للأجساد والأرواح[2]، ومن الحساب والجنَّة والنار، ومن أشراط الساعة فكلّها خبر الصادق الذي عُلم صدقه بأدلّة قاطعة في مواضع كثيرة، وبعبارة لا تقبل التأويل حتى صار معلومًا بالضرورة كونها من مسائل الدين، ومن هذه الأمور ما يُعدّ من الغيب النسبيّ يُكشف لمن قدّر الله لهم ذلك كأشراط الساعة لمن يعيشون زمانها، ومنه ما هو غيب مطلق استأثر الله

(١) لا مجال لبسط تلك الأدلة في هذا الموضع، والمصنفات فيها كثيرة قديمًا وحديثًا.

(٢) المعاد بالأجساد والأرواح هو القول الصحيح من بين خمسة أقوال؛ أولها: أن المعاد بالأجساد فقط، وهو قول الفلاسفة الطبيعيين، وثانيها: أنه بالأرواح فقط، وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين، وثالثها: وهو الصواب الذي دلت عليه النصوص: أنه بهما معًا،وهو مذهب المحققين من أهل الإسلام، والرابع: أنه لا يثبت شيء منهما،والخامس: التوقف=
=وهو المنقول عن جالينيوس. ينظر: "شرح المواقف" : ٣٢٥/٨

بعلمه، فلا يعلمه أحد إلاّ هو، كزمان وقوع الساعة وقيامة القيامة[١]، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وقال ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" [٢]. فتعيين زمانها لا يُعلم إلاّ إذا صحّ به الخبر، وقد ثبت في الخبر أنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن لا يعلم تعيين تلك الجمعة إلاّ الله وحده لا شريك له، ولا في أيّ سنة هي ولا أي شهر، وكذلك الأزمنة المتعلّقة بأشراط الساعة وعلاماتها، والله أعلم[٣]!

والإيمان المجمَل بيوم القيامة وما يسبقه من أشراط، وما فيه من أحداث وبالجنّة والنار، يحقق أصل الإيمان مع أصول المسائل الأخرى أمّا معرفة تفصيل ذلك وأدلّته فهي من أسباب زيادة الإيمان واليقين.

وإنكار البعث والحساب أو القيامة أو الجنّة والنار كفر بإجماع[٤]، ويلحق به تأويل الحقائق التي أخبر عنها الوحي إلى معاني مجرّدة أو حسِّيَّة، كما هو صنيع الفلاسفة وكثير من تلامذتهم العقلانيِّين حديثًا بتأويل أخبار الجنّة والنار، والزعم أنها تشبيهات لتربية الناس تخويفًا وترغيبًا! أو أنّ المقصود بالجنّة رفاهية الدنيا، وبالنار ما في الدنيا من الشقاء! وغير ذلك مما يعدّ كلّه إنكارًا للغيب، وإن تستّر باسم التأويل[٥].

**٥. الإيمان بالقدر خيره وشرّه:**

---

(١) أخطأ من ظن أن رسول الله ﷺ يعلم ذلك، ينظر: "الإشاعة لأشراط الساعة"للبرزنجي: ٣، كذلك أخطأ من حدد عمر الدنيا، وظن أنه توصل لحساب وقت الساعة، ينظر:"الحاوي للفتاوى" للسيوطي: ٨٦/٢ .سواء كان منهجه تتبع الأحاديث الضعيفة والموضوعة، أو تنبؤات الكهنة أو حساب الجُمّل أو ما أسموه الإعجاز العددي، ينظر هامش ص٥١، وص ١٣٦من هذا البحث.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، رقم:٥٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٨

(٣) ينظر : "التذكرة" للقرطبي : ٦٢٨

(٤) ينظر :"الشفا" : ١٠٧٦/٢

(٥) ينظر على سبيل المثال : "البعث أو معنى الروح" لعبد العظيم سعد : ٨

وهو الإيمان بتقدير الله ﷻ للأشياء في القدم قبل إيجادها، وعلمه ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته ﷻ لذلك ومشيئته له، ثم وقوع كلّ شيء حسب ما قدّر وقضى[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

فالإيمان بالقدر مرتبط بالإيمان بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل وهو مبنيٌّ على المعرفة بالله ﷻ؛ فلا يتحقّق إلاّ بالمعرفة الصحيحة بذاته وأسمائه وصفاته ﷻ وإثبات أنه خالق كلّ شيء، وقادر على كلّ شيء، وعالم بكلّ شيء قبل أن يكون، وأنّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلاّ بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو القادر على كلّ شيء، ولا يشاء شيئًا إلاّ وهو قادر عليه[٢]، سبحانه لا إله إلا هو خالق كلّ شيء.

ولا يتعارض الإيمان بالقضاء والقدر مع إثبات مشيئة وقدرة للعباد، فإنهم يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاءون إلاّ ما يشاء الله[٣]؛ لذا لم يكن الإيمان بالقدر عند أهل السنة مانعًا من العمل ولا موجبًا للاتكال، بل دافع للجدّ والأخذ بالأسباب مع صدق التوكُّل على الله والرضا بما قدّره الله وقضاه[٤]، «وسلف الأمة وأئمتها متّفقون على أنّ العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيُّون عما نهاهم الله عنه، ومتّفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنّة، ومتّفقون على أنه لا حجّة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرّم فعله، بل لله الحجّة البالغة على عباده»[٥].

ومنزلة الإيمان بالقدر من الدين عظيمة، والتكذيب به نقض للإيمان والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله وآمن بالقدر تمَّ توحيده، ومن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[٦].

---

(١) يتضمن هذا مراتب القدر الأربع، وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، ينظر : العقيدة الواسطية : ٢١، والعقيدة السفارينية : ٣٤٨/١ ، والقضاء والقدر للمحمود : ٣٩

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٤٩/٨ ، و"فتح الباري" : ١١٨/١ ، و"القضاء والقدر"للمحمود : ٨٣

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٥٩/٨

(٤) ينظر : "القضاء والقدر" للأشقر : ٨٤

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٥٢/٨

(٦) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في " السنة" : ١٢٣/٢

ويلحق بالتكذيب به أنواع أخر من الضلال ومجانبة الحقّ بيّنها ابن القيّم فقال: «المخاصمون في القدر نوعان: أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]. والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق؛ والطائفتان خصماء الله »[1]، فالنوع الأوّل هم الجبرية المحتجُّون بالقدر[2]، فهم معترفون بالقضاء والقدر، ولكنهم يزعمون أن ذلك يوافق الأمر والنهي، ويسمون القدريّة المشركة لمشابهة قولهم قول المشركين من قبل، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٨]، والنوع الثاني هم القدريّة نفاة القدر[3]الذين يجعلون لله شركاء في خلقه فيقولون: خالق الخير غير خالق الشرّ، ولهذا يسمُّون بالقدريّة المجوسيّة، فيجعلون الذنوب واقعة بغير مشيئة الله، ومنهم من يقول: ولا يعلمها أيضًا، وهؤلاء هم الذين سمّاهم الرسول ﷺ مجوس هذه الأمة بقوله: "لكلِّ أمَّة مجوس، ومجوس أمّتي الذين يقولون: لا قدر"[4]، ومن القدريّة نوع ثالث

---

(١) "شفاء العليل" : ٢٨

(٢) هم الجبرية الخالصة أتباع جهم بن صفوان الذين نفوا قدرة العبد على فعله وخلطوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وزعموا أن الفاعل هو الله وحده، وتبنى الأشعرية قولهم إلا أنهم قالوا إن أفعال العباد مع كونها مخلوقة لله فهي كسب العبد وقدرة العبد ليست مؤثرة في حدوث الفعل، قال ابن تيمية: «فإن الأشعرية وبعض المثبتين للقدر وافقوا جهم بن صفوان في أصل قوله في الجبر، وإن نازعوه في بعض ذلك نزاعًا لفظيًّا». "منهاج السنة": ٤٦٣/١، وقد أعلن الجهمية ما يكفرون به، أما الأشاعرة فتخبطوا في مقولتهم، فرد عليهم أهل السنة وبينوا مخالفة قولهم للنصوص ومجانبته للصواب.

(٣) غلاة القدرية النفاة هم الذين أكفرهم أهل السنة بقولهم في نفي علم الله بالأشياء قبل وقوعها، ونفيهم لخلقه أفعال العباد وزعمهم أنها ليست واقعة بقدره، فكانوا بقولهم هذا مجوس هذه الأمة، وأول من قال به معبد الجهني، وقد ذكر العلماء أن هذا المذهب قد باد. وبقي منه ما تبنته المعتزلة فأثبتوا علم الله ﷻ، وخالفوا في أفعال العباد فزعموا أنها مقدّرة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال، ينظر: "شرح الأصول الخمسة" للقاضي عبد الجبار : ٣٦١، و"المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي نفسه : ١٠٩/٨. ولهذا لم يكفرهم السلف وإن كانوا ردوا عليهم وبينوا ضلالتهم قال القرطبي في مقولتهم: «وهو مع كونه مذهبًا باطلا أخف من الأول»، ينظر : "فتح الباري"لابن حجر : ١١٩/١

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم: ٥٥٥٩. وأبو داود كتاب السنة،باب في القدر برقم٤٦٩١ ولفظه "القدرية مجوس هذه الأمة"، والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر، وينظر: صحيح الجامع : ٣٧/٥

هو القدريّة الإبليسيّة [(١)] الذين يثبتون علم الله وقدرته ومشيئته النافذة، لكنّهم يرون في هذا تناقضًا ومجانبة للعدل – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – فشابهوا بقولهم هذا إبليس لعنه الله.

« فالقدر يؤمن به ولا يحتجّ به، فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس، ومن احتجّ به ضارع المشركين، ومن أقرّ بالأمر والقدر وطعن في عدل الله وحكمته كان شبيهًا بإبليس، فإن الله ذكر عنه أنه طعن في حكمته وعارضه برأيه وهواه وأنه قال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحجر:٣٩] » [(٢)].

فهذه المسائل الستّ هي أركان الإيمان بالغيب وأصوله التي استفاضت أدلّتها، وهي معلومة من الدين بالضرورة، معروفة عند أهل الإسلام، ولا يتصوّر جهل مسلم بها إلاّ أن يكون مغلوبًا على عقله[(٣)]، وقد ذكرها القرآن بنصّها واشتهرت وتناقلها عوامّ المسلمين فضلاً عن علمائهم، قال الشافعيّ: «وهذا الصنف كلّه من العلم موجود نصًّا في كتاب الله وموجودًا عامًّا عند أهل الإسلام، ينقله عوامّهم عمّن مضى من عوامّهم، يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته، ولا وجوبه عليهم، وهذا العلم العامّ الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع »[(٤)]، فالإيمان بهذه الأركان واعتقادها شرط في الإيمان الواجب لا يتحقّق إلاّ به، وهي أساس معرفة وجوب الواجبات وتحريم المحرّمات وسائر مسائل الدين، فجميع الاعتقادات والعمليّات لا تُعرف إلاّ من طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وقد أخبرت نصوص الكتاب والسنة بكثير من الأمور المتعلّقة بهذه الأركان كما في الإخبار عن الجنّ، وعن الصراط والميزان، وانفردت السنّة ببيان كثير من تفاصيلها، ومن ذلك الإخبار عن وصف عذاب القبر وصفة الميزان والحوض والصراط ونحو ذلك من أمور الآخرة، وأكثر المسلمين متّفقون على وجوب الإيمان بهذه الحقائق الغيبيَّة وعدّها من أصول الدين وقواعد الإيمان التي يجب الإيمان بها على ما جاء في الخبر المعصوم [(٥)]، وقد نهج أئمة السلف

---

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٥٦/٨

(٢) المرجع نفسه : ١١٤/٨

(٣) إلا أن يكون في آخر الزمان عندما يندرس الدين كما أخبر رسول الله ﷺ.

(٤) "الرسالة" للشافعي : ٣٥٨، وقد مثّل الشافعي رحمه الله لهذا العلم بوجوب الصلاة ووجوب الصيام من العمليات. ومثاله هنا في باب الاعتقادات الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٠٨/٧

في تقرير معتقدهم بهذه الأركان ومتعلّقاتها وتفاصيلها إيراد أدلّتها من الكتاب والسنَّة[١]، دون مزيد تفصيل أو رأي حتى سُمُّوا بأهل الحديث وهي – لعمر الله – مفخرة لهم، فطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم؛ قدّروا العقل قدره فلم يعتدّوا برأيه في خبر الغيب، وسلّموا للوحي وصدَّقوا خبره، وأمرّوا النصوص كما جاءت، فآمنوا بها وأثبتوا معانيها على الحقيقة، وفوَّضوا علم كيفها لخالقها[٢]، العالم بها ﷻ سواء في صفات الله تعالى أو سائر المغيّبات، وفيما يلي جملة من أقوالهم الدالّة على منهجهم في بعض متعلّقات هذه الأركان:

قال ابن حزم [٣]:«في إثبات عالم الجنّ على حقيقته كما في عالم الملائكة: « الملائكة حقّ، والجنّ حقّ، قال تعالى: ﴿ **جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ** ﴾ [فاطر:١] وقال تعالى: ﴿**وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ**﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٧] » [٤].

وفي الصراط والميزان قال الإمام أحمد: «نؤمن بالصراط والميزان والجنة والنار والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب».

وفي إثبات عذاب القبر قال الآجريّ[٥]بعد ذكر أحاديث النبيّ ﷺ الدالّة عليه: «ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث! لقد ضلّ ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا» [٦]. وقال بعد ذكر الميزان الذي ثبت في السنّة أنّ له كفتين حقيقيَّتين: « فنعوذ بالله ممن يكذب بالميزان » [٧].

---

(١) راجع هامش(٥) ص١٦٥من هذا البحث.

(٢) تفويض الكيف هو الجزء المقبول من التفويض عند أهل السنة وبه يتحقق منهجهم في الإثبات مع التنزيه، أما المعنى فقد أخطأ من نسبه إليهم، فإنه إثبات ألفاظ مفرغة من المعنى وهو منهج مبتدع انتهجه الأشاعرة وغيرهم، ينظر للتفصيل: "مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات" لأحمد القاضي : ١٥٢وما بعدها. ١١٤

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الأندلسي الظاهري، ولد سنة ٣٨٤ هـ، من مصنفاته : المحلى ، والفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، وجمهرة الأنساب. توفي سنة (٤٥٦هـ).ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١٨٤

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١١٤/٨

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري ،من أئمة أهل السنة والجماعة، من مصنفاته كتاب الشريعة، توفي سنة (٣٦٠هـ). ينظر : "طبقات الحفاظ" للسيوطي ٣٧٩ ؛"شذرات الذهب" لابن العماد: ٣٥/٢

(٦) "الدرة فيما يجب اعتقاده" : ٢٠٦

(٧) ينظر : "الشريعة": مج ١٣٤٢/٣

وقال ابن أبي العزّ عمّن نفى حقيقة الميزان باستبعاد عقليّ: «ولا يلتفَت لملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن! وإنما يقبل الوزن الأجسام !!» (١).

وقد سار على منهج أهل السنَّة في إثبات حقائق الغيب على معانيها المعروفة دون تكييف بعض من عُرفوا بالتأويل في بعض الصفات، وما ذاك إلا لكثرة النصوص الحديثيّة التي تبيّن حقائق اليوم الآخر الغيبيَّة في سياق لا يحتمل التأويل والحمل على معان مجازيّة، ومن هؤلاء القرطبيّ (٢)، فقد ذكر الحوض الذي وُعد به نبيّنا ﷺ ودلّل عليه ثم قال: «مما يجب على كلّ مكلّف أن يعلمه ويصدِّق به أنّ الله ﷻ خصّ نبيَّه ﷺ بالحوض المصرّح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعيّ» (٣).

وإنما كانت هذه المسائل مسائل أصول، واعتقادها شرط في الإيمان لاستفاضة أدلَّتها وظهور القول بإثباتها على حقائقها عند أكثر المسلمين، ولا شكَّ أنَّ مسائل الغيب ليست كلَّها ظاهرة جليَّة، فوراء الأمور الظاهرة أمور أخر كثيرة تختلف في ظهورها وبيانها للناس بحسب حظِّهم من العلم والفهم، وبحسب وضوح أدلَّتها أو خفائها، ومن ثَمّ لا يستوي في وجوب الإيمان بها جميع الناس، ولا يكفر كلّ من ينكرها - إلاّ أن يكون إنكاره لها عن تكذيب ومعاندة بعد معرفته بصدق خبرها عن رسول الله ﷺ - فهي مسائل ليس اعتقادها من شروط الإيمان، وتفصيل القول فيها هو موضوع المطلب التالي.

## المطلب الثاني

## مسائل الغيب التي هي فروع الإيمان ومكملاته

تبيّن ممّا سبق أنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة، قد أوضحا أصول المسائل الغيبيّة بأدلّة ظاهرة متواترة، فكان اعتقاد هذه المسائل شرطًا في صحَّة الإيمان الذي تعبَّدنا الله به(٤)، أمّا

---

(١) "شرح الطحاوية" : ٦١٢

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ،المفسر المشهور، من مصنفاته : والتذكرة، والجامع لأحكام القرآن.توفي سنة (٦٧١هـ) .ينظر: "الديباج المذهب" لابن فرحون: ٣١٧ ، و"نفح الطيب" لأحمد المقَّري: ٦٨٥/٢.

(٣) "فتح الباري" : ٤٦٧/١١

(٤) الحديث هنا سيكون فقط عن الغيب صحيح المصدر فقط، أما الغيب المدّعى من المصادر الباطلة فرفضه من شروط الإيمان، والمستقى من المصادر التي يختلط فيها الغيب الحق بغيره قد سبق تفصيل الحديث عن حكم الإيمان به في فصل

المسائل التي ليس هذا وصفها في الوضوح، وقد تخفى دلائلها فلا تظهر لكلِّ المدارك والأفهام، فمن مقتضى قول الله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ** ﴾ [البقرة:٢٨٦] أن لا تكون من شروط صحّة الإيمان وواجباته وإلاّ وقعت المؤاخذة على كثير من العباد بما لا يستطيعونه، وقد نزّه الله ﷻ نفسه عن ذلك.

ولا شكَّ أنَّ القول بأنَّ هذه المسائل الغيبيَّة اعتقادها ليس من شروط الإيمان، والحكم بأنها مسائل اعتقاد فرعيّة لا ينضبط بشكل كامل؛ إذ الأمر كما يتعلَّق بذات المسائل وأدلَّتها؛ يتعلّق بأحوال الناس وظروف الزمان والمكان الذي يعيشونه، قال ابن تيميَّة: «إنَّ المسائل الخبريّة قد تكون واجبة الاعتقاد، وقد تجب في حال دون حال، وعلى قوم دون قوم، وقد تكون مستحبّة غير واجبة، وقد تستحبّ لطائفة أو في حال كالأعمال سواء. وقد تكون معرفتها مضرَّة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها، كما قال عليّ ﷺ: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون؛ أ تحبُّون أن يُكذَّب الله ورسوله» [(١)]، وقال ابن مسعود ﷺ: «ما من رجل يحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة لبعضهم» [(٢)]» [(٣)].

ولهذا لن يكون الحديث في هذا المطلب استقصائيًّا جامعًا للمسائل التي ليس اعتقادها من شروط الإيمان، وإنما محاولة لاستنباط أصول وقواعد تضبط الأحكام المتعلِّقة بهذا النوع من مسائل الغيب. وقد بدا بعد دراسة هذه المسائل إمكان تصنيفها إلى أنواع كما يلي:

**١. الغيب الذي لم يتعبَّدنا الله باعتقاده:**

حفظ التاريخ كثيرًا من الوقائع والأحداث وأسماء الأشخاص التي تكشف عن أخبار حقب من الغيب الماضي وأحداثه مما لا يتعلّق بأصول الدين ولا يترتّب على الاعتقاد به عمل، فمثل هذه الأخبار والسير – وإن عرفت بالتواتر واشتهرت عند الناس – فإنّ عدم اعتقادها لا يقدح في الإيمان؛ إذ ليست مما ينبني على الإيمان به عقائد الدين أو شرائعه، وردّ خبرها وإنكاره لا يؤدِّي إلى إبطال شريعة ولا يفضي إلى نقض قاعدة من الدين، ولا إلى تكذيب خبر الله ورسوله ﷺ، حتى وإن كانت هذه الأخبار مما يُعدّ من التاريخ الإسلاميّ، فمن أنكر وقوع غزوة

---

(مصادر الغيب) بما يغني عن إعادته هنا.

(١) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، رقم: ١٢٧

(٢) رواه مسلم في المقدمة ،باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ،رقم:٥

(٣) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦/٦٠

من الغزوات غير المذكورة في الكتاب والسنة، أو أنكر وجود أشخاص غير مشهورين من الصحابة أو غيرهم فإنه لا يكفّر بإنكاره، إلاّ إذا كان إنكاره من أجل تهمة الناقلين وهم المسلمون أجمع؛ فيكفّر بذلك لسريان قوله إلى إبطال الشريعة بالتشكيك في ناقليها [١].

ومن هذا القسم أيضًا المسائل الغيبيّة التي لم يرد تعيينها في الكتاب والسنة وكثيرًا ما تساق في كتب الاعتقاد أو التفسير على سبيل رواية المسألة وحكاية الأقوال المختلفة فيها [٢]، كمسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، فقد تكلّم الناس فيها على أقوال: فمنهم من قال بتفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، ومنهم من قال بتفضيل الملائكة، والوقوف في هذه المسألة أولى [٣]، فليس الإيمان بذلك من شروط الإيمان، قال ابن أبي العز معلِّقًا على الخلاف في هذه المسألة: «الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيِّين، وليس علينا أن نعتقد أيّ الفريقين أفضل، فإنّ هذا لو كان من الواجبات، لبُيِّن لنا نصًّا، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٤] » [٤].

ومثلها مسألة الفرق بين النبيِّ والرسول فإنها مسألة متعلِّقة بغيب، ولم يحسمها نصّ قاطع من الشرع، قال ابن أبي العز: «وقد ذكروا فروقًا بين النبيّ والرسول، وأحسنها أنّ من نبّأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبيّ رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبيّ وليس برسول.... » [٥]، فقد صدّر قوله بـ(ذكروا) مبنيًّا للمجهول على سبيل التضعيف، ثم قال: (أحسنها)، ولم يقل أصحّها لعدم وجود دليل قاطع على الصحّة، وإنما هو استحسان لرأي مبنيّ على اجتهاده.

(١) ينظر : "الشفا" : ٢٩١/٢

(٢) أحسن ما يكون في نقل ذلك استيعاب جميع الأقوال، ونقل تنبيهات العلماء على أحسنها وعلى الباطل منها فإن ذكر بعضها دون بعض قد يضيّع قولا كان الصواب فيه، ينظر : مجموع الفتاوى : ١٩٧/١٣

(٣) المشهور عن أهل السنة ترجيح القول بتفضيل صالح البشر على الملائكة باعتبار كمال النهاية، وتفضيل الملائكة باعتبار البداية فإنهم في الرفيق الأعلى منزهون عن الخطايا، ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٩٩/١٠ بينما يرى ابن حزم أن الملائكة أفضل، ينظر:"الدرة فيما يجب اعتقاده" : ٢٢٢ وما بعدها.

(٤) "شرح الطحاوية"لابن أبي العز : ٤١١

(٥) المرجع نفسه : ١٥٥

وتتبُّع الأدلّة في مثل هذه المسائل للوقوف على الحقِّ فيها استنباطًا من دلالات نصوص صحيحة المصدر؛ إن كان من أهل العلم فهو اجتهاد مأجور صاحبه بإذن الله [(١)]، أمَّا عوامّ الناس فيزجَرون عن الخوض فيها.

ويدخل في هذا القسم أيضًا الأشخاص الذين ذكرهم الوحي ولم يثبت تعيين نوعهم، ولا وقع الإجماع على كونهم من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت، أو لم تثبت لهم نبوَّة كلقمان، وذي القرنين ومريم وآسية[(٢)]، فليس اعتقاد نبوّة هؤلاء، أو إنكارها شرطًا في الإيمان، والصواب التوقُّف في أمرهم، لأنّ النفي يحتاج إلى دليل من الوحي كما أنّ الإثبات يحتاج إلى دليل.

ومن ذلك أيضًا معرفة أسماء أصحاب الكهف أو عدَّتهم، أو أسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام وغير ذلك مما أبهمه القرآن، ولا تتعلَّق به مصلحة للعباد في دينهم أو دنياهم، فكثير من السلف كره الكلام في مثل هذه المسائل مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف بالعامّة [(٣)].

**٢.الغيب الذي لم يثبت صدقه عند المخبَر به:**

من أصول الإيمان بالغيب المتعلِّقة بمصادره الإيمان بأنّ طريق العلم بالغيب محصور في الخبر الصادق فلا يُتلقَّى إلاَّ منه، ومن ثمَّ فكلّ من لم يثبت عنده صدق الخبر الذي أخبر به رسول الله ﷺ لا يكون كافرًا بردِّه، إذا كان لو علم يقينًا أنه من خبر الوحي سلّم به وآمن.

فمسائل الغيب التي لم يثبت صدقها عند المخبَر بها لا يكون تصديقها شرطًا في صحّة إيمانه، ولا إنكاره لها كفرًا، ويكون كالجاهل المعذور بالجهل[(٤)]، وإذا كان ممن لا يتصوّر جهلهم بمثل هذه المسائل فلا بد أن يكون إنكاره لعذر متعلِّق بعدم ثبوت الدليل أو بعدم ثبوت

---

(١) مثل اجتهاد شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض هذه المسائل، فإنه اجتهاد من أهله وبأدواته، ينظر: رأيه في ضابط الفرق بين الرسول والنبي المستنبط من الدلالة الظاهرة لاسمي النبيّ والرسول في نصوص الكتاب والسنة، "النبوات" ٧١٤/٢ ، ورأيه في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر والأنبياء وتوفيقه بين النصوص كما تقدم قريبًا في هامش(٣) من الصفحة السابقة.

(٢) يلحق بذلك من ذكر بعض المؤرخين نبوتهم ولم يقيموا على ذلك دليلاً من السمع كخالد بن سنان الذي يُذكر أنه نبي أهل الرس، وزرادشت الذي يدعي المجوس وبعض المؤرخين نبوته.

(٣) ينظر :"الشفا" : ٣٠٣/٢ ، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٩٧/١٣ ، و"شرح الطحاوية" : ٤١٠

(٤) سيأتي تفصيله في المبحث التالي.

دلالته، فهو إمّا أن يكون لا يعتقد صحّة نسبة القول إلى النبيّ ﷺ[١]. أو أنّه لا يعتقد أنه ﷺ أراد تلك المسألة بذلك القول [٢].

ومن أمثلة ذلك ما ورد في إثبات الصورة لله ﷻ[٣]فكثير من العامّة بل والخاصّة تخفى عليهم، وقد لا يؤمنون بها لاعتقاد عدم صحّة الحديث المثبت لها أو عدم صحة الاستدلال به على إثبات الصورة لله ﷻ [٤].

والأدلّة على إثبات الصورة لله ﷻ ليست ظاهرة بحيث تقوم الحجّة على منكرها، وإن كان الإيمان بها وإثباتها - على ما يليق بجلاله وعظمته - واجبًا على من عرف الدليل وصحّته، وقد وفّق الله أهل السنة بما حفظوه من أحاديث المصطفى ﷺ لإثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على حقيقته، قال ابن قتيبة[٥]بعد ذكره لأحاديث إثبات الصورة لله تعالى رادًّا على مؤوليها: « الذي عندي - والله أعلم - أنّ الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفيّة ولا حدّ» [٦].

ومن الأمثلة أيضًا إنكار بعض أهل العلم القراءة بالضم[٧]للمتكلّم سبحانه وتعالى في قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ۝﴾ [الصافات:١٢]، لظنّهم أنها تفضي إلى تنقّص في حقّ الله ﷻ، والأمر ليس كذلك قال الزجّاج: «وإنكار هذه القراءة غلط، لأنّ العَجَب من الله خلاف العجَب من

(١) كما في مسألة عذاب المؤمن ببكاء الحي والخلاف بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعمر رضي الله عنه ص٩٧.

(٢) ينظر : "شرح الطحاوية" : ٧٤١

(٣) من ذلك الحديث المتفق عليه: "إن الله خلق آدم على صورته..." البخاري كتاب الاستئذان، باب بدء السلام برقم: ٦٢٢٧، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام ...، رقم: ٢٨٤١، وحديث أحمد في المسند عن أبي هريرة: "إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته" ونحوه عند مسلم كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه ،رقم: ٢٦١٢.

(٤) ينظر: تفصيل القول في إثبات هذه الصفة والرد على المخالفين في "الشريعة" :مج ١١٤٧/٣، و"شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" للغنيمان : ٢٦/٢ وما بعدها.

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، صاحب التصانيف المشهورة غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وغيرها، توفي سنة (٢٧٠هـ)، ينظر: "تاريخ بغداد": ١٧٠/١٠، و"سير أعلام النبلاء": ٢٩٦/١٣

(٦) "تأويل مختلف الحديث": ١٠٥، وينظر: "إبطال التأويلات"لأبي يعلى : ٨٠/١

(٧) هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بتاء مخاطب مفتوحة. ورويت قراءة الضم عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم ، ينظر : "تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع" : ٣٨٧

الآدميِّين» [١]، وقال الفرَّاء: «والعَجب إذا أُسند إلى الله، فليس معناه من الله كمعناه من العباد» [٢].

وأهل السنّة يثبتون صفة العجَب لله تعالى لورودها فيما صحّ عن رسولنا ﷺ ففي الحديث: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" [٣]، وقوله ﷺ للرجل الذي اجتهد هو وزوجه في إكرام ضيفهما: "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة" [٤].

والمسائل تتفاوت في وضوحها وبيانها بحسب أدلَّتها ودلالاتها، فقد تكون المسألة عند رجل قطعيَّة لظهور الدليل القاطع له، كمن سمع النصّ من الرسول ﷺ وتيقَّن مراده منه، بينما تكون ظنِّية عند رجل، وتكون باطلة عند آخر لعدم بلوغ النصّ إيّاه أو لعدم ثبوته عنده أو لعدم تمكُّنه من العلم بدلالته، قال ابن تيمية: «كون المسألة قطعيّة أو ظنِّيَّة هو أمر إضافيّ بحسب حال المعتقدين، وليس هو وصفًا للقول في نفسه؛ فإنّ الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقه عنده وغيره لا يعرف ذلك لا قطعًا ولا ظنًّا، وقد يكون الإنسان ذكيًّا قويّ الذهن سريع الإدراك، فيعرف من الحقّ ويقطع به ما لا يتصوّره غيره ولا يعرفه لا علمًا ولا ظنًّا، فالقطع والظنّ يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلَّة، وبحسب قدرته على الاستدلال، والناس يختلفون في هذا وهذا، فكون المسألة قطعيَّة أو ظنِّيَّة ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازَع فيه حتى يقال كلّ من خالفه قد خالف القطعيّ، بل هو صفة لحال الناظر المستدلّ المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس» [٥] ولهذا لم يُكفِّر جمهور علماء أهل السنَّة من لم يعتقد ما جاء في أحاديث الآحاد، مع أنهم ردُّوا عليهم وبيَّنوا مجانبتهم الحقِّ والهدى [٦]. كما لم يكفِّروا كلّ من أوّل بعض حقائق الآخرة المذكورة في النصوص كالحوض والشفاعة والصراط كالمعتزلة، وإن كانوا عابوا عليهم صنيعهم وناصحوهم، وردّوا قولهم، واستعاذوا بالله من

(١) "زاد المسير ": ٥٠/٧

(٢) "فتح القدير" للشوكاني : ٣٨٨/٤

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الساري في السلاسل، رقم: ٣٠١٠

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الحشر:٩] ، رقم: ٣٧٩٨ ، بلفظ "عجب أو ضحك.."، و مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف، رقم: ٢٠٥٤

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢١١/١٩، وينظر : ٣٤٧/٢٣

(٦) نقل السفاريني القول بكفرهم عن إسحاق بن راهويه، إلا أن الراجح ضلالهم عن الحق، وهو المفهوم من كلام السلف في الرد عليهم، والله أعلم! ينظر: "العقيدة في الله" للأشقر : ٥٥

الضلال، ولكنَّهم لم ينزلوهم منزلة الكفار المكذِّبين لله ورسوله إلاَّ أن يطعنوا في الوحي، وينتهجوا نفي الحقائق جملة كالفلاسفة الذين يكفَّرون لتكذيبهم الله ورسوله.

**٣.دقائق المسائل التي تخفى على عامّة الناس:**

ويشمل هذا القسم تفاصيل كثيرة تتعلَّق بالأركان الستة، فالمعرفة بوحدانيَّة الله واستحقاقه العبادة وحده دون سواه، وأنّ له الكمال كلّه، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه منزَّه عن كلِّ نقص وعيب، معرفة ظاهرة متواترة لا يتصوَّر جهل أحد بها ممن بلغته الدعوة، أمَّا تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلا، فكثير منها يخفى عن عامَّة الناس، قال ابن عبد البرّ: « من جهل بعض الصفات وآمن بسائرها لم يكن بجهل البعض كافرًا؛ لأنّ الكافر من عاند لا من جهل، وهذا قول المتقدِّمين من العلماء، ومن سلك سبيلهم من المتأخِّرين »[١].

والأصل أنّ صفات الله ﷻ من الغيب الحقيقيّ الذي لا يُعلم على التفصيل إلاَّ بالوحي، فمن لم يؤمن بتفصيل ذلك، أي بالتعيين والتخصيص لعدم وصول الخبر إليه، وآمن إجمالاً أنَّ لله الأسماء الحسنى والصفات العلا لم يكفر، وإن تأوَّلها بعد وصول الخبر بها إليه وثبوت صدقه لديه، فقد جانب الصواب، وله أحكام سيأتي تفصيلها.

وكذا الأمر في ما يخفى من المسائل المتعلِّقة بالرسل أوالكتب أو الملائكة لعدم اشتهار أدلَّتها كأسماء بعض الرسل أو الملائكة أو تحديد بعض الكتب التي أخبر بها الوحي، فليس الخبر عن النبيِّ شيث [٢]ويوشع[٣]عليهما السلام مشهورًا كالخبر عن إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن ثم فلا يكون الإيمان بشيث ويوشع عليهما السلام كالإيمان

---

(١) "التمهيد": ٤٢/١٨

(٢) ثبت بحديث أخرجه أحمد في المسند: ٢٦٦/٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه : ٥٤/٨ وقال على شرط مسلم ولم يخرجه. قال ابن كثير: «وكان نبيًّا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذرّ مرفوعًا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة» "البداية والنهاية": ٩٩/١ ، وقال ابن تيمية في" النبوات": ٧١٤/٢ : «وقد ثبت في الصحيح أنه – أي نوح عليه السلام – أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث وإدريس عليهما السلام».

(٣) ذكره رسول الله ﷺ بقوله: "إن الشمس لم تحبس إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس" أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٨١١٦، وقال ابن كثير: « انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري». "البداية والنهاية": ٣٢٣/١ وفي الحديث تحديد لاسم النبي الذي أبهم في حديث آخر قال فيه رسول الله ﷺ: "غزا نبي من الأنبياء...فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئًا" أخرجه البخاري كتاب فرض الخمس،باب قول النبي ﷺ : "أحلت لي الغنائم" رقم: ٣١٢٤، ومسلم كتاب الجهاد والسير،باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، رقم: ١٧٤٧

بالأنبياء الذين اشتهر خبرهم إلاَّ لمن وصله الخبر وثبت عنده أنه قول من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ومن ذلك أيضًا المسائل غير المشهورة المتعلِّقة باليوم الآخر وأشراطه وعلاماته[1]، فمعلوم أنّ رسول الله ﷺ أخبر عن ذلك بحديث طويل قال حذيفة ﵁: «لقد خطبنا النبيّ ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلاَّ ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نُسِّيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»[2]، ولم يقل أحد من أهل العلم بوجوب معرفة هذه الأمور جميعها لصحّة الإيمان، وإن كان الإيمان بها يعظم خشية الله في القلوب، ويزيد في الإيمان ويوجّه إلى العمل رغبة ورهبة.

ومن أمثلة هذا القسم أيضًا صفات يأجوج ومأجوج الذين يخرجون في آخر الزمان، فإن خبر خروجهم ثابت يعرفه كلّ من قرأ قول الله ﷻ: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧** ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]، أمَّا صفاتهم فليست أدلَّتها مشهورة معروفة [3]، كما أنّ الأحاديث الموضوعة فيها كثيرة؛ لذا كان إنكار خبرهم كفر، بينما إنكار صفاتهم ليس كذلك لعدم اشتهارها وعدم تمييز كثير من الناس بين الصحيح الذي يجب أن يصدق به وبين ما مصدره الموضوعات والإسرائيليَّات.

---

(١) كثير منها ثابت بطريق آحاد ثبتت صحته برواية الثقات، فكان موجبًا العلم اليقيني والإيمان على الصحيح، وقد اشتهر عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول، وللفائدة ينظر :"مختصر الصواعق المرسلة" : ٣٧٢/٢ — ٤٣٣ ، و"شرح الطحاوية" : ٥٠٢

أما المعتزلة والأشاعرة ومن تابعهم فقد ردوا كثيرًا من هذه الأخبار أو تأولوها بناء على أصلهم الفاسد أن أحاديث الآحاد لا تفيد علمًا ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات. ينظر على سبيل المثال من كتب المعاصرين:"رسالة التوحيد" لمحمد عبده: ٢٠٢، و"الإسلام عقيدة وشريعة" لمحمد شلتوت: ٥٣.وتعليق أبي عبية على النهاية لابن كثير، وقد تعقب تأويلاتهم في القضايا الغيبية كثير من أهل العلم قديمًا وحديثًا فردوا شبههم ونصروا الحق.

(٢) أخرجه البخاري،كتاب القدر، باب : ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ ،رقم:٦٦٠٤، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم:٢٨٩١

(٣) أشهرها قول رسول الله ﷺ في وصفهم: "عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف ( المراد الشعر )، من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة" رواه أحمد في المسند : ٢١٧/٥، رقم:٢١٨٢٦. وأكثر ما يتداوله العامة بينهم مما يوجد في كتب التفسير وشروح الحديث وكتب الفتن من غرائب صفاتهم ليس له سند يُعتد به.

ومن أمثلة هذا القسم أيضًا مسألة أبديَّة النار[١] التي اختُلف فيها على أقوال أكثرها لا يستند إلى النقل، فلا يُلتفت إليه في مثل هذه المسألة الغيبيَّة إلاّ قولين: الأول: أنّ الله يبقيها ما شاء ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه، واعتمدوا في ذلك على فهمهم لنصوص قطعيّة الثبوت[٢]، والثاني: أنها لا تفنى أبدًا، وهو الراجح الذي يدلّ عليه الكتاب والسنة وأقوال أئمة أهل السنّة[٣].

فهذه المسألة ونحوها هي من مسائل الاعتقاد الفرعيَّة، وليس العلم بها واعتقادها شرطًا في صحَّة الإيمان، واعتقاد غير الحقِّ فيها إذا نتج عن اجتهاد في فهم نصٍّ، أو متابعة لمجتهد، فلا يكفّر صاحبه، وإن كان يخطّأ ويُرد عليه، ولا شكّ في أنّ معرفة الحقّ في كلّ أمر واعتقاده فضل من الله وزيادة في إيمان من عرفه ووفَّقه الله إليه.

ومن المهم التنبيه على أنه وإن كانت بعض مسائل الغيب خافية على عامّة الناس أو أكثرهم في أزمان مضت، إلاّ أنه في زماننا الذي فشا فيه العلم وسهل الوصول إلى مظانِّه لا ينبغي أن تجهل، أو يخفى رأي السلف فيها، لذا لا يتذرّع بالجهل للإنكار وإنما يجب الاعتناء بمعرفة المنهج الحقّ في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، والردّ على أهل البدع ليسلم للعبد دينه في زمن راجت فيه كثير من الشُّبه والأفكار الضالَّة والمعتقدات الباطلة. والله المستعان!

---

(١) للفائدة تراجع: رسالة الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي، ففيها تقرير القول الحق في هذه المسألة وهو: أن الجنة والنار لا تفنيان.

(٢) منها قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام:١٢٨] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود:١٠٦-١٠٧]، ففهموا من الاستثناء في النصوص أن للخلود أمدًا تفنى النار بعده .

(٣) ذكر ابن أبي العز أن هذا القول منقول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد ﷺ! والصحيح أن أسانيد النقل عنهم في هذه المسألة ضعيفة واهية لا يعتد بها، ذكر ذلك التركي والأرناؤوط في دراستهم وتحقيقهم لشرح= =العقيدة الطحاوية، ينظر: ٦٢٦. كما اشتهر نسبة القول بفناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ونقل ذلك بعض العلماء كالمناوي في "فيض القدير": ٢٤١/٦، وهي نسبة باطلة فلشيخ الإسلام رسالة بعنوان"الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك" حققها محمد السمهري، ونشرت طبعتها الأولى دار بلنسية بالرياض عام ١٤١٥هـ.كما أن رأي شيخ الإسلام بأبدية النار ودوام عذابها على الكافرين، والرد على جهم وأتباعه في قولهم بفناء الجنة والنار، واضح في كثير من مصنفاته ، ينظر: ٣٠٤/٣، ٣٠٤/٨، ٣٨٠/٨ ، أما ابن القيم فقد كان له في مصنفاته ثلاثة مواقف متباينة في هذه المسألة: أولها: القول بفناء النار، والثاني: التوقف، والثالث: القول الموافق لأهل السنة ببقائها، ينظر : "كتاب الشريعة" : مج ١٣٧٤/٣ كلام المحقق الدكتور عبدالله الدميجي .

والخلاصة أنّ الإيمان بالغيب المتعلِّق بفروع المسائل العقديَّة ليس شرطًا في صحَّة الإيمان واجب الاعتقاد على كلّ مسلم بإطلاق، وإنما يجب على من ثبت عنده الدليل وفهم الدلالة، لا سيما إذا كانت المسألة من المسائل التي يؤثر الإيمان بها في زيادة اليقين، ويدفع إلى العمل والعبادة كمعرفة التفاصيل التي جاء بها الخبر فيما هو متعلِّق بأسماء الله وصفاته وسائر الأركان الستة. أمّا المسائل التي لم يرد تعيين تفاصيلها في الكتاب أو السنة فليس تحرِّي معرفتها من لوازم الإيمان فضلاً عن شروطه، بل الوقوف أولى من الخوض فيها لعدم وجود الدليل القاطع.

فالمعرفة المجملة بأصول الإيمان وكلياته الاعتقادية تكفي عموم الناس ويصحّ بالإقرار بها إسلامهم، أمَّا ما يتعلَّق من الأصول بالعمليَّات كصفة الصلاة والحجّ ومقادير الزكاة فيجب معرفتها بالتفصيل لمن وجبت عليه؛ لأنّ العمل بها لا يمكن إلاّ بعد معرفتها مفصَّلة؛ فالحاجة داعية إلى الإخبار عن دقّها، بينما الأمر ليس كذلك في أمور الاعتقاد؛ لذا يُقبل الإيمان بها جملة[1]، وإن كانت معرفة التفاصيل التي جاء بها الخبر الصحيح سببًا في زيادة الإيمان وحصنًا من الوقوع في البدع والضلالات وزادًا في طريق تحقيق الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، وفق المنهج الذي يرتضيه منهم لعبادته.

فالتنوع في مسائل الغيب من حيث كونها أصولاً أو فروعًا، ومن حيث ظهور أدلَّتها أو خفائها يؤثّر في حكم الإيمان بها، وكذلك تنوُّع الناس في الأفهام والعقول وتفاوت قلوبهم في تلقِّي الهدى والعلم، وتفاضلهم في العمل والاجتهاد يؤثّركذلك فيما يجب عليهم أو يُستحبّ، وفيما يُعذَرون بتركه، فالوجوب والعذر يتنوَّع بتنوُّع الناس والناس فيه على مراتب متفاوتة، والمبحث التالي في بيان أحكام المؤمنين بالغيب ومراتبهم.

---

(١) ينظر : "شرح الطحاوية" : ٤٦٦ وما بعدها.

# المبحث الثاني:
# أحكام المؤمنين بالغيب ومراتبهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهل مطلق الإيمان.

المطلب الثاني: أهل الإيمان المطلق.

**توطئة:**

من المقرَّر عند أهل السنَّة والجماعة أنّ « الإيمان الشرعيّ اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أدنى وأعلى، فالاسم يتعلّق ببعضها كما يتعلّق بكلِّها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها، وتستوفي جميع أجزائها» [١]. فيطلق اسم المؤمن على وجهين: يطلق على من خرج من ملل الكفر ودخل في الإسلام بتحصيله أصل هذه الشعب وأعلاها (لا إله إلاّ الله)، كما يطلق ثناءً وتزكية على من أكملوا إيمانهم باجتناب المعاصي والكبائر، ويكون بشرى لهم بدخول الجنة والنجاة من النار كما وعد الله ﷻ [٢].

وكذلك كمال الإيمان يطلق على نوعين [٣]:

الأول: كمال المقرَّبين وهو الكمال بالمستحبّ.

والثاني: كمال المقتصدين وهو الكمال بالواجب فقط.

والواجب من الإيمان على أعيان المؤمنين يتنوَّع بتنوُّع قدرهم، ومعرفتهم، وحاجتهم، ويطلق لفظ (الإيمان الواجب) عمومًا على الإيمان بما أخبر به الرسول ﷺ في حديث جبريل من الأمور الستة ومتعلِّقاتها من الأعمال والتروك[٤]، وهي شعب كثيرة والناس في تحصيلها وتكميلها مراتب. أما (الإيمان المستحب) فيطلق على القيام بالمستحبّات بعد الواجبات من الأعمال والأقوال والاعتقادات، وأهله فيه درجات كذلك، فـ« الأمور كلّها يستحقّ الناس بها أسماءها مع ابتدائها والدخول فيها،ثم يفضل فيها بعضهم بعضًا، وقد شملهم اسم واحد»[٥]. وقد بيّن الرسول ﷺ أنّ من صحابته الكرام من إيمانه يزن مثل جبل أحد قوّة ورسوخًا، ومعلوم أنه ليس كلّ أحد من أهل الإيمان يحمل في قلبه مثل هذا الإيمان واليقين، ولا يشترط بلوغ ذلك لدخول الجنة وإلاّ لما دخل أكثر الأمة الجنة، ولكنّهم يتفاوتون في درجاتها بحسب قوّة الإيمان وضعفه، فالمؤمنون بالغيب في الدنيا والآخرة يتفاوتون في مراتب بعضها أفضل من بعض، قال تعالى: ﴿

---

(١) "معالم السنن، حاشية سنن أبي داود" : ٥٦/٥

(٢) ينظر : "تعظيم قدر الصلاة" للمرزوي : ٥٦٧/٢

(٣) ينظر : "الإيمان" لابن تيمية : ١٨٦

(٤) هي الأمور التي نهى عنها الرسول ﷺ وأمر بتركها كترك ما لا يعني، وترك سب الصحابة، وترك التطير وترك التفاخر بالأنساب ونحوه.

(٥)" الإيمان" لأبي عبيد : ٧٥

ﭐنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ [الإسراء:٢١] ، وأدنى هذه المراتب تحقيق أصل الإيمان، فبه يوصف العبد بمطلق الإيمان، وأعلاها الوصول إلى الإيمان المطلق والتصديق التامّ، واليقين الراسخ.

وبناء على هذا فإنه يمكن تصنيف مراتب أهل الإيمان إلى مرتبتين، لكلّ مرتبة منها درجات:مرتبة أهل مطلق الإيمان، ومرتبة أهل الإيمان المطلق[1]. وبين المرتبتين عموم وخصوص؛ فمطلق الإيمان اسم عامّ يشمل كلّ من أتى بأصل الإيمان وأقرّ بما أمر الله به من العلم، وانقاد بالطاعة والعمل، وإن قصّر أو عصى أو ارتكب شيئًا من الكبائر؛ لذا يدخل الفاسق من أهل الإسلام في هذا الاسم لتحقّقه بأصل الإيمان وإن كان ظالمًا لنفسه بتقصيره ومعصيته لله، كما يدخل المقتصد المتحقّق بالإيمان الواجب وما يقتضيه من كفّ النفس عن المعصية، وكذا السابق بالخيرات القائم بالمستحبّات بعد الواجبات.

أمّا الإيمان المطلق فهو اسم يختصّ بالإيمان التامّ الكامل، وهو اسم ثناء وتزكية لمن أكملوا إيمانهم بكلّ ما يحبّ الله ويرضى، واجتنبوا كلّ ما يسخط ربهم ﷻ، ولأهله الوعد بالأمن ودخول الجنة والنجاة من النار إن ثبتوا وما بدّلوا حتى لقَوا ربهم ﷻ، فأهل هذه المرتبة ومستحقو هذا الاسم إنما هم المقرَّبون السابقون بالخيرات من أهل الإيمان. وستتناول مطالب هذا المبحث تفصيل أحكام هذه المراتب.

---

(١) المطلق: هو التام أو الكامل المتعري عن كل قيد، كالخير المطلق والجمال المطلق. ينظر: "المعجم الفلسفي" : ٣٨٨/٢، والفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق أن الشيء المطلق هو الشيء الكامل، ومطلق الشيء؛ يعني أصل الشيء وإن كان ناقصًا، كما بينه الشيخ العثيمين في "شرح الواسطية" : ٢٤٤/٢

# المطلب الأول
# أهل مطلق الإيمان

كلّ من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، وآمن إيمانًا مجملاً بما يجب عليه من أصول مسائل الغيب فقد دخل في أهل هذه المرتبة، وجرت عليه أحكام أهل الإيمان، وإن كانت درجة إيمانه ضعيفة، قال شيخ الإسلام: «عامَّة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو وُلدوا على الإسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم، إنما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك»[(١)]، وقد وعد ﷻ أن يعطي ذلك لمن يجاهد ويجتهد ويتّبع منهج نبيِّه ﷺ علمًا وعملاً واعتقادًا فيوفقه إلى طريق الهداية قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩].

فكلّ من أتى بأصل الإيمان الواجب وقصّر في استكماله بأن كان معه الحدّ الأدنى منه، فقد ثبت له اسم الإيمان وأحكام أهله، وإن خفيت عليه كثير من تفاصيل خبر الرسول ﷺ، على أن لا يجمع مع إيمانه جحدًا وإنكارًا لشيء مما أخبر به الرسول ﷺ، فمن أنكر شيئًا يعلم أنّ الرسول ﷺ أخبر به، أو اكتفى بالإقرار بوجود الله ﷻ فلا يسمّى مؤمنًا؛ إذ المعرفة بوجود الله تعالى هي معرفة فطريَّة فطر الله الناس عليها وساق أدلَّتها في الكون، وإنما تعبَّدهم وطلب منهم المعرفة الكسبيَّة التي أخبر بها رسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فعليها علّق الثواب وعلى تركها علّق العقاب فهي مناط الإيمان والكفر[(٢)].

ويتفاوت أهل هذه المرتبة في درجات تحقُّقهم بمطلوب الله منهم من العلم والعمل: فمنهم من يكون إيمانه المجمَل الذي استحقّ به مطلق اسم الإيمان هو الإيمان الواجب في حقِّه، إذا كان ما آمن به من الأمور هو ما يستطيعه من العلم والعمل كما لو كان يعيش في مكان ناءٍ، فلم يبلغه من خبر الرسول ﷺ سوى ما آمن به.

ومنهم من يكون هذا الاسم بالنسبة له بمثابة وصف للخروج من الكفر إلى الإسلام، وسريان أحكام المسلمين عليه في الدنيا، ولكنَّه يستحقّ الذمّ، ويعدّ إيمانه ناقصًا إذا كان يقدِر

---

(١) "الإيمان" لابن تيمية : ٢٥٧، وينظر :"شرح الطحاوية" : ٤٦٨

(٢) ينظر : "الحجة في بيان المحجة" للأصفهاني : ٤١/٢

على تحقيق أركان الإيمان الواجب ومستحبَّاته وقصّر في ذلك[١]، فإيمان من لم تحصل له الزيادة بما يستطيعه من العلم والعمل ناقص عن الإيمان الواجب عليه[٢]؛ إذ القدرة مؤثرة في الوجوب وكلّ من يقدر على معرفة تفاصيل ما أخبر به رسول الله ﷺ وأمر به بأدلّته[٣]فينبغي له طلب ذلك ليكمل إيمانه ويقينه بتصديق الرسول في كلّ ما أخبر وطاعته في كلّ ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

ومن أهل هذه المرتبة أيضًا أهل المعاصي ومرتكبوا الكبائر التي هي دون الكفر، وكثير ممن أزالت عنهم النصوص اسم الإيمان ممن يشهدون أن لا إله إلا الله يكون المنفي عنهم هو الإيمان الواجب، ويبقى لهم مطلق الاسم ما دام عندهم أصل الإيمان ما لم ينقضوه بناقض من النواقض[٤]. وضّح ذلك شيخ الإسلام بقوله عن الفاسق الملِّي – أي: العاصي المنتسب إلى ملَّة الإسلام لم يخرج منها-: « ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان فاسق بكبيرته[٥]؛ فلا يعطى الاسم

(١) يكثر مثل هذا الصنف إذا غاب تطبيق الشريعة الإسلامية عن الحكم، فالدعاية للمعاصي وإثارة الشهوات مع التضييق على أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى تعطيل إقامة حدود الله؛ أوجد في كثير من المجتمعات المسلمة مؤمنين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويحبون شرع الله، ويكرهون الكفر ولم يتلبسوا بناقض من نواقض الإيمان ولكنهم غارقون في الشهوات والملذات والملهيات، مع اعترافهم بالذنب والتقصير إذا ذُكروا؛ فهؤلاء يحكم بإيمانهم مع انتفاء كماله عنهم، وهم مستحقون للذم على تقصيرهم. وتعظم مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على أهل العلم لربط القلوب بالله والتذكير بوعده ووعيده الحق.

(٢)ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم : ١٤٦/١

(٣) وجوب معرفة ماجاء به الرسول بالأدلة مسألة يكثر فيها النزاع بين طلبة العلم حديثًا بمثل ما حصل قديمًا حول مسألة وجوب (النظر) عند المتكلمين، فهي مسألة – على ما يبدو – مبنية عليها وعلى اعتبار أن التقليدهو قبول قول الغير بلا حجة، فلا يفيد صاحبه علمًا جازمًا؛ ومن ثم وجب النظر لأن الله تعبدنا باليقين. والصواب – والله أعلم – أنه مع القول بأفضلية العلم بالأدلة الشرعية وأثره على زيادة إيمان صاحبه وثباته ويقينه – بخلاف الأدلة الكلامية أو أغلبها – إلا أن القول بوجوب العلم بالأدلة على كل أحد ليس بصحيح، وإنما الواجب اعتقاد الحق الذي أخبر عنه الرسول بأي طريق تيسر، ومن حصلت له شبهة وجب عليه تعلم ما يردها، وكثير من الأمة متبعون غير عالمين بالأدلة، ويعتقدون الحق في أصول الدين اعتقادًا جازمًا كما يعتقدون أنه ليس في الشُّبهِ ما يفسد هذه العقائد باتباعهم لأئمة الهدى، والقول بوجوب العلم بالأدلة –كلامية كانت أو شرعية – لصحة الإيمان مزلق خطير للتكفير.

(٤) معرفة نواقض الإيمان من المعارف المهمة فإن من عرف الشرّ توقاه، وقد اهتم علماء سلف الأمة برصدها، ووجدت متفرقة في مصنفاتهم، وقد جمعتها حديثًا دراسات نافعة تحسن مراجعتها للفائدة، منها: "نواقض الإيمان الاعتقادية" لمحمد الوهيبي، و"نواقض الإيمان القولية والعملية" لعبد العزيز العبد اللطيف.

(٥) هذا مذهب أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة، وهو المذهب العدل الوسط بين المرجئة الذين يقولون إنه

المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم »[١]، فـ«فاسق أهل القبلة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان التامّ، ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته »[٢].

فكلّ من أتى بأصل الإيمان فقد استحقّ الثواب بوعد من الله، فإن كان فيه شعبة نفاق، وأتى بالكبائر كان من أهل الوعيد، وينفعه ما عنده من أصل الإيمان عند الله ﷻ فيخرجه به من النار — إن دخلها– كما وعد الله ﷻ، ولو كان إيمانه مثقال حبّة من خردل، لكنّه لا يستحقّ الاسم المطلق المعلّق به وعد الجنة بلا عذاب في النار [٣].

واسم الإيمان إذا أطلق أو قُيِّد بوصف (الواجب) عند أهل السنة والجماعة دلّ على الإيمان بالأركان الستة التي أخبر بها رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام —كما سبق بيانه– وأدنى الكمال الواجب: الإيمان بهذه الأركان مجمَلة، والسلامة من اعتقاد ما يضادّها أو ينقضها، فمن تخلّف عن هذا الكمال نقص إيمانه، ولا يلزم من نقصانه أن يكون باطلاً أو حابطًا[٤]، أو يكون صاحبه خارجًا من دائرة الإيمان إلى الكفر، بخلاف ما لو جمع مع الإيمان ما ينقضه من قول أو عمل أو اعتقاد دون شبهة ولا عذر جهل[٥]؛ فإنه لا يكون مؤمنًا، وتسمية أهل المذاهب الباطلة المقرّين بالله فقط مؤمنين إنما هو قول مبتدع.

ويتفاوت أهل الإيمان فيما يجب عليهم تحقيقه من الإيمان وتلحقهم المذمَّة بتقصيرهم فيه؛ فمن خصَّه الله بعلم أو اجتهاد فإنه يحصل له بهذا العلم من الإيمان ما يعجز عنه غيره، ويكون العلم الذي خُصّ به، وعمله به باطنًا وظاهرًا زيادة في إيمانه وهو إيمان واجب عليه، لأنه قادر عليه، وله به أجران، ويكون ما فُضّل بتحقيقه من الإيمان الواجب عليه ليس بواجب على من يعجز عن مثل علمه واجتهاده ممن يحصل له الأجر بالإيمان بمجمل الأصول والأركان،

---

مؤمن كامل الإيمان وبين الخوارج الذين يكفرونه ويحكمون بتخليده في النار، ونحوهم المعتزلة إلا أنهم يقولون أنه في منزلة بين منزلتين. والأدلة على مذهب السلف أهل السنة والجماعة مستفيضة منها قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قال أبو ذر: وإن زنى وسرق؟ قال وإن زنى وسرق" عند البخاري ،رقم : ٢٤٧٥، وعند مسلم ،رقم : ٥٧

(١) "شرح العقيدة الواسطية": ٢٤٤/٢

(٢) "معارج القبول" : ٤١٧/٢

(٣) ينظر : "الإيمان" لابن تيمية : ٣٣٤

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٩٣/١٩ ، وينظر : "فتح المجيد" : ٤٦٨

(٥) سيأتي توضيح حال الجاهل والمتأول.

ولا يلحقه إثم فيما هو عاجز عنه؛ إذ لا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك[١]، فمن سمع النصوص وفهمها وجب عليه ما لا يجب على من لم يسمعها أو لم يستطع فهم دلالاتها [٢]، فالعجز يكون إمّا سمعًا بعدم التمكُّن من سماع النصّ المخبر عن هذا الأمر أو ذاك، وإمّا عقلاً بعدم فهمه النص، ومن كان عاجزًا سقط الإثم عنه فيما عجز عنه، وإذا تبيّن له الحقّ فيما كان يجهله أو أخطأ فيه؛ لزمه اعتقاد ما عرف من الحقّ، وإذا لم يتبيّن له وظنّ أنه أدرك الحقّ وأصابه، فأمره إلى الله الذي وعد بالتجاوز عن الخطأ بفضله ورحمته[٣]، قال ابن تيمية مبينًا الفرق بين حال العاجز والمقصر في التحقُّق بالإيمان الواجب الموجب للثواب: «وإن كان قادرًا على ذلك الإيمان وترك الواجب، كان مستحقًّا للذمّ، وإن قُدّر أنه لا يقدر على ذلك الذي اتصف به هؤلاء، كان عاجزًا عن مثل إيمانهم، ولا يكون هذا واجبًا عليه، فهو وإن دخل الجنة لا يكون كمن قُدّر أنه آمن إيمانًا مجملاً ومات قبل أن يعلم تفصيل الإيمان، وقبل أن يتحّقق به ويعمل بشيء منه، فهو يدخل الجنة، ولا يكون مثل أولئك» [٤]، أقول: إلاّ أن يختصّه الله بفضل منه.

---

(١) يُقبل من عوام الناس إيمانهم بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملاً بحسب ما يصلهم من الخبر دون أن يلزمهم تتبع تفاصيل ذلك وأدلته، ويسمى الإيمان دون معرفة الأدلة إيمان المقلد، وقد اختلف العلماء في حكمه على قولين مشهورين، الأول: يرى كفاية التقليد، وأنه يجوز التقليد في أصول الدين ويصح إيمان المقلد، واختلفوا في (النظر) – أدلة أهل الكلام – فمنهم من قال بجوازه، ومنهم من قال بحرمته. وينسب هذا القول إلى بعض الشافعية وبعض الحنابلة. ينظر :"أصول الدين للبغدادي": ٢٥٤، و"المستصفى" للغزالي: ٣٧٠/١ ،و"شرح مختصر الروضة" للطوفي : ٦٥٨/٣. والأولى تسمية ذلك اتباعًا لا تقليدً للبعد عن لفظ التقليد المجمل الذي يرد على معنى مذموم، ينظر :"الحجة في بيان المحجة" : ١١٦/٢
والقول الثاني: ذهب إلى عدم كفاية التقليد، وأنه لا يصح إيمان المقلد، فأكفره بعضهم وجعله بعضهم عاصيًا بتركه النظر الواجب، وهو قول أصحاب المدارس العقلية من الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم، ينظر : "روضة الناظر" : ٤٥١/٢، والإحكام للآمدي : ٢٢٩/٤، و"المحلى" لابن حزم : ٨٥/١ ، وعلّق الغزالي على هذا الرأي بقوله : «أسرفت طائفة فكفروا عوامّ المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين» "فتح الباري": ٣٤٩/١٣. فمن عرف مطلوب الله منه عقيدة وشريعة (متبعًا) – مقلدًا – في ذلك من اطمأنت فطرته إلى كلامهم ممن اشتهروا باتِّباع السنة من أئمة الهدى، ولم يعرف الأدلة وكان ممن لا ينظر في الشبه فإيمانه صحيح. ينظر للفائدة : "القول السديد في كشف حقيقة التقليد للشنقيطي" : ٨

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٤٦/٧

(٣) ينظر : المرجع نفسه : ١٢٤/١٩، وسيأتي تفصيل حال المخطئ وحكمه.

(٤) المرجع السابق : ٣٣٦/٧ – ٣٣٨

ويجب على كلٍّ من المفتي والمحدِّث والمجادل ما لا يجب على غيرهم، فمقام المحدِّث المعلم أو المفتي يُوجب على صاحبه من معرفة تفاصيل المسائل ما يُبطل به أقوال أهل الضلالات والبدع وينصر به القول الحقّ ما لا يجب على عامّة الناس، قال ابن تيمية: «يجب على العلماء من الاعتقاد ما لا يجب على آحاد العامّة، ويجب على من نشأ بدار علم وإيمان من ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل»[١].

وكذلك من يتعرّض للشُّبه ويجالس أهل البدع[٢]، فإنّ معرفة تفاصيل الحقّ بالنسبة له واجبة؛ إذ لا يتحقَّق له اعتقاد الحقّ إلاّ بها، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، فسماعه للشُّبه قد يورثه ريبة وشكًّا إذا لم يكن عنده من العلم ما يدفع ذلك، والله ﷻ إنما امتدح المؤمنين الذين لم يرتابوا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:١٥].

والخلاصة أنّ الإيمان شعب، وأنه قابل للتبعيض، فقد يكون مع العبد أصله، أو بعضه أو كلّه، وكلّ من أتى من الإيمان بما يقدر عليه، وعجز عن معرفة تفاصيله يسمّى مؤمنًا[٣]، قال ابن تيمية: «أئمة أهل السنَّة على إثبات التبعيض في الاسم والحكم، فيكون مع الرجل بعض الإيمان، لا كلّه، ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه، كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه»[٤].

وكلّ من حمل اسم الإيمان حقاً فهو من أهل الجنة في المآل وإن دخل النار قال النبي ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان"[٥].

---

(١) المرجع نفسه : ٣٢٨/٣

(٢) وقد شاع هذا الصنف في زماننا حيث يسرت وسائل الاتصالات الحديثة وصول أهل البدع ببدعهم وشبهاتهم إلى عامة الناس في كل مكان عبر الشبكة العنكبوتية، وعبر الفضائيات التي غزت الحاضرة والبادية مما يضاعف المسؤولية على العامة، فيَلزمهم من تحري العلم الصحيح في كثير من المسائل ما لم يكن لازمًا لمثلهم ممن لا يتعرضون للشُّبه، وعليهم أن يجنبوا أنفسهم سماعها ليسلم لهم دينهم، كما يضاعف مسؤولية أهل العلم وجنود الحقّ في نشر العلم الصحيح، والتحذير من الباطل وفضحه.

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٠٩/٧

(٤) المرجع نفسه : ٢٧٠/١٨ بتصرف يسير.

(٥) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ،رقم: ٢٢، ومسلم، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة ، رقم: ١٩٣

## المطلب الثاني
## أهل الإيمان المطلق

أهل هذه المرتبة هم الذين يحقّقون الإيمان قولاً وعملاً واعتقادًا، ويكمّلون إيمانهم بالمستحبّات بعد الواجبات من الأعمال والأقوال والاعتقادات مع التروك المعروفة، ويجتهدون في تحصيل أسباب زيادة الإيمان ليصلوا إلى درجة الإحسان[١]، قال ابن الصلاح[٢]: «ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدّل فريضة؛ لأنّ اسم الشيء مطلقًا يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلاّ بقيد» [٣].

فالإيمان المطلق هو الكامل التامّ، وهو اسم ثناء وتزكية[٤]، ومن تحقّق به كان من المقرّبين السابقين بالخيرات، وأكمل أهل هذه المرتبة الأنبياء والمرسلون فإنهم «عرفوا الله بالوحي المعرفة التي هي معرفة[٥]، وعبدوه العبادة التي هي حقّ له بحسب ما منحهم الله تعالى»[١]، فهم

---

(١) ينظر: "الإيمان" لابن تيمية : ٣٤٢

(٢) هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي ،كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث واللغة ، توفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر :"وفيات الأعيان" لابن خلكان ٢٤٣/٣-٢٤٤ ،"شذرات الذهب" لابن العماد ٢٢١/٣

(٣) نقلاً عن شرح النووي لصحيح مسلم: ١٤٨/١

(٤) لذا فالمشهور عن علماء أهل السنة والجماعة عدم وصف أنفسهم أو غيرهم بالإيمان دون استثناء، أي تعليق الإيمان بالمشيئة فيقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله، وإن كان منقول عنهم في هذه المسألة (الاستثناء في الإيمان) القول بجواز الأمرين: الاستثناء أو تركه، ولكن الاستثناء متواتر عن أكثرهم تورعًا من الوقوع في تزكية النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢]. قال الآجري: «صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك – نعوذ بالله من الشك في الإيمان – ولكن خوف التزكية لأنفسهم من استكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟» "الشريعة": مج٢/٦٥٦.

والخلاف في مسألة الاستثناء في الإيمان تابع للخلاف في حقيقة الإيمان ومعناه، فقد منعه كل من يخرج العمل من الإيمان، ينظر :"الإيمان"لابن تيمية : ٣٦٦. ويرى الشيخ العثيمين أن الأولى في هذه المسألة القول بالتفصيل؛ فالاستثناء على سبيل الشك محرم بل كفر، والاستثناء لخوف تزكية النفس واجب، والاستثناء للتبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل جائز، ينظر: "رسائل في العقيدة" : ١١٧

(٥) هذه هي المعرفة الصحيحة المستقاة من الوحي لا معرفة الفلاسفة والمتصوفة التي مصدرها أقيسة عقلية وبراهين نظرية أو رياضات ومجاهدات، فتلك وإن أوصلت إلى شيء من المعرفة إلا أنها معرفة مطلقة مجملة ملتبسة وصلت بكثير منهم

أعرف الناس بالله وأشدّهم له خشية، وأكثرهم اجتهادًا في العبادة، وهم مع دوامهم على شكره وتمام اجتهادهم، معترفون له ﷻ بالتقصير عن أداء حقِّه [٢].

وأكمل العباد بعدهم صحابة رسولنا الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝** ﴾ [الواقعة:١٠-١٤]، فأكثرهم من صدر هذه الأمة الأول[٣]، وإن كان يوجد قليل منهم على مرِّ العصور إلى ما شاء الله[٤].

ومن فضل الله ﷻ أن جعل لتحقيق هذا الإيمان منهجًا وطريقًا، دعا إليه عباده على لسان رسله ونصب عليه الدليل، وهو اتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﭫ، فمن تلقّى العلم كما تلقَّوا، وصدّق بالحقّ كما صدّقوا، فإنه يدرك ما أدركه السابقون الأوَّلون من حقائق الإيمان واليقين بفضل الله ورحمته «فكلّ من كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل»[٥]، وهكذا يرتقي العبد في مراتب الإيمان علمًا وعملاً فيحسن عمله ويخلص فيه لإلهه الحقّ فيعطيه ﷻ من زيادة الإيمان واليقين كما وعد بقوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝**﴾ [محمد:١٧].

والارتقاء في مراتب المؤمنين بالغيب مجال تنافس بين العباد، ويأس الإنسان أن يصل إلى ما يحبه الله ويرضاه من معرفته وتوحيده والإيمان به كبيرة من الكبائر، بل عليه أن يرجو ذلك ويطمع فيه ويجتهد ويلازم الاستغفار فإن الكريم الرحمن يؤتيه من فضله ما لم يخطر له ببال [٦].

---

إلى الإلحاد أو القول بالحلول والاتحاد. ينظر للتوسع : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٣/٢ وما بعدها .

(١) المرجع السابق : ٦٧/٢

(٢) ينظر : "فتح الباري" : ١٢٢/١١

(٣) رجّح ابن كثير القول بهذا في تفسير آية الواقعة، ينظر: "تفسير ابن كثير": ٢٥٠/٤

(٤) فقد صح خلو آخر الزمان قبيل القيامة منهم وذلك عندما تقبض الريح أرواح المؤمنين بإذن الله،كما هو ثابت عن رسول الله ﷺ ففي حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال: "إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس؛ يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة" أخرجه مسلم ،كتاب الفتن باب ذكر الدجال، رقم: ٢٩٣٧.

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢١٠/١٠

(٦) ينظر : المرجع نفسه: ٣٩٠/١١

وكما أنّ المؤمنين بالغيب درجات، ولهم مراتب وأحكام فإن للمخالفين في هذا الباب أحكامًا أيضًا بحسب أحوالهم ومناهجهم ودرجة مخالفتهم وتفصيلها في المبحث التالي.

# المبحث الثالث:
# أحكام المخالفين في باب الإيمان بالغيب

وفيه خمسة مطالب:

# المطلب الأول
# حكم الجاهل في مسائل الغيب

مسائل الإيمان المتعلِّقة بالغيب كثيرة، وقد يجهل كثير من الناس كثيرًا منها، وربما جهل بعضهم أصولاً وأركانًا، فالجهل هو نقيض العلم[١]، وهو خلوّ النفس من العلم[٢]. والناس يتفاوتون في علمهم ومعارفهم وإدراكهم تفاوتًا كبيرًا كما سبق بيانه، ولو كان دخول الجنّة مرهونًا بمعرفة جميع التفاصيل كما يعرفها النبيّ ﷺ، أو كما يعرفها كبار الصحابة وأهل العلم لم يدخل أكثر الأمة الجنة؛ فإنهم — أو أكثرهم — لا يستطيعون هذه المعرفة، ولهذا كان الصواب — عند أهل السنّة والجماعة – أنّ القدر الذي يثبت به للعبد وصف الإسلام هو تحقيق أصل الإسلام، ويتضمّن الإيمان المجمَل، وأنّ الجهل بتفصيل بعض المسائل كالجهل ببعض أسماء الله وصفاته، وتفاصيل البعث والنشور ونحو ذلك لا يكون موجبًا للكفر، إذا كان الجاهل بها مصدِّقًا بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعتقده.

والإجماع قائم على كفر كلّ من لم يَدِنْ بدين الإسلام دون اعتبار لعلم أو لجهل، فكلّ من لم يشهد لله بالوحدانيّة ولمحمد ﷺ بالرسالة فهو كافر بلا نزاع سواء كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو وثنيًّا أو غيره، وخلافهم في بعض هؤلاء ممن لم تبلغهم النذارة ولم يصلهم البلاغ إنما هو فيما يتعلّق بأحكام الآخرة، أمّا في الدنيا فهم كفّار اتفاقًا[٣]، أمَّا في أصول الدين ومسائل الإيمان مع بقاء التحقُّق بأصل الشهادة فالخلاف واقع بين أهل العلم في مسألة اعتبار العذر بالجهل، أو عدَمه، فذهب جلُّهُم إلى اعتبار العذر بالجهل ممن لم تُقَم عليه الحجَّة، وذهب آخرون إلى عدم اعتباره، والأدلَّة الشرعية تشهد لمذهب الجمهور، وهم القائلون: يُعذَر الجاهل بجهله في

---

(١) "لسان العرب":جهل: ١١/١٢٩، وينظر: "الكليات" للكفوي : ٣٥٠

(٢) قد يطلق على معاني أخر ترجع إلى هذا الأصل، قال الراغب: «الجهل على ثلاثة أضرب: الأول وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل...والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ماهو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ماحقه أن يفعل» "مفردات ألفاظ القرآن" : ٢٠٩

(٣) ينظر:"الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد" لعبد الرحمن بن عبد الحميد: ١٦، و"الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه" لعبد الرزاق معاش : ٦١

أصول الدين ما لم تبلغه الحجَّة كما يعذر في فروعه، وهذا فيما إذا كان مِثْلُه يجهلها لبُعده عن ديار الإسلام، أو عدَم من يُعلِّمه، أو نحو ذلك، قال ابن تيمية: «وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلّغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيرًا مما بعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر؛ ولهذا اتفق الأئمة على أنّ من ينشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر هذه الأحكام الظاهرة المتواترة؛ فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولذا جاء في الحديث: "يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صومًا ولا حجًّا إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون: أدركنا آباءنا وهم يقولون: لا إله إلا الله. فقيل لحذيفة بن اليمان: ما تغني عنهم لا إله إلا الله؟ فقال: تنجيهم من النار"[(١)]»[(٢)].

وقد أوضح هذا الأمر عدد من الأئمة الأعلام، قال الشافعيّ: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجّة عليه فقد كفر، وأمَّا قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرَك بالعقل ولا الرؤية والفكر»[(٣)] .

وقال ابن جرير[(٤)]: «فإن هذه المعاني التي وصفت[(٥)]ونظائرها مما وصف الله نفسه ورسوله ما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، لا نكفِّر بالجهل بها أحدًا إلاّ بعد انتهائها إليه»[(٦)].

---

(١) أخرج ابن ماجه نحوه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم ،رقم : ٤٠٤٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٤٧٣/٤، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم : ٨٧

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٠٧/١١

(٣) نقلاً عن "فتح الباري" : ٤٠٧/١٣

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، له تصانيف نافعة كثيرة منها: القول في أحكام شرائع الإسلام، وتهذيب الآثار ، واختلاف علماء الأمصار، وكتاب في أصول الفقه، وجامع البيان في التفسير ، وتاريخ الأمم والملوك ، توفي سنة (٣١٠هـ) ينظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي ١٤/ ٢٦٧-٢٨٢ .

(٥) المشار إليه إثبات معاني صفات الله ومدلولاتها.

(٦) "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" لأبي يعلى : ٤٨/١

ويشهد لذلك ما حدّث به النبيّ ﷺ قال: "كان رجل يسرف على نفسه، فلمّا حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ربّي، ليعذبنّي عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يارب خشيتك! فغفر له"[١].

قال الخطّابيّ[٢]: «قد يستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ و الجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظنّ أنه إذا فُعل به ذلك لا يُعاد فلا يُعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله»[٣]. وقال ابن حزم معلّقًا على هذه القصَّة: «فهذا إنسان جهل إلى أن مات أنّ الله ﷻ يقدر على جمع رماده وإحيائه، وقد غفر الله له لإقراره، وخوفه، وجهله»[٤]. فهو قد حقق أصل الإيمان وهو التصديق بالله واليوم الآخر مع خوفه من عقاب الله، فكان بذلك من أهل مطلق الإيمان.

يتبيَّن مما سبق أنَّ العذر بالجهل في أصول الدين ليس مقبولاً على كلِّ حال عند الجمهور، بل لا يقبل عذرًا لمن يعيش بين ظهراني المسلمين وفيهم العلماء والدعاة وأمكنه التعلُّم فأعرض عنه، فإن ذلك حجّة عليه، ولكنّ الجاهل المعذور بجهله هو الذي يكون حديث عهد بدين الإسلام، أو كان يعيش في منأًى عن بلاد المسلمين، أو حيث لم يتسنَّ له من يعلِّمه، أو يقفه على ما يجب عليه اعتقاده من مسائل الأصول، قال الشافعيّ: «لو عُذِرَ الجاهل لأجل جهله لكان الجهل خيرًا من العلم؛ إذ كان يحطُّ عن العبد أعباء التكليف ويريح قلبه من ضروب التعنيف؛ فلا حجّة للعبد في جهله بالحكم بعد التبليغ والتمكين؛ لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرُسل» [٥].

فإذا كان الجهل بأصول الدين ممن يستطيع العلم فإنه لا يعذر بذلك، بل ويكون فعله

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء باب أحاديث الغار، رقم: ٣٤٨١، ومسلم كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه ،رقم: ٢٧٥٦

(٢) هو أبو سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المحدث اللغوي، من تصانيفه : شرح الأسماء الحسنى، وغريب الحديث، ومعالم السنن، توفي سنة (٣٨٨هـ) ينظر:"سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٢٣/١٧ ، "البلغة للفيروزآبادي": ٩٤

(٣) "فتح الباري" : ٥٢٣/٦

(٤) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : ١٤١/٣

(٥) "المنثور في القواعد" للزركشي : ١٧/٢

من كفر الإعراض قال ابن القيِّم:« أمّا كفر الإعراض: فإن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدِّقه ولا يكذِّبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة»[١] فالإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به يعد كفرًا أكبر لاسيما إذا حصل به فوات أصل الإيمان الذي يدخل به في الإسلام[٢].

**ويمكن تلخيص ضوابط العذر بالجهل في أمور ثلاثة:**

١. أن يكون الجهل مما يتعذّر الاحتراز منه للمعين كأن يكون حديث عهد بالإسلام، أو يكون في ديار بعيدة عن الإسلام أو العلم الصحيح به، قال القرافيّ[٣]:«وضابط ما يعفى عنه من الجهالات، الجهل الذي يتعذّر الاحتراز منه عادة، وما لا يتعذر الاحتراز عنه ولا يشقّ لم يُعف عنه »[٤].

٢. أن لا يكون الجهل بسبب التفريط والتقصير في طلب العلم الصحيح، فالجهل لا يكون عذرًا إلاّ مع العجز عن إزالته، وإلاّ فمتى أمكن الإنسان معرفة الحقّ فقصّر لم يكن معذورًا [٥]، قال ابن اللحّام [٦]:«إذا قلنا إنّ الجاهل يعذر، فإنما محلّه إذا لم يقصِّر ويفرِّط في تعلُّم الحكم. أمّا إن قصّر أو فرّط، فلا يُعذَر جزمًا»[٧].

٣. أن لا تكون المسألة التي جهلها مما لا يتصوّر الجهل بها لمسلم، فمن العلم ما لا يسع بالغًا مسلمًا غير مغلوب على عقله جهله، وهو العلم الذي وصفه الإمام الشافعيّ بقوله: «وهذا الصنف كلّه من العلم موجود نصًّا في كتاب الله، وموجود عامًّا عند أهل الإسلام ينقله

---

(١) "مدارج السالكين" : ٣٦٦/١

(٢) ينظر:"الرسائل الشخصية"لابن عبد الوهاب: ٢١٤، و"منهاج التأسيس والتقديس" لعبد اللطيف آل الشيخ : ٢٢٧

(٣) هو أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، المشهور بالقرافي، عالم فقيه له كتبٌ كثيرةٌ مفيدة منها : القواعد، والذخيرة، وشرح الجلاب، وشرح المحصول للرازي ، توفي سنة (٦٨٤هـ). ينظر: "الديباج المذهب" لابن فرحون ١٢٨،و"شجرة النور الزكية" لمحمد مخلوف: ١٨٨

(٤) "الفروق" للقرافي : ١٥٠/٢

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٨٠/٢ ، و"طريق الهجرتين" : ٥٧٠

(٦) هو علي بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي، الشهير بابن اللحام ، فقيه واعظ، ، صنف في الفقه والأصول اشتغل بالتدريس والفتيا والقضاء في مصر. توفي سنة ( ٨٠٣هـ ) ينظر:"شذرات الذهب" لابن العماد : ٣١/٧ ،و"المقصد الأرشد" لابن مفلح: ٢٧٣/٢ .

(٧) "القواعد والفوائد الأصولية"لابن اللحام : ٥٨

عوامّهم عمّن مضى من عوامِّهم يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته، ولا وجوبه عليهم، وهذا العلم العامّ الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع» [١].

ومن المهم التأكيد على أنّ العذر بالجهل لا يعني انتفاء الأسماء والأحكام الشرعيّة للأفعال والأقوال والاعتقادات، فنقول: هذا شرك، وهذا كفر، وهذا إلحاد، عما يكون كذلك، ولكن الفاعل المعين قد يكون معذورًا بالجهل.

كما لا يعني التعلُّل في إبقائه والاحتجاج به لتسويغ الخطأ والجهالات والبدع والضلالات بل لا بدّ من بيان الحقّ والعمل على تعليم الناس ما يرفع الجهل عنهم؛ وإلاّ لما وجب بيان العلم وفُضّل أهله؛ ولكان ترك الناس على جهلهم أولى، وإنما يعني أنه ليس لأحد أن يكفِّر أحدًا من المسلمين بأمر يجهله حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجّة، فمن ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه ذلك بالشكّ، بل لا يزول إلاّ بعد إقامة الحجّة[٢]وإزالة الشبهة[٣].

(١) "الرسالة" للشافعي : ٣٥٧

(٢) الحجة هي شرع الله ووحيه الذي جعله حجة على خلقه، وإقامة الحجة يكون بتبليغها لمن كان جاهلاً، وإزالة اللبس عمن كان عنده شبهة فيها، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض، قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه. ينظر :" الجواب الصحيح" لابن تيمية : ٢٩٣/٢، و"طريق الهجرتين" : ٥٧١

(٣) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٦٥/١٢ ، ١٦/٢٢

## المطلب الثاني
## حكم المخطئ في مسائل الغيب

المخطئ هو من أراد الصواب فصار إلى غيره[١]، فالخطأ عدول عن الجهة الصحيحة[٢]، ولا يتصوّر وقوعه إلاّ مع وجود جهل؛ فبين الجهل والخطأ اتفاق في المعنى من وجه. وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة في إعذار صاحبيهما ورفع المؤاخذة عنهما؛ حيث إنهما في حكم من لم يبلغه الخطاب الشرعيّ ومن ثم يعذران في حالات معينة[٣]. قال تعالى في خطاب أهل الإسلام: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، قال ﷺ: "رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان"[٤].

والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبريّة والعمليّة، فهناك من اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث وكان هناك ما يعارضه ويبيِّن المراد الحقّ ولم يعرفه، مثل من اعتقد أنّ الذبيح إسحاق لحديث اعتقد ثبوته، أو اعتقد أنّ الله لا يُرى لقوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وقد ورد أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها احتجّت بهاتين الآيتين على القول بانتفاء الرؤية في حقّ النبيّ ﷺ في الدنيا[٥]، وإنما يدلاّن بطريق العموم، وروي

(١) ينظر :"لسان العرب"لابن منظور :خطأ: ٦٥/١

(٢) "مفردات ألفاظ القرآن": ١٥١

(٣) ينظر : "الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه": ٣٢٠

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم : ٢٠٤٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ١٩٨/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أجمعت الأمة على أن الله ﷻ لا يراه أحد في الدنيا بعينه، أما في الآخرة فيراه أهل الإيمان، ينظر: "الرد على الجهمية" للدارمي: ٣٠٦ ضمن عقائد السلف، و"مجموع فتاوى ابن تيمية": ٥١٠/٦ ، والخلاف إنما وقع في حصول الرؤية للنبي ﷺ خاصة ليلة المعراج، قال ابن تيمية: «وأكثر علماء أهل السنة يقولون: إن محمدًا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج» : ٣٨٦/٣، ومن العلماء من يرى ترجيح قول عائشة رضي الله عنها ويعدّه رأي الجمهور، ينظر : "المحرر الوجيز" لابن عطية : ٢٦٠/١٥، ومنهم من يتوقف ، قال القاضي في "الشفا": « القول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص؛ إذ المعول فيه على آية النجم ...والتنازع فيها مأثور والاحتمال لها ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك » : ٢٦٥/١ باختصار يسير .وللفائدة يراجع كتاب: "رؤية النبي ﷺ لربه" لمحمد التميمي.

عن بعض التابعين إنكار أن الله يريد المعاصي[١] لاعتقادهم أن الإرادة تتضمن الرضا والمحبة حتمًا، والله لا يرضى لعباده الكفر والفسوق، ومنهم من اعتقد أنّ بعض الكلمات والآيات ليست من القرآن؛ لأنّ ذلك لم يثبت عنده بالنقل الثابت، ومن الصحابة من كان يسأل: هل نرى ربّنا؟ فلم يكونوا يعلمون أنهم يرونه، وكثير من الناس لا يعلم ذلك، إمّا لأنّه لم تبلغه الأحاديث، وإمّا لأنّه ظنّ أنّه كذب وغلط[٢]، قال ابن قتيبة: «قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك»[٣].

فمثل هذه الأخطاء لم تخرج أصحابها عن دائرة أهل السنة والجماعة، فيجب التفريق بين الغلط الجزئيّ وبين إنكار أصل ومخالفة قاعدة كليّة مما عليه الفرقة الناجية؛ فإنكار البعث أو إنكار ثبوت الحقائق جملة مما عليه أهل البدع هو كفر بالاتفاق، ولكن الأقوال التي يكفر قائلها قد تقع ممن لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحقّ، وقد تكون عنده ولم يثبت صدقها عنده، أو لم يتمكّن من فهم دلالتها، أوقد تكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحقّ وأخطأ فإنّ الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان في المسائل النظريّة أو العمليّة. وهذا هو الذي كان عليه أصحاب النبيّ ﷺ وجماهير أئمة الإسلام[٤]، قال ابن تيمية: « هذا قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعيّ والثوريّ وداود بن عليّ وغيرهم: لا يؤثمون مجتهدًا مخطئًا في المسائل الأصوليّة ولا في الفرعيّة كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره، ولهذا كان أبو حنيفة والشافعيّ وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلاّ الخطابية[٥] ويصحّحون الصلاة خلفهم، والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين، ولا يصلَّى خلفه، وقالوا: هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين أنهم لا يكفّرون ولا يفسّقون ولا يؤثّمون أحدًا من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عمليّة ولا علميّة»[٦].

---

(١) المقصود هنا الإرادة الكونية فلا يقع في ملك الله إلا ما يريده ﷻ .

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٢/٢٠ وما بعدها.

(٣) "فتح الباري" : ٥٢٣/٦

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٤٥/٢٣

(٥) هي فرقة غالية من فرق الشيعة تزعم ألوهية الأئمة وعلمهم الغيب، وأنهم لا يموتون وإنما يرتفعون للملكوت، فمخالفتهم للحق في الأصول الإيمانية لا في فروع المسائل، للاستزادة ينظر :"الفرق بين الفرق" : ٢٢٣

(٦) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٠٧/١٩

وهو المنهج المعروف عن الإمام أحمد كذلك، فإنه لم يكفّر كثيرًا ممن كانوا على مذهب الجهميّة في بعض المسائل من ولاة الأمر، بل كان يعترف بإمامتهم ويدعو لهم ويرى الائتمام بهم في الصلوات والحجّ، والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، فكان ينكره ويجاهدهم على ردّه بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهميّة الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمّة وإن كانوا جهالاً مبتدعين أو ظلمة فاسقين[1] .

وقد ثبت أنّ الصحابة «تنازعوا في مسائل علميّة اعتقاديّة، كسماع الميت صوت الحيّ[2]، وتعذيب الميت ببكاء أهله[3]، ورؤية محمد ﷺ ربّه قبل الموت[4]، مع بقاء الألفة والجماعة، وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعًا، ومنها ما المصيب في نفس الأمر واحد عند الجمهور أتباع السلف، والآخر مؤدٍّ لما وجب عليه بحسب قوّة إدراكه»[5]، ولهذا فإن قال أحد من أهل العلم بقول أهل الضلال في مسألة فرعيّة فإنه يكون في هذا القول قد جانب الصواب وأخطأ الحقّ في هذا الباب، ولكنّ ذلك لا يوجب أن يعامل معاملة أهل البدع الذين لهم منهج مخالف في التلقّي والاستدلال، قال الإمام الذهبيّ مشنعًا على من يرصد آحاد الأخطاء في المسائل على العلماء: «ولو أنا كلّما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم لنا ابن نصر[6] ولا ابن منده[1]، ولا من هو

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٥٠٨/٧

(٢) مسألة سماع الميت صوت الحي من مسائل الاعتقاد الفرعية واختلف فيها العلماء على قولين: الأول: قالوا بالسماع ومستندهم حديث قليب بدر المعروف الذي رواه جمع من الصحابة ﷺ وغيره من الصحيح، والقول الثاني بمنع سماع الموتى، وهو قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ووافقها طائفة من العلماء وعمدة استدلالهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝﴾ [فاطر:٢٢]، وقد بسط بسام سلامة الموضوع بسطًا وافيًا في دراسته وتحقيقه لكتاب الروح لابن القيم وخلص إلى ترجيح القول الأول لصحة الأحاديث وصراحتها، وإمكان الجمع بينها وبين الآيات التي ظاهرها منع السماع،ينظر للفائدة : ١٣٠/١

(٣) سبق بيانها ص ٩٧ من هذا البحث.

(٤) سبق بيانها في هامش صفحة ٢١٠ من هذا البحث.

(٥) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٢٣/١٩

(٦) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الحافظ، شيخ الإسلام، قال الحاكم:إمام عصره في الحديث بلا مدافعة،=

أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحقّ، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى ومن الفظاظة»[٢].

والعذر بالخطأ ليس مقبولاً على كلّ حال كما سبق أنّ العذر بالجهل ليس مقبولاً على كلّ حال، فالخطأ الذي أوقع الاتحاديّة الحلوليّة[٣] فيما هم فيه من الكفر البواح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود ربّ العالمين لا يعذرون به، كما لم يُعذر الحلاّج[٤] واتفق أهل الفتوى على قتله، ولم يقل أحد بأنه خطأ اجتهاد معذور به، إنما ضلال وكفر عن معرفة وعلم[٥]، فـ«من كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن مثلاً، أو لتعدّيه حدود الله بسلوكه السبل التي نهى عنها، أو اتباع هواه بغير هدًى من الله، فهو الظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنًا وظاهرًا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهو مغفور له خطؤه»[٦] فالله قد غفر لهذه الأمة خطأها، والخطأ أمر عامّ يقع في المسائل الخبريّة القوليّة، كما يقع في المسائل العمليّة.

والواجب على العبد تحرّي الحقّ والاجتهاد في الوصول إليه وبذل الوسع في طلب العلم، ولا يجب عليه إصابة الحقّ فإن اجتهد وأخطأ كان معذورًا، وإن ترك الاجتهاد تهاونًا وتفريطًا ثم

---

=توفي سنة (٢٩٤هـ)، ينظر "سيرأعلام النبلاء"للذهبي:١٢٩/١١

(١) هو محمد بن اسحاق ابن منده، من كبار حفاظ الحديث، وأئمة أهل السنة والجماعة، من مصنفاته: التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ على الاتفاق والتفرد، ومعرفة الصحابة، والرد على الجهمية،توفي سنة( ٣٩٥هـ). ينظر: "سيرأعلام النبلاء"للذهبي: ٦/١٣، و"شذرات الذهب"لابن العماد:٥٠٤/٤

(٢) "سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٤٠/١٤

(٣) الحلولية المنتسبون للإسلام عشر فرق يرجعون إلى غلاة الروافض والصوفية منهم: السبئية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية والمقنعية والرزامية والحلمانية والحلاجية والعذافرة والخرمية، فهؤلاء جميعًا يشتركون بالقول بحلول اللاهوت في الناسوت.ينظر: ينظر:"الفرق بين الفرق"للبغدادي:٢٢٨،و"مقالات الإسلاميين" للأشعري: ٨٢/١ -١٠٥،و"البرهان" للسكسكي: ٨٠ – ٨٥

(٤) هو الحسين بن منصور الحلاج، جده مجوسي،كان في ابتداء أمره متعبدً متزهدًا ثم دخل عليه الحلول والاتحاد وصار من أهل الانحلال والانحراف، وتعلم السحر والشعبذة وادعى النبوة وعلم الغيب ونطق بعبارات كفرية حتى أمر الخليفة أن يُكشف أمره بحضرة العلماء فأجمعوا على كفره وحل دمه وأفتوا بقتله فقتل سنة ( ٣٠٩هـ ).ينظر :" تاريخ بغداد للبغدادي" ١١٢/٨-١٤٠ ،و"البداية والنهاية" لابن كثير ١٣٢/١١- ١٤٤ ، و"سير أعلام النبلاء" : ٣١٣/١٤

(٥) ينظر :"منهاج التأسيس والتقديس": ٢١٧

(٦) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣١٧/٣

أخطأ أثم. وإن كان عاجزًا عن معرفة الحق فاتّبع مجتهدًا من أهل العلم فهو معذور مثله إلاّ أن يرى الحقّ مع غيره ويتعصّب له[١]. أمّا المقلّد عن تفريط وتقصير، أو المقلِّد لأهل الزيغ والعناد من آباءٍ أو كبراء فإنه يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ۝٤٨﴾ [غافر:٤٨-٤٩].

(١) التقليد المذموم عقلا وشرعًا هو اتباع قول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة، بخلاف اتباع الرسول ﷺ أو إجماع الأمة فإنه حجة واجبة الاتباع، وإن لم يعرف الدليل ولا يدخل ذلك في التقليد المذموم. راجع هامش ص١٦٩ من هذا البحث.

## المطلب الثالث
## حكم المتأول في مسائل الغيب

لما كان مجال الغيب أكثره وراء عالم المدركات الحسِّيَّة والاستنباطات العقليّة فإن من الحكمة أن يُتلقَّى خبره كما جاء من عند العالم به، ويُقطع الطمع في إدراك كيفيَّات حقائقه أوالبحث وراء مالم يأت به الخبر، ولكن الناس ليسوا سواء في تعاملهم مع مسائل الاعتقاد الغيبيّة فمنهم من بنى اعتقاده فيها على التسليم للنصّ والإيمان به كما جاء، وقيّد عقله ولم يعتدّ به في غير مجاله؛ فآمن بالله وبما جاء عن الله على الكيفيّة التي يعلمها الله فسلِم من الزلل ووصل إلى العلم الصحيح، وأئمة هذا الفريق هم أهل السنة والجماعة؛ لذا كانت طريقتهم أعلم وأحكم وأسلم، ومن الناس من لم يقنع بالتسليم فهمه وانساق وراء تأويلات عقله واستبعادات منطقه، وهؤلاء يتفاوتون في الخطأ والزلل فمنهم من جانب الصواب كثيرًا كالمتكلِّمين، ومنهم من زلَّت به القدم فهوى في متاهات الضلال والإنكار ككثير من الفلاسفة وغيرهم.

والتأويل المقصود هنا في باب مسائل الاعتقاد الغيبيّة هو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدلّ عليه إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوهم ذلك[١]، فيقول المتأوّل في مسائل الغيب بحسب ما يعرض له من فهم لنصوص الشريعة المخبرة عن الغيب باستنباطات عقله بحيث يكون مخالفًا لما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم وأئمة الدين[٢].

وإذا كان هذا المتأوِّل يقصد موافقة الحق صدقًا، وإنما وقع في التأويل لورود شبهة عنده تصرفه عن الحقّ، فعمد إلى التأويل جهلاً، أو ظن خطأً أنّ الحقّ في حمل اللفظ المخبِر عن الغيب على معنى آخر يحتمله، مما يسوغ في اللغة فإنه يلحق بالجاهل والمخطئ في اعتبار العذر أو عدم اعتباره، أما إذا كان تأويله عن تكذيب لنصوص الشريعة وردٍّ للحقّ فهذا لا يعذر بتأويله وإنما يلحق بالمعاند المنكر، فأهل التأويل المذموم «مراتب مابين قرامطة وباطنيّة يتأوّلون الأخبار والأوامر، ومابين صابئة وفلاسفة يتأوّلون عامّة الأخبار عن الله وعن اليوم الآخر، حتى

---

(١) وهو التأويل المذموم وليس التأويل بمعنى التفسير والبيان الوارد كثيرًا في الكتاب والسنة. ينظر: "شرح الطحاوية"لابن أبي العز : ٢٣١

(٢) ينظر : "الجهل بمسائل الاعتقاد"لعبدالرزاق معاش : ٣٢٨

عن أكثر أحوال الأنبياء. وما بين جهميّة ومعتزلة يتأوّلون بعض ماجاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأوّلون آيات الصفات[(١)]. وقد وافقهم بعض متأخِّري الأشعريّة على ما جاء في بعض الصفات، وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر. وآخرون من أصناف الأمّة وإن كانت تغلب عليهم السنة، فقد يتأوّلون أيضًا في مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه»[(٢)]، ف«من كان من أهل البدع مؤمنًا بالله ورسوله ظاهرًا وباطنًا، معظِّمًا لله ورسوله ملتزمًا ما جاء به الرسول، ولكنه خالف وأخطأ في بعض المقالات وأخطأ في تأويله من غير كفر وجحد للهدى الذي تبيّن له لم يكن كافرًا، ولكنه يكون فاسقًا مبتدعًا، أو مبتدعًا ضالاًّ، أو معفوًّا عنه لخفاء المقالة، وقوّة اجتهاده في طلب الحقّ الذي لم يظفر به »[(٣)]. لذا كان لا بدّ من التفريق بين من يتأوّل عن اجتهاد في مسألة فيضلّ باعتقاده خلاف الصواب، وهو يقصد الوصول إلى الحقّ، وبين أصحاب البدعة ودعاة الضلالة الذين ينكرون الظاهر والحقائق الغيبيّة جملة، فمع تخطئة السلف للمتأوّلين عن اجتهاد وتأثيمهم أحيانًا، إلا أنهم لم يرموهم بالخروج من الدين، وقد ذكر ابن تيمية تأويل المعتزلة لعذاب القبر في البرزخ وبيّن خطأ قولهم وضلاله إلاّ أنه لم يكفِّرهم بذلك، بل قال: لكنهم خير من الفلاسفة لأنهم يقرّون بالقيامة الكبرى[(٤)]، وكذلك تأويلهم ما ورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والإنصاف[(٥)]، فإنهم جانبوا فيه الصوابولم يكفّروا بذلك، بل فرّق العلماء بين المتأوِّل منهم بضوابطه وبين المنكر المعاند، وكذلك في شأن كثير ممن تكلّموا في القدر كقول القدريّة بإنكار عموم المشيئة والخلق فقد كفّرهم عليه مالك والشافعيّ وأحمد وغيرهم مع تفريقهم بين المجتهدين الضالِّين في أنفسهم

(١) فالمتكلمون متفقون على عدم إجراء الصفات الموهمة للتشبيه – بزعمهم- على ظاهرها، ويسلكون حيالها أحد مسلكين: إما التأويل بصرفها عن ظاهرها إلى معنى آخر تحتمله اللغة، أو التفويض وهو صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان معناه وتفويض علم المعنى إلى الله. وكلا المسلكين مجانب للصواب ولو أنهم أثبتوا ما أثبته الله ورسوله، ولم يتكلفوا في معرفة كيفيته لوافقوا الحق والصواب. ينظر :"مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات" لأحمد القاضي : ١٥٣

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٨٧/١٣ ، وينظر : ٣٨٨/٧

(٣) "توضيح الكافية الشافية"لابن أبي عيسى : ١٥٦

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٨٤/٤

(٥) قال الإيجي: هو مذهب المعتزلة عن آخرهم إلا أنّ منهم من أحاله عقلاً، ومنهم من جوزه، ولم يحكم بثبوته كالعلاف وابن المعتمر، ينظر : "شرح المواقف" : ٣٥٠/٨ .

وبين غيرهم، فرووا الحديث وخرجوا في كتبهم لكثير ممن كان يرى رأي القدرية مما يدل على التفريق بين المنكر المعاند والمتأوِّل المجتهد.

كذلك فإن مما يؤثر في اعتبار العذر للمتأوِّل نوع المسائل التي يأوِّلها وكونها مما يسوغ في اللغة أو لا، قال ابن حجر: « قال العلماء: كلّ متأوِّل معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب وكان له وجه في العلم»[1]، أمَّا تأويل الأصول المهمّة المتفق عليها، والتي اشتهر القول الحقّ فيها بلا شبهة يعتدّ بها فليس إلا عنادًا ومكابرة، قال الغزاليّ: « ما يتعلّق من هذا الجنس [يعني التأويلات]بأصول العقائد المهمّة، فيجب تكفير من يغيِّر الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسِّيَّة في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع»[2].

فالتأويل الذي يمكن اعتباره عذرًا لصاحبه يكون في أمر خفيٍّ أو عن شبهة قويّة، فلم تقبل الشبه التي احتجّ بها المشركون عندما عبدوا مع الله غيره[3]؛ لأن أمر التوحيد أمر جليّ قد أقام الله عليه أدلّة العقل والفطرة والنقل فلا يشتبه إلاّ على معاند لفطرته، أو صاحب هوى، أو معرض عن طريق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومثلهم القبوريّون الذين اعتدَوا على جناب التوحيد، وسوّغوا الشرك الأكبر، فدعَوا الأموات، واستغاثوا بهم معتمدين على تأويلات باطلة[4]. وكذلك المؤوّلون للنصوص الواردة في حشر الأجساد وحدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيّات، فإنهم يكفرون؛ لما عُلم قطعًا من الدين أنها على ظواهرها، بخلاف ما ورد في عدم خلود أهل الكبائر في النار؛ لما قد يشتبه من تعارض ظاهر الأدلّة في حقِّهم [5].

قال ابن الوزير[6]:« لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم ضرورة للجميع، وتستّر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن

---

(١) "فتح الباري"لابن حجر: ٣٠٤/١٢

(٢) "فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة" للغزالي : ٨٠

(٣) ينظر: "الجهل بمسائل الاعتقاد"لعبدالرزاق معاش: ٣٥١

(٤) وقد انبرى لهم المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد عليهم، يراجع للفائدةكتابه"كشف الشبهات"، و"منهاج التأسيس والتقديس" لعبد اللطيف آل الشيخ.

(٥) ينظر :"شرح الفقه الأكبر"للملا على القاري : ٦٩

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى من آل وزير، من فقهاء اليمن له مؤلفات نافعة أشهرها: العواصم من القواصم والبرهان القاطع في معرفة الصانع و إيثار الحق على الخلق ،توفي سنة ( ٨٤٠هـ ) ينظر : "شذرات الذهب" لابن

والشرائع والمعاد الأخرويّ من البعث والقيامة والجنة والنار»[١]. فهؤلاء الزنادقة من الباطنيّة والفلاسفة حقيقة تأويلاتهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً أو لأصوله البيِّنة التي لا يقوم إلاّ عليها، وليس ثمة شبهة لهم يعتدّ بها، فلا تعتمد تأويلاتهم على مستند من نصٍّ آخر صحيح أو وجه دلالة سائغ؛ لذا تعدّ جحودًا وإنكارًا وإن تستّرت باسم التأويل، بخلاف من «تأوّل وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب أو التبس ذلك علينا في حقّه، وأظهر التديُّن والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانيّة مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد ومضادّة الأدلّة الجليّة، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة»[٢]، فهم مخطئون وقد تكاثرت الآيات والأحاديث في العفو عن الخطأ، والظاهر أنهم أخطؤوا ولا سبيل إلى العلم بتعمُّدهم لأنّه من علم الباطن الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى [٣].

فالعذر بالتأويل كالعذر بالجهل والخطأ قد يعتبر بضوابط ولا عذر بعد قيام الحجّة، لذا ينبغي تنبيه المتأوِّل وتعريفه بالحقّ، قال ابن حزم: «ومن بلغه الأمر عن رسول الله ﷺ من طريق ثابتة، وهو مسلم فتأوّل في خلافه إيّاه، أو ردّ ما بلغه بنصّ آخر، فما لم تقم عليه الحجّة في خطئه في ترك ما ترك وفي الأخذ بما أخذ، فهو مأجور معذور لقصده إلى الحقّ وجهله به، وإن قامت عليه الحجّة في ذلك، فعاند فلا تأويل بعد قيام الحجّة»[٤]، والقول قد يكون كفرًا كمقالات الجهميّة الذين قالوا: إنّ الله لا يتكلّم، ولا يُرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، لذا كان منهج أهل السنّة إطلاق القول بأنّ القول المعين كفر، ولا يكفرون الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجّة[٥].

وخلاصة القول «إنّ المتأوِّلين من أهل القبلة الذين ضلُّوا وأخطأوا في فهم ما جاء في الكتاب والسنة، مع إيمانهم بالرسول واعتقادهم صدقه في كلّ ما قال، وأنّ ما قاله كان والتزموا ذلك، لكنّهم أخطؤوا في بعض المسائل الخبريّة أو العمليّة، فهؤلاء قد دلّ الكتاب والسنة على

---

العماد : ٤٣/٩ ، و"البدر الطالع" للشوكاني ٨٢/٢

(١) "العواصم من القواصم" لابن الوزير : ١٧٦/٤

(٢) المرجع نفسه: ١٧٦/٤

(٣) ينظر : "إيثار الحق على الخلق" لابن الوزير : ٤٣٥

(٤) "الدرة فيما يجب اعتقاده" لابن حزم : ٤١٤

(٥) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦١٩/٧

عدم خروجهم من الدين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين»[١]، أمّا المخالفون في أصول مسائل الاعتقاد الغيبيّة لظاهر ما تدلّ عليه الألفاظ المخبرة عنها بحيث يكون صرف اللفظ عن معناه الحقيقيّ قاعدة عامّة عندهم، ومنهجًا يتعاملون خلاله مع الحقائق الغيبيّة التي يحار فيها العقل ويبطلونها فهؤلاء حقيقة تأويلهم جحد وعناد وتفصيل حكمهم في المطلب التالي.

(١) "الإرشاد في معرفة الأحكام" لابن سعدي : ٢٠٧

## المطلب الرابع
## حكم المنكر المعاند في مسائل الغيب

إنكار الحق وردّه منه ما يكون لما لا يعلمه الإنسان ولا يتصوّره، فهو إنكار عن جهل، و« الإنسان قد يكون مكذِّبًا ومنكرًا لأمور لا يعلم أنّ الرسول أخبر بها أو أمر بها، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر، بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلاّ بصدق ولا يأمر إلاّ بحقّ»[١]، فهذا المنكر جاهل، وقد سبق الحديث عن حكمه مع الجاهل والمخطئ. ومن الإنكار ما يكون لما يعلم حقيقته وهو الجحود والعناد[٢]، وهو المقصود بالمنكر هنا فالمنكر المعاند هو الذي يجحد الحقّ ويردّ الخبر الثابت عن علم ومعرفة، عن منهج ينتهجه وطريقة يسير عليها؛ فهو يستبعد كلّ ما لا يعقله فيردّ النصوص الثابتة أو معانيها، ويكذّب خبر المعصوم ﷺ، فيقع بذلك في كفر الجحود الذي هو « نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيَّد خاصّ، فالمطلَق: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول، والخاص المقيّد: أن يجحد فرضًا من فروض الإسلام، أو تحريم محرّم من محرّماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرًا أخبر الله به، عمدًا أو تقديمًا لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض» [٣].

وقد لا يقع التكذيب والجحود من أهل الضلال بصورة مباشرة، وإنما يتّخذون لذلك طرائق لا تكشف عن كفرهم إلاّ لمن يعرف حقيقة مذهبهم؛ ليخرجوا أنفسهم عن معنى التكذيب والكفر، قال ابن تيمية: «وكفرهم ظاهر عند أقل من له علم وإيمان من المسلمين إذا عرفوا حقيقة قولهم، لكن لا يعرف كفرهم من لا يعرف حقيقة قولهم»[٤]. ولذلك سمّاهم منافقين لما يظهرون من الإيمان ويبطنون من الكفر فقال: « وأمّا المنافقون من هذه الأمّة الذين لا يقرُّون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحانيّ، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنيّة الذين قولهم مؤلَّف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين للإسلام وطائفة ممن ضاهوهم: من كاتب أو

---

(١) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٣٧/٧

(٢) ينظر : "لسان العرب"لابن منظور: نكر : ٢٣٣/٥

(٣) "مدارج السالكين"لابن القيم : ٣٦٧/١

(٤) "شرح العقيدة الأصفهانية"لابن تيمية : ١٦٤

متطبِّب، أو متكلِّم أو متصوِّف: كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم، وهؤلاء كلّهم كفّار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان فإنّ محمدًا ﷺ قد بين ذلك بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر، وتواتر عند أمّته خاصّها وعامّها »[١].

وبيّن – رحمه الله – حقيقة طرقهم فقال: « أهل البدع من فرق الضلال في الوحي يخالفون في ذلك على طريقتين: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، فأمّا أهل التبديل فهم نوعان؛ أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل. فأهل الوهم والتخييل: هم الذين يقولون: إنّ الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، ولكنهم خاطبوهم بما يتخيّلون به ويتوهّمون به أنّ الله شيء عظيم كبير، وأنّ الأبدان تعاد، وأنّ لهم نعيمًا محسوسًا وعقابًا محسوسًا، وإنّ الأمر ليس كذلك لأنّ مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل. أمّا أهل التحريف والتأويل: فهم الذين يقولون: إنّ الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ماهو الحقّ في نفس الأمر، وإنّ الحقّ في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!!... وأمّا أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم: أنّ الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالّون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون يجوز أن يكون للنصّ تأويل لا يعلمه إلاّ الله، لا يعلمه جبريل ولا محمّد ﷺ ولا غيره من الأنبياء عليهم السلام فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان »[٢].

فحقيقة هذه الأقوال إنكار نصوص الوحي القطعيَّة، أو إنكار ثبوت معانيها وحقائقها، وكلّ من أنكر ما ثبت بالأدلّة المستفيضة من أصول المسائل كالقيامة والآخرة كفر، قال القاضي عياض[٣]: « نقطع بتكفير كلّ من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عُرف يقينًا بالنقل المتواتر»[٤].

---

(١) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣١٤/٤

(٢) المرجع نفسه بتصرف يسير.

(٣) هو القاضي عياض بن موسى السبتي بن عياض، أبو الفضل المالكي، الإمام العلامة، كان فقيهاً محدثاً، وحمل لواء المالكية في عصره، وصنف مصنفات كثيرة منها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، والشفا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ ، ومشارق الأنوار ، وتوفي سنة (٥٤٤هـ) ينظر : "جرة النور الزكية" لمحمد مخلوف : ٢٠٥/١ .

(٤) "الشفا"للقاضي عياض : ١٠٧٣/٢

أمَّا من أنكر الثابت من حقائق الغيب عن جهل أو تقليد أو خطأ تأويل فما لم ينقض أصل الإيمان فإنّ أهل السنة لا يكفّرونه، ولكن إن عُرّف، وأقيمت عليه الحجّة فأعرض عن تعلُّم الحقّ أوكابر وعاند بعد قيام الحجّة فهو كافر معاند، قال ابن سعديّ: « أهل السنة والجماعة يسلكون مع جميع أهل البدع المسلك المستقيم المبنيّ على الأصول الشرعيّة والقواعد المرضيّة، ينصفونهم، ولا يكفِّرون منهم إلاّ من كفّره الله ورسوله، ويعتقدون أنّ الحكم بالكفر والإيمان من أكبر حقوق الله وحقوق رسوله، فمن جحد ما جاء به الرسول، أو جحد بعضه غير متأوِّل من أهل البدع فهو كافر، لأنّه كذَّب الله ورسوله واستكبر على الحقّ وعانده، فكلّ مبتدع من جهميّ وقدريّ وخارجيّ ورافضيّ ونحوهم عرف أنّ بدعته مناقضة لما جاء به الكتاب والسنة ثم أصرّ عليها ونصرها فهو كافر بالله العظيم مشاقّ لله ورسوله من بعد ما تبيّن له الهدى»[1].

وأكّد ذلك من قبل الإمام النوويّ: فقال: «من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردَّته وكفره إلاّ أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك فإن استمرّ حكم بكفره»[2].

ويلحق بالمنكر المعاند في الحكم الشاكّ المرتاب في صدق ما أخبر به الرسول ﷺ، فإنّ الله ﷻ ذكر وجوب اليقين في آيات كثيرة قال: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟**﴾ [الحجرات:١٥]،وبيّن رسول الله ﷺ شرط اليقين في الإيمان بقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكّ فيهما إلاّ دخل الجنة"[3]، فمن شكّ في الله أو في صدق الرسول أو البعث، أو شكّ في شيء من القرآن فإنه كافر بإجماع[4]، لأنّ شكّه لا يستمرّ إلاّ إذا ألزم نفسه الإعراض عن دفع ما يزيل شكّه، قال ابن القيِّم: «أمّا كفر الشكّ: فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشكّ في أمره، وهذا لا يستمرّ شكّه إلاّ إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، أمّا مع

(١) "توضيح الكافية الشافية"لابن أبي عيسى : ١٥٦بتصرف يسير.

(٢) مسلم بشرح النووي : ١٢٨/١

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ،رقم: ٢٧

(٤) ينظر : "الشفا"للقاضي عياض : ١٠٦٩/٢ ، و"معارج القبول"للحكمي : ٣٧٨/١

التفاته إليها ونظره فيها، فإنه لا يبقى معه شكّ »[١].

وينتبه في هذا الأمر للفرق بين الشكّ والوسوسة، فالوسوسة خواطر تهجم على القلب بغير اختيار الإنسان فإذا كرهها العبد ونفاها كما علمه رسول الله ﷺ كانت كراهته لها صريح الإيمان، ففي الحديث: "جاء ناس من أصحاب النبيّ ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم به، قال: أوجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان"[٢]، وبيَّن ﷺ منهج التعامل معها ففي رواية: "فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله" وفي رواية: "فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته"[٣]. فمن انساق وراء وساس الشيطان ولم يتَّبع منهج رسول الله ﷺ بقطعها والاستعاذة فإنها قد تورثه شكًّا وريبة.

---

(١) "مدارج السالكين"لابن القيم : ٣٦٧/١

(٢) أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم : ١٨٨

(٣) التخريج نفسه.

# المطلب الخامس
# حكم مدِّعي علم الغيب

بيَّن الله ﷻ أنَّ علم الغيب له وحده فقال: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠]، وأخبرنا أنه حجب علمه عن الخلق إلاّ من ارتضى من رسول فقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]. كما أخبرنا أنه أمر رسله بالبلاغ المبين، وأنهم بلّغوا الرسالة كما أُمروا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٥ ﴾ [النحل:٣٥]، فرسولنا ﷺ أعلم من غيره بخبر الغيب وأنصح من غيره للأمّة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا فكلّ ما بيَّنه من أمر حصل به مراده من البيان والعلم ولهذا قطع السلف ﵃ طمع النفوس في معرفة ما وراء ما بلغهم من نبأ الغيب، واكتفوا بما وصلهم عنه بصحيح الخبر فآمنوا به كما جاء ولم يتكلَّفوا، بينما سار آخرون وراء طمع نفوسهم، وغفلوا عن مقتضى النصوص المخبرة باختصاص الله بعلمه، وخالفوا المنهج الحقّ في هذا الباب، فتلاعبت بهم الشياطين، فمنهم من ادَّعى علم الغيب ونازع الله في ربوبيَّته، ومنهم من ظنَّ أنَّه ممن استثنت الآية لأنواع من الأحوال عرضت له، ومنهم من فُتن بما وافق الحقّ مما أخبر به بعض المدَّعين فأصبح يتطلّب الغيب من طريقهم.

والمقصود بالمدّعَى من علم الغيب، ما يكون من الغيب الحقيقيّ المطلق الذي لا يعلمه إلاّ الله أو من ارتضاه، ويلحق به مايكون من الغيب النسبيّ فيُدَّعى ممن لا يملك أدواته، أما التنبُّؤ العلميّ المبنيّ على منهجيّة استقرائية أو تجريبية صحيحة كمعرفة زمن الغيث أو حدوث الكسوف ونحوه فليس من باب ادّعاء علم الغيب المحرّم[1]، ومما عُرف به العرب في القديم معرفة أوقات المطر والرياح والحرّ والبرد بطالع النجوم، وعدّه العلماء ضربًا مباحًا من علم النجوم

---

(١) قال ابن العربي: «فكل من قال ينزل الغيث غدًا فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادعاها، أو بقول مطلق، ومن قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر» ينظر: "أحكام القرآن": ٧٣٨/٢ ، ولعله يقصد بذلك من قالها على سبيل الجزم مدعيًا بها كشف حجب الغيب والعلم بمفاتح الغيب، وإلا فإن هذه الأمور من الغيب النسبي الذي قد يكشف لمن يملك أدواته كما سبق بيانه .

بخلاف الضرب المحظور الذي يدَّعي به المنجِّمون أحكامًا وأحوالاً ونحوسًا وسعودًا رجمًا بالغيب أو يعدونها أسباباً لما يحدث في الكون إما بنفسها استقلالاً أو بما يدّعون فيها من القوى والخصائص الممنوحة لها من الله ﷻ [(١)].

وكلّ من ادّعى الكشف عن الغيب ماضيًا أو حاضرًا أو مستقبلاً سواء بالعرافة أو التنجيم، أو الخطّ على الرمل أو الضرب بالحصى، أو بادّعاء صاحب من الجنّ يخبر عما سيكون وغيره أو بادّعاء ولاية[(٢)] أو كشف خفيٍّ أو بزعم معرفة الباطن بفكِّ رموز وأسرار وغير ذلك[(٣)]، فحقيقة ما يفعله هو منازعة الله في الربوبيَّة، وزعم مشاركته فيما اختصّ به نفسه؛ لذا كان مدِّعي علم الغيب كاذب وكافر، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ومن حدّثك أنه يعلم الغيب فقد كذب» [(٤)]، و«قال العلماء: وليس المنجِّم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب، ويزجر الطير ممن ارتضاه الله من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله، مفتر عليه بحدسه وتخمينه»[(٥)]. ولكن لا يُكفّر الواحد المعين ما لم يصرّح بإباحة ما يفعل، أو يدّعي علم الغيب صراحة أو التصرُّف في الوجود، وإن كان أكثرهم لا ينفكّ عن هذه الأمور أو أحدها، ولتصريحاته هذه تأثير في الحكم بكفره وقتله أو الحكم بفسقه وإفساده ومن ثم تعزيره بما يردعه وأمثاله ويكفّ فتنتهم عن المسلمين[(٦)].

وكل من ادّعى علم الغيب كاذب وإن تحقّق بعض ما يتنبَّأ به من أحداث، أو صدق ما أخبر به من مكان ضالّة، أو حدث تأثير لما وصف من دواء[(٧)]، فإنما يغترّ بذلك من قلّ

(١) ينظر : "القول في علم النجوم" للبغدادي : ١٢٦ وما بعدها ، وإن كانوا كرهوا –رضوان الله عليهم – أن يقول الرجل نحو: جاء سهيل وبرد الليل، مخافة أن يُلبس على العامة، أو يضعف توجههم إلى الله بالدعاء؛ إذ قد يظنون النسبة إلى النجم نسبة سبب لا نسبة زمن .ينظر: "القول المفيد على كتاب التوحيد"للعثيمين: ١٥٧/٢

(٢) انتشر هذا عند كثير من أهل البدع وبخاصة الصوفية والرافضة، وقد أفرد لهم الباحث أحمد الغنيمان في بحثه"علم الغيب في العقيدة الإسلامية" فصولا كاملة ضمن باب حكم المدعين للغيب: ٢٤٠ وما بعدها بين فيها حقيقة أقوالهم وشبههم ورد عليها بما يغني عن تكراره في هذا البحث.

(٣) سبق تفصيل هذه الطرائق وغيرها في فصل مصادر استمداد الغيب.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ،رقم: ٧٣٨٠

(٥) ينظر : "جامع أحكام القرآن"للقرطبي : ٢٨/١٩

(٦) ينظر : "شرح منتهى الإرادات" : ٣٩٥/٣ ، و"الفروع" لابن مفلح : ١٧٨/٦

(٧) فعمل الكهان منذ القديم لم يكن مقصورًا على الإخبار بأحداث مستقبلية أو حاضرة أو ماضية وإنما كانوا يحكمون بين الناس فيما يشكل عليهم كما في قصة نذر عبد المطلب بذبح أحد أبنائه عندما حالت قريش دونه وتحاكموا إلى كاهنة

علمه بما أخبر به الرسول ﷺ فقد سأله ناس عن الكهان فقال: "إنهم ليسوا بشيء". فقالوا: يارسول الله: إنهم يحدثوننا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا ؟ فقال النبيّ ﷺ: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليّه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة" [(١)].
فالمؤمن الذي يتلقّى خبر عالم الغيب من رسول الله ﷺ يعرف أنّ الكهّان قد يخبرون بحقٍّ مختلط بأكاذيب مما يخبرهم به الجنّ، كما يعلم أنّ عالم الجنّ والشياطين عالم غيبي يختلف عن عالم الإنس له طبيعته وقواه التي فصّلتها النصوص، ومن ذلك أنهم يعلمون في بعض الأمور أكثر مما يعلمه عامّة الإنس، فقد يكشفون لأوليائهم كثيرًا من أمور عالم الشهادة التي هي غيب نسبي للإنس، فقد يخبرون عن مكان شيء مخبوء، أو عما وراء حجب وجدر، أو عن أحداث في مكان بعيد أو زمن ماض مما هو في حدود قواهم وليس من عالم الغيب المحجوب عنا وعنهم.

كذا يعلم المؤمن بما علّمه رسوله ﷺ أن الكهان وكل من يدّعون علم الغيب قد يستعينون أو يعانون من الجنّ والشياطين فتنة للناس وإغواء، والله حذّر عباده من ذلك وأخبرهم بعداوة إبليس وجنده وتربُّصه للناس طريق ربهم المستقيم، فقال ﷻ مخبرًا بعزيمة إبليس على التربُّص ببني آدم: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦]. ومن ثم لايفتتن بهم، ويعتقد كذبهم .

ويلحق بمن يدَّعون الغيب في الحكم الذين يصدِّقونهم، لأنهم مثلهم يتلقَّون الغيب من غير المصدر الصحيح فالكلّ مذموم شرعًا محكوم عليهم وعلى مصدقيهم بالكفر[(٢)]، لذا حذَّرنا رسولنا ﷺ من تصديقهم فقال: "أخاف على أمتي بعدي تكذيبًا بالقدر وتصديقًا بالنجوم" [(٣)]، وبين لنا حكم ذلك فقال: "من أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما نزل على محمد ﷺ" [(٤)].

---

الحجاز، ينظر: "السيرة النبوية" لابن هشام: ١/١٥٤، كما كانوا يطببون الناس ويصفون لهم الأدوية التي غالبًا ما تعتمد على أمور غيبية لا تخضع للمنهج العلمي التجريبي وإنما توارث أسرارها الكهان عصرًا بعد عصر كالعلاج بخصائص مدعاة للأحجار أو الأرقام، وتسمى في عصرنا –زيادة في التلبيس– (طب الطاقة)، أو بحجب خاصة يلبسونها فيها رموز وطلسمات وغير ذلك.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد،باب قراءة الفاجر والمنافق ،رقم : ٧٥٦١

(٢) "حاشية ابن عابدين" : ٢/٢٤٢

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: ٤١٣٥، وصححه الألباني،رقم ١١٢٧ ، ينظر السلسلة الصحيحة٣/١١٨

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم: ٣٩٠٤، وابن ماجه كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض، رقم: ٦٣٩، وأحمد في المسند: ٢/٣٢٩، رقم: ٩٢٥٢ وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك: ١/٧، وقال صحيح

وكلّ «من يدّعي معرفة علم الشيء من المغيّبات فهو إمّا داخل في اسم الكاهن، وإمّا مشارك له في المعنى فيلحق به»(١).

وينبغي التفريق كذلك بين مصدِّقي الكهنة الذين يعلمون بأنهم كهنة، وبين فئام من المسلمين اشتبهت عليهم أمور فظنُّوا كثيرًا من التخرُّصات والرجوم والتكهُّنات علومًا حديثة، فصدّقوا الكهنة، بل وربما ذهبوا إليهم وهم لا يعلمون أنهم كهنة، ولو ثبت هذا لديهم لاستعاذوا بالله من الضلال وكذَّبوهم، فهؤلاء - والله أعلم — يدخلون في حكم الجاهل والمخطئ ويجب تعريفهم بحقائق هذه الأمور، فإن أصرُّوا بعد وضوح الأمر متعلِّلين بما حصل لهم من نفع، وما عاينوه من حقيقة كانوا معاندين.

وهكذا فإن أحكام المنحرفين عن الإيمان بالغيب متفاوتة، وليس كلّ انحراف عن الحقّ في باب الإيمان بالغيب حكمه واحد، فمخالفو الحقّ في مسائل الإيمان بالغيب لهم أحوال يختلف بحسبها حكم المخالف إيمانًا وكفرًا، ومن الأحوال ما يقبل عذرًا لصاحبه لا يكفّر لأجله بما خالف من الحقّ، ومنه ما يكفّر به من كلّ وجه، ومن ثم فلا يحكم على كلّ من خالف الحقّ بالكفر والضلال؛ إذ ليس الجاهل والمخطئ كالضالّ أو المعاند والملحد.

ولا شك في أن كلّ من اعتقد ما اعتقده الرسول ﷺ وأصحابه ﭫ وآمن بالغيب الذي أخبر به، وقبله بالتسليم نجا بهذا الاعتقاد وربح إن عمل به والتزم مقتضاه، أمَّا من لم يعتقد ذلك أو اعتقد ضدّه فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون(٢). والإيمان بالغيب، وبتفاصيل ما أخبر الرسول ﷺ به له أعظم الأثر على المؤمن في الدارين؛ فيزيده إيمانًا ويقينًا والتزامًا بالطريق المستقيم والمنهج الأمثل في كلّ نواحي الحياة، كما أن الانحراف عن ذلك له آثاره الوخيمة على الدنيا والدين وتفصيل القول في هذه الآثار هو ما سيتناوله الباب التالي من هذا البحث.

---

على شرطهما من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في المشكاة ،رقم: ٤٥٩٩، وفي صحيح سنن ابن ماجه : ١٠٥/١

(١) "فتح المجيد" لعبد الرحمن آل الشيخ : ٣٠٤

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ١٧٩/٣

# الباب الثاني :
# آثار الإيمان بالغيب

وفيه فصلان :

الفصل الأول : معرفة حقائق الوجود الكبرى.

الفصل الثاني : إصلاح الحياة والمعاش.

**توطئة:**

كلّ عقيدة يدين بها الإنسان مهما كانت لابد أن تظهر آثارها على جوانب من حياته، وعقيدة الإيمان بالغيب لارتباطها بتصوُّرات الإنسان الكلِّية ونظرته الشاملة إلى الحياة والكون وغاية الوجود؛ فإنّ آثارها تشمل حياة الإنسان كلّها، وتمتدّ إلى المجتمع لتحدِّد ما يسود فيه من معارف وقيم، وما يضبطه من نُظُم ومبادئ. فإذا بنيت عقيدة المجتمع على مصادر صحيحة وأصول ثابتة فإنها تؤثر إيجابًا، فتوجِّه أفراده إلى مافيه صلاح دنياهم وأخراهم، أمَّا إذا قامت على مصادر باطلة فإن أثرها سيتفاوت بحسب ما تتضمَّنه تلك المصادر من الحقِّ والباطل، فتأثير الاعتقاد بالغيب عمومًا -حقًّا كان أو باطلاً- على أصحابه ثابت وملحوظ؛ لأن من ينظر إلى الدنيا وأحوالها بمنظار الماديَّات الضيِّق لا يستوي ومن يؤمن بالغيب ويعتقد بموجوداته ويربط حياته بحقائقه.

وقد نتج عن ملاحظة الآثار العظيمة للاعتقاد بالغيب عمومًا المناداة بالعودة إلى الروحانيَّات من قِبل علماء النفس والأطباء وغيرهم في الغرب، وكثرت الأبحاث التي تدرس أثر العبادات والعقائد على الصحَّة البدنيَّة والنفسيّة، فتغيَّرت تبعًا لذلك نظرة كثير من الغربيِّين إلى الأديان وإلى من يسمّون وسطاء روحانيِّين أو مرشدين روحيِّين، الأمر الذي أدَّى إلى خروجهم بكثرة وبصورة حركات ومؤسسات منظَّمة في الآونة الأخيرة.

فجميع العقائد التي تشمل إثبات عالم غيبي تنطلق بأصحابها إلى أفق أوسع من العالم المادي المحسوس ومن ثم تؤثر بأشكال مختلفة على معتقديها وتحقق لهم كثيرًا من المنافع إلا أنّ تأثير العقائد الغيبيَّة المحرَّفة والوثنيّة يختلف في حقيقته ومداه كثيراً عن أثر الإيمان بالغيب في الدين الحقّ سواء ما يخصّ الفرد المؤمن أو ما يعمّ المجتمع، أو ما يتعلّق بالحياة الدنيا أو بما وراءها من الجزاء، فالفرق كبير جدًّا بين اعتقاد قائم على خيالات العقل وظنونه وجدليَّات المنطق وفلسفاته وبين إيمان نابع من تصديق الرسل المعصومين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين! فالإيمان بالحقّ الذي جاءت به رسل الله ﷻ يصلح حياة الفرد والمجتمع، ويمنح أصحابه سعادة الدارين، وما تتخلّف آثاره العظيمة في حياتهم وجزائهم بعد مماتهم إلا لضعف تحقّقهم به علمًا وعملاً أو انحرافهم عن فهم حقائقه والاسترشاد بهداه.

وفصول هذا الباب تعرض أبرز[1] آثار الإيمان بالغيب الحقِّ في صلاح الدين وإصلاح الدنيا متضمِّنة آثار الانحراف عن الإيمان بما يحقق مرامي هذا البحث في التحذير من ضلالات الماديِّين وأوهام الروحانيِّين .

(١) آثار الإيمان موضوع طويل جدًّا ومتشعب، صُنفت فيه مصنفات كثيرة مابين كتب ثقافية ورسائل علمية منها على سبيل المثال: الإيمان والحياة ليوسف القرضاوي، وأثر الإيمان لحسن الترابي، وأثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة لعبد الله الجربوع، كما لا يكاد يخلو منها أي كتاب عن الإيمان أو أحد أركانه قديمًا وحديثًا؛ لذا اقتصرت منها على ما يخدم هدف هذا البحث .

# الفصل الأول:

# معرفة حقائق الغيب الكبرى

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثر الإيمان بالغيب في معرفة مقام الألوهية.

المبحث الثاني :أثر الإيمان بالغيب في معرفة المبدأ والغاية والمصير.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالغيب في معرفة الإنسان نفسه.

# المبحث الأول:

# أثر الإيمان بالغيب في معرفة مقام الألوهية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر الإيمان بالغيب في معرفة الإله الحق.

المطلب الثاني : أثر الإيمان بالغيب في معرفة وحدانية الله.

المطلب الثالث : أثر الإيمان بالغيب في معرفة أسماء الله وصفاته.

## المطلب الأول

## معرفة الإله الحقّ

البحث عن الإله الحقّ والرغبة في معرفة صفاته واستمداد العون منه والعمل على مرضاته أمر تسعى إليه النفوس على اختلاف أحوالها، فهو أعظم غيب تؤمن به اضطراراً ، ولا تتوصَّل إلى الحق فيه إلاَّ بخبر الوحي، لذا جعل الله ﷻ المعرفة به مركوزة في الفطرة ،قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣]، وجعل بدايه العقول دالة عليها شاهدة بها، ثم بعث الرسل مبيّنين لها، ومذكّرين بها، وداعين إلى الإيمان بها قولاً وعملاً، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦] ، فقد تضمّنت نصوص الوحي أدلّة وجوده تعالى وبراهين وحدانيّته بأساليب متنوّعة توقظ الفطر وترشد العقول وتهديها إلى الإله الحق ، فتارة تذكّر بآيات الربوبيّة في الخلق والتدبير، والملك والحفظ والإحسان والإنعام والعناية والرعاية ،قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٣-١٦٤] وقوله: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦٠-٦١].

وتارة تحذِّر من التصوُّرات الباطلة وتندِّد بما يتّخذ من الآلهة الباطلة وتظهر حالها من العجز والمهانة حتى إنها أقلّ شأنًا من عابديها، قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٥]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ ﴾ [الحج:٧٣].

فالإيمان بالغيب من خبر الرسل عليهم السلام هو طريق معرفة حقيقة مقام الألوهية، بعيدًا عن النظرة التجريديَّة المحضة التي تجعل الإله مفهومًا معنويًّا مجرّدًا وفكرة مطلقة، لا يدلّ عليها وصف، ولا يدرك لها واقع، فإنها لو كانت كذلك لما أدركها عقل ولا اطمأنّ لها قلب، ولما وُجد للإيمان بها تلك الآثار الدافعة للعمل والمؤثرة في السلوك، وبعيدًا أيضاً عن النظرة الماديّة التجسيديّة التي تقيس الغائب على الشاهد فتتصوّر الإله كسائر الموجودات المجسّدة التي تراها محدودة بالمادة.

فلمفهوم الإله كما يخبر عنه مصدر الإيمان بالغيب مقام وسط لائق بجلاله؛ لاهو بالتجسيد المادي المحسوس ولا هو بالتجريد المعنوي المطلق، فالذي ينظر في نصوص الوحي كتابًا وسنة ليعرف إلهه يجد أنه إله قادر مريد متّصف بالسمع والبصر: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥ ﴾ [الحج:٧٥] وهو عالم قادر قد خلق السموات السبع بيده: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ ﴾ [الذاريات:٤٧]، ثم استوى على عرشه يدبّر الليل والنهار: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ [السجدة:٤-٥] وملائكته يحفّون بعرشه ويسبّحون بحمده ويأتمرون بأمره: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر:٧٥]. وقد يخيّل للإنسان وهو يقرأ هذه الآي الشريفة صورًا يظنّها الإله ﷻ، لذلك لا يدع الوحي لمثل هذه الخيالات فرصة لتتشكّل في أذهان المؤمنين فيخبرهم أنّ الإله ﷻ الذي فطر السموات والأرض وخلقهم هو إله لا تحيطه عقولهم إذ ليس كمثله شيء : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١] ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٣]، ولا يمكن أن يحيط العباد به علمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه:١١٠]، ومن ثم يدرك المؤمن بالغيب أنّ ذات الإله وراء كلّ ما يتصوّر من خيالات فيقطع الطمع عن إدراك الكيف والكنه[1] ويؤمن بأنه إنما يعرف الله حقاً عندما يقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤]

فكلمات هذه السورة العظيمة تعرض حقيقة الذات الإلهية في وضوح حاسم، ويُسر معجز، والمؤمنون بالغيب المتلقّون لخبره من الرسل هم المهتدون إليها؛ عرفوا الإله الحقّ المستحقّ للعبادة وآمنوا به، وعرفوا تفرّد مقام الألوهية فأثبتوا ما أثبت الله لنفسه ونزّهوه عن المثيل والشبيه وهم بهذا وصلوا إلى الحقيقة التي تطلبها نفوسهم وعرفوا الله بأسمائه وصفاته معرفة تقيم في قلوبهم كلّ معاني الحبّ والخوف والرجاء .

ومن هنا فإن معرفة الإله الحق كانت موجودة ميسرة مع وجود أول البشر ومع وجود أول أسرة إنسانية، ولم يتخبط الإنسان بحثًا عن الحق في هذا الباب إلا عندما حاد عن منهج الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،فأول البشر هو نبي الله آدم عليه السلام الذي آمن وزوجه برب العالمين وعرفوا الله ﷻ على الحقيقة ، وتتابعت من بعدهم أجيال على الإيمان، يبعث الله إليهم الرسل يجددون لهم العهد ويحذرونهم من الشرك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥] ، فما ضلّ عن الحقّ في هذا الباب إلاّ من نسوا هدى الرسالات وحادوا عن منهج الأنبياء وطلبوا معرفة الغيب من غير طريقهم ، فلم

(١) ينظر: "الله ذاتًا وموضوعًا" لعبد الكريم الخطيب: ٤٤٧

يصلوا إلى حق تطمئنّ إليه نفوسهم، بل تخبّطوا أشدّ التخبُّط[١] في درْك الاعتقاد الباطل؛ فمنهم من أسرته تصوُّرات العقل القاصرة، التي لا تبعد عن الحياة الماديّة التي يعيشها الإنسان ويستمدّ منها تفكيره، فعبدوا الأشجار والأحجار والحيوانات، وما سمّوه قوى الطبيعة ظنًّا منهم أنها آلهة هذا الكون المؤثِّرة فيه[٢]! ومنهم من بقي واجمًا يائسًا من الوصول إلى الحقِّ، ومنهم من انقلب حائرًا قلقًا بعد تفكيره الطويل؛ وإنما مُنحنا العقل لنحقِّق به العبوديَّة لا لندرك به الربوبيّة، فمن شغل ما أعطي لإقامة العبوديَّة بإدراك الربوبيّة فاتته العبوديّة ولم يدرك الربوبيّة[٣].

وقد سجّل تاريخ الفلسفة الحديثة استمرار محاولات العقل البشري في هذا الميدان، ولا ريب أن الفلاسفة تفاوتوا في درجات التفكير، ووفرة المعلومات، وصحة المصادر، ومؤثرات العصور التي عاشوها فانعكس كل ذلك على مواقفهم وتصوراتهم للوجود والحياة والإنسان؛ فرفض بعضهم كل عقيدة أو فكرة تنادي بوجود إله حق وسفّه المؤمنين وعاداهم كفلاسفة الشيوعية الماركسية[٤] الذين بنوا نظرتهم على الإلحاد التام، وادّعوا أن إثبات وجود إله إنما يقوم في عالم الخيال والوهم، بل هو مخدّر يشلّ إبداع الإنسان ويعوّق انطلاقه بينما أكد آخرون وجود إله حق خالق مبدع لهذا الكون، ولكن من هو هذا الإله؟ ما صفاته؟ مالطريق الصحيح إليه؟ أسئلة حاروا في الإجابة عنها، ولما لم يتّجهوا إلى المصدر الصحيح ليأخذوها منه؛ ارتكسوا في ضلالات كفر وإلحاد[٥] لا تقل ضلالة عن الماركسية الإلحادية وإن سموا أنفسهم مؤمنين أو تأليهيين[٦]!

---

(١) ما ذكره القرآن الكريم عن معرفة مشركي العرب للخالق سبحانه واعترافهم له بالربوبية، واستعمالهم للعلم الدال على ذاته العلية (الله)، فالذي يظهر أنه أثر من بقية دين الحنيفية، مع ما حفظ الله لهم من سلامة الفطرة؛ إذ إن الاعتراف بالله خالقًا رازقًا وإلهًا مستحقًّا للعبادة لم يوجد إلاّ عند أتباع الرسالات، وبقي أصله حتى بعد تحريف كتبها ونسيان هديها، أما منكرو النبوّات فقد كان أقصى ما أثبتوه وجود قوّة خفيّة وراء عالم الشهادة على اختلاف تصوُّراتهم لها وعقيدتهم فيها.

(٢) ينظر : "دلائل التوحيد للقاسمي" :٧٩،و"الله الأحد" لأحمد حماد :٤٥

(٣) ينظر : "الحجة في بيان المحجة" للأصبهاني : ٣١٩/١

(٤) ظهرت بداية ضلالات الماركسية في القرن التاسع عشر، وبلغت أقصى نفوذها في القرن العشرين، ثم انهارت أقوى معاقلها عام ١٩٩٢م بسقوط الاتحاد السوفيتي وإن بقي شراذم الإلحاد الماركسي متفرقين هنا وهناك .

(٥) ينظر لأنواعها وأمثلتها:"موسوعة الفلسفة"لبدوي: ٢١٩/١،و"الإلحاد في الغرب"لرمسيس عوض :١١٥

(٦) المذهب التأليهي ترجمة لكلمة Deism المشتقة من لفظة deius اللاتينية ومعناها إله، وأصحاب هذا المذهب يؤمنون بوجود كائن كلي هو سبب هذا الكون ولكنهم ينكرون في الوقت نفسه الإله الذي تخبر به الرسالات وتدعو إلى إخلاص العبادة له ، ينظر :"المعجم الفلسفي" :٢٧/١ ،و"الإلحاد في الغرب"لرمسيس عوض:١١٦،و

فالإيمان بالغيب وتصديق الرسالات طريق الهداية إلى معرفة الإله الحقِّ، وهوكذلك طريق معرفة معنى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وبيان هذا في المطلب التالي.

-Encyclopaedia Britannica,2004 ," Deism"

## المطلب الثاني

## معرفة حقيقة التوحيد

من أهمّ المعارف المتعلِّقة بالألوهيّة العلم بأنّ الله ﷻ واحد قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٦] فالعلم بوحدانيّته تعالى، وأنه لا إله إلاّ هو أمر مطلوب لذاته وهو أساس كل فلاح في الدنيا والآخرة، وإن كان لا يكفي وحده، بل لا بدّ معه من عبادة الله وحده لا شريك له[١] ، لذلك كانت الدعوة إلى الإسلام في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فهي مبدأ الدخول في الدين وهي متضمنة لحق الله ﷻ في إفراده بكل ما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات[٢].

ووحدانيّة الله ﷻ صفة ذاتيّة له، ليست بجعل جاعل[٣]، ولا يبطلها إنكار مُنكِر، وإثباتها لله تعالى على وجه الكمال يتطلَّب معرفة صحيحة بحقِّه في الربوبيَّة التي هي حقوق ملك وتصرف، وحقه في الألوهيّة وإفراده بالعبادة، وحقه في الأسماء والصفات وإثباتها له على الحقيقة، وقد فصّل الله ﷻ لعباده المؤمنين هذه الحقوق بما أرسل به رسله[٤] قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران:١٨].

وكثير من الفلاسفة وغيرهم آمنوا بالإله الواحد لأنّه إيمان يدعمه العقل الذي يرفض فكرة وجود إلهين أو أكثر لكون منتظم، إذًا لاضطرب النظام وفسدت الحياة[٥]، قال تعالى: ﴿

---

(١) ينظر: "مفتاح دار السعادة" لابن القيم : ٢٠٧/٢

(٢) ينظر :"معارج القبول" للحكمي :٤٣٥/١

(٣) ينظر :"الأنوار البهية" للسفاريني :٥٧/١

(٤) لهذا قسّم السلف ﵏ التوحيد إلى ثلاثة أقسام توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وأكدوا أن التوحيد الواجب الذي هو حق الله على العبيد يشملها جميعها، ينظر:"اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية : ٤٦٠، و"أضواء البيان" للشنقيطي : ٤١٠/٣ ،ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين :٢٦/١

(٥) ينظر: "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية: ٣٤٨/٩، و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز :٢٨

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، إلاّ أنّ أكثر هؤلاء ما عرفوا معنى التوحيد وحقيقة الوحدانية وحصروا معناه في توحيد الربوبية أو بعض معناه وعدّوه التوحيد الواجب كما كان أهل الشرك في كل زمان ومكان(١)، وقد أضفى الفلاسفة على هذا الباطل تصوُّراتهم العقليّة فكانت نهايات باطلهم القول بأنّه ﷻ هو الوجود، وتشكّلت هذه الفِرية بصور مذاهب شتى للكفر والإلحاد ضلت عن معنى التوحيد الحق، أبرزها:

### ١.عقيدة وحدة الوجود:

وهي عقيدة فلسفية مفادها أنّ الإله والعالم شيء واحد(٢)!فالمخلوقات المختلفة – حسب هذا المعتقد الباطل– ماهي إلاّ مظاهر يتجلّى بها الإله، والظاهر فيها جميعًا هو الإله وحده، لا على معنى أنه يتّحد بالمخلوقات أو يحلّ فيها، وإنما هم يرون أنّ الإله كان وجودًا مطلقًا ثم ظهر في شكل المخلوقات، فجعلوا الإله – تعالى الله عما يصفون – هو عين جميع الموجودات شريفها ووضيعها، بل هو عين المعدومات والممتنعات كذلك(٣).

هذا الانحراف عن معنى التوحيد وحقيقة الوحدانيّة هو أصل في عقائد الأمم التي تكفر بالنبوّة أو تجهلها، فهم وإن اهتدوا –أو بعضهم– بالعقل إلى وجود إله واحد إلا أنهم فسّروا التوحيد بهذا التفسير الباطل، فالبرهمانيّون يعتقدون أنّ (براهمن) هو الإله الواحد وهو الحقيقة الكلِّيّة ونفس العالم، وأنّ جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر لهذه الحقيقة.كما أن الهندوس يؤمنون بإله عظيم يعتقدون له وجودًا مطلقًا، وما الكون كله إلا أشكال له وصور(٤).

وبنحو ما سبق اعتقد الطاويُّون –فلاسفة الصين الأوائل– وعلى أساسها بنوا كلّ

---

(١) من هؤلاء مشركو قريش الذي كانوا يقرون بالله رباً ولكن ذلك لم يخرجهم من الشرك الذي وصفهم به القرآن ولم يدخلهم في الإسلام ، بل وقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيباً له وكفراً بما جاء به من الدعوة إلى التوحيد بكل معناه وإفراد الله في العبادة ، ينظر للفائدة مناقشة شيخ الإسلام لخطأ المذاهب التي تعُد هذا التوحيد غاية الوجود : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٢٢٦/١

(٢) ينظر : المعجم الفلسفي لصليبا: ٥٦٩/٢، وموسوعة الفلسفة لعبدالرحمن بدوي : ٦٢٤/٢

(٣) ينظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية للقصير : ٢٨

(٤) ينظر:الفلسفة في الهند لزيعور : ٣٣٣،وفصول في أديان الهند للأعظمي: ٤٥، والمعجم الفلسفي لصليبا: ٥٦٩/٢

طقوس ديانتهم وعدّوها طرقًا للظفر بالاتصال التامّ والوحدة التامّة بينهم وبين الطاو أو الكليّ الواحد[(١)].

كذلك كثير من فلاسفة اليونان الذين لم يعرفوا النبوّات[(٢)]أوصلتهم عقولهم مع تزيين الشيطان إلى الاعتقاد بأنّ الإله والعالم موجود واحد، وأنّ العالم لا ينفصل عن الإله[(٣)].

ولم يقتصر خبث هذه العقيدة على منكري النبوات وإنما وقع في لوثاتها بعض أتباع الرسل ممن انحرفوا عن الإيمان بالغيب، ومنهم فئام من المسلمين، الأمر الذي أخرج كثيرًا منهم عن الدين كلّه وعلى رأس هؤلاء المتفلسفة الذين يقولون: إنّ الله واحد يفيض عنه العالم كفيضان النور عن الشمس! وغلاة المتصوّفين الذين يقولون:إن الله هو كل شيء ، يقول ابن عربيّ: «العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء، بل يراه عين كلّ شيء»[(٤)]، فليس هناك موجود إلاّ موجود واحد –تعالى الله عما يصفون – وهو الموجود المطلق، الذي أراد أن يرى نفسه في مرآة الوجود وأن تظهر أسماؤه وصفاته، فظهر في صورة الكائنات المعدومة العين، الثابتة في علمه تعالى.

وفي عصرنا تعمل من أجل نشر هذه العقيدة الباطلة مؤسسات عالمية كبرى تبنّت هذا المعتقد بعد أن ادّعت أنّه الأصل المشترك بين جميع الديانات!الذي يمكن أن يوحد أتباع جميع الأديان.وحقيقة الأمر أنّ هذه العقيدة هي نهاية انحراف جميع أصحاب الأديان السماوية عن الإيمان بالغيب واعتقاد حقائقه وفق المصادر الصحيحة، وهي من أخطر صور الانحراف الباطنيّ عنها، اعتقدتها طائفة القبالة Kabbalah اليهوديّة، والغنوصيّون Gnosis في النصرانيّة. وهي عقيدة أكثر الفرق الباطنيّة المنتسبة للإسلام، ويسمّي أهل هذه العقيدة أنفسهم موحِّدين[(٥)]؛

---

(١) ينظر : "التفكير الديني في العالم" لرحمات : ١٣٤

(٢) فقد كانت أرض اليونان تعج بالوثنيات ولم يثبت أنهم عرفوا وحيًا منزلا من عند الله، وبهذا قطع شيخ الإسلام ابن تيمية، ينظر : "النبوات"لابن تيمية : ٢٠٤/١

(٣) ينظر :"تاريخ الفلسفة اليونانية" ليوسف كرم:٢٩٠، و"موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمن بدوي :٢٧١/١، و"تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب" : ١٠٣

(٤) ينظر : "فصوص الحكم" لابن عربي بشرح القيصري : ٣٨٥/٢

(٥) فكثير ممن يوصفون بأنهم موحدون في كتابات غير المسلمين هم على هذه العقيدة الباطلة كالنصارى التابعين لكنيسة يونيتيرين Unitarian التي ينتمي لها الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية، وأهل الأديان الهندية= =والصينية والدروز،وغلاة المتصوفة، ومن المهم التنبه لخطر تسمية أهل هذه العقيدة (موحدون) الأمر الذي تروّج له وسائل الإعلام

لذا يلتبس أمرهم على العامّة لما يوهم من معنى التوحيد الصحيح .

**٢ . عقيدة الحلول والاتحاد:**

الحلول والاتحاد فلسفتان تشتركان مع فلسفة وحدة الوجود في التطبيق العمليّ وتختلفان عنها في التنظير فقط لقيامهما على مبدأ وجود اثنين أو أكثر وهو ما يعده أهل الوحدة شركًا وكفرًا بالإله الواحد!

والفرق بين الحلول والاتحاد دقيق وإن كان مؤدَّى العقيدتين واحدًا؛ فالحلول – عند معتقديه –: هو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية ودخولها فيها. أمّا الاتحاد فهو – عند معتقديه –: اختلاط الخالق بالمخلوق وامتزاجهما معًا، فيكونا بعد الاتحاد ذاتًا واحدة[١].

وعقيدة الحلول والاتحاد هي عقيدة كثير من أتباع الأديان الشرقية كالبرهمية والهندوسية والطاوية لكونها أقرب إلى فهم عامة الناس وفطرتهم المؤمنة بوجود إله خالق في السماء بخلاف وحدة الوجود التي يعتنقها أكثر الفلاسفة ، وهي عقيدة النصارى بعد أن حرّفوا دين المسيح عليه السلام وادّعوا حلول الله عز وجل فيه أو اتّحاده به[٢]، كما أنها تمثّل أحد أبرز صور الضلال العقَديّ الذي وقعت فيه طوائف من المنتسبين للإسلام عندما انحرفوا عن الإيمان بالغيب على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فزعموا حلول الله عز وجل بالأئمّة أو بعليّ رضي الله عنه أو بعض ذرّيته.

فكلّ من انحرفوا عن الإيمان بالغيب كما جاءت به الرسل تاهوا في مثل هذه الضلالات التي تناقض دلالات العقول السليمة ولا يمكن تصوُّرها أو بيانها على وجه معقول فـ" المذهب إذا كان باطلاً في نفسه ؛ لم يمكن الناقل له أن ينقله على وجه يتصوَّر تصوُّرًا حقيقيًّا؛ فإنّ هذا لا يكون إلاّ للحقّ، فأمّا الباطل فإذا بُيِّن فبيانه يُظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه على أحد!!"[٣].

وقد زعم أهل كلّ معتقد من هذه المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة أنّ ما ذهبوا إليه هو معنى الوحدانيّة وحقيقة التوحيد، وما عداه شرك وتعديد! فأهل وحدة الوجود عدّوا إثبات تغاير بين الخالق والمخلوق كفرًا وزندقة! والقائلون بالحلول والاتحاد جعلوا اتّحاد اللاهوت

---

كثيرًا ، فيلبس على الناس الحق بالباطل .

(١) ينظر :""مجموع فتاوى ابن تيمية"" : ٣٨٧/٢، و"التعريفات" للجرجاني : ٦

(٢) ينظر:"هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" لابن القيم : ٥٣٣ –٥٣٦

(٣) ينظر :"درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية :٣٤٨/٩، و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز : ٢٨

بالناسوت هو تمام التوحيد! وعدّ كلا الفريقين أهل التوحيد الحقّ معدِّدين! لإثباتهم إلهًا واحدًا مستويًا على عرشه بائنًا عن خلقه جلّ في علاه.

والحقّ أنّه ما اهتدى إلى الوحدانيّة وحقيقة التوحيد إلاّ المؤمنون بالغيب لتسليمهم ويقينهم بما ساق الله لهم من الهدى مع رسولهم ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١-٤]، ولسيرهم على فهم سلف الأمة الذين تلقَّوا علمهم عن رسول الله ﷺ، فهم الذين أخلصوا في توحيد الإله الواحد ربِّ السموات والأرض وما بينهما علمًا وعملاً كما أمرهم ﷻ بقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ [مريم:٦٥]، فعبدوا الله ﷻ وحده لا شريك له معتقدين وحدانيته وتفرُّده في الربوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات، معترفين بعبوديَّتهم له وافتقارهم إلى رحمته بهم بإرسال الرسل يهدونهم ويعرفونهم بربِّهم سبحانه فـ«المعرفة صفة العبد وفعله، والتعريف فعل الربّ وتوفيقه»[1].

وكما عرفوا الحقّ في معنى التوحيد وحقيقة الوحدانيّة من نصوص الوحي كذلك عرفوا منها الحقّ في باب الأسماء والصفات، فأثبتوا أسماء ربِّهم وصفاته كما أخبر بها ونزَّهوه عن الندِّ والمثيل، وتفصيل هذا في المطلب التالي.

---

(١) "مدارج السالكين" لابن القيم: ٣/٣٦٦

# المطلب الثالث

# معرفة أسماء الله وصفاته

معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي أساس الاعتقاد الصحيح في الألوهيّة، وأساس الهداية إلى منهج العبوديّة، وهي من أهمّ حقائق الغيب المحض وأجلّ مطالبه .والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم بها، والحرص على معرفة الحقّ فيها، محتاجة إلى هذه المعرفة أشدّ الاحتياج مشتاقة إليها أكثر من شوقها إلى كثير من الأمور(١)؛ لذلك تكفّل الله ﷻ بتعريف العباد بها ودلالتهم عليها بما أرسل به رسله؛ فالله ﷻ أعلم بنفسه، ورسوله المبلِّغ عنه أعلم الناس به وبما يجب له وما يمتنع عليه، وهو أقدر الخلق على بيان ذلك وأشدّهم حرصًا على بلاغه والهداية إليه فمعرفة كمالاته ﷻ إنما تُعرف من كلماته .

وقد فصّلت نصوص الوحي في باب الأسماء الصفات فـ« القرآن عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الربّ سبحانه، وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه، والإنباء عن عظمته وعزّته وحكمته وأنواع صنعته، والتقدُّم إلى عباده بأمره ونهيه»(٢)، فكلّ مؤمن يقرأ القرآن العظيم موصول بهذه المعرفة؛ إذ لا تكاد تخلو سورة من سوره من ذكر لاسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو حديث عن آياته ومفعولاته، يقول ﷻ: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾** ﴾ [طه:٨]، ويقول مذكّرًا المؤمنين بآياته وآلائه لتستيقظ الفطر وتنتبه العقول: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾** ﴾ [البقرة:١٦٤]، «وآيات الربّ هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته وتوحيده »(٣).

---

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٤٧١/٥

(٢) "طريق الهجرتين"لابن القيم : ١٨٢

(٣) "مدارج السالكين"لابن القيم : ٤٦٤/٣

وكذلك سنَّة النبيِّ ﷺ تضمّنت من التعريف بالله ﷻ والحديث عن أسمائه وصفاته وأفعاله ما يصل قلوب المؤمنين به ﷻ ويحرّك عزماتهم لسلوك الطريق الموصل إليه المرضيّ عنده جلّ وعلا، قال ﷺ معرِّفًا بالله ﷻ: "إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلاّ واحدة، لا يحفظها أحد إلاّ دخل الجنة، وهو وتر يحبّ الوتر"(١). وقال مثنيًا على الله ﷻ بما هو أهله: "اللهمّ ربّ السموات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربّنا وربّ كلّ شيء، فالق الحبّ والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرّ كلّ شيء أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيئ وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر"(٢). فمن طالع سيرة رسول الله ﷺ مؤمنًا به موقنًا بأنه لا ينطق عن الهوى عرف من كلامه وأحواله ما يعرِّفه بربِّه ﷻ وبأسمائه ﷻ وصفات كماله، فالمؤمن بالغيب يعرف ربًّا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزَّهًا عن المثال، بريئًا من النقائص والعيوب، له كلّ اسم حسن وكلّ وصف كمال، فعّالاً لما يريد، فوق كلِّ شيء، وقادرًا على كلّ شيء، ومقيمًا لكلّ شيء سبحانه لا إله إلاّ هو(٣).

وهذه المعرفة هي المعرفة التي تطمئنّ بها فطرة الإنسان المؤمنة وينشرح بها صدره، وتنشط بها همَّته؛ فيبادر إلى فعل الخيرات والتقرُّب إلى ربِّه بأنواع القربات، وخشيته ومراقبته بالغيب، ولو بذل كلّ جهده في معرفة الله من غير هذا الطريق ما وصل إلاّ إلى شيء مجمل؛ لذا كانت معرفة الأسماء والصفات عند من صحّ إيمانهم بالغيب توقيفيّة لا تؤخذ نفيًا أو إثباتًا إلاّ من الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة مبيِّنًا هذا المنهج: « لا يوصف الله إلاّ بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث »(٤)، وما لم يصرِّح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب التوقُّف فيه حتى يعلَم ما يراد به، فإن أريد به معنى صحيحًا دلّ عليه الشرع قُبل المعنى دون اللفظ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ،كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، رقم :٦٤١٠، ومسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها،رقم: ٢٦٧٧

(٢) أخرجه مسلم ،كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٣

(٣) ينظر : "الفوائد" لابن القيم : ٣١٦

(٤) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٦/٥

(٥) ينظر :"التدمرية" لابن تيمية : ٦٢ ، و"القواعد المثلى" للعثيمين : ٣

وهذا المنهج الذي يجمع بين الإثبات والتنزيه هو المذهب الحقّ الذي كان عليه سلف الأمة وفهموه من خطاب الوحي، أكّد ذلك ابن قدامة بقوله: « ومذهب السلف —رحمهم الله تعالى — الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، وعلى لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص فيها »[١].

والإيمان بالغيب إضافة إلى ما يتضمّنه ابتداء من المعرفة الصحيحة؛ فإنه يصحّح ماقد يقع فيه الإنسان من الانحراف لاشتمال نصوصه على الأدلّة التي تبطل ماقد يمليه الشيطان أو يشطح به العقل من التصوُّرات الباطلة كالوالديَّة والمولوديَّة والندّية والشريك والمثيل، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤** ﴾ [الإخلاص:١-٤]، وقال: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١** ﴾ [الشورى:١١]، ولهذا كان المؤمنون بالغيب المتلقّون لخبره بالتسليم واليقين أتمَّ إيمانًا وأصفى معرفة ممن راموا معرفة الصفات وأنواع الكمالات من طريق فلسفات أو إشراقات وتجلِّيات مزعومة، فنشدوا بعقولهم وخيالاتهم ما يُطلب من الخبر المعصوم وحده! والتمسوا علم معرفة الله ممن لم يعرف الله ﷻ[٢]! فحجبهم مرامهم عن صافي المعرفة وصحيح الإيمان وخالص التوحيد[٣]، وتشعّبت بهم سبل الضلال بين تعطيل فعبدوا عدمًا أوتمثيل فعبدوا صنمًا، وبيان ذلك فيما يلي:

**١. التعطيل :**

وهو نفي الصفات أو نفي معانيها أو بعض ذلك بدعوى التنزيه والفرار من تشبيه الربّ تعالى بالموجودات، خلافًا لمنهج الإثبات مع التنزيه الذي يدلّ عليه الإيمان بالغيب وتصديق خبر المرسلين؛ لذا بيّن شيخ الإسلام أنّ حقيقة التعطيل هو تكذيب الرسل؛ وإن ادّعى أصحابه الإيمان، قال: «حقيقة قول الفلاسفة في الصفات: إنّ الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله»[٤].والتعطيل هوالأصل الباطل الذي قامت عليه كثير من مذاهب الكفر والإلحاد قديمًا وحديثًا، ووقع في لوثاته طوائف من المسلمين على درجات متفاوتة، فمنهم معطِّلة محضة

---

(١) "ذم التأويل" لابن قدامة : ١١

(٢) ينظر : "الفتوى الحموية" لابن تيمية : ٦

(٣) ينظر : "شرح الطحاوية" لابن أبي العز : ١٨٤

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٧/٣

وهم الذين أنكروا جميع أسماء الله وصفاته كالجهميَّة[١] والفلاسفة[٢] وغلاة الباطنيّة كالقرامطة[٣]، وقولهم كفر مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، ومنهم معطِّلة الصفات الذين يثبتون أسماء الله على أنها أعلام محضة مترادفة لا تدلّ على صفة كالمعتزلة[٤]، ومنهم من أثبت معاني بعضها وحرّف معاني بعضها الآخركالكلابيّة[٥] والأشاعرة[٦] والماتريديّة[٧] ومن وافقهم، وقد ردّ عليهم أئمّة السلف وبيّنوا فساد ما ذهبوا إليه وسفّهوا تقديمهم لما ظنّوه بعقولهم على صريح المنقول[٨].

**٢. التمثيل:**

وهو إثبات صفات الله تعالى على نحو ما يثبت للمخلوقين، ويعبَّر عنه أيضًا بالتشبيه، وهو نوعان: تمثيل المخلوق بالخالق: بمعنى إثبات شيء للمخلوق ممّا يختصّ به الخالق من

---

(١) الجهمية : هم أتباع جهم بن صفوان وهم غلاة معطلون جميع الصفات، ينظر : "مقالات الإسلاميين"للأشعري : ٢١٣/١، و"الفرق بين الفرق"للبغدادي : ١٥٨.

(٢) والفلاسفة المعطلون هم الفلاسفة الدهريّون الذين حكى ابن القيم مقالتهم الكفرية : «وليس عنده صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئًا باختياره ألبتة، ولا يعلم شيئًا من الموجودات أصلاً، ولا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئًا من المغيبات، ولا له كلام يقوم به ولا صفة!» "إغاثة اللهفان"لابن القيم : ٣٧٣/٢

(٣) القرامطة فرقة تنتسب إلى حمدان قرمط، وهي دعوة باطنية تنتسب للإسلام وحقيقتها المجوسية، ينظر : "الفرق بين الفرق" البغدادي: ٢٨٢

(٤) المعتزلة : ينتسبون إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهم معطلة في بعض الصفات، ينظر : "الملل والنحل"للشهرستاني : ٤٤/١، و"البرهان" للسكسكي : ٥٠

(٥) الكلابية : هم أتباع سعيد بن كلاب ومن بدعتهم في باب الأسماء والصفات هي تعطيل بعض الصفات بتحريف معانيها وخاصة الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته، ينظر : "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ٧٧/٢ – ٨٥

(٦) الأشعرية : هم أتباع أبي الحسن الأشعري، ومن بدعهم في الصفات تعطيل بعضها بإثباتها من غير معلوم كما في صفة المجيء والنزول لله ﷻ، ويحرفون بعضها إلى معان أخرى كالرضى والغضب، ينظر:"رسالة إلى أهل الثغر" للأشعري : ٢٣١

(٧) الماتريدية : هم أتباع أبي منصور الماتريدي، ومن بدعهم تعطيل الصفات الاختيارية كالكلابية والأشاعرة، ينظر: "الماتريدية دراسة وتقويمًا"لأحمد الحربي : ٣٠٥

(٨) ينظر:"منهاج السنة" لابن تيمية: ٥٢٦/٢، و"الإبانة" للأشعري: ١٠٧، و"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" لابن القيم، الذي اجتمع فيه من الرد عليهم ما لم يجتمع في غيره من المصنفات.

الأفعال والحقوق والصفات، وتمثيل الخالق بالمخلوق: بمعنى أن يثبت لله في ذاته أو صفاته مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك [١]

فالتمثيل انحراف عن الإيمان بالغيب على منهج الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ سببه إقحام العقل في مجال الغيبيّات، ومن ثمّ يتأثّر الإنسان بتصوُّراته الماديّة التي لن تخرج عمَّا تعرفه في عالم الشهادة، فيجعل ما يثبت لله ﷻ مثل ما يثبت للمخلوق؛ إذ لم يهتد بنور الوحي :﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١][٢]، ويقطع طمع النفس في إدراك ما هو خارج عن مجال علمها.

وقد وصل الأمر ببعض الممثِّلة أن وصفوا الربَّ سبحانه بكلِّ ما يوصف به الإنسان وحدّدوا بخيالاتهم شكلا له وأعضاء [٣]- تعالى الله عما يصفون- وهو ذات الأمر الذي وقع فيه من قبلهم الوثنيُّون على اختلاف مللهم ومذاهبهم، حتى صنعوا التماثيل لما مثَّلوه بعقولهم وعبدوها، وما نجا من أنواع الضلالات أحد إلا المؤمنين بالغيب على ما جاء به الرسل فالإيمان بالغيب وحده العاصم برحمة الله من دروب الغواية وأقوال الضلال، وهو الطريق المستقيم الموصل إلى معرفة صافية بلا تعطيل ولا تمثيل.

---

(١) ينظر : "فتح رب البرية بتلخيص الحموية" للعثيمين : ١٥

(٢) رد أئمة السلف على المشبهة وفندوا شبههم في كثير من مصنفاتهم، ينظر: "التدمرية":٢٠-٣١

(٣) مثل البيانية أتباع بيان بن سمعان، والمغيرية أتباع المغيرة العجلي، والمنصورية أتباع أبي منصور العجلي، ينظر : "مقالات الإسلاميين" للأشعري: ١/٦٦- ٦٩، و"اعتقادات فرق المسلمين والمشركين"للرازي : ٧١

# المبحث الثاني:

# أثر الإيمان بالغيب في معرفة المبدأ والغاية والمصير

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معرفة المبدأ.

المطلب الثاني : معرفة الغاية.

المطلب الثالث : معرفة المصير.

# المطلب الأول
# معرفة المبدأ

الإنسان بطبعه شغوف بمعرفة ما يتعلّق بذاته والكون من حوله، يريد أن يعرف من أين هو؟ ومتى وُجد؟ وما أصل نشأته؟ ولماذا وُجد؟ وإلى أين مصيره؟ وحصوله على معرفة صحيحة لهذه الأمور من أسباب سعادته وصلاح دينه ودنياه، ولأنّ هذه التساؤلات تتعلَّق بغيب ماضٍ موغل في القدم، ومستقبل بعيد آت من وراء هذه الحياة مختلف عن طبيعتها؛ فإنه من المتعذِّر وصول الإنسان إلى الحقّ فيها بحواسِّه وعقله، ومحاولة ذلك لم توصل أصحابها إلاَّ إلى ظنون وأوهام. يقول أحد علماء الاجتماع: « هذا اللغز العظيم الذي يستحثّ عقولنا:ما العالم؟ما الإنسان؟من أين جاء؟ من صنعهما؟من يدبِّرهما؟ما هدفهما؟ كيف كانت البداية؟ وكيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا؟... هذه الأسئلة لا توجد أمّة ولا شعب ولا مجتمع إلاّ وضع لها حلولاً جيِّدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحوّلة »[1].

وقد منّ العليم ﷻ على خلقه، فساق لهم ضمن خبر الوحي الإجابة الشافية الصادقة عمّا يشغل بالهم وفيه نفعهم من هذه الأمور، وما اهتدى إلى ذلك إلاّ من آمن بالغيب وصدّق المرسلين، وفيما يلي بيان ذلك:

**أولاً : معرفة مبدأ خلق الكون:**

الكون هو الوجود الخارجيّ الذي يدركه الإنسان من السماوات والأرض والنجوم والكواكب، وما تحويه بينها من الكائنات المتنوّعة والظواهر المتناسقة ذات الوجود الحقيقيّ والآثار الحقيقيّة التي يرى الإنسان بعضها ويظل بعضها غيبًا محجوبًا، هذا الكون هو العالم الذي يتطلّع الإنسان إلى معرفته ويفكِّر في قصة بدايته ليعرف أصل وجوده وكيفية نشوء السماوت والأرض، وتكوُّن الأفلاك والنجوم والمخلوقات الكثيرة في الزمان الماضي البعيد الذي لم يشهده أحد من الناس، قال تعالى: ﴿**مَآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ**﴾ [الكهف:٥١].

(١) نقله عن الفيلسوف سانت هيلير محمد عبدالله دراز ، ينظر : "الدين" : ٨٤

وقد ساق خالق هذا الكون سبحانه لعباده المؤمنين حقيقة القصَّة، فأخبرهم أنَّ الكون وكلّ ما فيه من العوالم مخلوقة للواحد الأحد الذي لا إله غيره، خلقها بمطلق القدرة والإرادة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل:٤٠].

وقصّ عليهم طرفًا من تفاصيل بداية هذا الكون المخلوق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨]، وقال رسوله ﷺ:"كان الله ولم يكن شيئ قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض..."[(١)]. فالكون بكلّ مافيه خلْق مِن خلق الله مقدّر بتقديره: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان:٢]. وهو يسير وَفق أمر الله وتقديره في نظام دقيق وبانتظام بديع: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾ [الإسراء:٤٤] فالكون بسماواته وأرضه ونجومه ونباتاته وجماداته منقاد لله ﷻ عابد له.

وهكذا فإنّ خبر الوحي قد أعطى المؤمنين ما يكفيهم ويغنيهم عن البحث فيما لا يملكون معرفته بيقين مهما حاولوا بعقولهم وأدوات علمهم، ودعاهم -بعد أن عرّفهم الحقيقة- إلى النظر في خلق السموات والأرض نظرة تفكّر وتعقّل، قال: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤]. فقد بثّ فيه ﷻ آياته الدالّة على وحدانيّته وألوهيّته: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان:٤٥-٤٩].

(١) أخرجه البخاري،كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾،رقم: ٧٤١٨

فالإيمان بالغيب أقام للمؤمنين به تصوُّراتهم للوجود على ثلاثة أسس توصلهم إلى معرفة الحقائق التي ينشدونها عن الكون حولهم وبدايته يمكن تلخيصها فيما يلي[١]:

**أولها:** وحدة الإنسان مع الكون في المخلوقيّة والمربوبيّة، فالكون مثل الإنسان مخلوق من العدم بإرادة الله، وكلّ منهما عَبد في ملك الله، يتحرَّك إلى نهاية محتومة وهي الرجوع إلى الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨].

**وثانيها:** رفعة الإنسان ومكانته بين سائر المخلوقات وتكريمه بالعقل وتكليفه بالأمر والنهي، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠].

**وثالثها:** تسخير الكون للإنسان، فالله ﷻ هيأ هذا العالم بحيث يستطيع الإنسان الاستفادة من خيراته وإمكاناته بما يحقِّق أغراض خلافته فيه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ [الجاثية:١٣] وهذا التسخير منَّة من الله ﷻ تدفع الإنسان إلى العمل وبذل الجهد واثقًا برحمة الله ﷻ شاكرًا أنعمه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف:١٠-١١].

فهذه الأسس هي منطلق نظر المؤمن بالغيب وتفكُّره في الكون حوله؛ لذا لم يتخبَّط في بحثه في حقيقة الوجود والكون والحياة رجمًا بالغيب، وإنما وجّه بحثه ليكون دليلاً يوصله إلى معرفة أكثر بالله خالق هذا الكون ويجعله أكمل عبوديّة له ﷻ.

والمعارف التي أخبر الله بها عباده عن الكون وبدايته ليست معارف مفصّلة تتجه إلى الأبعاد والمقاييس وتقدير التواريخ والأزمنة[٢]، فليست هذه الأمور هي ما يقلق الإنسان بشأنه

---

(١) ينظر: "مباحث منهجية في الفكر الإسلامي" لعبد المجيد النجار:٣٠، و"حول إعادة تشكيل العقل المسلم" لعماد الدين خليل : ١٢٨

(٢) بخلاف ما تهتم به المصادر المحرفة والأساطير من ذكر التواريخ والأسماء، ففي التوراة أنه في الساعة التاسعة من صباح يوم (٢٦أكتوبر) من عام (٤٠٠٤ق.م) خلق الله جميع الكائنات. وهي معلومة ضمنوها لكتابهم المقدس وفقًا للحسابات التي قام بها الأسقف أوشر في القرن السابع عشر! وقد أكد علماء التاريخ الطبيعي أن هذا الزمان غير صحيح ولا يتوافق مع نتائج الدراسات العلمية ، ينظر : "عندما تغير العالم" لجيمس بيرك : ٣١٣

ونحو ذلك في أساطير البابلية والسومرية والكنعانية التي يحاول البعض التوفيق بينها وبين قصة الخلق الواردة في الوحي=

وقد يستطيع بقواه الحسِّيَّة والعقليَّة وما يكشفه من السنن الكونيّة وما يخترعه من الأجهزة أن يصل إلى تقدير نسبيّ فيها، وإنما هي معرفة مجملة تتضمّن أصل الحقيقة التي يبحث عنها، فتُطلِع الإنسان على ما يهمّه من الغيب ولا يمكنه أن يصل إلى الحقّ فيه بسمعه وبصره وحدسه وعقله وجميع أجهزته ومخترعاته.

كما لم تكن هذه المعرفة تهدف إلى تلبية حبّ الإنسان للاستطلاع وإشباع رغبته في معرفة ما حوله، وإنما تهدف إلى تعريف الإنسان بالحقّ ليعتقده ويعمل بمقتضاه، فهي تحدِّد علاقة الإنسان بالكون وتوجه تأثُّره بما يرى فيه من المخلوقات العظيمة، حتى لا يقف به الفكر عند حدود الانبهار بما يظهر من جمال الكون وعظمته، وإنما يتَّجه توجُّهًا صحيحًا وينطلق من اليقين والتسليم بالحقائق التي جاء بها الوحي، لذلك ارتاد المؤمنون بالغيب هذا الكون[1] بعقول وقلوب تعرف منشأ تناسقه، وسرّ إحكامه، وتربط الأسباب بمسبّب الأسباب، فزادهم ما يرون فيه إيمانًا وعبوديّة وتذلُّلاً وخضوعًا لخالقه وخالقهم ﷻ: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾**﴾ [آل عمران:١٩١] .

ويحمي الإيمان بالغيب أصحابه من الشعور بالانهزام خوفًا ورهبة مما عجزوا عن اكتشاف أسراره من الكون أوبهرهم من مظاهر عظمته إزاء ضآلتهم وضعفهم لأنهم عرفوا أنّ الكون بكلّ ما فيه يتساوى مع الإنسان في المخلوقيّة لله تعالى، ويقع مثله تحت قهر الله وتدبيره. كما يحميهم –هذا الإيمان–من الشعور بالقوّة والغلبة وإمكان السيطرة التامّة على الكون إن هم عرفوا سننه وأسبابه؛ لأنهم يؤمنون بأنّ الله ﷻ الذي خلقه على هذا النظام قادر على تغييره إن شاء ومتى شاء.

وهكذا فالمؤمن بالغيب عرف الحقيقة التي ينشدها عن قصة البداية من النصوص التي آمن بها مباشرة دون أن يقلقه بحث أو يشغل باله تفكير، بينما وقف الإنسان البعيد عن الوحي منذ القدم إلى اليوم وربما إلى ما بعد اليوم أمام هذا الكون شاغلاً عقله وتفكيره بمحاولة

---

=المعصوم، ينظر :"الإيمان بين الوحي والعقل" لرفيق النتشة : ٤٣ وما بعدها.

(١) الدراسات العلمية لمظاهر الطبيعة وطبقات الأرض والنجوم والأفلاك التي يجريها بعض المؤمنين أو يأخذون نتائجها من غيرهم فتوصلهم إلى فهم السنن الكونية لعمارة الأرض ليست من قبيل إعمال العقل في الغيبيات رجمًا ونتاج تلك الدراسات – مما يتوافق مع دلالات نصوص الوحي — هو من الغيب النسبي الذي يكشف بأدواته لأهله والله أعلم، ينظر للفائدة :"دلائل التوحيد للقاسمي" دراسة للمعلق بهامش: ٢٣٠، و"الفيزياء ووجود الخالق" لجعفر إدريس.

معرفة كيفيّة وجوده وقصّة ابتداء خلقه وقاده ذلك إلى تصوُّرات كثيرة لم تعطه أبدًا إجابة تقنع عقله وتتوافق مع فطرته، وإنما تردّد موقفه من الغيب بين الكفر وردّ الحقّ الذي جاءت به الرسل وبين والرجم بالحدس والظنّ واتباع ما تملي به الشياطين، فضلّ عن الخالق العظيم في متاهات الاعتقادات الباطلة والفلسفات الملحدة والظنون الكاذبة، فعبد الكون، واتّخذ من موجوداته آلهة يخاف غضبها، ويرجو عطاءها ومنَّتها، ويطلب الأمن بعبادتها، فعُبدت الشمس والكواكب، وُقدّست الأرض والبحار والأنهار، وأُقيمت المعابد والهياكل للتقرُّب إلى هذه الآلهة وغيرها بأنواع من القرب زيَّنها الشيطان، فصرفهم عن الحقّ في العبادة بعد أن صرفهم عن الحقّ في العلم والاعتقاد.

وقد سلك البعيدون عن المصدر الصحيح في معرفة حقيقة بداية الخلق أحد طريقين :

الأول: الاعتماد على وسائل العلم البشريّة، فحاول الباحثون عبر هذا الطريق جمع الآثار ودراسة الأحافير وتتبُّع مظاهر الطبيعة وتغيرات الصخور وغيرها، وهذا الطريق وإن كان أوصلهم إلى حقائق في بعض الأمور إلا أنّ ما لم يصلوا إليه أكثر ، بل إن غالب ما وصلوا إليه ليس إلاّ مجموعة من الظنون تصدق في بعض جزئيّاتها وتخيب في أخرى.

والثاني: طريق دراسة الأساطير المتوارثة في كتب الديانات المحرفة والوثنيّة، فقد أعاد بعض الباحثين اليوم نظرتهم إلى الأساطير بعدما عجزت عقولهم عن معرفة الغيب ، وأصبحوا ينظرون إليها على أنها نظام للديانات القديمة وفلسفة تشرح غموض مغيبات الكون والخلق وتفسِّر الظواهر الطبيعية بنظرة مقدّسة، وعدّوها قصصًا حقيقية تروي وقائع وأحداثًا حصلت بالفعل لا مجرد خرافات وقصص وهميّة[1]، ومن هنا نشأ ما سمي بـ(علم الميثولوجيا) Mytholgy وعُدّ علمًا يوصل إلى فهم ماوراء الأساطير من رموز كامنة ومعان عميقة تعين الإنسان على فهم الفنّ والدين والتاريخ![2].

ولأن الكتب المحرفة بل وبعض كتب الديانات الوثنية يختلط فيها ماهو حق بالأساطير والخرافات فإن أقصى ما وصل إليه أصحاب هذا الطريق معلومات تتفق في بعض الأمور مع الحقّ المنزل أو تشتبه به، ولكنها تناقضه في كثير، إلاّ أنّ الشيطان زيّن لهم التوفيق بينهما

(١) ينظر: "مغامرة العقل الأولى"لفراس سواح: ١١،و"دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية" لصالح حمادي:١٠

(٢) ينظر : "مغامرة العقل الأولى"لفراس السواح : ١٢

بتأويلات متعسِّفة لزعم وحدة المصدر لها جميعها، حتى حاول بعض المسلمين جمع تلك الأساطير مع ما ورد في الوحي المعصوم كتابًا وسنة فجانبوا الحق وانحرفوا عن الإيمان بالغيب الحق وساروا وراء الضالين حذو القذة بالقذة.

وقد نتج عن هذا الانحراف في مصدر التلقي عدد من المعتقدات الباطلة قامت على الاعتقاد الباطل بقدم العالم وأنه لم يكن عدمًا ثم كان، ومن أشهر هذه المعتقدات:

**١. اعتقاد بداية الكون بالتوالد أو الفيض أوالانبثاق أوالصدور:**

وهي أقوال متشابهة تنبع من تصوُّرات فلسفيَّة ترمي لتفسير بداية الكائنات، وهي – وإن تنوعت صورها – تمثِّل حقيقة واحدة هي حصيلة البعد عن أخذ الغيب من مشكاة الوحي المعصوم.

وتنسب بداية القول بالفيض لأفلوطين Plotinus[(١)] الذي كان يرى أنّ العالم كلّه نشأ وفاض بدرجات ومراتب متفاوتة عن الموجود الأول، أولها: العقل الأول، وثانيها: النفس الكلية، وثالثها: النفوس البشرية، ثم سائر ماهو ذو صورة من إنسان وحيوان ونبات وجماد[(٢)]. وتأثر بهذه الفلسفة من بعد أفلوطين من غفلوا عن هدى الوحي وافتتنوا بالعقل من أتباع الرسالات ومنهم الفارابي الذي يُعدُّ أول من قال بنظرية الفيض في الإسلام.

وقد اختلف أصحاب هذا القول في تحديد ماهية الموجود الأول الذي فاضت عنه سائر الموجودات أو توالدت؛ فمنهم من جعله النار واعتقد أنّ المخلوقات انبثقت عنها كما ينبثق الشرار، وهو قول طوائف من فلاسفة الهند واليونان.

ومنهم من رأى أنّ أصل الوجود جسم حيّ كبير الحجم يسمى (برهمن) تحولت أعضاؤه إلى المخلوقات العظيمة! ومنها انبثقت مخلوقات أخر وهكذا [(٣)].

---

(١) فيلسوف روماني عاش عام (٢٠٥–٢٧٠م)، وهو مؤسس الأفلاطونية الحديثة التي تعد فلسفة شرقية الجوهر يونانية المظهر، نادى بالتجربة الصوفية الكشفية وعدها أساس معرفة الحقيقة، تبنى فلسفته عدد من فلاسفة أوربا كما تأثر بها كثير من متفلسفة المنتيبين للإسلام. ينظر "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ١/ ١٩٥

(٢) ينظر: "الموسوعة الفلسفية المختصرة":٦١ –٦٨، و"دراسات في الفكر الفسفي الإسلامي" لحسام الدين الآلوسي : ١١٥

(٣) ينظر : "الفلسفة في الهند" لزيعور : ٨٧، ١٣٦، و"منو اسمرتي" تعريب وشرح : إحسان حقي : ٧

أمَّا فلاسفة الصين فتصوَّروا أصل الوجود ومبدأه كلّيًا واحدًا أو مطلقًا سموه(طاو) Tao وهو لايُرى ولا شكل له ، وليس له بداية ولانهاية[١]، ثم انقسم إلى ثنائيات متوازنة ؛ ذكر وأنثى يسمونهما(الين واليانج) Yin,Yang وهما يمثّلان جوهر السماء والأرض، وعنهما صدرت جميع الموجودات[٢]بتأثير من العناصر الخمسة[٣]التي يتولّد كلّ منها من الآخر، وهي: الخشب والنار والتراب والمعدن، والماء.وبين هذه العناصر علاقة تحوُّل دائمة تتأثَّر بتغيُّر الأوقات والليل والنهار وفصول السنة ومواقع الكواكب والنجوم [٤].

ومثل هؤلاء من قال إن الوجود انبثق عن العقل الكليّ! أوالقوّة العظمى أو الذكاء الخلاّق من فلاسفة اليونان وغيرهم .أمّا من اعتقد بهذه الفلسفات من أصحاب الأديان السماويّة فقد جعلوا أوّل الفيض هو الله ﷻ[٥]–تعالى عمّا يصفون– ومنه فاضت جميع المخلوقات على أقوال مختلفة في شكل هذا الفيض وصوره ومراتبه، فالكائنات كلّها عند

(١) وهو (القوة) أو (الطاقة) بحسب المصطلحات المستخدمة في التطبيقات العلاجية الروحانية وتدريبات تنمية الطاقة البشرية! فكلها مبنية على ضرورة الاتصال بهذه القوة العظمى واستمدادها بالطقوس الوثنية التي عُدلت وأعيدت صياغتها في قوالب تدريبية عامة.

(٢) ينظر : "الفلسفة في الهند" لزيعور: ٤٥١، و"الفكر الشرقي القديم" لجمال المرزوقي : ٧٥، ١٩٣،٢٥٣، و"قصة الفلسفة" لديورانت : ١١٣، و"موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمن بدوي : ٥٣٣/٢، و"في الفلسفة الإسلامية" لمدكور : ٥٤، و"المعجم الفلسفي" لصليبا : ١٧٢/٢

(٣) القول بأن العناصر الطبيعية التي تتكون منها جميع الموجودات أربعة هي الماء والهواء والتراب والنار، أو أربعة بإضافة الخشب أوالأثير كما عند أرسطو، ينظر: "تاريخ الفكر الفلسفي" لأبي ريان : ١٩٨، هو قول فلسفي بحث عن أصل الوجود بناء على قدرة الحواس المجردة لإنسان العصور القديمة، مع خيالاته وفلسفته فلم يعرف إلا ما رآه حوله في بيئته، ومع تطور العلم وأجهزة التكبير والتصوير بلغ تعداد العناصر المكتشفة حسب علم الكيمياء الحديثة ٩٢ عنصرًا طبيعيًّا تدخل كلها في تركيب جميع الموجودات بنسب متفاوتة، ينظر:"الموسوعة العربية العالمية":٣٨١/٢٠. كما بطلت فرضية وجود الأثير تمامًا؛ لذلك أصبح من غير المقبول علميًّا أن يبقى القول بهذه النظريات التي ظهر بطلانها ؟! وما بقاء القول بها رغم غلطه إلا لارتباطه بفلسفة يريد الشيطان بقاءها ونشرها ليضل بها عباد الله ويصرفهم عن الحق.

(٤) ينظر : "علم الطاقات التسع" لميتشو كوشي : ١٧

(٥) الفيض في أصل الكتابات الفلسفية إنما يكون عن (الأول) أو (المطلق) ولا يقال عن (الله) ، ولكن بعض المسلمين القائلين بهذه الفلسفة أوالمترجمين لها استعملوا لفظ الجلالة (الله) مكان تعبير الفلاسفة بالأول أو الكلي ! والأمر ليس مستقيماً فالقائلون بالفيض لا يعرفون الله ﷻ ، وإنما غاية ما يثبتونه علة أو سبباً أولاً وقد يستعملون كلمة إله .

أصحاب هذا القول المنحرف هي صور وتجلِّيات للإله أو الكائن الأسمى، وليست مخلوقات خلقها بقدرته وإرادته وحكمته[١]!

**٢. الاعتقاد بالمصادفة:**

معنى المصادفة مأخوذ من صادفه مصادفة: إذا لقيه ووجده من غير موعد ولا توقُّع[٢].ويؤمن أصحاب هذا القول بأنّ الكون موجود بطريق المصادفة، ولا يعتقدون بإله أراد خلقه وإيجاده ، كما يعتقدون أنّ نهاية الكون ستكون صدفة كبدايته، فلا حكمة ولا قدرة ولا تدبير!

وتمتد جذور هذا القول إلى طائفة الفلاسفة الطبيعيين من اليونان أمثال هريقليطس Heracleitus[٣]القائل عن العالم: «لم يخلقه إله أو بشر، ولكنه كان منذ الأزل، وهو كائن وسوف يكون إلى الأبد» [٤]، وإنبيدوقليس Empedocles[٥]القائل بأن العناصر الأربعة : النار والهواء والتراب والماء هي أصل المخلوقات وهي عناصر قديمة لا تتكون، ولا تفسد وتتكون الأشياء باجتماع هذه العناصر بمبدأ المحبة، وتزول بتفرّقها بمبدأ الكراهية[٦]. وديموقرطيس Democritus[٧]الذي قال بأنّ الكون ذرّات ماديّة أبديّة دائمة غير قابة للتغيير متحرِّكة بذاتها وعن طريق حركتها وانفصالها واتصالها ببعضها تتكوّن الأجسام بطريق المصادفة

---

(١) ينظر : "الصفدية" لابن تيمية : ٢٤٠

(٢) "المعجم الوسيط":١/٥١٠، و"تاج العروس" للزبيدي : ٦/١٦٣

(٣) فيلسوف يوناني، عاش عام (٥٤٠-٤٨٠ ق.م) ، اشتهر بالغموض والتعبير الملغز، قال إن العالم واحد ومتعدد ومتوازن وأن مادته الأولى هي النار.ينظر: "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ٢/٥٣٣

(٤) ينظر : "الفلسفة عند اليونان" لأميرة حلمي : ٥٣

(٥) فيلسوف يوناني، عاش عام(٤٩٠-٤٣٠ ق.م )، اهتم بالطبيعة ونشأة الكون والإنسان، إليه ينسب القول بالعناصر الأربعة،كما قال بوجود مبدأين خارجين عن المادة لتفسير حركة المادة وهما مبدأين أزليين يتناوبان في سيادة الكون ويمتزجان أحياناً؛ الحب الذي يحمل على التمازج، والبغض الذي يدعو إلى التنافر. ينظر :"موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ١/٢٢٥

(٦) ينظر : "الفلسفة عند اليونان" لأميرة حلمي: ٩٦، و"تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب" : ٥٦

(٧) فيلسوف يوناني، عاش عام (٤٦٠-٣٧٠ق.م) وهو مؤسس الفلسفة المادية الميكانيكية أو المذهب الذري، وهو القائل بإن الإنسان نشأ من حركة ذرات خاصة لطيفة مستديرة هي ذرات نارية. ينظر:"موسوعة الفلسفة"لعبدالرحمن بدوي : ٢/ ٥٠٨

المحضة [١].

فهذه الأقوال الباطلة هي مذهب الدهريّين في كلّ عصر وإن اختلفت الألفاظ التي تدل عليه ، قال به كفار العرب كما أخبرنا القرآن: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٣٤] كما قال به ملاحدة الماديّة المعاصرة أمثال الشيوعيّ ماركس Marx [٢]، والوجوديّ سارتر Sartre [٣]وغيرهم.

وهكذا يوحي إبليس إلى أوليائه الذين كفروا بالغيب أو انحرفوا عن صحيح الإيمان به؛ ليصرف الناس عن معرفة ربهم ﷻ الذي بيَّن لهم حقيقة الأمر في أصل الوجود ومبدأ الكون بأبلغ بيان وأصدق برهان، قال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٢]، فما الكون كلّه إلاّ مخلوق من مخلوقات الله ﷻ مثل الإنسان تمامًا، مفتقر مثله إلى خالقه وإلهه الواحد العظيم: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧].قد خلقه الله جل وعلا بعظيم قدرته ومطلق إرادته وواسع رحمته وحكمته وتدبيره.

**ثانيًا: معرفة مبدأ نشأة الإنسان الأولى :**

معرفة الإنسان نفسه وبداية نشأتها موضوع مهم من موضوعات الفلسفة اشتغل به الإنسان البعيد عن الوحي منذ القدم، وأيًّا كان نتاج التفكير العقليّ الذي وصل إليه في هذا الموضوع فإنه ظلّ قاصرًا عن تقديم معرفة يقينيَّة يمكن على أساسها معرفة بداية النشأة وأصل التكوين ، كما وقف العلم التجريبيّ كذلك عند حدود الظنون والأوهام كما في كل الغيوب الماضية الموغلة في القدم؛ لأنّ هذه المعرفة ليست ممَّا يتعلّق بالمحسوسات والمشاهدات، فلا مطمع في أن تبحَث عبر دليل التجارب المحسوسة أو الآثار القريبة ؛ لذا قدَّم الوحي معرفة كاملة تناولت أصل نشأة الإنسان منذ بداياتها في عمق الزمان الماضي عندما خلق الله آدم

---

(١) ينظر : "الفلسفة اليونانية" ليوسف كرم : ٣٨ وما بعدها.

(٢)كارل ماركس، فيلسوف اجتماعي اقتصادي ألماني، عاش عام (١٨١٨– ١٨٨٣م)ذو نزعة إنسانية ملحدة تهدف إلى إبعاد الإنسان عن عبودية الألوهية، ووصف الدين بأنه أفيون الشعوب لأنه يقدم سعادة وهمية مخدرة!حرر مع إنجلز (البيان الشيوعي) لتنظيم العصبة الشيوعية. ينظر : "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ٢/ ٤١٨

(٣) جان سارتر، فيلسوف وكاتب فرنسي، عاش عام (١٩٠٥–١٩٨٠م)من رواد الوجودية المتشائمة، قال: إن الوجود متقدم على الذات أو الماهية، وأن الإنسان له مطلق الحرية في الاختيار وهو الذي يصنع نفسه. ينظر: المرجع نفسه: ٥٦٣/٢١

عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] فبيَّنت أنَّ أصل جنس الإنسان هو آدم عليه السلام خلقه الله عز وجل من تراب وجعله في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]، وخلق منه زوجه ومنهما ولد البشر جيلاً بعد جيل بالتكاثر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١].

فبيَّنت النصوص بصورة مفصَّلة ما يغني عن أباطيل من رفضوا خبر الوحي وأوهامهم، ومن أبرز هذه الظنون التي لا تغني من الحقّ شيئًا:

١. نظرية النشوء والارتقاء المنسوبة لدارون Darwin[(١)] ومفادها أنّ الإنسان هو نتاج تطور بيولوجيّ طبعيّ على الأرض، تكوّن فيه الإنسان بعد سلسلة من التبديلات تهدف للارتقاء وتحسين النوع بحكم قانون الانتخاب الطبيعيّ وبقاء الأصلح، فبدأت الحياة بخليّة واحدة كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، تطوّرت ومرت بمراحل عدّة منها مرحلة القرد حتى انتهت بالإنسان السويّ كما نراه اليوم[(٢)]!

ومع أنّ نظرية دارون هذه مجرد فرضية غير مبرهنة إلاّ أنها انتشرت انتشارًا واسعًا بين الحيارى الذين رفضوا تلقّي الغيب الحقّ من الرسالات ثم انتقلت من كونها فرضيّة بيولوجيّة حيوية إلى نظريّة فلسفيّة عَقَديّة، يقول أحد القائلين بها: «إنَّ نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين –وستظلّ كذلك– والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها أنّ البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق»[(٣)]. واليوم تحت شعار العلم يعيد بعض الباحثين صياغة فصل هذه النظرية الخاصّ بنشأة الإنسان في قالب مدعم بالنصوص القرآنيَّة زاعمًا أنَّه وصل بالأدلَّة العلميَّة واستقراء التاريخ والتفكُّر في آيات الأنفس إلى معرفة

---

(١) هو تشارلز دارون، عالم أحياء إنجليزي، عاش عام (١٨٠٩-١٨٨٢م)، له عدة مؤلفات في شرح نظريته أهمها: أصل الأنواع، وسلالة الإنسان .ينظر: "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي: ٢/ ٤٧٣

(٢) ينظر: "سلسلة تراث الإنسانية ": ١٢/٩، و"مذهب النشوء والارتقاء "لمنيرة الغاياتي: ٢٠

(٣) ينظر: المرجع نفسه: ٦

أصل الإنسان[١]! والحقّ أنّ أصل الإنسان عند المؤمنين بالغيب واضح أشدّ الوضوح لا يحتاج إلى دراسات وتجارب وقد أخبر به علام الغيوب.

٢. القول بأنَّ الإنسان نتاج استنساخ قامت به مخلوقات فضائيّة، وهو قول طائفة الرائيليين Raellins[٢] المعاصرة الذين يؤمنون بأنّ الحياة نشأت بفضل كائنات فضائيّة وصلت في طبق طائر منذ خمسة وعشرين ألف عام، وأوجدت البشر في الأرض عبر الاستنساخ، وأنّ معرفتهم لهذه الحقيقة تمت عن طريق النبوة التي تمت لرائيل Rael مؤسس الطائفة في عام ١٩٧٣م وهي تؤذن بعصر جديد يستطيع الإنسان فيه أن يصل إلى الخلود عن طريق تجديد أعضاء الجسد بانتظام عبر الاستنساخ!

وهكذا كلَّما ضلَّ الإنسان عن مصدر الإيمان بالغيب وابتعد عن نوره وهداه زيَّن له الشيطان الخرافات والضلالات وألبسها لبوس الحقّ الثابت بالعقل أو النقل؛ لذا كان لا بدّ للمؤمن الذي يبحث عن بعض أسرار الغيب النسبيّ في ماضيه وحاضره ومستقبله أن يكون منطلقه اليقين بأنّ الله ﷻ قد عرفّه كلّ ما يحتاجه لصلاح دنياه وأخراه، فيجعل عقله خلف نصوص الوحي تابعًا لها مسترشدًا بهداها مع دوام تحرِّي الحقّ والتثبُّت من صحَّة الادِّعاءات التي تنشَر على أنها من حقائق العلوم.

---

(١) ينظر : "قصة الإنسان" لعبد اللطيف حموش : ٢٠٥ – ٢٣٤-٢٤٢

(٢) هي طائفة تأسست عام ١٩٧٥م، و مؤسسها (رائيل) فرنسي يعيش في كندا، وبلغ تعداد أتباعها نحو خمسة وخمسين ألفًا في أمريكا وكندا، أسس أفراد الطائفة عام ١٩٩٧م مؤسسة (كلونيد) في لاس فيغاس بأمريكا التي تُعد أول مؤسسة للاستنساخ البشري، ينظر : "The skeptic's Dictionary".Robert Carroll. P.323-

## المطلب الثاني

## معرفة الغاية

يقرر الوحي المعصوم أن الإنسان مخلوق مكرّم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فقد جعله الله ﷻ مهيئاً لحمل أمانة إعمار الأرض بالعبودية لله رب العالمين ، وقد قبِل أن يحمل هذه الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢].ومن ثم أخبره الله عزوجل بما تقتضيه هذه الأمانة من السير على منهج الله وتحقيق الغاية التي خلقه من أجلها، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

ومعرفة غاية الوجود من أهم الحقائق التي تقيم حياة البشر في الأرض، وهي أمر ضروري لكل إنسان لتستقيم حياته وتتحدد وجهته في كل أعماله، لذا كانت معرفتها من أعظم آثار الإيمان بالغيب وتصديق الوحي، فإخبار الخالق جلّ وعلا عباده عن هذه الغاية من أعظم منته؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يعرفها بمفرده فهي معرفة غيبيَّة لارتباطها بالخالق ﷻ الذي أراد للإنسان أن يكون على هذه الأرض ووهبه الوجود فيها، وهي معرفة غيبيَّة كذلك لارتباطها بالتصوُّر الكامل للكون والحياة والوجود، ذلك التصوُّر الذي لم يستطع الإنسان أن يصل إلى حقائقه بمواهبه وملكاته البشريّة وحدها، وإنما افتقر فيه إلى الوحي، فأخبره عما وراء عالم الشهادة من عوالم، وما وراء الحياة الدنيا من حيوات.

وقد نقل التاريخ صورة الحيارى الذين لم يؤمنوا بالغيب ممن انحرفت فطرتهم عن مقتضى ميثاق الإسلام والعبودية الأول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣]، وضلوا عن مصدر الحق الذي جاء به الرسل عليهم السلام، فأصبحوا يقلبون النظر ويعملون الفكر ليصلوا إلى معرفة غاية وجودهم فالإنسان

السوي منذ أن يوجد على وجه الأرض ويعى الحياة حوله وعي إدراك يبحث بطبيعته عن غاية وجوده في الحياة[١]، ووظيفته بين الكائنات التي حوله، فما ميزه الله ﷻ به من العقل والإدراك يجعله يأبى أن يكون في عماية يمضي حياته كما العجماوات لا يتفكّر ولا يتدبّر.

وكل من نظر في الكون متدبّرًا اهتدى بعقله وفطرته إلى أنّه مخلوق مربوب لا يملك من أمر نفسه شيئًا، يجري عليه قدر الله ومشيئته في حياته ومماته، شأنه في ذلك شأن سائر المخلوقات في العوالم العلويّة والسفليّة من عاقل وغيره، ومن رطب ويابس، ومتحرِّك وساكن، وظاهر وكامن[٢]، فكلّهم معبّدون مسخّرون لربِّهم وخالقهم ومصرِّف أمورهم كيف يشاء، كما بيّن الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا** ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم:٩٣]، وإدراك الإنسان لهذه العبوديّة العامّة التي يشترك فيها مع جميع الكون يدفعه أكثر للبحث عن وظيفته الخاصّة في الحياة وغاية وجوده على الأرض، فإذا كان من المؤمنين بالغيب المتلقّين لخبر الوحي بالقبول والانقياد اهتدى إلى إجابة سؤاله وأبصر الغاية وأدركها في أمر الله ﷻ: ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾ [النساء:٣٦]، وقوله ﷻ: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ** ﴾ [البقرة:٢١] فالله ﷻ فطر جميع الكائنات على العبوديّة لربوبيته، ودعا الإنسان الذي ميّزه بالعقل ومنحه الاختيار إلى تحقيق العبوديَّة المتعلِّقة بألوهيَّته[٣]؛ عبوديّة الخضوع والطاعة والمحبة والتذلُّل لله تعالى[٤]والانقياد لأمره ونهيه ظاهرًا وباطنًا[٥] .

وكانت نهاية ما وصل إليه الباحثون عن الغاية من فلاسفة العالم وأهل الملل والنحل وأصحاب المذاهب المختلفة القول بأنها بلوغ السعادة، فاتّفق على ذلك أكثر الفلاسفة لأنّ السعادة هي أعظم مطلب ينشده الإنسان وغاية ما يسعى إلى تحقيقه فترة وجوده في الحياة، ثم اختلفوا في

---

(١) ولذلك كانت التربية على الدين الحق والمحافظة على سلامة الفطرة العابدة لله عزوجل من أعظم المسؤوليات المناطة بالوالدين، وإن إهمال هذا الجانب المهم في ظل انحسار تأثير التربية الأسرية وتزايد التأثيرات الخارجية الموجهة أخرج أصنافاً من المؤمنين بالغيب لايعيشون مقتضيات إيمانهم ولا يلمسون آثاره في كثير من جوانب حياتهم ومن باب أولى يغفلون عن حقائقه ومعارفه !

(٢) ينظر : "معارج القبول" للحكمي : ٤٣٥/٢

(٣) ينظر: لتفصيل أقسام العبادة ""مجموع فتاوى ابن تيمية"" : ٤٥/١، و"مدارج السالكين" لابن القيم :٦٠١/١

(٤) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٥٤٢

(٥) ينظر: "جامع البيان" للطبري: ١٦٠/١،و"الفوائد" لابن القيم : ١٢١، و"روح المعاني" للألوسي: ٨٦/١، "فتح القدير" للشوكاني : ٢٢/١

تصوُّرها وتحديدها وانقسموا فرقًا وشيعًا تبعًا لفلسفاتهم عن الكون والوجود والحياة، بحسب بعدهم أو قربهم من مشكاة النبوّة ثم بحسب حظِّهم من نعمة العقل ونصيبهم من الهدى، وأكثرهم داروا في دوّامة الحياة وملذاتها وشهواتها ظانِّين أنهم يحقِّقون السعادة فيما يرون من ظاهرها، فهم كما قال الله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ** ﴾ [الروم:٧] .

بينما عرف المؤمنون بالغيب- أتباع الرسل- غايتهم من الوحي الذي يؤمنون به ووجدوا فيها سعادتهم فما دعا إليه الأنبياء من إخلاص العبودية لله ﷻ يتّفق مع خلقهم وتكوينهم وعبوديّتهم العامّة، وقيامهم بمقتضى العبودية يتوافق مع تصوُّرهم الشامل للمبدأ والمصير، ولهذا يعيش المؤمن الذي يعرف من خبر الوحي غاية وجوده مطمئنًّا سعيدًا فهو في كلِّ أحوال حياته؛ رخاء وشدّة، مرضًا وصحّة، غنًى وفقرًا يتتبّع أنواع العبادة المطلوبة منه: "عجبًا لأمر المؤمن! إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له"[(١)]،

إن غاية الحياة التي يهدي إليها الإيمان ويقررها الوحي هي العبودية لله رب العالمين، ومدلول العبودية أوسع وأشمل من عبادة الله بإقامة الشعائر المخصوصة التي أمر بها وأوجبها، فالعبودية غاية شاملة لجوانب الحياة كلها وتقتضي الإخلاص لله في كل حركة وسكنة وفي كل ساعة ولحظة: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢]، فاهتداء المؤمن لغاية الوجود يجعله يقيم حياته ومماته على أساس أنه عبد يجب أن يعبُد وله رب يستحق أن يُعبد ويربط بهذه العبودية سائر مساعيه ومطالبه؛ فيكون عابدًا لله ﷻ في كلّ أحواله، باذلاً جهده في رضاه، سواء قام بشعيرة من الشعائر، أواستغرق في عمل يعمر به دنياه ويسوق به نفعاً إلى عباد الله، أو كف نفسه عن شرّ. وهكذا تنضبط شهواته ورغباته، وتصحّ وجهته فيما يطلب ويقصد من أمر الدنيا أو الدين ومن مطالب الروح أو الجسد وبحسب وضوح هذه الغاية عند المؤمن وسعيه في تحقيقها يتحدّد مصيره الأبديّ ومستقرّه في دار الخلود، فالمؤمن بالغيب يعرف أنّ حياته على هذه الأرض ليست إلاّ مرحلة قصيرة من رحلة حياته الطويلة، وأنّ وجوده ووجود جميع المخلوقات التي يراها ما هو إلاّ قدر يسير من الوجود الكونيّ

(١) أخرجه مسلم،كتاب الزهد والرقائق،باب المؤمن أمره كله خير ،رقم: ٢٩٩٩

الكبير، والأحداث والأحوال التي يعيشها لها أجزاء متمِّمة فيما وراء هذه الحياة الدنيا فقد ساق له الوحي حقائق المصير وتفاصيل المستقر كما سيتضح في المطلب التالي .

## المطلب الثالث

## معرفة المصير

إن معرفة حقيقة المصير أمر غيبي محض ، لا يُعلم إلا من الوحي المعصوم مباشرة ؛ لأن متعلق بعالَم الغيب من الروح والجنة والنار وغير هذا، وقد عرف الإنسان الموت منذ أول وجوده على هذه الأرض، فلم يجعل الله ﷻ الخلد لأحد من البشر ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وكم أقلقه مشهد الموت وهو يضع حدًّا للحياة، ويصبغها بالعبوديّة القهريّة! فالكلّ يتسربل به طوعًا أوكرهًا يستوي في ذلك الأغنياء والفقراء، والظلَمة والمظلومون، والسعداء والأشقياء، الأراذل والشرفاء، دون أن يقام بينهم ميزان العدل، فهذا ظالم يموت بصولته وذاك مظلوم يقضي بحسرته! فيتسائل: ما الموت وما حقيقته؟ وهل هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة؟ إذ لا بدّ من قانون جزائيّ يقيم العدل في هذا الكون يناسب ما هو عليه من انتظام وتدبير وإحكام.

وقوى الإنسان الحسيّة والعقليّة تقف في حقيقة المصير عند أمرين؛ الأول: إثبات ظاهرة الموت لأن آثارها مشاهدة محسوسة، والثاني: إثبات حتميّة وجود جزاء بعد الموت ومفارقة هذه الحياة، دون أن تستطيع الوصول إلى تفاصيل ذلك. وأنّى للإنسان أن يصل إلى معرفة تفاصيل المصير الغيبية بقواه القاصرة، وعلمه المحدود[1]! وكل محاولة بوسائل العلم البشرية يرغب الإنسان أن يصل خلالها إلى معرفة حقائق المصير تفضي إلى تصورات متناقضة وغير حقيقية ، وهكذا كانت بالفعل جميع مخرجات الفلسفات المادية والروحية التي اعتمدت في مناقشتها لمصير الإنسان على العقل وحده أو على مصادر باطلة، فعندما يموت الجسد ويفنى، لا يبقى للعلم البشري مايقوله؛ لذا كان من آثار الوحي العظيمة تعريف الناس بكلّ ما يهمّهم وينفعهم في

(١) يستشهد باحثون في علم الاجتماع الديني بما أظهرته مكتشفات أثرية على أن الإنسان في أحقاب الزمان الماضي قد آمن بالحياة الآخرة والحساب والجزاء ، ويذكرون بعض وجوه شبه بين ما عرفه الإنسان قديمًا وبين ما عرّفت به الرسالات ويستدلون بذلك على صحة ما يسمونه الأديان البدائية أو إمكان معرفة الغيب بالوسائل البشرية ، ينظر : التطور التاريخي للفكر الديني لرشيد ناضوي: ١٤٦. والحق أن الوحي المتضمن لحقائق الغيب كان مصاحبًا للإنسان منذ أول وجوده على الأرض، فآدم عليه السلام أول البشر وأول أنبياء الله ﷻ ولم تخل أمة من نذير لذا فإن بعض آثار النبوات ومعارف الوحي الغيبية باقية في كل أمة مهما طغى الباطل وحاول طمسها.

مسائل المصير، وهي حقائق يجب أن تؤخذ كما جاء بها الوحي من غير اجتهاد عقلي أو بحث تجريبي[١] أو تأويل للنصوص لتوافق المعروف من عالم الشهادة ، ومصير الإنسان وفق التصور الإسلامي المستمد من الإيمان بالغيب يمرّ في حياتين هي :

**أولاً: الحياة البرزخية :**

البرزخ في اللغة : هو الفاصل بين الشيئين[٢]. وحياة البرزخ هي ما بين الموت إلى القيامة[٣]فمن مات فقد دخل البرزخ ، قال ابن القيم : «عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٠]»[٤].

فالموت هو بداية معاينة حقائق المصير الغيبية، لذا تضمن الوحي المعصوم حقائق مهمة عنه ضمن تفاصيل الحياة البرزخية ، فأخبر الله ﷻ عباده أن الموت أمر لا مناص منه لكلّ المخلوقات فقال: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ** ﴾ [الواقعة:٦٠] أي:ساوى فيه أهل السماء والأرض[٥] لاينجو منه أحد .

وأخبرهم أنّ للموت أجلاً محدَّدًا مقدّرًا عند الله ﷻ معلومًا عنده : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا** ﴾ [آل عمران:١٤٥].ولا يمكن للإنسان معرفته ولا تقديمه ولا تأخيره عما قضى الله وكتب،وأنه بيد الله وحده فهو وحده المحيي وهو المميت ﷻ: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ** ﴿٤٣﴾ ﴾ [ق:٤٣]. فالإنسان إنما جاء إلى هذه الحياة بإرادة الله ﷻ، وسيرحل عنها عندما يريد سبحانه .

---

(١) الغيب المتعلق بالروح ومصيرها لا يُعلم يقينًا – لمن لا يؤمن بالغيب – إلا عند معاينة الموت، ولأن المصير أمر يشغل بال الإنسان ولا يستطيع تجاهله فقد كثرت الدراسات عند منكري الوحي التي تحاول الوصول إلى معرفة حقائق المصير من خلال ما يسمونه المرور بتجربة الموت ودراسة أعصاب الموتى ، ودراسة عالم الأرواح!وما قادتهم نتائج هذه الدراسات إلا إلى مزيد حيرة وكفر.

(٢) "لسان العرب" لابن منظور: برخ :٨/٣

(٣) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني: ١١٨

(٤) "الروح" لابن القيم : ٣٣٢/١

(٥) تفسير ابن كثير : ٢٩٥/٤

كذلك بيّن الوحي أنّ الموت إنما يقع على الجسد بمفارقة الروح له، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر:٤٢]، وقال ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة:٨٣-٨٥].

فالموت هو نهاية للحياة الدنيا التي يحياها الإنسان على الأرض، تلك الحياة التي جعلها الله ابتلاء واختبارًا للإنسان ،أمره فيها بتحقيق العبودية وتحمّل أمانتها والقيام بمقتضى استخلافه في الأرض. وسينتقل بعدها إلى الحياة الثانية منذ معراج الأرواح عند ربِّها ﷻ، قال ﷺ: "إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا، قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان! فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء...فإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة،كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق.."[(١)].

ثم عودتها بعد ذلك إلى الأبدان في القبور وسؤالها، فتنعّم أو تعذّب إلى يوم القيامة، قال ﷺ: "إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[(٢)]، فبعد الموت حياة بكيفية لانعلمها نؤمن بها وبكل ما جاء في وصفها سواء رأينا أثر ذلك الأجساد المسجاة أو المقبورة أو لم نر وسواء قُبر الميت أو لم يُقبر، وهذه الحياة هي مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب والعقاب أخبرت عن كثير منها نصوص الوحي المعصوم .

والخلاصة أن المؤمن بالغيب يعرف من مصدر إيمانه ومستمد معرفته بالغيب أنَّ وجوده في هذه الدنيا للابتلاء والاختبار مقدَّر بزمن معلوم عند الله ﷻ، وسينتهي عندما يحين الأجل بالموت؛ لتبدأ مرحلة جديدة في دار البرزخ، ثم دار القرار، فالموت سنّة أرادها الله ﷻ وقدر كتبه على جميع البشر في الدنيا، وليس عقوبة لبني آدم على خطيئة ارتكبها أبوهم آدم عليه السلام كما يعتقد طوائف من اليهود والنصارى اعتمادًا على النصوص القليلة المتناقضة المخبرة عن الموت

(١) أخرجه ابن ماجه،كتاب الزهد، باب ذكر الموت، رقم : ٤٢٦٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ١٦٩/٢

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده في الغداة والعشي،رقم : ١٣٧٩، ومسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار،رقم: ٢٨٦٦

وما يجري بعد الموت في البرزخ في الكتب المحرفة؛ لذا كانت عقيدة اليوم الآخر في اليهوديّة والنصرانيّة ضعيفة الأثر في حياة أصحابها ولا تكفي لتكوين اعتقاد صحيح عن المصير [(١)].

والموت حقيقة لا بدّ منها، وهو معبر لحياة أرحب وأوسع يكون فيها الجزاء على ماكان من العمل في الحياة الدنيا ، وليس نهاية المطاف كما يظنّ من لم يتلقَّوا حقائق الغيب من الرسل عليهم السلام : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية:٢٤]، وقد أوصل هذا الظن الباطل معتقديه إلى أنواع من الشقاء؛ فمنهم من قتله الحزن والألم والحيرة والقلق، ومنهم من قتلته شهواته وملذاته التي راح يقتنصها ويعبّ منها قبل أن يفجأه كأس المنون.

وقد حاول الجاهلون بحقيقة الموت أن يجعلوا من هذه الدنيا عالمًا أبديًّا لأفراحهم، فبحثوا كثيرًا عن أسباب الموت؛ ليتمكّنوا من الحيلولة دون وقوعه ،ومنع حدوث أسبابه رغبة في نيل الخلود، ولكنهم أخفقوا إخفاقًا ذريعًا. وكلَّما بحثوا في هذا الموضوع أكَّدت لهم أبحاثهم حتميَّة الموت وأنه لا مناص منه [(٢)].

ولأن حقيقة الموت التي يعرفها المؤمن تتضمن تفاصيل رحلة الروح الطويلة إلى عالم الغيب المحجوب، فإنه يعي حقيقة الدنيا وأنها معبر لحياة الخلود حيث النعيم الأبديّ أو العذاب السرمديّ، ومن ثمّ يشغل نفسه بما ينبغي له ويحقق الغاية التي وجد من أجلها فيعمل للدار الآخرة ويسلك الطريق الموصل إلى ما يرجوه من الخلود في الحياة الآخرة .

**ثانيًا: الحياة الآخرة:**

الإيمان بهذه الحياة ركن من أركان الإيمان الستة كما في حديث جبريل عليه السلام ، وقد أخبر الله عز وجل عباده عن تفاصيل هذه الحياة ، وأنه لم يخلقهم سدى وإنما سيجمعهم ليوم لاريب فيه تكون فيه حياتهم الخالدة، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥] فالحياة الآخرة هي دار الخلود الباقية، ومجموع ما جاء به الوحي المعصوم عن هذه الحياة يدور حول أربعة أمور؛ أولها: إثبات الآخرة ووصف اليوم الذي تبدأ فيه وأشراطه وأهواله ، وثانيها : التأكيد على أنها تأتي بغتة، والثالث:بيان تفاصيل الحساب والجزاء،

---

(١) ينظر : "اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام" لفرج الله أبو عطا الله :٧١-٧٧

(٢) ينظر : "الإسلام يتحدى"لوحيد الدين خان : ٧٩

أما الرابع فبيان المستقر ووصف الجنة والنار. وفيما يلي عرض هذه الأمور بإيجاز:

**أ. إثباتها ووصف اليوم الذي تبدأ فيه وأشراطه وأهواله:**

أكّد الله ﷻ أنه سيجمع الأوّلين والآخرين، فيبعثهم من قبورهم فيقومون للحساب بأجسادهم وأرواحهم في يوم لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿٥٩﴾ ﴾ [غافر:٥٩]، وسفّه منكريه والمشكّكين فيه قال: ﴿**وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴿٤٩﴾ **قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** ﴿٥٠﴾ **أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [الإسراء:٤٩-٥١]. ودلّل على هذا صدق وقوعه وردّ عليهم بأدلة تخاطب العقل وتقنعه[١] قال تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ** ﴾ [الأحقاف:٣٣] ودعا المؤمنين بالغيب إلى اليقين به، وامتدح ذلك منهم، قال: ﴿ **وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴿٤﴾ **أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة:٤-٥].

كما ذكرت النصوص المخبرة عن الغيب علامات تسبق وقوع الساعة، وهي أحداث حقيقية معلومة عند الله عزوجل أخبر ببعضها في القرآن الكريم، وبعضها جاء في سنة النبيّ ﷺ. وقد وقع بعضها ورآه الناس كما في انشقاق القمر، قال تعالى: ﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ** ﴿١﴾ ﴾ [القمر:١] الذي تحقّق ورآه الناس في زمان رسول الله ﷺ مرتين[٢]، وبعض العلامات لم يقع بعد، وأهمها العشرة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ ، قال:" إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات"، فذكر:"الدخان، والدجّال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"[٣]،وأخبر أنها متتابعة

---

(١) كقياس الإعادة على البدء، ودليل إحياء الأرض الميتة، وإخراج النار من الشجر الأخضر وغيره، ينظر للفائدة : "إعلام الموقعين" لابن القيم: ١٩١/١، و"الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد" للعريفي: ٥٨٨

(٢) أخبر بذلك أنس وابن مسعود رضي الله عنهما، أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم: ٣٦٣٦-٣٦٣٧، ومسلم،كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر،رقم : ٢٨٠٠-٢٨٠٢

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة،رقم: ٢٩٠١

بقوله:"الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضًا"[(١)].

**ب. التأكيد على أنها تأتي بغتة:**

صرّح القرآن الكريم أن وقت وقوع الساعة من الغيب المختصّ بالله ﷻ وحده، ولم يطلع أحدًا عليه، فبعد تكامل علامات القيامة وفي الساعة المحدَّدة المعلومة عند الله ﷻ، والخفيَّة عن عباده أجمعين ستنتهي حياة كلّ من في هذا الكون، ويبقى الواحد الأحد ﷻ، قال تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾** ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وأكّد ذلك الرسول ﷺ عندما سأله جبريل في الحديث المشهور فقال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"[(٢)].

ولهذا البيان والتأكيد عند المؤمن بالغيب أثر في قطع الطمع عن محاولة إدراك وقتها والاشتغال بتحديده، إنما ينشغل بالاستعداد لها، فهي حقّ قريب لا يدري متى يقع، ولذلك لما سأل رجل النبي ﷺ :متى الساعة؟ قال ﷺ :" ماذا أعددت لها؟" [(٣)]ومحاولة الوصول إلى تحديد وقتها انحراف عن منهج الإيمان بالغيب وقع فيه على امتداد الزمان طوائف من الناس، فأجهدوا أنفسهم في حسابات وما خرجوا إلاَّ بظنون وتخرُّصات، وبعض تلك الظنون منسوب إلى أئمَّة فضلاء أخطأوا المنهج[(٤)]!كقول السيوطيّ – رحمه الله وغفر له – إنّ الساعة ستقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف من البعثة النبويَّة[(٥)].

**ج .بيان تفاصيل الحساب والجزاء:**

تضمَّن خبر الوحي عن المصير التأكيد على أن الله عزوجل سيبعث الناس ويوقفهم للحساب والجزاء على ما قدّموه من أعمال، قال تعالى: ﴿ **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ** ﴾

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: ٧٠٠٠، والحاكم رقم:٨٤٦١، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والألباني رقم: ١٧٦٢، وقال: هو كما قالا، السلسلة الصحيحة: ٣٦١/٤

(٢) سبق تخريجه ص١٧٥.

(٣) أخرجه البخاري،كتاب المناقب،باب مناقب عمربن الخطاب،رقم:٣٦٨٨، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب،رقم:٢٦٣٩

(٤) ينظر : "مقدمة ابن خلدون" : ٥٩٠، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٤٢/٤

(٥) ينظر : "الحاوي للفتاوى" للسيوطي : ٨٦/٢، و"لوامع الأنوار البهية للسفاريني" : ٦٦/٢

[التغابن:٧]، ودعاهم إلى الاستعداد له ونبذ الغفلة فهو حق واقع عما قريب: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء:١]. فالحساب والفصل بين الخلائق لابد منه لإقامة العدل وتقرير الجزاء الرباني والفضل الإلهي، قال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧] ففي عرصات القيامة تُنصب الموازين وتُجزى كل نفس بما كسبت إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقد شملت نصوص الوحي تفاصيل كثيرة عن هذا الجزاء(١)، وكل ما أخبرت به النصوص كالميزان والحوض والصراط فهي حقائق وجودية غيبية ينزلها المؤمن بالغيب من نفسه منزل اليقين لإيمانه بصدق المخبر عنها دون أن يشعر بأنَّه محتاج إلى تأويلها وتحريف معانيها كما فعل ويفعل من انحرف عن الإيمان وضلّ عن نور الهداية وصحيح المعرفة.

### د. بيان المستقر ووصف الجنة والنار:

من تمام معرفة المصير معرفة حقيقة الجنة والنار؛فهما من الحقائق الغيبيَّة المهمّة التي تبيّن نهاية مستقرّ الإنسان ووصف تفصيل جزائه على عمله، وقد أخبر الوحي المعصوم عن خلقهما، قال ﷺ: "لما خلق الله الجنّة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنّة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلاّ دخلها. فأمر بالجنّة فحفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضًا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفّت بالشهوات، ثم قال: اذهب إليها فانظر ماذا أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلاّ دخلها"(٢). وقد فصّل خبر الوحي صفاتهما وموجبات دخولهما تفصيلاً كاملاً حتى كأنهما رأي العين لتنزجر نفوس

(١) ينظر لأمثلة هذا "القيامة الكبرى" للأشقر:٧٣

(٢) أخرجه الترمذي،كتاب صفة الجنة، باب حفت النار بالشهوات،رقم:٢٥٦٠ ،قال الترمذي: حسن صحيح، وله أصل عند مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم : ٢٨٢٣

المؤمنين بالغيب عن معصية الله والتعرُّض لأسباب سخطه، فتنجو من النار أو الخلود فيها، وتُقبل على طاعة الله لتحظى بدخول جنة الخلود.

فالنار مكان على الحقيقة وهي مثوى الكافرين يصلَون فيها صنوف العذاب بما قدّمت أيديهم، والجنة مستقرّ حقيقيّ، يدخلها المؤمنون ويتقلّبون في أنواع نعيمها برحمة الله، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧١-٧٣].

وهكذا فقد بيّن خبر الغيب بواضح العبارة وأقوى البرهان حقيقة الموت وأحوال الروح في البرزخ، وأخبار يوم القيامة وحقائق البعث والحساب فالذين آمنوا بالغيب وصدّقوا خبر الوحي المعصوم عليها ازدادوا بمعرفة هذه الغيوب إيمانًا ويقينًا، واستعدُّوا للتعامل معها عند وقوعها على المنهج الذي أخبرهم عنه رسولهم ﷺ وبذلك يصلح دينهم ودنياهم ويسعدوا في أولاهم وأخراهم بخلاف من انحرفوا عن صحيح الإيمان في هذا الباب فوقعوا في أنواع من الضلال ؛ فمنهم من كذّب بهذه الحقائق وأعرض عنها بدعوى عدم حجّية خبر الآحاد في الاعتقاد[١]، فردّوا أكثر خبر غيب المستقبل كأشراط الساعة، وأخبار عذاب القبر والصراط والحوض والميزان ، وردّوا ا أحاديث خروج المهديّ بزعم تناقضها[٢].

---

(١) هو قول مردود؛ فسلف الأمة متفقون على أن الحديث إذا ثبتت صحته ووصل إلينا بطريق صحيح كان موجبًا للإيمان والعمل، قال ابن أبي العز: "خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول؛ عملاً به، وتصديقًا له؛ يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع. شرح الطحاوية لابن أبي العز: ٣٩٩

(٢) ينظر على سبيل المثال: "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا: ٤٩٩/٩، وتعليق أبو عبية على "النهاية في الفتن والملاحم" لابن كثير :٣٧/١، و"لا مهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر" لعبد الله آل محمود، وقد أكد علماء أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا صحة أخبار المهدي، وردوا على المنكرين، ودفعوا مايتوهم من التناقض، ومن المصنفات الحديثة: "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي" للشيخ عبد المحسن العباد.

ومنهم من آمن بهذه الأمور الغيبية لفظاً وكفر بها حقيقة فقال بأنّ الحقائق المذكورة في الآيات والأحاديث ليس المراد بها معانيها الحقيقية، وإنما هي تعبيرات مجازيّة، وهو قول مبنيّ على منهج أهل البدع قديمًا وحديثًا في تحكيم العقل وتقديمه على النقل ، فأولوا خروج الدجال وقالوا : إنما هو رمز لما سيحدث من فشوّ الخرافات والدجل والقبائح[1]، وفسروا الدابّة بجراثيم الأمراض الفتّاكة[2]! وزعموا بأنّ الجنة ونعيمها والنار وعذابها ما هي إلاّ أمور معنويّة ورموز وأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذّة والألم وليست حقائق منفصلة يتنعّم بها ويتألّم بها، كما قال بذلك كثير من الفلاسفة والباطنية والملاحدة ومن تبعهم[3]

ومن مظاهر الانحراف عن الإيمان بالغيب في هذا الباب ؛ عدم الاكتفاء بخبر الوحي في الغيبيات وشغل النفس بالبحث عن تفاصيل لم تتضمنها النصوص كالتنقيب عن مكان وجود النار وأسماء خزنتها وتقسيم الناس على دركاتها ومكان الجنة وغير ذلك،ومحاولة معرفتها من مصادر محرفة أو أسطورية[4]؛ إذ لم يرد في بيانها خبر صحيح.أوشغل النفس بتنزيل أشراط الساعة وعلاماتها على الوقائع الحادثة، أو إشغال النفس والناس بمحاولة تحديد وقتها ففي عصرنا كثرت التنبُّؤات والدعاوى التي تحدِّد زمن الساعة بصورة لم يشهد لها مثيل من قبل؛ وربما كان ذلك لازدياد الشعور بقرب انتهاء الدنيا لدى جميع أصحاب الملل، وبعد الناس عن فهم نصوص الوحي، وعدم وجود منهج بيِّن يُبرز كيفية التعامل مع أخبار الغيب المستقبل، لذا صنِّفت الكتب والرسائل، وأسِّست المواقع الإلكترونية لتحديد موعد القيامة، من أشهرها: تحديد رأس الألفية الأولى للميلاد (عام ٢٠٠٠م) موعدًا لنهاية العالم، حيث عاش جزء كبير من

---

(١) ينظر : "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا : ٣١٧/٣، و تعليق أبوعبية على كتاب النهاية لابن كثير: ١١٨/١

(٢) ينظر : تعليق أبوعبية على كتاب النهاية لابن كثير: ١٩٠/١

(٣) ينظر: "النجاة"لابن سينا: ٢٩٣، و"الرسالة الصفدية"لابن تيمية:٢٤٠، و"مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٣٩/١٣ ويفسرها رواد باطنية العصر الحديث على أنها مجرد حالات وعي خاصة يفرضها الإنسان على نفسه فوجودها ذهني لا عيني حقيقي، ويدللون على ضلالهم هذا من خلال ما يحصل لهم في بعض تدريبات الطاقة البشرية ك(تدريب السفر خارج الجسد) الذي من فوائده -المزعومة- رؤية أي شيء يتمناه الإنسان أو يتخيله كأنه واقع حقيقة بل ولمسه ومعايشته، ويحكون ما وصلوا إليه من لذّات الروح في تجوالهم خارج أجسادهم بينما هم يرون أجسادهم قابعة حيث تركوها !ينظر: التدريب على السفر خارج الجسد للمدربة السعودية مها هاشم على موقعها الإلكتروني الخاص: www.mhahashem.com

(٤) ينظر: "الجنة والنار" للأشقر : ٢٦

العالم في حالة ترقُّب للمتغيِّرات الكونيَّة الهائلة التي ستحدث كما روَّجت وسائل الإعلام، ومضت الدقائق والساعات والأيام والسنوات وكذب الخرَّاصون!

وما زال الحسَّابون والمتنبِّؤون يخرجون كلَّ يوم حسابات جديدة من أحدثها وأكثرها انتشارًا وتداولاً دراسة ظهرت معتمدة على دلالة النصوص الشرعيّة فقط دون مصادر أخرى[١]نشرت(عام ١٤٢٢هـ)بعنوان:(عملية حسابية لنهاية العالم: احذروا)، حدّدت عمر أمَّة الإسلام بمابين (١٤٠٠–١٥٠٠) سنة كحد أقصى انقضت منها ثلاث عشرة سنة قبل بعثة النبيّ ﷺ و اثنتان وعشرون وأربعمئة وألف سنة بعد الهجرة، ومن ثم يبقى منها واحد وستون عامًا يمكن أن تقوم الساعة في أي لحظة منها، لكنها بحسب حساباتهم لا يمكن أن تتعدّاها[٢]! وكما لم يصدُق في الماضي شيء مما حدّدوا، فلن يصدق في اللاحق شيء؛ لأنّ الله ﷻ أراد أن تأتي الساعة بغتة.

ومن مظاهر الانحراف أيضاً؛ العمل على تحقيقها تعجيلاً لقيام الساعة كما حدث ويحدث ممن ينحرفون عن طريق الإيمان بالغيب على امتداد الزمان وعلى رأسهم طوائف اليهود والنصارى الذين حرّفوا كتبهم، فأصبحت عقيدة اليوم الآخر تنحصر في أحداث نهاية العالم حيث جنتهم الموعودة، ومن ثم تولَّوا محاولة صناعة هذه الأحداث لتكون النهاية السعيدة التي ينشدون، فلم يُر في تاريخ البشرية مثل هذا الهوس بعودة المسيح الذي تبنَّته اليهوديَّة والصهيونيَّة والبروتستانيّة[٣]من النصرانيّة بل إنّ الراصدين لحركة السياسة العالميّة يؤكِّدون رسوخ هذه العقيدة لدى أصحاب النفوذ في العالم، ومحاولتهم تحقيقها والسير قدمًا لأول خطواتها وهي هدم الأقصى وتغيير وجه الأرض بحرب نوويَّة شاملة تمهِّد لظهور الملك المنتظر بالنسبة لليهود، ونزول المسيح عليه السلام حيث الجنة الموعودة بالألفية السعيدة على الأرض[٤].وقد أدّى بثّ هذه

---

(١) هذا مما يزيد الأمر سوءً وفتنة للعامة؛ فصاحب الدراسة يذكر أنه لم يعتمد إلا على ما صح من الأحاديث، بخلاف بيانات أمين محمد جمال الذي حدد المواعيد بالاعتماد على مصادر باطلة. ينظرص١٥٢ من هذا البحث.

(٢) ينظر : موقع نهاية العالم على الشبكة العنكبوتية www.asifal3sim.org

(٣) كلمة (بروتستانت) مأخوذة من كلمة Protest أي الاحتجاج، والكنيسة البروتستانتية هي إحدى الكنائس الكبرى في النصرانية اليوم، أنشأها النصارى الذين احتجوا على الفساد الكنسي باسم الإنجيل والعقل، ودعوا إلى إصلاح الكنيسة الكاثوليكية، ثم تحولوا إلى حركة عقدية مستقلة ومناهضة لها، وتسمى بالإنجيلية لأن اتباعها يتبعون الإنجيل دون غيره من المصادر المقدسة في النصرانية. ينظر:"محاضرات في النصرانية"لأبي زهرة:١٦٧. و"المسيحية" لأحمد شلبي:٢٤١

(٤) ينظر : "الحقيقة بين النبوءة والسياسة" لمحمد الحافظ :٢٤٠، و"يوم الغضب" لسفر الحوالي : ١٧

المعتقدات في العالم بقوّة الإعلام الذي يسيطر عليه مناصروا هذا المعتقد إلى تأثّر طوائف من المسلمين به، فازداد عدد مدّعي المهدويّة أو المخبرين عن رؤيتهم للدابّة يقظة أو منامًا، والمفسّرين لعلامات الساعة بآرائهم وظنونهم، وغير ذلك مما لا يعصم منه إلاّ العودة إلى أصول الإيمان بالغيب ومنهجه بينته النصوص الكريمة وسار عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم.

ومن أعظم الضالِّين في حقيقة المصير القائلون بالتناسخ فقولهم هذا نتاج بحثهم بعقولهم وما زعموه من إشراقات تجلّت لبواطن نفوسهم، وما آمنوا به من الأساطير المتوارثة. وعقيدة تناسخ الأرواح هي الاعتقاد بانتقال الروح بعد الموت من بدن إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذّب جزاء سلوك صاحبها الذي مات بدنه فتكفّر سيئاتها وتكتسب ما يكملها في حياتها الجديدة وهكذا حتى تتطهّر فتنعتق من تكرار المولد(١).

وأصل القول بالتناسخ مأخوذ من ملل الهند فهو عَلَم على الهندوسية والبرهمية وتشير دراسات الباحثين إلى أنّه معتقد الطاويين وقدماء الفراعنة واليونانيِّن والفرس كذلك، وقد تسرّبت ضلالته إلى بعض اليهود والنصارى، وبعض المنتسبين للإسلام(٢) لما انحرفوا عن معاني الإيمان بالغيب، وحادوا عن منهج معرفة حقائق الغيب ومصادره الصحيحة.

(١) ينظر:"منو اسمرتي" تعريب إحسان حقي: ٦٨٦، و"المعجم الفلسفي" لصليبا:٣٤٦/١، و"تناسخ الأرواح" لمحمد الخطيب : ١٤-٢٩

(٢) منهم طوائف من الفلاسفة والحلولية والرافضة، ينظر: "الفرق بين الفرق" للبغدادي: ٢٤٠

# المبحث الثالث

# أثر الإيمان بالغيب في معرفة الإنسان نفسه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معرفة حقيقة النفس الإنسانية.

المطلب الثاني : معرفة المؤثرات الغيبية على النفس.

# المطلب الأول
# معرفة حقيقة النفس الإنسانية

من مطالب الإنسان المعرفيَّة المهمَّة معرفة حقيقة النفس ومكوِّناتها؛ إذ على هذه المعرفة يبنى منهج تزكيتها وطريق سياستها، والإنسان وحدة متكاملة قائمة على تداخل كثير من الصفات والدوافع والغرائز، والامتزاج بين الجسد والروح والعقل والقلب والفؤاد، في تشابك دقيق الحبكة شديد التعقيد بين المادة والروح؛ لذا كان من الصعوبة الوصول إلى معرفة حقيقتها وماهية مكوناتها وأسرار نوازعها وشهواتها بدلالات الحسّ أو العقل فقط؛ إذ هي معرفة لا تقف عند ما يشاهد ويُحسّ، بل لها متعلّقات كثيرة بأنواع من الغيب.

ومن هنا كانت مكونات النفس الإنسانيّة منها ما يمكن استكشافه بالمنهج العلميّ التجريبيّ لكونه في متناول الحواسّ وإدراك العقل، كصفات البدن وخصائصه الظاهرة، ومنها أمور خفيّة كدوافع السلوك التي وقف العلم فيها عند حدود وضع فروض لتفسيرها بناء على ما يرى من مشاهد، وتتفاوت هذه الفروض في مصداقيّتها وكفايتها بحسب تطبيقها للمنهج العلميّ الصحيح، ومنها ما هو أخفى من ذلك ولا سبيل إلى معرفته بيقين إلاّ من طريق الوحي، وقد حاول من تبنَّوا ما سمّي بـ(الباراسيكولوجي) أي: علوم ماوراء علم النفس؛ أن يبحثوا هذه الجوانب معتمدين على مصادر الفلسفات الروحانيّة والتجربة الذوقيّة، فكان نتاج ذلك مزيجًا من التصوُّرات لا تخرج عن تصوُّرات المعتقدات الوثنيّة إلاّ أنها أُظهرت على أنها كشوف العلم، وعُقدت من أجل تأكيد ذيّاك الادعاء مؤتمرات وندوات مما ضلّل بعض الناس عن حقيقة زيفها[1] .

---

(١) لذا لا يخفي صلاح الجابري أحد مروجيها غبطته حين يقول: "إن الاعتقادات الدينية والصوفية حول العالم اللامادي وتأثيره على العالم المادي التي رفضت سابقًا من قبل أكثر العلماء دون فحص أو اختبار تجريبي نراها اليوم تترسخ جيدًا على قاعدة تجريبية " خارقية الإنسان : ١٩٨، وإذا كان المقصود بالرافضين علماء الإسلام فإن ما رفضوه إنما كان بعد فحص وعرض على الكتاب والسنة وثوابت الاعتقاد، فالاعتقادات الدينية الصحيحة المبرهن عليها بصحيح النقل وصريح العقل لم ترفض ألبتة إلا عند مبتدع، أما إذا كان المقصود بالرافضين من العلماء غير المسلمين فهؤلاء كان رفضهم لأسباب أهمها تاريخ الصراع المعروف بين العلم والدين في النصرانية. والأمر المهم أن محاولة ترسيخ الباطل على أسس تجريبية هو ما يسعى إليه أهل الباطل اليوم، وهو ما ينبغي الانتباه إليه من قبل علماء المسلمين تمييزًا للحق من الباطل.

بينما تضمّن خبر الوحي أكمل تعريف للإنسان بحقيقة نفسه ومكوّناتها، وما يؤثِّر فيها من عوالم الغيب، وهو تعريف لا يتوصَّل إليه إلاَّ من هذا الطريق فالعلاقة بين ما ندركه من خصائص النفوس وأنواع السلوك المشاهد وبين ما نؤمن به من الغيب علاقة نعجز عن تمام إدراكها، ويظلّ المصدر الوحيد للحقّ فيها هو ما أخبر به العالم بها ﷻ[1].

ويمكن أن نستخلص من حديث الوحي عن النفس مسائل مهمَّة تتحدَّد في ضوئها ملامح حقيقة النفس الإنسانية :

**المسألة الأولى:** الإنسان مخلوق مكرم، خلقه الله في أحسن تقويم منذ نشأته الأولى، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠** ﴾ [الإسراء:٧٠] وقد سبق بيان هذا مفصَّلاً عند الحديث عن أصل النشأة.

**المسألة الثانية:** أن للإنسان بدن مزود بأدوات تمكنه من الحياة وفق الغاية التي خلقه من أجلها الله، والبدن هو الجسد[2] والجسم[3]، والبدن معروف محسوس وقد ورد ذكره في القرآن قال تعالى: ﴿ **فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ** ﴾ [يونس:٩٢] أي: بجسدك[4]، كما ورد ذكر أنواع القوى والحواس التي زوّد الله الأبدان بها كالسمع والبصر، وذكره رسول الله ﷺ ووجه إلى حقّه: "وإن لجسدك عليك حقًّا"[5] وذلك بمراعاة طيب المطعم والملبس والاهتمام بالطهارة الحسية والمعنوية، وسائر الحاجات الفطرية السويّة، فالمؤمن بالغيب يعدّ جسده نعمة من الله ﷻ، عليه أن يعتني به، ويقوم بحقوقه عليه؛ ليقوى على القيام بحقّ العبوديّة لله ﷻ، بخلاف من يعتقد بأوهامه وظنونه أنّ الجسد بمثابة السجن للروح، ويجب السعي للانعتاق منه بتعذيبه أوإماتة شهواته واستحقار مطالبه الفطرية، كما يدين بذلك أصحاب الوثنيّات الشرقيّة ومن تأثّر بهم

---

(١) ينظر للفائدة : "التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية" لمحمد توفيق : ١٢١ وما بعدها، أبرز فيه طريقة القرآن في التعريف بالنفس مبينًا تخبط كثير من مدارس علم النفس في النظريات والفرضيات العقلية.

(٢) لسان العرب لابن منظور : جسد : ٤٧/١٣

(٣) "المعجم الفلسفي" لصليبا :٤٠٢/١

(٤) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ١١٢

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصوم ،باب حق الجسم في الصوم ،رقم:١٩٧٥ ومسلم،كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر، رقم: ١١٥٩

من صوفيّة وفلاسفة.

والمعارف المتعلِّقة بالبدن وقواه أكثرها ظاهرة في متناول معرفة الإنسان ومشاهداته، كالحواس وقواها المختلفة التي يتوصل الإنسان بها إلى معرفة كثير من حقائق عالم الشهادة كما أنّ العلم الحديث قد كشف كثيرًا من مغيّبات الجسم وأسرار أجهزته الداخليّة حتى أصبح باطن الجسد كظاهره، لاسيما لأهل التخصُّص في الطبّ والتشريح ممن يملكون أدوات كشف هذا الغيب النسبيّ [١].

**المسألة الثالثة:** للإنسان نفس وروح وعقل وقلب وفؤاد، وهذه الأسماء الخمسة وردت في نصوص الوحي ولم يحدِّد الوحي مدلولاتها بصورة دقيقة، إنما ذكر عنها ما يكفي لصلاح حياة الإنسان ومعاشه ودفعه إلى العمل وتحقيق العبوديّة لله تعالى، وإجمال ما ورد في التعريف عنها هو التالي:

أولاً: النفس: وردت لفظة النفس في نصوص الوحي بمعنى ذات الشيء وحقيقته[٢]، ونفس الإنسان بهذا المعنى جملته من الجسم والروح، فتكون مرادفة لمعنى الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾ [السجدة:١٣]، وقوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦]. وقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٣].

كذلك وردت بمعنى الروح التي بها تحصل الحياة للبدن[٤]، وإذا فارقته حلّ به الموت، تقول العرب: خرجت نفس فلان، أي: روحه[٥]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**

---

(١) من المعلوم أن دقائق تكوين جسد الإنسان وأجهزته المختلفة قد كشف أكثرها العلم الحديث بوسائله المختلفة، فبالتشريح وأنواع التصوير والأشعة أصبح باطن الجسد كظاهره، إلا أن الإنسان ليس جسدًا فقط، فالروح والعقل والنفس والنوازع وغيرها أمور لها جوانب غيبية كثيرة ليست كلها من قبيل الغيب النسبي؛ لذا لا تعرف حقيقتها بيقين إلا إذا أخبر عنها الوحي، وكلّ محاولات كشفها وإدراك حقائقها بوسائل العلم البشريّ مجرد تخرّصات أوضلالات مبنيّة على ما يدعى من تشريح الروح أو الجسم الأثيري في فلسفات الديانات الشرقية.

(٢) "لسان العرب" لابن منظور : نفس : ٢٣٣/٦

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،رقم: ١٣، ومسلم،كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ،رقم :٤٥

(٤) ينظر : "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : ٨١٨

(٥) "لسان العرب" لابن منظور : نفس : ٢٣٣/٦

﴿ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة:٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام:٩٣]، وقوله ﷺ: "ألم تر إلى الإنسان إذا مات شخص بصره، قالوا: بلى، قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه"[١]. والروح بهذا المعنى ذكرت أحيانًا ببعض صفاتها كالإحساس والإدراك الذي ينتفي أو يضعف بالمفارقة الجزئيّة للبدن في النوم: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]. أوبالدعوة إلى الخير والشرّ التي يجدها الإنسان في نفسه كما في قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة:٣٠]، وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف:١٨] .

والنفس بمعنى الإنسان يقابلها في القرآن الكريم الآفاق، وبمعنى الروح يقابلها الجسد[٢]. وزوال النفس بمعنى الروح يكون بزوال الحياة وحدوث الموت ، أمَّا زوال العقل فهو زوال صفة من صفات النفس[٣].

وقد وجّه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى التأمُّل في خلق النفس، قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١]، وبيَّن أنَّ غاية التوجيه إلى هذا التفكُّر هي الاعتبار وتبيُّن الحقّ ومعرفة الخالق جل وعلا : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]، وكذلك الانتفاع بما زوَّد الله به النفس من الصفات واستعمالها فيما شرع الله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد:٨-١٠]،والعمل على تزكيتها بما شرع الله ،قال تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠]

ثانيًا: الروح، وقد ورد ذكره في القرآن والحديث على معان عدّة، ما يتعلق منها بموضوع التعريف بالنفس: أنّ الروح هو ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة[٤]، وفُسِّر الروح بأنه النفس،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه،رقم :٩٢١

(٢) ينظر : "التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية" لمحمد توفيق : ٦٥. وتطلق النفس في اللغة أحيانًا على معنى الجسد، ذكره ابن منظور في "لسان العرب"لابن منظور : نفس : ٢٣٥/٦

(٣) "لسان العرب" لابن منظور : نفس : ٢٣٤/٦

(٤) ينظر : "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي : ٣٢٤/١٠

أو ما به تحيا النفس[١]فيكون الجزء الذي تحصل به حياة النفس وحركتها، واستجلابها المنافع واستدفاعها المضارّ[٢].وقد فرّق بعض العلماء بين الروح والنفس فجعلوا لكل واحدة منها حقيقة مستقلة بينما الأكثر على القول بأن النفس والروح لفظتان مشتركتان يُفهم المراد منهما بحسب السياق[٣]، وأصح ماقيل في هذا الشأن أن« غالب ما يسمّى نفسًا إذا كانت الروح متّصلة بالبدن، وأمّا إذا أخذت مجرَّدة فتسمية الروح أغلب عليها»[٤].

إلا أن حقيقة الروح وماهية ماخلقت منه وكنهه في علم الله ﷻ، لم يخبر به فيما حفظ لنا من الوحي المعصوم، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥][٥].وقد حاول كثير من الناس وضع تعاريف تبين كيفية الروح ومكان وجوده قديمًا وحديثًا، فمنهم من قال: «هو جسم نورانيّ علويّ خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء»، ومنهم من قال: إنه اعتدال الطبائع[٦]، و«منهم من قال: إنه جزء لا يتجزّأ في القلب. أو قال: إنّه جسم هوائيّ في القلب. أو قال: إنّه جسم هوائيّ في الدماغ، أو قال: إنه قوّة في الدماغ وهو مبدأ الحسّ والحركة. أو قال: إنَّه أجزاء نارية وهي المسمَّاة بالحرارة الغريزيَّة، أو...أو.... » [٧].

ومهما وضعوا من حدود فهي لا توضّح حقيقة الروح الغامضة المبهَمة لكون الروح أمرًا من عالم الغيب مجهولاً عندنا وإن كانت آثاره ظاهرة مدرَكة[٨]،ولا نظير للروح في عالم الشهادة؛ لذا فالأولى الوقوف في الحديث عنه وتصوّره عند حدود ما أخبر به الوحي المعصوم ، فالإبهام في حديث الوحي عن الروح مقصود؛ ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه

(١) ينظر : "تفسير ابن كثير" : ٥٦/٣، و"لسان العرب" لابن منظور : روح : ٤٦٢/٢

(٢) ينظر : "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : روح : ٣٦٩

(٣) ينظر : "المعجم الفلسفي" لصليبا: ٦٢٥/١، ٤٨٢/٢، و"الفصل في الملل والنحل" لابن حزم : ٤٧/٥

(٤) "شرح الطحاوية" لابن أبي العز : ٤٤٤

(٥) وذكر القرطبي أنه قول ذهب إليه أكثر المفسرين، ينظر : "الجامع لأحكام القرآن":٣٢٤/١٠

(٦) ذكرهم ابن القيم في "الروح" : ٥٧٩/٢، وعزا الأول للرازي وقال إنه القول الصواب الذي لا يصح غيره. ينظر للمزيد :" مقالات الإسلاميين" للأشعري : ٣٣٣

(٧) "الفلسفة القرآنية" للعقاد : ١٢٣

(٨) ينظر :"منهج التربية الإسلامية" لمحمد قطب : ٤٢/١

مع علمه بوجودها[١]، فيفتقر أكثر لعالِمِ الغيب والشهادة سبحانه الذي عرّفه ما يحتاجه من أمر الروح ويتجه إليه عابداً ذليلا.

ثالثًا: العقل، ومعنى أصل مادته في اللغة : الحبس والمنع ، وسمي عقل الإنسان عقلا لأنه يعقِله؛ أي يمنعه من التورط في الهلكة[٢]،وهوالحِجْر والنُّهى[٣]، ويطلق على الهيئة المحمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته، ويطلق على المعاني المجتمعة في الذهن، التي تكون مقدِّمات تستَنبط منها الأغراض والمصالح، وكذلك يطلق على القوَّة المتهيئة لقبول العلم التي يدرِكِ الإنسان بها صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها[٤].

وهو عند أكثر الفلاسفة جوهر بسيط مقارن للمادة، يبقى بعد موت البدن[٥]، وهو خطأ ظاهر رد عليه ابن تيمية فقال: « العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائمًا بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد:١٧] »[٦].

والعقل هو مما فضَل الله به الثقلين على أهل الأرض، وهو محل التكليف والأمر والنهي، وبه يكون التدبير والتمييز، وقد أمر الله الناس بإعماله في التفكر في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم ، والتدبر والاعتبار لتحقيق العبودية له طاعة واختيارًا، وهذا هو ما يدل عليه مجموع خبر الوحي عن العقل، أمّا ماهيّة العقل ، ومكانه ، أهو القلب أم الدماغ؟ فلم يرد في ذلك نصّ معصوم، ولم يقطع بشيء فيه أهل العلوم التجريبيّة، والأبحاث التي أجريت على الدماغ توصَّلت إلى عديد من النتائج حول مراكز الإدراك المختلفة كالتذكُّر والتفكير والإبداع وغير ذلك مما قد يفيد أهل الطبّ وغيرهم، إلاّ أنّ الوحي قد أخبر عامة الناس بكل ما يكمّل معرفتهم بأنفسهم ويعينهم على تحقيق العبودية لله رب العالمين وملخصه أنّ الله ﷻ قد أنعم على الإنسان بالعقل الذي يستطيع به أن يفكر ويدرك ويعتبر، ودعاه إلى تسخيره فيما خُلق

(١) ينظر : "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي : ٣٢٤/١٠

(٢) ينظر:"مقاييس اللغة" لابن فارس:٩/٤

(٣) "لسان العرب" لابن منظور : عقل : ٤٥٨/١١

(٤) ينظر : "معيار العلم" للغزالي : ١٦٢ ، و"مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني:٥٧٧

(٥) ينظر : "المعجم الفلسفي" لصليبا: ٨٥/٢

(٦) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٨٦/٩

لأجله، وحرَّم تعطيله وكلّ ما يحول دون أداء وظيفته أو يضعفه كالمسكرات ومافي حكمها ويجري مجراها.

رابعًا: القلب: وهو في اللغة :الفؤاد، وقد يُعبَّر به عن العقل[١]، هو مضغة من الفؤاد معلَّقة بالنياط، ويعرفه علماء تشريح البدن بأنه: عضو صنوبريّ الشكل، مودع في الجانب الأيسر من الصدر يستقبل الدم من الأوردة، ويدفعه في الشرايين.

والقلب عند الفلاسفة يطلق على الروح، أو النفس، أو على تلك اللطيفة الربانية التي لها بالقلب الجسمانيّ تعلّق، ووظيفة القلب عندهم إدراك الحقائق العقليّة بطريق الحدس والإلهام، لا بطريق القياس والاستدلال[٢].

وقال ابن العربي: « القلب جزء من البدن، خلقه الله وجعله للإنسان محل العلم والكلام وغير ذلك من الصفات الباطنة...والقلب يتقلب بين الخواطر الحسنة والسيئة »[٣]،

وقد ذُكر القلب كثيراً في نصوص الوحي كتاباً وسنة ، وتدور معانيه في القرآن حول الروح والعلم والعقل والشجاعة كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب:١٠] أي: الأرواح، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]أي: من كان له علم وفهم[٤] ، أو:عقل[٥].

وهو في حديث رسول الله ﷺ مضغة عليها مدار صلاح الجسد ، فقد قال عليه السلام:"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[٦] قال ابن حجر : « وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة ...والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركبه الله فيه . ويستدل به[أي الحديث]على أن العقل في

(١) ينظر :"القاموس المحيط":قلب:١٢٣/١

(٢) ينظر : "المعجم الفلسفي" لصليبا: ١٩٨/٢ ، و"إحياء علوم الدين" للغزالي: ٤/٣

(٣) ذكره ابن حجر في "فتح الباري":٢٥٧/١١

(٤) ينظر : "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : قلب : ٦٨١

(٥) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي: ١٨٩/١، و"تفسير ابن كثير":٢٢٩/٤

(٦) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان،باب فضل من استبرأ لدينه،رقم:٥٢

القلب » [١] ، وأقول : لعل إبقاء المراد على عمومه أولى فصلاح البدن مداره على صلاح القلب بمعناه الطبي المادي كما هو معروف عند أهل طب الأبدان، فيكون القلب مدار صلاح الأبدان والعقول والنفوس،والله أعلم .

وقد دعا الله عزوجل إلى تخليص القلوب من الشرك والشك والحرص على سلامتها وحمايتها من المرض والفساد، فعليها يعّل في صلاح سائر العمل، والنجاة يوم القيامة قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩** ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] والقلب السليم هو: السليم من الشرك، وهو الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة وقلب المؤمن،لأن قلب الكافر والمنافق مريض[٢].

وكذلك دعا رسول الله ﷺ إلى البعد بها عن مواطن الفتن،فقال: "تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين :قلب أسود مرباد[٣] كالكوز مجخياً[٤]،لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض"[٥]، وبيّن ﷺ أن القلب يتقلّب بين الهدى والضلال، والطاعة والمعصية، بقوله:"إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد،يصرّفه حيث شاء"، ثم قال عليه السلام:" اللهم مصرّف القلوب،صرّف قلوبنا على طاعتك"[٦].

خامسًا: الفؤاد:وعُرِّف بأنّه القلب، وقيل: سويداؤه[٧]،قال تعالى: ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ** ﴾ [الأنعام:١١٠]، وكان أكثر يمين رسول الله ﷺ: "لا ومقلب القلوب"[٨]، فالقلب يقال له فؤاد إذا نُظر فيه إلى معنى التفؤُّد، أي: التوقّد[٩]، وإذا ذُكر القلب والفؤاد معًا كما في

(١) "فتح الباري" لابن حجر:١/١٧١

(٢) ينظر: "فتح القدير" للشوكاني:٤/١٠٦

(٣) من الرَّبدة :لون أكدر، والمرباد: شبه البياض في سواد، ينظر: "صحيح مسلم بشرح النووي":٢/١٧٥

(٤) أي منكوساً فلا يعلق به خير ولا حكمة، ينظر: المرجع السابق

(٥) أخرجه مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا،رقم:١٤٤

(٦) أخرجه مسلم،كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف يشاء،رقم: ٢٦٥٤

(٧) "لسان العرب" لابن منظور : فأد : ٣/٣٢٩

(٨) أخرجه البخاري،كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم :٦٦٢٨

(٩) "مفردات ألفاظ القرآن" للأصفهاني : فأد : ٦٤٦

الحديث: "أتاكم أهل اليمن، هم أرقّ قلوبًا، وألين أفئدة"(١)، فذلك على سبيل التأكيد، وقيل: إنه ﷺ وصف القلوب بالرقّة، والأفئدة باللين فكأنّ القلب أخصّ من الفؤاد في الاستعمال(٢)، قال ابن كثير: أفئدتهم أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم، ففسر الأفئدة بالقلوب التي تعلم وتفقه والعقول التي تتفكر وتتدبر(٣).

وقد تكلم بعض العلماء في الفرق بين العقل والفؤاد، وهل محل العقل القلب أو الدماغ. وما يهمنا في باب الإيمان أن الله زودنا بقلوب وعقول وأفئدة تعي وتفقه وتتفكر وتتدبر وأننا مسؤولون عنها بتطبيق منهج الله ﷻ، وليس وراء البحث في كونها في الدماغ أو في القلب بالمعنى البيولوجي (العضلة) طائل يزيد إيماننا أو يدلنا على منهج لتزكية النفس.

فهذه الأمور الخمسة هي ألفاظ مشتركة تدلّ على معان متقاربة لذا لم يبذل أئمة المؤمنين بالغيب جهودًا في التفريق بينها والاشتغال بوضع حدٍّ جامع مانع لكلّ لفظة –إلاّ شيئًا يسيرًا ورد ضمن تأملاتهم في نصوص الوحي والجمع بينها للتفسير والبيان، أو في معرض ردودهم على أهل البدع – ليقينهم بكمال ما أنزل الله إليهم واشتماله على كلِّ ما تشتدّ إليه حاجتهم، وليقينهم بأنّ نبيّهم ﷺ قد اكتمل في حقّه قوّة البيان وقوّة الحرص على نفع الناس وهدايتهم، والنفس والروح والعقل والفؤاد والقلب مما توجّهت إليه تكاليف الشريعة بالأمر والنهي، فمن المؤكّد أنّ ما ذُكر في النصوص عن هذه الأمور هو ما يكفي الناس ليقوموا بماهم مكلّفين به من العبودية لله عزوجل على الوجه المحبوب له والمرضي عنده.

فالنفس الإنسانيّة مكوّنة من بدن وروح كلاهما مخلوق(٤)، وسلوك الإنسان حصيلة هذين المكونين معًا، والعقل والقلب والفؤاد صفات متنوّعة للنفس الإنسانيّة يحصل بها الإدراك وتمييز الخير من الشرّ، سواء ترادف معنى العقل والقلب والفؤاد أم تغاير، وسواء أكان محلّها العضلة الصنوبرية في الصدر أم كانت في تلافيف الدماغ؛ إذ غاية المعرفة عند المؤمنين بالغيب

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب المغازي،باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن،رقم: ٤٣٨٨، ومسلم،كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن،رقم :٥٢ .

(٢) ينظر : "لسان العرب" لابن منظور : قلب : ٦٨٧/١

(٣) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير : ١٤٦/٢

(٤) مسألة الروح: أمخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ مسألة تكلم فيها طوائف من المتكلمين، وأكد أكابر العلماء أنها مخلوقة كسائر المخلوقات، وصنفوا في الرد على من يزعم أنها غير مخلوقة، ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢١٦/٤

أداء حقّ العبوديّة لله عزوجل، وهذا إنما يتحقق بمتابعة الأمر والنهي الذي جاءت بها النصوص لا بالتمحُّل في معرفة حدود الألفاظ المشتركة التي قبِلها أكمل الناس عبوديّة وأرحم الناس بالأمة – عليه الصلاة والسلام– على ماهي عليه ولم يفسِّرها بغير لفظها أو يندب إلى هذا. والأمر بالتفكُّر في النفس الذي أمر به القرآن والسنة يتجه إلى النفس بمعناها العامّ الذي يقابل الآفاق، فهذا هو الذي يوصل إلى الاعتبار والانتفاع، وبهذا شهدت سنَّة رسول الله ﷺ القوليّة والعمليّة.

والتفكُّر في جوانب النفس المتعلقة بعالم الشهادة إذا اتبّع منهجاً صحيحاً حقّق الانتفاع في مجالات مختلفة في الحياة، ومن ذلك النظر في بدن الإنسان وأجهزته الداخلية والخارجية ، فإنه أنتج كثيراً من العلوم التي سارت على منهج تجريبي صحيح فانتفع بنتاجها الإنسان ك(علم التشريح) الذي نتج عن التفكُّر في الإنسان كيف هو؟ و(علم وظائف الأعضاء) الذي رصد كيف يعمل البدن؟و(علم الأجنّة) الذي بحث في الإنسان كيف يتكوّن؟ وكذلك (علم الطب) الذي تتبع كيف يمرض الإنسان وكيف يصحّ؟[١].وكذلك مجالات النفس الخفيَّة فإن ملاحظتها والاهتمام بها أنتج علوماً نافعة تدل على طريقة تربيتها ومنهاج تزكيتها ولكن هذا المجال لكونه متعلقًا بالغيب كثيراً فقد كان من مهمات الوحي الدلالة عليه وكل دراسة كان منطلقها نصوصه كانت إلى الحق أقرب[٢].

بينما أدّى الانحراف عن الإيمان بالغيب وعدم انتهاج المنهج العلميّ الصحيح سواء فيما هو من عالم الغيب أو من عالم الشهادة إلى متابعة من دخلوا ساحات جدل عقيمة حول تحديد ماهية الروح؟ وممَّ تتكون؟ وهل هي النفس؟ وما القلب؟ وأين يقع؟ وما الفؤاد؟ وما العقل؟وغير ذلك؛ فاضطربت أقوالهم وكثُر خطؤهم[٣].

ومع أن التراث المعرفي المستمد من الوحي المعصوم بيّنٌ أوضح البيان وغني كل الغنى بأصول ما يعرّف الإنسان بنفسه وقواه الظاهرة و الخفيَّة إلا أن عقدة المفتونين بالعقل والمهووسين بالغرب من المسلمين جعلتهم يلتمسون ذلك فيما شاع هناك باسم (الأبحاث

(١) ينظر : "التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية" لمحمد توفيق : ٦٨

(٢) ينظر تفصيل أثر الوحي في إصلاح النفس هذا الموضوع في المبحث التالي.

(٣) لتفصيل أقوالهم ينظر : "الروح" لابن القيم : ٦٥٨/٢ –٦٦٤، و"مقالات الإسلاميين" للأشعري : ٣٣٣

الروحية) (١) فنظروا إليها على أنها حقائق علمية أوخلاصة حضارة شرقية عريقة ، وأعطوا لأباطيلها وتخرصات أهلها ما لم يعطوا لمحكمات الكتاب وقواطع السنة ومن ذلك القول بتعدُّد أجساد الإنسان،وقد يسمونها (الأبعاد) أو (الطاقات) للقطع بأنها اكتشافات علميّة(٢)، وهذا القول حقيقته بعث لفلسفة الأجساد السبعة(٣) المعروفة في الأديان الشرقيَّة، ومفادها أنّ النفس الإنسانيّة تتكوَّن من عدَّة أجساد اختلفوا في عدِّها ما بين الخمسة إلى التسعة بحسب وجهات نظر فلسفيّة تتعلّق بمعتقدهم في ألوهية الكواكب أو المؤثرات الخارجية. والمتَّفق عليه من هذه الأجساد: الجسم البدنيّ أو الأرضيّ، والجسم العاطفيّ، والجسم العقليّ، والجسم الحيويّ، والجسم الأثيريّ(٤)، فالجسم البدنيّ هو الظاهر الذي نتعامل معه وتنعكس عليه حالات الأجساد الأخرى، والجسم الأثيري هو أهم هذه الأجساد وأساس حياتها وهو منبع صحة الإنسان وروحانيته وسعادته!(٥).

وهكذا تخبَّط الباحثون عن حقيقة النفس الذين انطلقوا على غير هدى من الوحي، ودون الاسترشاد بنصوص النقل الصحيح فظنّ بعضهم أساطير الأولين حقائق بنى عليها تصوراته فنظر إلى الإنسان على أنه المعنى القائم بالبدن دون أن يكون للبدن دخل في مسماه(٦)، ونظر آخرون أنّ الإنسان هو ذلك الجسد الذي يراه، أو السلوك الذي يلاحظه

---

(١) فيقولون أن معلوماتهم قامت على أساس شهادات موثقة من الأشخاص الذين انتقلوا إلى عالم الروح بالموت أو بقطع مسافة كبيرة إليه ثم عادوا إلى الحياة وذلك من خلال الجلسات الروحية ، انظر: "عالم الأرواح" لمحمد حيدر:٩٨

(٢) ينظر : "الوجوه الأربعة للطاقة" لرفاه السيد : ١٣

(٣) غالبًا يكتفي المتبنون لهذه الفلسفة من المسلمين بذكر اثنين فقط:الجسم البدني والأثيري الذي يعدونه الروح، ينظر : "عالم الروح بين الطاقة والمادة" لعبد التواب حسين : ٣٤،٨١

(٤) القول بالجسم الأثيري مبني على نظرية قديمة تفترض وجود مادة الأثير، وهي مادة مطلقة قوية غير مرئية تملأ الفراغ في الكون، سماها أرسطو العنصر الخامس، وعدّها عنصرًا ساميًا شريفًا ثابتًا غير قابل للتغيير والفساد، ينظر : "موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمن بدوي :١١٢/١. وقد أثبت العلم الحديث عدم وجود الأثير، ولكن الفلسفات القديمة المتعلقة بالأثير بقيت كما في الفلسفات المتعلقة بالعناصر الخمسة أو الأربعة .

(٥) ينظر : "اعرف روحك" لعلي راضي :٥٣، و"ظواهر الخروج من الجسد" لرؤوف عبيد : ١٧، و
-The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p.20,33

(٦) ينظر : "النفس والعقل" لمحمود قاسم :٢٣،و"الجديد في الحكمة" لابن كمونة :١١٥ ، وأول من قال بهذا= =الفلاسفة الإلهيون، وخلفهم في العصر الحديث الفلاسفة الباطنيون الذين يرفضون خبر الوحي المعصوم ، ويرفضون المنهج العلمي المعروف، ويدعون إلى منهج للمعرفة يسمونه (العبرمنهجي) Transdisciplnarity، وسمة هذا المنهج النظر بانفتاح إلى الأساطير والحكمة المنقولة!وجعل رموزها أسسًا للمعرفة الشاملة عن النفس، وقد عقد مؤخرًا في البرتغال المؤتمر

فقط؛ لذا لم يصحّ كثير مما أفنى فلاسفة علم النفس أعمارهم بحثًا في دراسته إلاّ ما خضع لمنهج استدلال علميٍّ دقيق بشروطه[(١)].

العالمي الأول للعبرمناهجيين في ٢-٧ تشرين الثاني ١٩٩٤م حيث تمت صياغة وتوقيع ميثاق العبرمناهجية .

(١) ينظر تفصيل هذا وأمثلته في كتاب : السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي لإبراهيم السرخي : ١٤٥، والتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية لمحمد توفيق : ١٢٣

# المطلب الثاني
# معرفة المؤثرات الغيبيَّة في النفس

يتكوَّن الإنسان من عناصر من عالم الغيب وعناصر من عالم الشهادة، وهو يتأثَّر بأمور كثيرة من عالم الغيب وعالم الشهادة على حدٍّ سواء، ويمكن رصد الأمور المحسَّة الظاهرة التي تؤثِّر في الإنسان والتعرُّف عليها من خلال الحسِّ والعقل بمناهج الملاحظة والتجريب، أمَّا الأمور الغيبيَّة التي تؤثِّر فيه فهي وإن أدرك الإنسان آثارها إلاَّ أنَّه لا يستطيع أن يعرف كنهها على الحقيقة أو يفسِّر تأثيرها تفسيرًا كاملاً لكونها خارجة عن إطار قدرته ومواهبه المتعلِّقة بالعلم والمعرفة، وقد ساق الله ﷻ لعباده المؤمنين ما يهمّهم من أمر المخلوقات الغيبيَّة المؤثِّرة فيهم لتكتمل معرفتهم بأنفسهم ويستطيعوا تمييز هذه المؤثِّرات والتعامل معها كما شرع لهم، وأهمّ هذه المؤثرات هي عالم الملائكة وعالم الجنّ لصلة الإنسان الوثيقة بهما في كلِّ أمور حياته ، فعالم الملائكة الأبرار عالم غيبيّ حقيقيّ موجود، دلّ عليه الخبر الصادق المتواتر عن الله ﷻ وعن رسوله الأمين ﷺ، والمؤمنون بالغيب عرفوا من الوحي أنّ للملائكة علاقة بالإنسان فمنهم مكلفون بمراقبة عمله وإحصائه: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٧-١٨]. ومنهم المكلفون بحفظه في مراحل حياته وأحوالها إلاَّ مما قدّر الله عليه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]. ومنهم من يقبض روحه عند الموت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] .

وعالم الجنّ والشياطين عالم حقيقيّ أيضًا عرفهم المؤمن بالغيب من خلال نصوص الوحي المخبرة عنهم، فعرف أنهم موجودون وأنهم مكلَّفون مثله بالإيمان، وأنّ منهم المسلمين، ومنهم الفاسقين والكافرين، وعرف أنهم يخالطونه في مسكنه ومشربه ومأكله ويرونه من حيث لا يراهم إلاّ أن يحجزهم بذكر الله ﷻ، وعرف كذلك أنّ منهم إبليس اللعين الذي يناصب بني آدم العداء، ويتربّص بهم ليغويهم ويضلّهم عن طريق الحقّ والهداية، وعرف من صفاته وجنده ما يستطيع به أن يتوقّى شرّهم وفتنتهم بإذن الله.

وقد جعل الله ﷻ لكل إنسان قرينًا من الجن وقرينًا من الملائكة، قال ﷺ: "مامنكم من أحد إلا وكل به قرينه من الملائكة، وقرينه من الجنّ. قالوا: وبك يارسول الله، قال: وبي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم"(١)، فالملائكة والجنّ عالمان غيبيّان لهما أنواع من التأثير في الإنسان –بقدر الله وسنته –تتفاوت بقدر ما بين هذين العالمين من تفاوت، وقد تضمَّن الوحي الإخبار عن أنواع من تأثيرهما على الإنسان منها:

١. إعانة الإنسان بأمر الله ﷻ:

فقد يحصل من الإنسان فعل يعجز عنه مثله بإعانة من الله ﷻ، ولا تُعلم كيفيَّة حصول تلك الإعانة إلاّ من خبر عالم الغيب ﷻ، وقد أخبر أنه يُعين عباده بلا وساطة فهو القدير، ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس:٨٢]، ولهذا وجّه عباده إلى طلب العون منه: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٤]، كذلك أخبرهم أنّ له جنودًا يعين بهم من يشاء من عباده المؤمنين فقال: ﴿ **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [التوبة:٤٠]، ومن جنده الملائكة، قال تعالى: ﴿ **فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال:٩]، والأخبار الصحيحة في إعانة الملائكة للأنبياء والمؤمنين بأمر الله كثيرة جدًّا، فهم الذين يبلِّغون الأنبياء أمر الله ﷻ ويخبرونهم بخبر الغيب، وهم الذين يؤيِّدون عباد الله المؤمنين(٢).

وكذلك أخبر ﷻ أنّ من جنوده الجنّ الذين يسخّرهم لإعانة من شاء من عباده كما كان لنبيّ الله سليمان ﷺ: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ [النمل:١٧]، وقد يعاون مؤمنو الجنّ مؤمني الإنس كما يعاون كفّارهم كفّار الإنس(٣)، فالجنّ –كما أخبرت النصوص–عالم مكلّف منهم مؤمن ومنهم كافر: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا** ﴾ [الجن:١١] .

وقد تكون إعانة الملائكة أو الجنّ للإنسان تأييدًا من الله ﷻ ونصرة، وقد تكون فتنة واستدراجًا، بحسب العمل فالملائكة تؤيِّد الحقَّ والصدق، والشياطين يؤيدون الكذب

(١) أخرجه مسلم،كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،باب تحريش الشيطان، رقم: ٢٨١٤

(٢) ينظر :"النبوات"لابن تيمية : ٨٣٥/٢ ، ١٠٢٦/٢

(٣) ينظر : المرجع نفسه : ٥٢٧/١

والبهتان[١]،كما أنها قد تكون بعد توجُّه الإنسان بالدعاء لله ﷻ أو لغيره، وقد تأتي دون طلب الإنسان وقصده، وقد تقتصر على أمور ظاهرة محسوسة أو تشمل أمورًا خفيّة[٢].

والإعانة على أمور الخير والطاعة تكون على الأغلب من الملائكة، وإن كان لا يمنع حصولها من الجنّ المؤمنين أو الكافرين فتنة للعباد، أمّا الإعانة على أمور الباطل فهي التي يغوي بها بعض الجنّ بني آدم ويزينون لهم بها طرق الغواية[٣]، ولابدّ أن يكون مع من تعينه شياطين الجنّ من الإثم جهلاً أو عمدًا ما يناسب حال الشياطين المقترنة به، فالإعانات الشيطانيّة إنما تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات، فإن كان الإنسيّ كافرًا أو فاسقًا أو جاهلاً دخلوا معه في درجات كفره وفسوقه وضلاله[٤]، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، فالشياطين إنما تقترن بما يجانسها من أهل الشرك والفجور وتكون لهم عونًا إمعانًا في فتنتهم وإضلالهم، ومن ذلك إعانتها الكهّان والسحرة فإنّ الكاهن تخبره الجنّ، وكذا الساحر إنما يقتل ويُمرِض ويصعد في الهواء ونحو ذلك بإعانة الشياطين له[٥].

٢.التمثُّل للإنسان يقظة أو منامًا:

---

(١) ينظر : المرجع السابق: ١٠٥٣/٢ – ١٠٦١

(٢) فصل شيخ الإسلام الكلام في هذه الأمور في مواضع عدة، منها : "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية : ٢٢٢/٢، ٣١٦، و"الصفدية"لابن تيمية : ١٠٦٢، ١٠٥٨، و"الرد على المنطقيين"لابن تيمية : ٢٨٦، و"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"لابن تيمية : ٢٢٢

(٣) لا يعلم كثير ممن تعينهم الجن أن ما يحصّلونه من أمور علمية أو تأثيرية إنما يحدث لهم بإعانة من الجن، ويظنونها قوى اكتسبوها بتدريب خاص قاموا به، وذلك لعدم التفريق بين الإعانة التي يفعلها الجن ابتداء لإضلال الإنسان أو إمداده في غي، وبين الاستعانة بالجن بقصد وعمل؛ سواء من خلال الشرك والمعاصي التي يُتقرب بها إلى شياطين الجن، أو من خلال الطلب المباشر الذي يحصل من أناس يخاطبون جنًا مسلمين، وهذه الأخيرة رأى جواز الاستفادة منها بعض العلماء، وإن كانوا نبهوا على خطر تصديق الجن فيما يخبرون به، ينظر فتوى ابن جبرين ضمن "الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية"لخالد الجريسي"٢٤٧،وفتوى العثيمين في"المجموع الثمين:٢٣٩/٢، وفتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية على المنع ولو كان في أمور مباحة كمعرفة العين أو السحر أو نوع مرض أو أسبابه، فتوى رقم:٢٠٣٦١بتاريخ١٤١٩/٤/١٧هـ.

(٤) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٧٩/١٣ – ٢٨٨/١١ -٢٩٥

(٥) ينظر : "النبوات"لابن تيمية : ٨٢٠/٢

علم بطريق الوحي من خصائص عالم الجن والشياطين قدرتهم على التشكُّل والظهور بأجساد يراها الناس، فقد كانت الملائكة تتمثَّل للأنبياء كما أخبر بذلك الوحي، وكذا تمثّل الملَك لمريم عليها السلام بشرًا سويًّا، وقد ثبت أنّ الصحابة ﷺ رأوا جبريل ﵇ في صورة رجل مرارًا، فالملائكة قد تتمثّل لأولياء الله المتقين المقتدين بمحمد ﷺ، ويكون ذلك من تأييد الله للمؤمنين بملائكته[1]. أمَّا تمثُّل الشيطان للناس فهو أكثر من أن يحصى، والقول في حادثة ما بأن الملك قد تمثّل للإنسان لا يصحّ إلاّ إذ أخبر بذلك الرسول ﷺ، حتى وإن كان ظاهر الأمر دعوة إلى خير، فالملائكة لا تتمثّل لأحد إلاّ بإرسال الله ﷻ؛ إذ الملائكة مشغولون بتسبيح ربهم وبطاعة ما يأمرهم به الله لا يخرجون عن ذلك، بخلاف الجنّ فإنهم مخلوقات غيبية مكلّفة كالإنس ومنهم من يتربّص بالناس لإضلالهم، وقد يكون ذلك بإعانة الإنسان على أمور ظاهرها خير زيادة في فتنة الناس وإغوائهم، وقد ذكر العلماء كثيرًا من القصص تمثَّل فيها الشيطان واحتال على الناس ليغويهم ويفتنهم، ومن ذلك أنّه قد يستغيث إنسان بمخلوق إمّا حيّ أو ميت فيتصوّر الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة المستغيث؛ فيجعله يظنّ الشخص الذي استغاث به أتاه وأغاثه حقيقة، أو يظنّه ملكًا جاء على صورته، وإنما هو شيطان أضلَّه لمّا أشرك بالله. وقد يتصوّر الشيطان رجلاً ويقول للإنسان: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، وقد يتمثّل له بصورة شيخ ويدفع عنه ما يؤذيه فيفتتن بذلك الشيخ ويغلو فيه.

وقد يتمثّل الشيطان في شكل بعض النبات أو الحجر أو يدخل في هذه الأشياء كما يدخل في الإنسيّ، ثم يخاطب الإنسان بما في هذا النبات أو الحجر من المنافع، أويقول: هنيئًا لك ولي الله، وإنما يخاطبه الشيطان فإذا قرأ آية الكرسي يذهب ذلك. وقد يكون الرجل في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس وما ذاك إلاّ الشيطان.

وقد يأتي الشيطان على صورة رجل بعد موته، فيعتقد الناس أنّه ذلك الميت عاش بعد موته، وقد يقضي الديون ويردّ الودائع ويفعل أشياء تتعلّق بالميت ليزيد في فتنتهم. كما قد يأتي للرجل ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهديّ الذي بشّر به النبيّ ﷺ ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرُّفًا في الطير أو الجراد في الهواء ؛ فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد

---

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٧٦/١١

يمينًا أو شمالاً ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر، وقد يحمله إلى مكّة ويأتي به، وكلّه من مكر الشيطان.

بل قد يتمثل الشيطان لإنسان فيرى عرشًا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة علم أنّه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فزال وإلا فُتن به فتنة عظيمة[1].

وهكذا فإنَّ لمعرفة تأثير هذه المخلوقات وكيفيّة تأثيرها في الإنسان أعظم الأثر في حمايته من الوقوع في الفتن، فلا ينخدع بأنوار تتلألأ أو روحانيّات تتنزّل، وإنما يعرض مايجد من أحوال على خبر الغيب في الكتاب والسنة ليميز الحقّ الذي يؤيّده الله به ويرضاه له من الباطل الذي يزينه شياطين الجنّ والإنس[2].

٣. الإلهام والوسوسة:

من ذلك ما يقع في نفس الإنسان من العلم بشيء ما دون أن يكون له جهد فكر واستدلال، فإن كان هذا الأمر مصدره الشيطان فقد سمّاه الوحي وسوسة، والشيطان —كما في الصحيح — "يجري من ابن آدم مجرى الدم" [3] فإذا سها وغفل وسوس له، وإذا ذكر الله خنس، ولم يخبر الوحي كيف يستطيع الشيطان ذلك، ولكنه عرّف المؤمنين كيف يتوقّونه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس:١-٦].

وإن كان ذلك العلم مصدره الملائكة من عند الله سمِّي إلهامًا[4]. وزعْم الإنسان بأنَّ ما وجده في نفسه هو إلهام من الله يفتقر إلى دليل صحيح وليس من دليل بعد انقطاع الوحي إلاّ

---

(١) ينظر هذا وأمثلة كثيرة في :"الصفدية": ١٠٥٩، و"مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٨٨/١١- ٣٠٠، ٧٧/١٣-٨٤

(٢) ينظر:"الموافقات"للشاطبي : ٣٦٧

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الاعتكاف،باب هل يدرء المعتكف عن نفسه، رقم: ٢٠٣٩، ومسلم،كتاب السلام،باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به،رقم: ٢١٧٤

(٤) أطلق بعض أهل العلم اسم الإلهام على الوسوسة أيضًا، ولكن بقيد فيقال: إلهام شيطاني، وعلى ما تفكر فيه= =النفس وتتخيله فيقال: إلهام نفساني، أما إطلاقه دون قيد فينصرف فقط على ما مصدره من عند الله. يراجع الإلهام ص٧٠ من هذا البحث.

عرض الأمر على الكتاب والسنة، فما وافقهما كان إلهامًا وما خالفهما فمن وساوس الشيطان.

ولما عرف المؤمنون بالغيب حقيقة هذه العوالم وعلاقتها بالإنسان وقدرتها على التأثير فيه استبان لهم حقيقة كثير مما يعرض لهم وما يسمعون به أو يرونه أمامهم من أمور، والإخبار عن الملائكة والجنّ أمر جاءت به جميع الرسالات؛ لذا كان الإيمان بهم عامًّا في بني آدم، ولم ينكره إلاّ شواذٌّ من بعض الأمم، ولكنّ ما تضمنته نصوص الوحي المعصوم من الإخبار عنهم هو أكمل ذلك وأشمله، فعامّة الأمم السابقة–بعد تحريف كتبها – وإن كانوا يعترفون بوجود الأرواح المنفصلة عن الآدميِّين ويؤمنون بالجنِّ ويصدِّقون بأخبارهم وتأثيرهم في العالم وإخبارهم بالأمور[1] إلاّ أنهم لا يعرفون من صفاتهم وأعمالهم مثلما حفظ الله للمؤمنين بالغيب في الدين الخاتم، لذلك لم يعرف حقائق تأثير عالم الملائكة وعالم الجنّ أحد اليوم إلاّ المؤمنون بما أخبر الله به محمد ﷺ، وتكفّل بحفظه محجّة للمؤمنين وحجّة على العالمين.

وقد باءت محاولات الذين لا يؤمنون بالغيب أو انحرفوا عن صحيح هذا الإيمان بالفشل في تفسيرهم للنفس الإنسانيّة، وعجز أساطين الفلسفة قديمًا وجهابذة علم النفس حديثًا عن تقديم أصول واضحة ومقنعة يمكن فهم النفس الإنسانيّة في ضوئها، أو تفسير أنواع الظواهر غير المعتادة من السلوك الإنسانيّ لإنكارهم حقيقة هذه المخلوقات الغيبيّة وتأثيرها الحقيقيّ في الأنفس، ومن ثم اقتصرت أكثر دراسات غير المؤمنين على تتبُّع بعض المظاهر السطحية والهامشية من السلوك الإنساني التي يمكن قياسها وإخضاعها للبحث التجريبيّ، وأغفلت دراسة النواحي الجوهريّة المتعلِّقة بالجانب الروحيّ من الإنسان، وحار الذين لم يستطيعوا إنكار المؤثِّرات الغيبيّة في معرفة كنهها، فراحوا يرجمون بالغيب ويردِّدون الأساطير القديمة فيصيبون أحيانًا ويخطئون كثيرًا.

وقد أصبح التوجُّه العامّ للعلم في العصر الحديث يؤيّد الاعتراف بوجود مؤثِّرات غيبيّة لاسيما وقد أخرج بعض علماء النفس الغربيّين علم النفس من إطار معامل التجريب الماديّة، ونادوا بالاهتمام بالجوانب الروحيّة والوجدانيّة من النفس الإنسانيّة إلاّ أنّ المصادر التي استقوا

---

(١) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية": ٢٢٩/١١، ٣٢/١٩

منها معرفة حقائق الغيب قديمًا وحديثًا يختلط فيها الحقّ بالباطل والعلم بالأسطورة[١]؛ لذا تشابهت كثير من النظريات الحديثة مع الفلسفات القديمة التي حاولت تفسير ماهية مايؤثر على الإنسان ويزيد من قدرته المعتادة، ومن هذه الفلسفات:

١. الاعتقاد بـ (قوى النفس) :

(قوى النفس) مصطلح فلسفيّ الأصل، أنشأه الفلاسفة القدماء لتفسير سلوك الإنسان وقواه الظاهرة،واختلفوا في تسمياتها وعدّها فمنهم من جعلها :قوى نباتية وقوى حيوانية وقوى معدنية، بحسب وجه الشبه بين القوة وماتنسب إليه، ومنهم من صنفها إلى قوة علمية وقوة عملية بحسب ماتتوجه إليه، أو قوى بدنية وقوى نفسية بحسب ما تتعلق به.[٢]ومعلوم أنّ الله ﷻ قد امتنّ على الإنسان بالسمع والبصر والعقل، وأودع فيه من صفات الإدراك والتمييز وغير ذلك، وهذه الأمور جميعها يمكن تسميتها قوى، فيكون للإنسان قوَّة للسمع، وقوة للبصر ونحو ذلك من قوى بدنه الظاهرة، كما له قوَّة إدراك يميّز بها، وقوّة تخيّل يتصوَّر بها الأشياء، وقوّة إرادة تعينه على الصبر والحلم والعفّة، وقوّة غضب وقوّة شهوة وغير ذلك مما هو مشاهد ومعروف وقد تحدث به الفلاسفة قديماً وبحثه المختصّون في دراسة مجالات النفس الإنسانيّة حديثا. ولكن هذه القوى ونحوها ليست هي المقصودة هنا في هذا الموضوع وإن كانت معدودة مع القوى التي يتحدث عنها الفلاسفة وإنما المقصود هو تلك القوى الخفية التي افترضوا وجودها لتفسر الظواهر الخارقة لعادة عموم الناس سواء في مجال العلم أو مجال التأثير كالقدرة على التنبُّؤ أو التخاطر عن بعد أو الجلاء البصريّ أو ما يسمونه بعد النظر الروحيّ بأن يكون للإنسان قوّة تمكّنه من رؤية الأشياء والحوادث غير المنظورة سواء في الزمان أو المكان[٣]، أو قدرة التأثير على الأشياء الماديّة المختلفة كتحريك الأشياء من بعد أو الإمراض أو الشفاء ونحو ذلك، فقوى

---

(١) كان رائد ذلك ابراهام مازلوMaslo (١٩٠٨-١٩٧٠م)، وهو عالم نفس اهتم بالنواحي الروحية وأثرها في توجيه سلوك الإنسان وحفزه . وقد تبنى معهد الدراسات الباطنية (إيسالن) دراساته واستقطبه لتطوير تدريبات (الإنسان المتعالي) Transpersonal psychology القائمة على أساس إمكان ترقي الإنسان روحانياً إلى مرتبة التأله!بحسب الفلسفة الثيوصوفية، وينظر:

-"The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective", Irmhild Helene Horn,

(٢) ينظر:"الجديد في الحكمة" لابن كمونة:٤١٩-٤٤٤

(٣) ينظر : "التنبؤ بالغيب" للشنتناوي : ١٢

النفس – على حدِّ زعمهم- هي التي تهيِّئ لصاحبها النجاح في أن يمتلك مثل هذه المواهب ويكون نبيًّا أو كاهنًا أو ساحرًا!

ولم يصل طلاب معرفة الحقائق الغيبية من غير طريق الوحي في العصر الحديث إلى أكثر من هذا الافتراض الفلسفي القديم، فعملوا على محاولة فهم هذه القوى أكثر وأسموها (القوى الكامنة) ووصلوا إلى القول بأنها قوى موجودة عند كلِّ الناس بتفاوت يمكن تجاوزه بالعمل على تنميتها لدى الجميع لتطوير الجنس البشري عامّة[١]والوصول إلى عصر جديد يعيش فيه الإنسان الكامل[٢]. وقد انتشر هذا الاعتقاد بأسماء متنوّعة منها: قوى النفس الكامنة والقوى الروحية والقوى الخارقة والقوى الخفية والطاقة الحيوية[٣].

وهكذا انتهى من انحرفوا عن الإيمان بالغيب وأعرضوا عن خبر النبوّات إلى القول بأنّ هذه القوى هي أهمّ مؤثّر غير مرئيّ في النفس الإنسانيّة، وهي أساس الخوارق كلّها سواء منها ما كان للأنبياء أو السحرة والكهّان[٤]، وإنما يكمن الفرق فقط–برأيهم – في اختلاف القصد بين إرادة الخير أو إرادة الشرّ بين هؤلاء وهؤلاء! وهو قول باطل مبنيّ على أصول كثيرة فاسدة، من أبرزها: إنكار الملائكة وإنكار الجنّ، أو إنكار حقيقتهم فالفلاسفة قديمًا قالوا: إنّ الشياطين

(١) يعد الفيلسوف الألماني اليهودي هنري برجسون Bergson (١٨٥٩–١٩٤١م) هو أول القائلين بهذه القوى من فلاسفة الغرب المعاصرين، فقد كان مهتماً بالمؤثرات الميتافيزيقية التي تؤدي إلى التغيير والإبداع، ثم تأسست لخدمة هذه الفكرة وتطويرها في الغرب حركة القدرة البشرية الكامنة Human Potentia Movement عام ١٩٦١م ، التي خرجت من معهد (إيسالن) وسعت إلى جمع الأبحاث والعقائد والفلسفات التي تعترف بهذه القوى وتدعو إلى تنميتها وتحريرها من إسار المعتقدات الدينية (غير العقلانية) بتعبيرهم–يقصدون المعتقدات السماوية القائمة على الحل والحرمة – والنظر في كيفية نشرها بين العامة والخاصة بطرق متنوعة ومعاصرة وجماهيرية وتطبيقية مباشرة وبمنهج يسعى للتقريب بين العلم والدين والسحر! :

-"The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective", Irmhild Helene Horn, Unpublished Ph. D theses,
-"The Upstart Springs: Esalen and the Human Potential Movement", Walter T. Anderson, iUniverse,Lincoln, NE, USA, 2004.

(٢) الإنسان الكامل أو الإنسان المتعالي هو الإنسان الذي عرف كيفية تنمية الجانب الإلهي في شخصيته بحسب الفلسفة الباطنية، ينظر للمزيد: فصل معالم الشخصية المتكاملة من كتاب "تأملات في الحياة النفسية" للكاتب الباطني ندرة اليازجي : ١٥/٢–٢٩

(٣) ينظر:"خارقية الإنسان" لصلاح الجابري: ١٣، و"خوارق اللاشعور"لعلي الوردي: ١٤٣، و"الطاقة الخفية والحاسة السادسة"لشفيق رضوان:١١–١٥

(٤) ينظر :"الجديد في الحكمة" لابن كمونة :١٢٠–١٢٥

هي قوى النفس الخبيثة، والملائكة هي قوى النفس الصالحة![1] وبمثل قولهم قال فلاسفة علم النفس حديثًا: «إنّ الأبالسة في نظرنا نحن، رغبات شريرة مستهجنة تنبع من دوافع مكبوحة مكبوتة»[2].

والناظر في هذه القوى المدّعاة ومالها من الإمكانات وما ينسب لها من أفعال في واقع أصحابها –حقيقة أو ادّعاء– يجدها لا تزيد عمّا يعرفه المؤمن بالغيب من تأثير عالمي الملائكة والجنّ على بني آدم، وإن كان الصحيح عدم استبعاد وجود عوالم أخرى أو قوى لا نراها، فإنّ عدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده، ولكن إحالة التأثير إلى ما عرّف به الله ﷻ من الأسباب الغيبيّة أولى من إحالته إلى ما لم يثبت وجوده أوكونه سببًا، ثم إن سائر الأحداث التي تُروى فيها مظاهر هذه القوى يتّفق تفسيرها مع ما يعرفه المؤمن بالغيب من الحقائق الغيبيّة سواء ما ينسب لأشخاص كقوّة نفس الساحر أوقوّة نفس الكاهن أو قوة الشامان[3] أو ما ينسب لأعضاء معينة كقوّة المخيّلة التي يخيّل صاحبها للناس شيئًا ليس هو، وقوّة العين التي يضرّ بها صاحبها من يقصده، فهذه الأمور ونحوها ثبت عقلاً ونقلاً أنّ لها تأثيرًا حقيقيًّا يتفاوت فيه أهله[4]، ولكنّ ماهية تلك القوى المؤثِّرة وكيفيّة وقوع التأثير بها لم يخبر به الوحي، وإنما أخبر عن الشيطان وما جبله الله من صفات، وما أعطاه من قوى يستطيع بها التشكُّل، ويستطيع التخييل للرائي غير الحقيقة، ويستطيع الحركة بسرعة لا يستطيع الناس ملاحقتها، وقد ينطق وقد يتكلّم ويدخل جوف الشيء ويتكلّم على لسانه، ويستطيع أن يعلم بعض ما يخفى على الناس ، وأخبر الوحي كذلك بأن الشيطان عدو للإنسان يريد أن يضله ويفتنه؛ لذلك كان تفسير ما يحدث على النفوس بما أثبته الوحي من حقائق أولى من افتراض وجود قوى نفسيّة أو روحانية خفية مع الإيمان أنّ لله جنودًا لايعلمهم إلاّ هو، وأنّه جعل في الكون من الأسباب مالا يحصيها إلاّ هو. والله أعلم!

---

(١) ينظر :"مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٢٣٩/١٣، و"الجواب الصحيح" : ٢٤/٦، و"النبوات"لابن تيمية : ٨٣٧/٢

(٢) "إبليس في التحليل النفسي" لفرويد، ترجمة جورج طرابيش : ٦

(٣)كما يسمونه في الأديان الوثنية في مجاهل افريقيا وسكان الغابات في استراليا والهنود الحمر في جزر هواي وأمريكا الجنوبية.والشامان هو ساحر القبيلة والمعالج فيها بالقوى الروحانية الشاملة لقوى أرضية وقوى سماوية! وقد نشرت جريدة عكاظ في عددها الصادر بتاريخ: ٣ جماد الآخر ١٤٢٤هـ صوراً للشامان في سيبيريا وهم يمارسون طقوس إخراج قواهم الروحية باستدعاء أرواح اللهب للمساعدة على قضاء حاجات القبيلة!

(٤)ينظر:"الفروق"للقرافي: ١٤٦/٤، و"الملل والنحل" للشهرستاني : ٢٥٣/٢، و"المقدمة"لابن خلدون :٩٣٢– ٩٢٦

٢. الاعتقاد بـ (العقل الباطن) Unconcious mind:

الاعتقاد بالعقل الباطن اعتقاد حديث يعتمد على فكرة اللاشعور Unconcious التي قال بها فرويد Freud[١]وطوّرها يونغ jung[٢]وأضاف إليها مفهوم اللاشعور الجمعيّ Collective Unconciou، وقد كان اللاشعور يمثّل عند فرويد مكمن الرغبات المكبوتة والخبرات الماضية، ولكن يونغ جعله بالإضافة إلى ذلك منبع الحقائق العالية والعبقريّة والنبوّة[٣]، فاللاوعي الذي قال به فرويد خاصّ بمكتسبات الفرد بينما اللاوعي الجمعيّ الذي أضافه يونغ مؤلّف من المكتسبات الإنسانيّة عامّة[٤]، ثم أوصله مطوّرو الفكرة من الثيوصوفيّين[٥]بعده إلى معنى الروح، أو جزء الله الذي حلّ في الإنسان[٦]تعالى الله عما يصفون!

---

(١) هوسيمون فرويد، طبيب نفس نمساوي، عاش سنة (١٨٥٦-١٩٣٩م) صاحب مدرسة التحليل النفسي، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها مذهبه هو تفسير سلوك الإنسان على أساس البحث عن اللذة وجعل الغريزة الجنسية هي المؤثر الرئيس في شخصية الإنسان، وهو أول من قال باللاشعور.ينظر:"موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي: ١٢٥/٢

(٢) هو كارل يونغ عالم نفس سويسري، عاش عام (١٨٧٥-١٩٦١م) عاصر فرويد واهتم بفكرة اللاشعور، وهو صاحب فكرة اللاوعي الجمعيالتي بناها من دراسته للقبائل الوثنية والأساطير والأحلام.ينظر:المرجع السابق: ٢/ ٦٤٢

(٣) ينظر : -The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p.388
-Encyclopaedia Britannica,2004 ,"unconscious"

(٤) ينظر :" المعجم الفلسفي" لجميل صليبا: ٢٦٥/٢

(٥) الثيوصوفية Theosophy مذهب إلحادي ، وأصل الكلمة مأخوذ من الكلمتين اليونانيتين ثيوس theos بمعنى "إله"، وصوفي sophy بمعنى الحكمة، فالكلمة بمجملها تعني: حكمة الآلهة أو الحكمة الإلهية، وهي من اصطلاح بلافاتسكي Blavatsky (١٨٣١-١٨٩١م) وتقصد بها فلسفة وحدة الوجود، ينظر:"مفتاح الثيوصوفيا" لبلافاتسكي:٤. وقد كانت كلمة sophy تطلق عند اليونان على مذهب يؤمن أتباعه بوحدة الوجود ويرونها الحقيقة المجردة، ينظر : "تحقيق ماللهند من مقولة" للبيروني : ٢٤

وقد زاد الإقبال على دراسة الفكر الثيوصوفي منذ القرن التاسع عشر الميلادي وترجمته وتطبيقاته بعد أن أسس فيناس كويمبي (١٨٠٣- ١٨٦٦ م ) حركة (نيو-ثوث) New Thought التي دعا من خلالها إلى تفكير جديد يعترف بالغيب، ولكن لا يتلقاه من وحي خاص بدين، وإنما يتلقاه من الإنسان نفسه من خلال تجارب الارتقاء الروحي، ولكن معالم هذا الفكر اتضحت أكثر بعد توفر مراجعه المكتوبة إبان تأسيس بلافاتسكي جمعية الثيوصوفي بنيويورك، وقيامها بالتأليف والنقل لأصول وتطبيقات ما أسمته دين الحكمة Wisdom Religion أو الفلسفة الباطنية= =(الإيزوتيرك) Esoteic Philosoph التي أمضت بلافاتسكي عمرها في دراستها على أيدي كهان البوذية في التبت والهند المسمون بـ(الأخوية البيضاء العالمية) وقد كانت تعاليم الثيوصوفية سرّية قبل بلافاتسكي لا تنشر للعامة. ينظر :
-The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p.376

(٦) ينظر:"خوارق اللاشعور" لعلي الوردي:١٤٢

فالعقل الباطن عند معتقديه يمثِّل قوَّة فوق القوى النفسيَّة، وهو قوَّة مؤثِّرة في سائر قوى النفس الأخرى، ويشبه إلى حدٍّ كبير ما كان يعتقده الفلاسفة الإشراقيّون والصوفيّون في مصدر الإلهام والبصيرة على اختلاف تسمياتهم له، فكان ابن سينا يقول بـ (القوّة القدسيّة) التي ينال بها العلم بلا تعلُّم، وتحصّل بها علوم أعلى مما يحصل بالنبوّة[1].

وقد أصبح مفهوم العقل الباطن يتطابق بشكل كبير مع عقيدة العقل الكليّ الفلسفيّة بعد بلورة فكرة يونغ في إمكان الاتصال بين اللاوعي الفرديّ واللاوعي الجمعيّ الذي فُسِّر بأنّه عقل عال، أو روح فوقيّة أو وحدة نفسيّة توجد على نحو مستقلّ عن عقول الأفراد[2]، ويمكن للناس تحسين قواهم الكامنة عن طريق دخولهم في حالات الوعي المغيَّرة[3]التي تصلهم باطنًا بالعقل الكليّ منبع الإلهام ومقرّ المعلومات الماضية والمعلومات المستقبلية[4]!

---

(١) ينظر : "النجاة" لابن سينا:١٦٦، و"مجموع فتاوى ابن تيمية":٢٢٩/١١

(٢) رفض أكثر علماء النفس نظرية يونغ وعدّوها خروجا عن المنهج العلمي؛ لتأثر يونغ بالفلسفات الشرقية والسحر والوثنية والتنجيم إلا أن يونغ كان يدافع عنها ويعدها فكرة يمكن البرهنة عليها من طريق الأحلام والأساطير والمعلومات الثقافية لدى من سماهم الشعوب البدائية! ينظر : "مدخل إلى نظريات الشخصية" لبابرا انجلز، ترجمة فهد دليم : ٨٤، و"نظريات الشخصية" لجابر عبد الحميد جابر : ٩٠

(٣) ينظر :"خارقية الإنسان"لصلاح الجابري : ٢١٢- ٢١٥ ،و"أسرار الآلهة والديانات"، ترجمة حسان إسحق:٥٨٥، و:

- The skeptic's Dictionary.Robert Carroll p.186

(٤) يسمي بعض المتبنين لهذا الفكر مركز تجمع المعلومات في العالم نقطة الصفر Zero Point Field الأمر الذي يضفي على هذه الرجوم والظنيات طابعًا علميًّا فيزيائيًّا، وماهي في الحقيقة إلاَّ فلسفة يحاول أصحابها الوصول إلى الغيب بعقولهم، وللأسف فقد اعتقد بهذا الدجل بعض الأفاضل، يقول الشيخ عبدالرحمن الميداني–غفر الله له–: « وقد أثبتت البحوث العلمية الكونية وجود سجل كوني كبير تسجل فيه الأعمال كلها؛ والأقوال وخواطر الأنفس ووساوسها، فكل حرف نقوله، وكل عمل يصدر عنا بكل تفاصيله، يسجل في الأثير، ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات، متى تهيأت الأجهزة القادرة على كشف مافي هذا السجل الكبير، والتحكم بموجاته. فصور كل كائن من القرون الأولى، وأصوات كل كائن، مسجلة تسجيلاً كاملا منذ أول وجوده حتى آخر وجوده، لحظة بلحظة، لا يضيع منه شيء، صغيرًا كان أو كبيرًا، في النور أو الظلمات، وأثبتت التجارب العلمية أن جميع أفكارنا وخواطرنا تحفظ في= =شكلها الكامل، ولسنا بقادرين على محوها أبدًا، وإن نسيناها في عقلنا الظاهر، أو في مستوى شعورنا، إنما تظل محفوظة لدينا فيما يسمى عند علماء النفس (ماتحت الشعور) » العقيدة الإسلامية : ٦٧٤.

وهو قول مستغرب منه؛ إذ لا يمكن لأبحاث كونية وتجارب علمية إثبات مثل هذا الأمر الغيبي الذي يقطع بوجوده! بل التجارب العلمية أثبتت بطلان القول بوجود ما كان يُعتقد من وجود مادة اسمها الأثير تملأ فراغ الكون وتؤثر فيه، وإن ماذكره الشيخ – غفر الله له– من وجود سجل بهذه المواصفات إنما يشبه من بعض وجوه "اللوح المحفوظ" الذي ما ثبت إلا بخبر الوحي ولا يمكن الوصول إليه. وذهب صلاح الراشد – أحد متبني هذا الفكر– إلى أكثر مما ذهب إليه الميداني،

فالعقل الباطن -عند معتقديه- يمثِّل الجزء الأكبر والمهمّ من عقل الإنسان فهو الذي يملك القدرة على التحكُّم بقدر الإنسان من السعادة والشقاوة أو النجاح والفشل أو المرض والعافية وغير ذلك. وهو الذي يمكِّن الإنسان- الذي يجيد التعامل معه — من الحصول على قوى خارقة تمكِّنه من الوصول إلى مبتغاه من الشفاء أو المال أوالسعادة، وتوسّع نطاق إدراكه الحسيّ ليسمع غير المسموعات ويبصر أبعد من المبصرات ويتخطَّى حدود الزمان والمكان، بل إنّ قوّة العقل الباطن تمنح صاحبها قدرة التأثير في الأشياء بغير الحواسّ المعروفة كأن يحرّك ببصره الأشياء، ويثني بإصبعه الحديد وغير ذلك(١)!

وقد لقيت فكرة قوَّة العقل الباطن في هذا القرن رواجًا وانتشارًا كبيرًا فصنِّفت في بيانها الكتب وقامت آراء شتى ومذاهب عدة على أساسها، وأصبح يُنظر إليها على أنها حقيقة مسلَّم بها في أوساط كثير من الناس بمن فيهم طوائف من المسلمين(٢)، وقد أصبح التدريب على تطوير هذه القوَّة — المدّعاة- في متناول عموم الناس! ومن ثمَّ أصبح التلاعب بالعقل والوعي والتمييز أمرًا مطلوبًا — بحسب فلسفتهم - يتمّ تدريب الناس عليه ودعوتهم إلى ممارسته؛ لتحصيل قوى خارقة ومعارف كشفيّة عن حقائق الأمور ومغيَّبات الماضي والمستقبل(٣)!

---

ففسر كتاب القدر في السماء الدنيا —يقول :حسب لغة المسلمين وثقافتهم- بأنه عقل عال قد أوصل العلم الحديث والتراث الفلسفي إلى طريقة الترقي إليه لمعرفة غيوب الماضي والمستقبل! بل والتغيير فيهما وصناعتهما على الوجه الذي يريده لنفسه بطرق أساسها التنفس العميق والتأمل الارتقائي على طريقة الأديان الشرقية! ينظر: رسالة التغيير في المستقبل إعداد: صلاح الراشد، نشرة ملحقة بمجلة فواصل عدد ٢٦، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠٠٣ م. ورسالة (التغيير في الزمن) له أيضًا بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٣م.

(١) ينظر : "قوة عقلك الباطن" لجوزيف ميرفي : ٢٠

(٢) يقول التكريتي : «العقل الباطن هو الذي أسعفك باسم الشخص، أو البلد الذي نسيته، وهو الذي أيقظك من نومك على غير عادتك، وهو الذي وجد الحل لمشكلتك المستعصية بعد أن أعطيته المشكلة ونسيتها... » "آفاق بلا حدود" : ٢٠٧. ويقول توفيق الواعي: «أنا أستطيع عمل كل شيء من خلال قوة عقلي الباطن» "الإيمان وإيقاظ القوى الخفية": ٣٧

(٣) ينظر : "خارقية الإنسان : الباراسيكولوجي" لصلاح الجابري : ١٨٥

والخطير في الأمر إضفاء الطابع العلميّ والشرعيّ على هذا التخرُّص! حتى ظنّ كثير من المسلمين أنّ العقل الباطن هو كشف حديث لغيب نسبيّ، وآية من آيات الأنفس التي أشار إليها القرآن ودعا إلى النظر فيها!

والحقّ أنّ مسألة أن يُوجد عقل ثانٍ أو جزء من العقل يسمّى العقل الباطن مسألة يجب أن تُبحث[١] بشكل صحيح من حيث اللفظ والمضمون لتمييز ما ثبت بطريق علميّ عمّا هو فلسفة مستقاة من عقائد وثنيّة، أو مجرد ظنون وأوهام يطلقها من يجهل حقائق المخلوقات الغيبيّة المؤثِّرة على الإنسان قديمًا وحديثًا فـ «لفظ العقل يختلف في لغة المسلمين عنه في لغة اليونان، فهو عند المسلمين: مصدر عَقَل يَعقِل عقْلاً، وقد يراد به الغريزة التي جعلها الله في الإنسان يعقِل بها، أمَّا أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه، وليس هذا مطابقًا للغة الرسول والقرآن»[٢]، وكذلك هو العقل الباطن في فكر الملحدين والماديِّين اليوم الذين لا يؤمنون بالملائكة والجنِّ والشياطين ومن ثم يجمعون كلّ مالا يعلمون مصدره في سبب واحد يسمّونه العقل الباطن يدورون حوله، ولا يعدلون عنه.

٣. الاعتقاد بـ (الجسم الأثيريّ)[٣] :

---

(١) مسألة العقل الباطن وقوى النفس، والجسم الأثيري وسائر ما يدعى من أمور تتعلق بالجوانب الغيبية للنفس الإنسانية هي مسائل تحتاج إلى دراسة موسعة ومتخصصة تنطلق من الثوابت الإسلامية، وقد ظهر للباحثة –بعد دراسة مبدئية لموضوع العقل الباطن – أنّ هناك عددًا من الأمور الخفية في تركيب النفس الإنسانية لم يتوصّل العلم إلى معرفتها وأسبابها بشكل دقيق مثل: سبب انتظام عمل أجهزة الجسم الداخلية، وسبب تذكّر الإنسان لبعض المعلومات أو المشاعر أو المواقف فجأة دون استدعاء. وعلة حدوث بعض الأمور غير العادية كسماع صوت دون وجود أحد، أو رؤية شيء ما خيالاً، ثم تحققه في الواقع وغير ذلك من الأسباب الخفية التي شكلت عند غير المسلمين ألغازًا تعبوا في محاولة كشفها بإخضاع عالم الغيب للتجريب، فلم يصلوا إلا إلى حدود افتراض وجود شيء ما أو عدة أشياء في تركيب الإنسان هي سبب هذه الأمور، ومنها ما أسموه اللاشعور أو العقل الباطن.

أما من وجهة النظر الإسلامية فتلك الأمور وغيرها يمكن فهمها في ضوء حقائق الغيب التي أخبر عنها الرسل ومنها: العناية الإلهية ورحمة الرب ﷻ وحكمته، ومنها: أثر المخلوقات الغيبية التي أخبر بها الوحي كقرين الجن وقرين الملائكة، ومنها: المواهب والملكات التي أخبر الله ﷻ أنه وهبها للإنسان كالعقل والقلب والفؤاد والنفس، ولهذا لم يشغل علماء المسلمين أنفسهم بالبحث وراء أسباب جديدة واكتفوا بإحالة أمثال ما ذكر من أمور على ما عُلم من الأسباب بدلاً من إحالتها على ما لم يثبت وجوده أو كونه سببًا، فلم يتركوا المحكم المعلوم للمشتبه المجهول. وهذا هو المنهج الصحيح الأسلم والأحكم الذي سمة منهج السلف رضوان الله عليهم .

(٢) ينظر: الأجساد السبعة في المبحث السابق.

(٣) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٣٣٦/١٨

الاعتقاد بالجسم الأثيريّ كالاعتقاد بالعقل الباطن وقوى النفس، إنما شاع ذكره عند من غفل عن حقائق الغيب ورام الوصول إليها من غير طريق الرسل، فأصل هذه المعتقدات مأخوذ من التراث المنقول في الديانات الوثنيّة الشرقيّة، والمعتقدات السرِّية الباطنيّة وكلّ تطبيقاتها الرياضيّة والعلاجيّة الحديثة تدعو إلى تطوير قوى هذا الجسد لتنمية الجنس البشريّ حيث يصبح بإمكان الإنسان في المستقبل فعل ماكان يُعدّ خارقة في العصور الماضية، كأن يصبح صاحب لمسة علاجيّة أو قدرة على التنبُّؤ أو التأثير عن بعد وغير ذلك، دون أن يكون متنبِّئًا أو كاهنًا، ومن ثم لا يحتاج لأيِّ مصدر خارج عن نفسه[١]!.

وقد سرى هذا المعتقد في أوساط المسلمين[٢] بعد أن عُرض على أنه كشف علمي عبر التطبيقات التي تبناها معهد إيسالن Esalen [٣] وتروجها حركة العصر الجديد New Age Movement [٤] على شكل دورات تدريبية أو تمارين استشفائية مفتوحة لعامة الناس بعد أن

---

(١) هي نفس الأفكار التي نادى بها كثير من فلاسفة الغرب الملاحدة، فهذا نيتشه مؤسس مذهب القوّة يتبجح داعيًا إلى إخراج الإنسان المتفوق الذي يستغني عن الإله، يقول نيتشة: «لقد مات جميع الآلهة، ولم يعد من أمل إلا ظهور الإنسان المتفوق.فلتكن هذه إرادتنا»، تعالى الله عما يقول! ويتابع: «أتستطيعون أن تخلقوا إلهًا؟ إذا أقلعوا عن ذكر الآلهة جميعًا فليس أمامكم إلا إيجاد الإنسان المتفوق» -Thus Spoke Zarathustra.,p.104-107

(٢) ساهم في ذلك انتشار المراكز العلاجية والدورات التدريبية والكتب والبرامج الإعلامية التي تعرض هذه العقيدة في بلاد المسلمين ومن قبل مسلمين اعتقدوها وروجوها بمنهج باطني ظاهره نصوص الكتاب والسنة على أفهام سقيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) معهد إيسالن Esalen Institute of California بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية أنشئ عام ١٩٦١م من قبل متبني الفكر الثيوصوفي وأبرز مؤسسيه : مايكل ميرفي وريتشارد برايس، وهو معهد للدراسات الباطنية يهدف إلى نشر الفكر الروحاني spirtituality ويجعله بديلاً عن الدين Religion، واستقطب كثيرًا من المتخصصين في مجالات متنوعة جمعهم الإيمان بإمكان ترقي الإنسان إلى مرحلة روحانية إلهية، منهم: كارل يونغ وإبراهيم مازلو وغيرهم، وفي المعهد تكونت عشرات المؤسسات الخاصة لنشر فكر المعهد داخل وخارج أمريكا كحركة القدرات البشرية الكامنة وحركة العصر الجديد. ينظر :

-"The Upstart Springs: Esalen and the Human Potential Movement", Walter T. Anderson, iUniverse,Lincoln, NE, USA, 2004

(٤) حركة العصر الجديد (نيو-إيج) هي إحدى الحركات الدينية التي خرجت من معهد (إيسالن) في السبعينات الميلادية ، وتبنت كثيرًا من التطبيقات العلاجية والتدريبية التي تزعم ضمانها استغناء الإنسان بذاته عن المصدر الخارجي (الله) وتطبيق أوامره العليا (الدين)، فالعصر الجديد —كما يدعون – يستطيع الإنسان فيه مع الطبيعة والعقل= =والقدرات غير المحدودة له أن يكفل لنفسه صناعة الحياة السعيدة بمنهج أرضي وضعه لنفسه لئلا يحدث تمايز ديني بين الناس! ينظر :

-"The New Age: The History of a Movement" Nevill Drury, Thames & Hudson, London, UK, 2004.

كان هذا المعتقد غامضًا محصورًا في حجر تحضير الأرواح عند خبراء حركة الروحية الحديثة[١]وعند الوسطاء الروحيين[٢].

والجسم الأثيريّ– عند معتقديه – هو أحد أجساد سبعة يمتلكها كلّ كائن، ويمثّل أصل هذه الأجساد وأهمّها، وأساس حياة الإنسان وصحّته وروحانيته وسعادته؛ لما له من قوى تتعدّى قوى الجسم الترابيّ (البدن).

ومن حيث الشكل فالجسم الأثيريّ –في فلسفتهم– توأم للجسد الترابيّ (البدن) لكلّ إنسان إلاّ أنّه مشعّ وامض غير مرئيّ؛ لذا يمكنه المرور عبر المواد الفيزيائيّة والاتصال بالعوالم الأخرى! وتقع على الجسم الأثيريّ مراكز تزيد قوّته وتؤثّر في صاحبه تسمى (شاكرات)[٣] Chakras تمثّل نقاط استمداد وتلقٍّ لما يعتقدونه من الطاقة الروحية الكونية التي هي سرّ حياة الإنسان وأساس سعادته. ويرتبط الجسم الأثيريّ مع الجسد الترابيّ بحبل سرّيّ فضيّ أثيريّ في حياة الإنسان لا ينفصل كليًّا إلاّ عند الموت فيلتحق الجسم الأثيريّ بعالم خاصّ روحانيّ يمكن

-"The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective", Irmhild Helene Horn, Unpublished Ph. D theses

(١) حركة الروحية الحديثة هي حركة انطلقت بداياتها من (معهد الأبحاث الروحية) الذي أنشئ عام ١٨٨٢م في انجلترا لإجراء البحوث الميتافيزيقية من قبل بعض علماء النفس الذين نادوا بأهمية دراسة الجانب الروحي من الإنسان كالعاطفة والدين ونحو ذلك، ثم ما لبثت أن أصبحت غالب أبحاث هذه المراكز تعتمد على الدجل والسحر والاتصال بالجن والشياطين عبر ما يسمى (استحضار أرواح الموتى)! وانتشرت الجمعيات المتبنية لهذه الدعوة في مختلف بلدان العالم، وتبنتها في مصر وبعض دول العالم الإسلامي جمعيات وطنية انخدع بها كثير من المسلمين، ينظر : "الروحية الحديثة" لمحمد محمد حسين ٢٠، و"عالم الجن والشياطين" للأشقر: ٩٢

ويرفض كثير من المتبنين لهذه الأبحاث كرؤوف عبيد، وعلي راضي مصطلح تحضير الأرواح أو استحضارها ويفضلون استخدام مصطلح (علم دراسة الجسد الأثيري) أو (علم دراسة العالم ماوراء المادي) لكونه اسمًا يخفي كثيرًا من إجراءات هذه الأبحاث عن عموم الناس من جهة، ولكونه أكثر تناسبًا مع لغة العلم من جهة أخرى، ينظر : "مفصل الإنسان روح لا جسد" لرؤوف عبيد : ١٦٠/١، و"العالم غير المنظور" لعلي راضي : ١١

(٢) الوسيط الروحي هو شخص يُزعم أنه يتمتع بشفافية خاصة، تمكنه من التوسط بين عالمنا وعالم الأرواح، ويجب على الوسيط مراعاة شروط خاصة قبل أن يتصل بعالم الأرواح منها التقليل من الطعام أو الصيام ذلك اليوم، ينظر : "أضواء على الروحية" لعلي راضي : ٩

(٣) مفردها (شاكرا) وهي كلمة سنسكريتية الأصل تعني الدولاب، و(الشاكرات) هي مراكز أعصاب روحانية طبيعتها روحانية غامضة، وليست بيولوجية حيوية، يدّعون أن الطاقة الحيوية الكونية المسماة الـ(تشي) أو(كي) أو غيرها تدخل فيها وتخرج منها بصورة لولبية تشبه حركة الدولاب، ينظر :

-The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p. 47.

بطرق خاصّة الوصول إليه، ومن ثم التخاطب مع أرواح الموتى[١]!

وقد حاول أهل هذا الاعتقاد التقريب بين معتقداتهم هذه والعلم، فزعموا أنّ الجسم الأثيريّ يمكن رؤيته على شكل هالة ضوئيّة تسمّى عند الهندوس أُورا Aura ، وأنه قد أمكن إثباتها علميًا وتصويرها بواسطة جهاز خاصّ اسمه (كيرليان ) Kirlian[٢]، ويتحدّد من خلال وميض الهالة وألوانها معلومات كثيرة عن صحّة صاحب الجسد البدنيّة والنفسيّة والروحانيّة.

٤.القول بتأثير النجوم أو الطاقة الكونيّة[٣]:

---

(١) ينظر :"اعرف روحك" لعلي راضي: ٥٣، و"ظواهر الخروج من الجسد" لرؤوف عبيد: ١٧، و"دراسات ثيوصوفية" لجهاد الشيخ، و: -The skeptic's Dictionary.Robert Carroll:p.20,33.

(٢) تُنسب إلى الروسي (كيرليان) kirlian صاحب الفكرة، والاسم العلمي لهذا الجهاز: (كاميرا تصوير التفريغ الكهربائي) وحقيقة ما تصوره هذه الكاميرا لا يمت إلى الجسم الأثيري بصلة، فحقيقة ما يُصوّر هو التفريغ الكهربائي خراج الأجسام والذي يتأثر لحظيًّا بالتغيرات الحيوية داخل الجسم أو ما يسمى بـ (ميتابوليزم الجسم) فيظهر على شكل هالة محيطة بالجسم، هي التي ادعى الصينيون أنها الجسم الأثيري الذي يؤمنون به، ثم فسره من آمن بتطبيقاتهم وفلسفاتهم من المسلمين على أنها الروح، ينظر:"الإنسان الحائر بين العلم والخرافة"لعبدالمحسن الصالح:١١١-١٣٣، ينظر: -The skeptic's Dictionary.Robert Carroll:p.189

(٣) لفظة (الطاقة) مألوفة لدى الناس في مجال العلوم التجريبية، وتدل على الطاقة الفيزيائية بتحولاتها المختلفة فمنها الحرارية والنووية والميكانيكية وغيرها، وقد تستخدم للدلالة على الطاقة الحيوية أو الروحية التي يُقصد بها النشاط للعبادة والهمة، لكن (الطاقة) المقصودة في هذه التكهنات هي قوة غيبية يسمونها (قوة الحياة) أو(القوة الحيوية)، وهي تسمية معاصرة لمعتقد وثني فلسفي، أصله محاولة من منكري النبوات -أصحاب الأديان الشرقية والملاحدة- لتفسير ما يرونه في الكائنات الحية من قوة وحركة وانفعال وتأثير، وما يرونه من أمور خارقة أحيانًا، فزعموا أن سبب ذلك طاقة منبعثة من قوة كلية في الكون، لجميع الموجودات حظ منها يمكن تنميته للحصول على حياة أفضل صحة وسعادة وروحانية، بل ولاكتساب قوى تمكّن الخوارق والمعجزات! العلمية الكشفية أو العملية التأثيرية!

وهذه الطاقة —كما يصورونها- تملأ الفراغ الموجود في الكون وتمُد جميع المخلوقات بالحياة والقوة، وتتمثل بشكل قوي في النجوم والكواكب والأفلاك، وتتكون من قوتين متضادتين ومتناغمتين: طاقة إيجابية وطاقة سلبية، وبالتعبير الصيني طاقة (الين) وطاقة(اليانغ)، وتسعى تدريبات الطاقة بأنواعها المختلفة لاستمداد هذه الطاقة وتنظيم تدفيقها في مسارات خاصة على الجسم الأثيري المهيأ كما يزعمون لتلقيها! كما ادّعوا وجود أسرار هذه الطاقة في الحروف والأشكال الهندسية والأهرام والألوان والأحجار الكريمة وبعض المعادن ويمكن لمن تعلم طرق الاستفادة منها لزيادة الطاقة الحيوية! ومن أشهر أسماء هذه الطاقة في العصر الحديث (طاقة قوة الحياة)،و(قوة ساي) عند الماركسيين في= =روسيا الاتحادية، و(التشي) في عقائد الصين وتطبيقاتها التدريبية و(الكي) في عقائد اليابان وتطبيقاتها العلاجية و(البرانا) عند الهندوس وممارسي التنفس العميق، وهي المسماة (الكا) عند الفراعنة، و(إلكترا) في وثنية روما القديمة، ويفسرها من يحاولون التوفيق بين هذه الفلسفة وبين المعروف في الأديان السماوية بـ(الله) تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا أو (نور الله)! ، أو (الروح القدس)، ويفسّرها بعض من يتبناها من المسلمين بـ (البركة) التي تمنح القوة وتسيّر الأمور بسلاسة! ينظر : "تشي ،الطاقة، قوة الحياة" لناصر

منذ القدم والمنحرفون عن الإيمان بالغيب ينسبون إلى النجوم والأفلاك كلّ تأثير على الأنفس والأبدان، فكان منهم من يظنّ أنّ المؤثِّر في هذا العالم هو حركات الفلك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها، ومنهم من يعتقد النفع والضرّ في النجوم السبعة السيارة، ولهم معها تصرّفات خاصّة في ملبسهم وذبحهم ونحو ذلك[1]، واختلفوا في تأثيرها، فقال قوم: إنها تؤثِّر في الأبدان والأنفس جميعًا، وقال الباقون: بل في الأبدان دون الأنفس، وهو قول أكثر أوائل المنجمين. وقسموا البروج إلى مؤنَّثة ومذكّرة، قال ابن القيِّم: ومن هذيانهم في هذا الذي أضحكوا به عليهم العقلاء أنهم جعلوا البروج قسمين: حارّ المزاج وبارد المزاج، وجعلوا الحارّ منها ذكرًا، والبارد أنثى، فالشمس ذكر والقمر أنثى [2].

ومما ابتدعه فلاسفة اليونان أنهم جعلوا للأفلاك عقولاً ونفوسًا تسيِّرها وتحكمها ثم ابتدع متأخروهم نظرية الفيض والصدور التي ذكروا فيها العقول العشرة التي تصرِّف الكون[3]، وفسّر تلامذتهم المنتسبون إلى الإسلام كابن سينا، اللوح المحفوظ بالقوّة الفلكيّة التي عدّها مصدر العلم بالغيب[4]، والذين يؤمنون بالكواكب يدّعون تنزُّل أشخاص عليهم، ويسمون ذلك روحانية الكواكب! وما هي إلاّ شيطان نزل عليهم لما أشركوا ليغويهم[5]، وليزيّن لهم نسبة الأثر إلى مالا يؤثِّر نوعًا ولا وصفًا [6].

وفي العصر الحاضر لا يزال التنجيم موجودًا كما هو عليه في السابق، وإن اختلفت طرائقه وأسماؤه، غير أنّه لا يزال على أسسه القديمة نفسها[7]، وقد اتخذ مروِّجوه بين المسلمين

---

العبيد: ١٢، و"علم الطاقات" التسع لمتشو كوشي، إعداد يوسف البدر :١٢، و"التنفس أسلوب لحياة جديدة" لجوديت كرافيير، ترجمة نورة الشهيل : ٧٦، ورسالة فن صناعة الحياة الطيبة لصلاح الراشد : ٥-٦٣، مطبوعة ملحقة بمجلة فواصل عدد : ١٠٤: بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١م

(١) ينظر :"الملل والنحل" للشهرستاني : ٣٥٨/٢

(٢) "مفتاح دار السعادة" لابن القيم : ٢٢٧/٢ –٢٣١.

(٣) ينظر : "موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة" لصالح الغامدي : ٣٦٩

(٤) ينظر : "النبوات" لابن تيمية: ٧٠٢/٢

(٥) ينظر :"الرسالة الصفدية"لابن تيمية : ١٠٥٨، و"الرد على المنطقيين" : ٢٨٦، و"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان": ٢٢٢

(٦) ينظر :" اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية : ٢٣٤

(٧) "مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي" لعبد الأمير المؤمن : ٣٤٢، وينظر للتفصيل: "التنجيم والمنجمون" للمشعبي: ١٣٥ وما بعدها، و"موقف الإسلام من السحر"لحياة با أخضر : ٢٥٣/١ وما بعدها.

اليوم طريقة الأوائل من الرافضة وإخوان الصفا وغيرهم الموهمة بأنّ التنجيم علم صحيح يتوافق مع ثوابت العقل(١) والنقل(٢)!

وساعد على انتشار هذه المعتقدات الباطلة في عصرنا تقدُّم وسائل العلم والمخترعات الحديثة ووسائل الإعلام والاتصالات، فوصلت أخبار المنجِّمين وشبههم وأباطيلهم إلى أكثر الناس بشُبه لا يستطيع أكثرهم دفعها، ثم إنّ الاسم الجديد (علم الطاقة) يناسب لغة العصر الماديّة، ويعطي انطباعًا بأنّ الأمر متعلِّق بالعلم، فما هو إلاَّ تطوير وتطبيق للتنجيم بلغة تناسب هذا العصر، وصورة تتوافق مع كشوفه العلمية، تتلخَّص في الاعتقاد بوجود طاقة كونيَّة حيويَّة سارية في الكون تحيط بالأشياء وتؤثِّر فيها كلّ التأثير، ومعرفتها تعدّ دليلاً مرشدًا لمعرفة الإنسان نفسه وتطويرها ومعرفة طريق سعادته وفرص نجاحه في كلّ جوانب الحياة(٣)! فيشمل هذا العلم جميع الاعتقادات الباطلة القائمة على فلسفة الأديان الشرقيّة والمعتقدات الغنوصيّة للكون والوجود والحياة والإنسان التي تقوم على أساس الاعتقاد بالكواكب والنجوم والأفلاك وتدبيرها للكون.

فلم يعد الاعتقاد بالروحانيّات الفلكيّة يخصّ الصابئة وعباد الكواكب ومن تأثّر بفلسفتهم من أصحاب الملل المختلفة كما لم يعد تطبيقه العمليّ محصورًا في الأشكال المعروفة من البدع والشركيّات والسحر كالطلسمات(٤) والنرنيجات(٥) وحروف الأبجاد(١) وغيرها من

(١) يحاول كثير من الناس اليوم التقريب بين ما يدعون من تأثير النجوم على الناس والعلم المعقول ففي عام ١٩٨٤ نشر طبيبان هنديان من معتقدي التنجيم مقالة ذكرا فيها أن معدلات الجريمة ازدادت ثلاث مرات في أيام البدر عنها في أيام الهلال، إلا أنهما لم يقيما على هذا الادعاء دليلا علميًّا يعتدّ به، ويخالفهم في ذلك أكثر الباحثين فيؤكدون أنه لا علاقة بين القمر والهلال وغيرها من الكواكب وبين أعمال البشر وأحداث الحياة البشرية. ينظر : مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي : ٣٥١، و"القول في التنجيم" مقدمة المحقق يوسف السعيد : ١١٧

(٢) صُبغ هذا الباطل بصبغة شرعية! وأول محاولات ذلك كانت من الفلاسفة وتبعهم الباطنيون وخاصة الرافضة الذين كان لهم أبرز الأثر في تأصيل تأثير علم النجوم بشبه مدعّمة بالنصوص التي يحرفون دلالاتها وبالأحاديث المكذوبة، ينظر : "التنجيم والمنجمون" للمشعبي : ١٢٤

(٣) ينظر : "علم الطاقات التسع"، إعداد البدر : ٦

(٤) الطلسم عبارة عن سحر يعمد فيه إلى مزج ما يعتقد من القوى السماوية والأرضية، ينظر : "مفتاح السعادة" لطاش كبرى زاده : ٢٧٧/١

(٥) النرنيجات هي من نوع من السحر مبني على خواص المعادن والنباتات والأعضاء الحيوانية التي تمزج بطرق يراعى فيها طبائع الكواكب والأبراج التي تشاكلها بحسب اعتقادهم. ينظر : "الدر المنظوم" لمحمد الكشناوي : ١٧٤/٢

الأمور التي تقوم على اعتقاد تأثير ما يسمُّونه الروحانيّات العلويّة أو روحانيّة الطلسم(٢)، وإنما انتشر هذا المعتقد حتى أصبح جزءًا من ثقافة المجتمع الإنسانيّ العالميّ في العصر الحديث على اختلاف الانتماء الدينيّ لمعتقديه ومطبقيه عمليًّا، وانتشرت المؤلَّفات والبرامج وأنواع التدريبات العمليَّة التي ترجمت هذا المعتقد على شكل برامج حيويَّة يوميّة تهدف إلى التنمية البشريّة أو تطوير الذات التي ينادي بها العالم اليوم، وهي برامج روعي فيها الإيحاء بأنّ الممارسة والتجربة الشخصيّة هي أصدق برهان على الحقيقة، والإحساس بسريان طاقة هذه الروحانيّات في حياة الناس وتأثيرها عليهم ومنحها لهم ما يأملون من صحة ونجاح وسعادة وسلام، ومن هنا انتشر الإيمان بالنجوم والعقائد المرتبطة به على شكل تطبيقيّ عمليّ وبصورة ممارسة تتّصل بالحياة اليوميّة، وأدرجت كثير من هذه الصور تحت اسم (الطبّ البديل)(٣) المهتمّ بالغذاء والرياضة؛ فرُوِّجت الأنظمة الغذائيَّة التي تقوم على تصنيف أنواع الأطعمة والنباتات إلى نافعة وضارة بحسب خصائص روحانيّة تشاكل ما يُدَّعى من روحانيّة الكواكب والقوى السماويّة الفعالة(٤).

كما روج للبرامج العلاجية الاستشفائية(٥) التي تُدخل الإنسان في حالة اللاوعي التي

---

(١) هي طريقة يعتقد أهلها برابطة قوية بين الحروف وحياة الإنسان ومستقبله والكون وما يحدث فيه بحسب خصائص مدعاة لكل حرف، ويربطون بين ذلك وبين النجوم والأبراج ويستخرجون به أوقات الأحداث، وأخبار الغيب والأعمار والنحوس والسعود مما تمليه عليهم شياطينهم.ينظر: "المقدمة" ابن خلدون : ١١٤،و"معارج القبول" للحكمي : ٤٢٦/١

(٢) ينظر :"كشف الظنون" لحاجي خليفة : ١١١٤/٢

(٣) الطب البديل باب ليس له ضوابط محددة؛ لذا روجت تحت اسمه جميع تطبيقات الطاقة الكونية جنبًا إلى جنب مع التطبيقات المعروفة في طب الأعشاب الشعبي أو طب الوحيين والمتصفح لمجلة الطب البديل يرى عجبًا؛ إذ يروج لكافة أنواع الفلسفة والتنجيم إلى جانب الخرافات والجهل والكذب!

(٤) كان هذا التقسيم معروفًا قديمًا ضمن علم الفلاحة الذي موضوعه النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانية الكواكب والهياكل المستعملة لذلك مما هو داخل في باب السحر؛ لذا أخذ المسلمون من هذا العلم مايتعلق بزرعه وغرسه وعلاجه وأعرضوا عن الكلام الآخر، ينظر: "المقدمة": ٤٦٥

وحديثًا عاد الاهتمام بالجزء المتعلق بالخواص الروحانية المدعاة تحت اسم (الماكروبيوتيك) الذي انتشرت تطبيقاته= =القائمة على الاعتقاد بتأثير الأفلاك، ويعتمد القسم الخاص بالتغذية منه على تقسيم الأغذية إلى مؤنثة ومذكرة بحسب تأثير الكواكب وتقسيمها إلى ما يعرف في الفلسفة الصينية بـ(الين) و(اليانغ)، ينظر : "الماكروبيوتيك" لخالد التركي : ٣٧ ، و"الاستشفاء الطبيعي بالماكروبيوتيك" لميتشو كوشي ترجمة أسامة مأمون :٣١- ٥٧

(٥) كـ(الريكي) و(التاي شي) و(الشي كونغ) و(التنفس التحولي) و(التأمل التجاوزي) و(اليوجا) وغيرها، وهي أنواع رياضات علاجية استشفائية، أساسها الاعتقاد بالطاقة الكونية- التي سبق بيانها- ينظر : "الوجوه الأربعة للطاقة" لرفاه وجمان السيد : ١٥ -٥٩، و"التنفس أسلوب لحياة جديدة" لجوديت كرافيتز، ترجمة نورة الشهيل: ١٣-٨٩، و"اليوجا في

يزعمون أنها تمكِّنه من التخلُّص من طاقة الكُره والشرّ واكتساب طاقة الخير والحبّ لاستمداد طاقة الشفاء الكونيّة المؤثِّرة في الصحّة والروحانيّة والسعادة!

وكذلك البرامج الخاصّة بتصميم المساكن[1]بطريقة تسمح للطاقة الكونيّة — المدّعاة – بالتدفُّق في أرجاء المسكن لتنظيفه بالروحانيَّات الموجبة التي تمنح ساكنيه السعادة والصحة والنجاح، وتقيهم من الأمراض البدنية والنفسية والروحانية [2]!

وهكذا تخبّط في أنواع من الاعتقاد الباطل كلّ من انحرف عن الإيمان بالغيب كما جاءت به النبي ﷺ، ووقعوا في ضروب من البدع والشرك، أما أهل الإيمان بالغيب وحدهم فإنهم عرفوا من حقائق عالم الغيب ما ينير لهم الطريق، فعلموا أنّه لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له خلق هذا الكون بقدرته وإرادته وحكمته، وهو وحده القادر على إفنائه وإزالته متى شاء، وعلموا بأنَّ الشمس والقمر والنجوم والأفلاك ماهي إلاَّ مخلوقات مربوبة مقهورة معبَّدة لخالقها ﷻ: ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [الأعراف:٥٤]، فلم يولوا اقتران مواقع

---

ميزان النقد العلمي" لفارس علوان :٢٥، و:

-The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p.144.

(١) يسمى هذا النوع بحسب ثقافة الأديان الشرقية ولغاتها (الفينغ شوي) وبحسب لغة العلم الغربي (البايوجيومتري)، وممن أسهم في نقله إلى العربية وطوره بما يناسب الثقافة الإسلامية المدعو إبراهيم كريم عبر موقعه الإلكتروني، ورفاه وجمان السيد عبر كثير من الكتب والمقالات، ويقوم هذا البرنامج على أساس مراعاة خصائص روحانية مزعومة للجهات الأربعة والألوان والروائح والأشكال الهندسية لتمنح الإنسان الصحة والسكينة والسعادة والنجاح في كل مناحي الحياة! ينظر:" الوجوه الأربعة للطاقة" لرفاه وجمان السيد: ٦١ -١٠٩.و:

-The skeptic's Dictionary.Robert Carroll :p.144.

وقد راجت هذه الشركيات كثير من الفضائيات العربية ووسائل الإعلام المقروءة والإلكترونية، وعدّها بعض المسلمين أنماطَ حياة وتجارب شرقية أسهمت في رفع مستوى الصحة وإطالة الأعمار وزيادة الإنتاج في تلك البلاد!ومن ثم لابد من تعلمها وتطبيقها! ومن ذلك الفيلم الوثائقي الذي عرضته قناة الجزيرة الفضائية عن التنظيف الروحي للمنازل الذي أصبح له في الغرب والشرق فرقًا متخصصة تقوم بتبخير المنزل بأنواع خاصة من البخور والروائح ويشعلون أنواعًا من الشموع ويستعينون بالطبول والمزامير وأنواع الموسيقى، التي تطرد الطاقة السالبة من المنزل وتزوده بطاقة موجبة تمنح سكان المنزل مبتغاهم من السكينة والصحة وتطرد الكره والمرض والشرور! ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

(٢) يستعين المؤمنون بهذه الطاقة بأدوات خاصة تعين في تحديد كمية ونوع الطاقة المطلوبة، ومدى النقص الحاصل فيها وإعادة شحنها –كما يزعمون– منها: الأهرامات والبندول وأنواع من الأحجار الكريمة والشموع ذات الروائح والألوان الخاصة، ينظر: "العلاج بالطاقة" لدلال سعدية : ٤٦ –٥٠، و"القوة النفسية للأهرام" لبيل شول ترجمة أمين سلامة : ٩٥ — ١٠٥، و"طاقة البندول" لغريغ نيلسن ترجمة فارس ظاهر : ٩– ٢٠

النجوم وحركاتها ببعض ما يعيشون من أحداث اهتمامهم لأنّ نبيّهم ﷺ حذّرهم وقال: "أخاف على أمّتي بعدي تكذيبًا بالقدر، وتصديقًا بالنجوم"[١]، فصانوا قلوبهم عن التوجُّه لغير الله وأسلموا وجوههم إليه، وأخلصوا في طلبهم له، واستغنوا بما أعطاهم، فأغناهم وهداهم إلى خير الدنيا والآخرة.

وحقيقة الأمر أنَّه قد يتحقق لبعض معتنقي هذه الفلسفات الباطلة أو ممارسي تطبيقاتها بعض النفع الذي يرجونه ولهذا يجب أن لا ننسى أن مجرَّد اقتران الشيء بالشيء بعض الأوقات مع انتقاضه، ليس دليلاً على الغلبة باتفاق العقلاء، والعلم بأنّ أمرًا ما هو السبب أو بعض السبب أو شرط السبب، في الأمور الحادثة قد يُعلم كثيرًا، وقد يُظنّ كثيرًا، وقد يُتوهم كثيرًا، وهمًا ليس له مستند صحيح، إلاّ ضعف العقل[٢] ثم إنّ كلّ ما يظنّ له تأثير نافع للناس علمًا وعملاً، أو صحّة وسعدًا مما تخرّص به أهل المعتقدات الباطلة فإنّ فيما شرع الله وأباح للناس من الأسباب ما يغني عما يظنّ فيه من نفع، قال ابن تيميّة: «جميع الأمور التي يظنّ أنّ لها تأثيرًا في العالم وهي محرّمة في الشرع كالتمريجات[٣]الفلكيّة، والتوجُّهات النفسانيّة، كالعين، والدعاء المحرَّم، والرقى المحرَّمة، أو التمريجات الطبيعيّة ونحو ذلك، فإن مضرّتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب... والمخفق من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إنّ فيها من النكد والضرر ما الله به عليم فهي في نفسها مضرّة، ولايكاد يحصل الغرض بها إلا نادرًا، وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه... والأسباب المباحة أو المستحبّة سواء كانت طبيعيّة كالتجارة والحراثة أو كانت دينيَّة كالتوكُّل على الله والثقة به وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع في الأمكنة والأزمنة التي فضّلها الله ورسوله، بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين ﷺ، وكالصدقة، وفعل المعروف يحصل بها الخير المحض، أو الغالب. وما يحصل من ضرر بفعل مشروع، أو ترك غير مشروع مما نهي عنه فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٢) ينظر : "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية : ٢/٢٣٤. وهذا هو ما يسمى في علم الإحصاء الحديث بـ( الزلل التراجعي )Regressive fallacy .

(٣) التمريجات مأخوذة من المرج وهو الخلط والفساد والمقصود بها : تخرصات الذين يعتقدون بتأثير الأفلاك. ينظر : "القاموس المحيط" : ١/٢١٤

المنفعة» [١].

ولو كان النظر في أحكام النجوم واعتقاد طاقتها وقوتها الروحانية يفيد علمًا صحيحًا ويدعو إلى عمل نافع لم يجز لنا استخدامه لنهي الشريعة فكيف وهو لا يفيد؟ وكلّ ما يعتقد في النجوم من أنها فاعلة مدبِّرة، وأنها تسعد وتنحس، وأنَّ مايحدث في العالم فهو بحركاتها، كلّ ذلك ضلال باطل ولا يُقال في النجوم إلا أنها يُهتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر، ويُعرف بالشمس والقمر عدد السنين والحساب، وإنّ فيها دلالة على قدرة الله وحكمته[٢].

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية : ٢/٢١١

(٢) ينظر :"القول في علم النجوم" للبغدادي : ١٧٩

# الفصل الثاني:
# إصلاح الدين والدنيا

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :أثر الإيمان بالغيب في ضبط مصادر العلم والمعرفة.

المبحث الثاني :أثر الإيمان بالغيب في الهداية إلى منهج العبودية .

المبحث الثالث : أثر الإيمان بالغيب في إصلاح الحياة والمعاش.

**توطئة:**

إنّ أثر الإيمان بالغيب في إصلاح حياة الناس وإصلاح معاشهم قويّ ومتشعِّب يظهر في جوانب معارفهم كما يظهر في جوانب أعمالهم، ويظهر في حياة الفرد كما يظهر في حياة الجماعات، فالأخبار الغيبيَّة والتوجيهات الربانيَّة التي يتضمَّنها الإيمان بالغيب لها متعلّقات بجميع مناحي الحياة، فبهديها تتحدَّد مصادر المعرفة وتنضبط، وبها توجّه نوايا العباد فيصحّ السلوك والعمل ومنها تؤخذ أحكام الأمر والنهي وتعرف كيفيَّات العبادة.

وقد استعرض الفصل الأول من هذا الباب الحقائق التي تحدِّد للإنسان معنى وجوده وتفسِّر له كثيرًا من أسرار الكون والحياة والأحداث التي تجري فيها تلك المعارف التي لها عظيم الأثر على المؤمنين بالغيب، فبها اهتدوا إلى معرفة إلههم ﷻ ومعرفة أنفسهم ومبدئهم وغايتهم ومصيرهم. ولكنّ الإيمان بالغيب ليس هو معرفة الحقائق الغيبيّة في الوجود فقط، ولا الاعتقاد بها والإقرار بأنها حقّ وصدق، وإنما يجمع مع هذا كلّه منهاج عملي يُتّبع وهدى يُسترشد به في كلّ مناحي الحياة.

وفي هذا الفصل نستعرض آثار الإيمان بالغيب في إصلاح حياة الناس وإقامتها على منهج العبودية لله ﷻ بما يضمن للمؤمنين من سعادة حقيقيّة أبدية. وقد انتظمت مباحث هذا الفصل لتبرز ما يصلح النفس الإنسانية جسدًا وروحًا، ففيه التعريف بأصول ما يحقّق النجاة من الأسقام وما تندفع به العلل والأدواء فيما يتعلّق بالأجساد والأرواح والعقول على السواء. ولهذا كان المؤمنون بالغيب في كلّ زمان ومكان من أفضل الناس عيشًا وأطيبهم حياة إذا ما أن طبّقوا حقائق هذا الإيمان وصاغوا حياتهم وعلاقاتهم ومناشطهم وعاداتهم وأعمالهم في ضوء هداه. كما أنه يتضمَّن جوانب تأثير الإيمان بالغيب فيما يتعلَّق بالمجتمع الإنسانيّ علمًا وعملاً، فالإيمان بالغيب يصحّح المعارف ويضبط مصادر التلقّي عند المؤمنين، ويحمي من اعتقاد الخرافات ونشر الأكاذيب والضلالات، ويصحّح الأعمال والسلوك، فيؤسّس نظامًا كاملاً يقيم الأخلاق، وينظم العلاقات، ويدعو إلى العمل، ويحمي من أنواع الفساد والرذائل.

# المبحث الأول:

# أثر الإيمان بالغيب في ضبط مصادر المعرفة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الترغيب في العلم ونبذ الجهل.

المطلب الثاني : الإرشاد إلى منهج طلب المعرفة اليقينية.

المطلب الثالث : تحريم الكذب والتحذير من الكذابين.

# المطلب الأول
# الترغيب في العلم ونبذ الجهل

خلق الله الناس وأناط بهم عمارة أرضه بمنهج العبودية له ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولا يتمّ ذلك ولا يتحقّق إلاّ بالعلم بمراد الله ﷻ والمنهج المرضيّ عنده ﷻ؛ لذا ساق الله بما أنزل على رسوله ﷺ أنفع علم وأكمل هدى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣ ﴾ [النساء:١١٣]، وامتنّ على المؤمنين بذلك فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وأخبرهم بأنه نور لهم وهداية فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة:١٥-١٦]، ثم أمرهم بمعرفته والإيمان به: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ ﴾ [التغابن:٨]، وبيّن لهم مكانة أهل العلم به مرغّبًا فيه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:١١].

فالعلم طريق الوصول إلى مرضاة الله ﷻ وبلوغ المراد من كمال العبوديّة، وبه يتبّين الحقّ من الباطل ويُعرَف الصراط المستقيم، لذلك شبّهه الله بالنور الذي يكشف الظلمة وبالروح التي تحصل بها الحياة قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾ [الأنعام:١٢٢]. ﴿ مَيْتًا ﴾: أي بالكفر والجهل والمعاصي، ﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ أي: بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصِّرًا في أموره، مهتديًا سبيله، عارفًا الخير، مؤثرًا له، مجتهدًا في تطبيقه على نفسه. عارفًا

بالشرِّ، مبغضًا له، مجتهدًا في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره [١].

وكذلك رغّب النبيّ ﷺ الأمّة في طلب العلم ودعاهم إليه فقال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا..."[٢] فـ«شبّه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث؛ لما يحصل بكلٍّ واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية، وسائر مصالح العباد»[٣].

فمنهج الإيمان بالغيب يدعو المؤمنين إلى طلب العلم، ويسوق لهم أنفعه وأكمله، وينير لهم طريقه، ويضع لهم معالم تدلّهم على الحقّ وتهديهم إليه، ويدعوهم لنبذ الجهل فهو أساس كلّ ضلالة وغواية، وهو العقبة المانعة من بلوغ الخير ومعرفة الهدى والهداية إلى الصراط المستقيم، قال تعالى مخبرًا عن ندم أهل النار على جهالتهم التي أدت بهم إلى جهنم وبئس المصير: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك:٦-١٠]، فلمّا عطّلوا أسماعهم وعقولهم عن طلب العلم الصحيح هلكوا في دروب الجهل والضلال.

وقد ذمّ الله ﷻ أهل الشقاء المعرِضين عن العلم، وبيّن فساد طريقتهم فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال:٢٢]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤]، فلم يشبِّههم بالأنعام فحسب، بل جعلهم أضلّ، وبيّن أنهم كالعميان لا يبصرون طريقهم: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ﴾ [الرعد:١٩]، فالجهل أصل كلِّ فساد وضرر يلحق العبد في دنياه وأخراه، وشجرة الجهل أساس كلّ ثمرة قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم وغيرها.

**أنواع العلوم وأهميتها:**

«أصل العلم إدراك الشيء على حقيقته، وهو معرفة الشيء على ما هو عليه»[٤]، وهذا

---

(١) "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي : ٦٤/٢، وينظر: "جامع البيان" للطبري : ٢٢/٥

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، رقم: ٧٩، ومسلم،كتاب الفضائل ،باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢ .

(٣) "مفتاح دار السعادة"لابن القيم : ١١٤/١

(٤) "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي : ١٣٤/٣

يعمّ الحقائق التي يُتوصَّل إليها بكلّ طرق المعرفة، وأولها: ما لا يستطيع الإنسان إدراك حقيقته لتعلّقه بعالم الغيب، فهذه العلوم لا تُدرك على حقيقتها إلاّ بالوحي الذي يصدّقه العقل بالدلائل المختلفة سواء فيما نرى أو فيما غاب عنا.

وثانيها: مجموعة الحقائق التي توصَّل إليها العقل الإنسانيّ في مراحل تفكيره المختلفة وتجاربه وملاحِظِه المحرَّرة بالاختبارات المتكرِّرة، فلا تختلف بتفاوت الأذواق، ولا تتغيَّر بتغيُّر المصالح[١].

والنوع الأول من العلم يختلف باختلاف عقائد الناس وإيمانهم أو كفرهم بالوحي، كما يتفاوت بحسب مصدر الوحي[٢]، ولا يوجد صافيًا محفوظًا إلاَّ في مصادر الدين الخاتم، المعتمدة على الكتاب والسنة، والمراد بهذا العلم: العلم الشرعيّ الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من العلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص_وما أوجب على عباده من أمر دينه في عبادته، ومعاملاته [٣].

وهذا العلم واجب محدَّد المصدر لا يُطلب إلاّ من الوحي المعصوم كتابًا وسنة ومن أهل العلم بهما، وبه تتحقَّق عبادة الله كما يريد سبحانه، وإنما يحصل الضلال فيه إذا أُخذ من مصادر باطلة أو من غير أهله، قال ﷺ: "إنّ من أشراط الساعة ثلاثًا: إحداهن أن يُلتمس العلم عند الأصاغر..."[٤]، وعن ابن مسعود ﷺ قال: "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، وتفرقت أهواؤهم؛ هلكوا"[٥]. والأصاغر كما قال عبدالله بن المبارك: الذين يقولون برأيهم، وقال: أهل البدع[٦]، فالعلم الشرعيّ لا يؤخذ إلاّ من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، ولا يلتفت فيه إلى مقالات أهل التأويل والبدع قديمًا وحديثًا التي «كم نُفي بها من حقّ، وأُثبت بها من باطل، وأُميت بها من سنة، وأُحيي بها من ضلالة! وكم هُدم بها من معقل الإيمان، وعُمر بها من دين

(١) ينظر : "منهج الثقافة الإسلامية" لمحب الدين الخطيب : ١٠

(٢) يراجع فصل مصادر الغيب من هذا البحث.

(٣) ينظر : "فتح الباري" لابن حجر : ١٤٩/١

(٤) أخرجه ابن المبارك،كتاب الزهد، رقم: ٦١، وقال الألباني صحيح ،صحيح الجامع الصغير ٤٣٩/١،رقم: ٢٢٠٧

(٥) أخرجه ابن المبارك،كتاب الزهد، رقم: ٨١٥ ،وقال التويجري: إسناده صحيح على شرط مسلم ، إتحاف الجماعة : ٤٢٤/١

(٦) قاله الإمام عبدالله بن المبارك، ينظر: حاشية "كتاب الزهد": ٣٠

الشيطان!»[١].

أمّا النوع الثاني من العلم: فهو ماعدا العلم الشرعيّ، ووجوبه على الكفاية التي تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والألسنة والأذهان[٢]، وهو تراث إنسانيّ مشترك، لا يختصّ بأمَّة ولا تحتكره حضارة، بل تتنافس في تحصيله الأمم والدول؛ لأنه عامل مهم في النهضة المادية، وقد أسهم في تطوره تضافر جهود الأمم عبر التاريخ، فالغرب اليوم إنما شيّد بناءه الشامخ على النتائج التي توصّل إليها من قبل علماء المسلمين الذين استفادوا مما وصلهم من علوم الأمم، وأضافوا عليها ملاحظهم ودراساتهم، فتقدموا بها كثيرًا واكتشفوا حقائق جديدة في مجال الطبّ والهندسة والحساب والفلك وغيرها من العلوم، لذا تتسابق الأمم— بما فيهم أمة الإسلام – لبناء صروح نهضتها الحضارية بالاستفادة من علوم الشرق والغرب من الأوائل والأواخر، إلاّ أننا في خضمّ هذا السباق لتحصيل حقائق العلوم الدنيويّة المشتركة يجب أن نتنبه إلى أنّ الكاتبين في هذه العلوم قد يصبغونها بعقائدهم وفلسفاتهم المنحرفة وهذا واقع ملموس في نتاج علوم اليونان والصين كما هو ظاهر اليوم عند كثير من الملحدين الذين وظفوا حقائق كثير من العلوم للتدليل على مذهبهم الماديّ وتصوُّراتهم الإلحاديّة ورؤاهم الفلسفية، لذلك كان رجال الإصلاح ورجال القيادة من كلّ أمة يقضون الليالي باحثين عن كيفيّة أخذ الحقائق العلميّة وحماية أفراد أمّتهم من العقائد الدخيلة الوافدة معها[٣]، وانبرى لهذا الأمر كثير من علماء سلف هذه الأمة ممن كانوا على دراية بحقائق نوعي العلم كليهما، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية الذي وقف —جزاه الله عن الأمّة خير الجزاء – مرشدًا ومبينًا للحقّ من الباطل وللحقيقة العلميّة من الفلسفة العَقَدية لما عُربت علوم اليونان والهند من طب وفلك وهندسة وغيرها من الحقائق النافعة؛ إلى السحر والتنجيم والفلسفة وغيرها من المعتقدات الباطلة، وقال محذرًا: « إن من الكلام ما يسمى علمًا وهو جهل، مثل كثير من علوم الفلاسفة وأهل الكلام، والأحاديث الموضوعة، والتقليد الفاسد، وأحكام

---

(١) "إعلام الموقعين" لابن القيم : ٦٨/١ باختصار يسير.

(٢) "مفتاح دار السعادة"لابن القيم : ٧/٢

(٣) ينظر : "نحو ثقافة إسلامية أصيلة" لعمر الأشقر : ٢٦

النجوم. ولهذا رُوي: إنَّ من العلم جهلاً، ومن القول عيًّا ومن البيان سحرًا[١]»[٢].

وما زال حماة العقيدة من العلماء جيلاً بعد جيل يضطلعون بهذه المهمة إلاّ أنها مهمّة تحتاج إلى إلمام واسع بحقائق نوعي العلوم[٣]، وقد عزّ وجود هذا في عصرنا – لأسباب كثيرة ليس هذا مقام ذكرها – مع عظيم الحاجة إلى وجوده لظروف الانفتاح الثقافيّ منقطع النظير بين ثقافات الأمم الذي سهلته وسائل الاتصال الحديثة مع تقدّم أهل الباطل في كافّة هذه المجالات وندرة من يبيّن الحقّ من الباطل فيما يخفى على العامّة ويدقّ عن فهمهم، فاختلط نتيجة هذا التواصل الفكريّ بين الناس على جميع مستوياتهم الحقّ بالباطل وعُرضت الأكاذيب مدلّسة بالحقائق، ونُشرت الشبه الباطلة على أنها دلالات عقليّة أو نقليّة مما ينذر بخطر تزييف جوانب المعرفة الإنسانية المشتركة واندراس معالم العقيدة الصحيحة، ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، ويصدق يتحقق لإبليس اللعين مراده الذي يسعى إليه بخيله ورجله، مع أنّ المصطفى ﷺ حذر منه وأخبر عن وقوعه إذا ما رفع العلم وفشا الجهل وطُلب العلم من غير أهله، قال ﷺ: "إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع العلم"[٤] وقد ذكر عدد من شرّاح الحديث والمؤرّخين تحقُّق شيء من هذا في أزمانهم، والذي يظهر أن ما شاهدوه كان يوجد مقابله من

---

(١) أخرجه أبو داود،كتاب الأدب، باب ماجاء في الشعر،رقم: ٥٠١٢، ونصه: " إن من البيان سحرًا، وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر حكمًا، وإن من القول عيالا". وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وأصله في البخاري،كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم: ٥١٤٦، بلفظ : "إن من البيان سحرا".

(٢) "الاستقامة" لابن تيمية : ١٦٠/٢

(٣) أُنشئت في الغرب مؤسسات كبرى تضطلع بمهمة حماية الأمة –بحسب منظورهم وعقيدتهم – ففي مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية أُنشئ ما يسمى(الأكاديميات القومية) US National Academies وتتكون من أكاديميات أربعة متخصصة في العلوم والطب والهندسة والبحث العلمي، وتعمل كهيئة استشارية للأمة الأمريكية تراجع وتتحرى حقيقة ما ينشر بين العامة باسم العلم. فإذا كانت حماية الناس من تصديق الباطل في العلوم المادية أمراً مهمًا لصلاح الدنيا فإن حمايتهم من تصديق الباطل والعمل به في أمور الدين أوجب وهذا ما تقوم به هيئة كبار العلماء وما يشابهها في بعض بلاد المسلمين، ولكن الخطر العقدي اليوم الذي يتستر وراء علوم شتى وتظلله دعوات التسامح العالمي والتقارب مع الآخر يجعل من المتعين إنشاء هيئة تضم جماعة من علماء الأمة في تخصصات متنوعة لتتمكن من متابعة ومواجهة خطر سيل العقائد الباطلة والبدع القولية والعملية وصنوف الشرك والكفر الوافدة تحت غطاء العلوم الحديثة جهادًا في سبيل الله وحماية لدين الله.

(٤) أخرجه البخاري،كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم: ٧٠٦٣،ومسلم،كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم: ٢٦٧٢

العلم، والمراد من الحديث « استحكام ذلك، حتى لا يبقى مما يقابله إلاّ النادر، وإليه الإشارة بقبض العلم، فلا يبقى إلاّ الجهل الصّرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم ؛ لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك»[1] .

من هنا كان على المؤمنين بالغيب على اختلاف تخصُّصاتهم أن يسعوا لبيان الحق في نوعي العلوم، وإبراز منهج الإيمان بالغيب القائم على التسليم لله ورسوله، ليصل طلاب الحقيقة من جميع الأمم إلى صحيح المعارف وحقائق الأمور سواء قبلوها وآمنوا بها بعد ذلك أم غلبت عليهم شقوتهم وكفروا بها وردوها.

(١) "فتح الباري" لابن حجر : ١٦/١٣

## المطلب الثاني
## الإرشاد إلى منهج طلب المعرفة اليقينية

البحث وراء المعرفة مطلب عامّ للبشر ينبع من حاجتهم إلى فهم أسرار الكون والوجود، والكشف عن الحقائق وإدراك عللها للوصول إلى تفسير يبنون عليه تصوُّراتهم وقيمهم وأخلاقهم ونظام معاشهم، لذا كان من مهمات الوحي تقديم معرفة شاملة لما ينفع الناس في أمر الدنيا والدين، فأوضح لهم الحقائق التي لا يمكن أن يصلوا إليها بفكرهم وملكاتهم، وهداهم إلى الحقّ عقيدة وعملاً كما دعا إلى العلم ورغّب فيه، وحذّر من الجهل وعابه ودعا إلى نبذه، وأرشد إلى مصادر المعرفة المختلفة وبيَّن مجالاتها وقيمة المعرفة الصادرة عنها والعلاقة فيما بينها، ودعا إلى استعمال نعم الله عليهم من قوًى ومواهب في مجالها بحثًا واستدلالاً، مما له أعظم الأثر في الحصول على المعرفة الصحيحة اليقينية، لا في مجال الغيب فقط، وإنما في مجال الشهادة كذلك، ولكن لم يستفد منها إلا أتباع الأنبياء الذين آمنوا بالغيب وصدقوا به.

أمَّا من لم يكن لهم نصيب من الإيمان بالغيب على منهج الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – فقد حاولوا أن يحدِّدوا بأنفسهم منهج البحث عن الحقيقة، ويعيِّنوا المصادر الموصلة إليها[(١)]؛ فنشأت من محاولاتهم الفلسفة بتياراتها ومذاهبها المتنوِّعة منذ الفلاسفة القدامى في الهند والصين واليونان، وقد كان من الطبعيّ أن تختلف نزعات الفلاسفة وتفسيراتهم؛ إذ إن قُصارى ما يفعلونه هو وضع افتراضات مطبوعة بفكرهم صادرة عن قواهم وملكاتهم من تأمُّل أو تحليل أو حدس أو تخيُّل أو غير ذلك من المواهب التي يتفاوت الناس فيها، ويتنازعون في مدى اقتناعهم بالمعرفة الصادرة عنها، لذا لم يكن نتاج هذه الفلسفات إلاَّ إخفاق في تقديم تفسير مقنع متكامل لما يدور حول الإنسان في الوجود، وعجز عن الدلالة على منهج صلاح الدنيا والآخرة عقيدة وعملاً.

---

(١) نشأ عن البحث في هذه المصادر ما سُمِّي بـ(نظرية المعرفة) التي عُدَّت وسيلة الفيلسوف في البحث عن الحقيقة، وقُدِّمت على سائر المباحث في الفلسفة المعاصرة بعد أن كان الوجود مقدَّم عليها في الفلسفة القديمة، ومباحث الفلسفة ثلاثة هي: المعرفة والوجود والقيم، أو ما يُعبّر عنه بـ(الإبستمولوجيا والأنطولوجيا والإكسيولوجيا). ينظر : "مقدمات في الفلسفة" لعلي عبد المعطي : ٧ من المقدمة.

وإن تتبُّع منهج الإيمان بالغيب في إرشاد المؤمنين به إلى طريق المعرفة اليقينيّة، وتبصيرهم بحقائق الأمور في عالمي الغيب والشهادة ليكشف عن الأثر العظيم لهذا الإيمان في حياة الناس وصلاح دينهم ودنياهم لو عرفوه واتبعوه، ومن أبرز معالم هذا المنهج ما يلي:

**أولاً: التأكيد على أنَّ الوحي هو المصدر الرئيس للمعرفة الصحيحة:**

فعقيدة الإيمان بالغيب التي جاءت بها الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - تقتضي من المؤمنين بها أولاً التسليم بالوحي وتصديقه، وقد كان التأكيد على صدق خبر الوحي والبرهنة على أنَّه الحقّ من عند الله ﷻ من أهمِّ المسائل التي قرَّرها الرسل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس:١٠٨]، وقال ﷻ: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة:٢٥٢]. لذا فإنّ كل ما يُعرف من طريق الوحي هو علم يقينيّ، سواء أكان ذلك فيما أخبر به ماضيًا أو حاضرًا أو مستقبلاً، أم كان من حقائق العالم الغيبيّ، أم من سنن العالم المشهود، فقد قدّم الوحي للمؤمنين به علمًا واسعًا في مجالات كثيرة عجزت جميع مصادر المعرفة حيالها عن تقديم شيء يقينيّ تتفق عليه كلمة أهلها، ومن أعظم هذه المجالات مجال الغيب أو ما وراء الطبيعة الذي تخبَّطت فيه الفلسفة كثيرًا وانتهت إلى اعتراف كثير من أساطينها بالعجز عن إدراكه أو اللجوء إلى إنكاره[1]، فالمؤمنون بالغيب لتلقِّيهم كلّ ما جاء به الوحي من العلم والعمل باليقين التامّ وصلوا إلى معارف جليلة؛ فاهتدوا إلى ربِّهم ﷻ، وصدّقوا بوجوده، وأثبتوا له الأسماء الحسنى والصفات العلا. وعلموا بوجود الملائكة الأبرار، وعرفوا كثيرًا من أعمال الملائكة وصفاتهم. وعرفوا حقائق عن عالم الجن والشياطين وعرفوا عداوة إبليس لهم وتربُّصه بهم، كما عرفوا كيف يدفعون كيده ووساوسه. وآمنوا بالأنبياء وعصمتهم وأدركوا جزاء من اتّبع هداهم وعقاب من خالفهم وكذّبهم. وعرفوا تفاصيل كثيرة عن البعث والجزاء في اليوم الآخر كصفة الجنة والنار والصراط والميزان وغير ذلك.

كذلك عرفوا من طريق الوحي معارف مهمَّة عن النفس ونوازعها وطرق تزكيتها وعن كثير مما يصلح معاشهم وحياتهم الدنيا ما جعلهم أهدأ نفسًا وأقوم منهجًا ممن جعلوا عقولهم مقدّمة على الوحي، وتخبّطوا بفلسفاتهم في متاهات الشكِّ والضلال.

فعقيدة الإيمان بالغيب لها بالغ الأثر في إرشاد المؤمنين إلى مصادر العلم الصحيح الذي

(١) ينظر : "مصادر المعرفة" للزنيدي : ١٥٢

لا يتوصّل إليه بالعقل والحواسّ من الحقائق الوجوديّة والأحكام الجازمة في مختلف مجالات الحياة لكونها تقوم على التصديق بالوحي الذي أنزله الله ﷻ هدًى ونورًا وامتنّ به على المؤمنين فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢]، وأكّد لهم صحّة خبره بما يرونه في أنفسهم ومن حولهم، قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]. ومن وجه آخر فهذه العقيدة تتضمّن تحذير المؤمنين من اتّباع الهوى والظنون بعدما جاءهم من العلم الحقّ، قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [البقرة:١٢٠]، وهكذا يعرف المؤمنون بالغيب منهج طلب الحقيقة بضوابطه ومحاذيره فتتكامل عندهم المعرفة الصحيحة.

أمّا من انحرفوا عن طريق الإيمان وصمّوا آذانهم عن الهدى فقد تقلّبوا في ظلمات الجهالة والكفر في المجال الذي لا تصله العقول؛ لأنهم عدّوا الوحي نوعًا من الهذيان والجنون وقابلوا أنبياء الله بالتكذيب والتسفيه، كما أخبرنا الله في القرآن الكريم﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر:٦]، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥﴾ [المؤمنون:٢٥]، وقال ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات:٥٢]، ومن الكفّار من رفض الوحي -كبرًا وبطرًا — للجهل بحكمة الله في الاصطفاء والاجتباء فقالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف:٣١]، وقالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥﴾ [القمر:٢٥]. ومنهم من نظر إلى الوحي وما يأتي به على أنه مجموعة أساطير ابتدعها خيال الإنسان الخصب في حقب مضت في محاولات تفسيره للكون والحياة: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان:٥] ؛ لذا ظنّ المتأخرون منهم أنّه من الواجب كلّما تقدّم الزمان أن تُستبدل بتلك الأساطير أفكار جديدة أكثر عقلانيّة لتفسير الكون والحياة!

ومنهم من عدّ ما يأتي به الأنبياء من جنس المعرفة الباطنيّة أو الإشراقيّة، فنظروا إلى ما تضمّنته أخبار الوحي في جميع الرسالات على أنه نوع من الحِكم والإلهامات لا أكثر! وهذه

المعرفة — عندهم – ليست خاصّة بالأنبياء أئمة البشريّة وقدواتهم تلقِّيًا من الله ﷻ، وإنما هي نتاج عقل الإنسان المتعالي[١].

وقد أثّرت جميع هذه الانحرافات سلبًا على المعرفة الإنسانية إلاّ أنّ هذا الأخير من أخطر أنواع الانحراف في باب الإيمان بالغيب؛ لكونه لا يفصح عن صريح كفر معتنقيه بالأنبياء وتكذيبهم لهم مما يخدع أغرار المؤمنين الذين يدِقّ على أفهامهم ما يفضي إليه هذا القول من التكذيب وإنكار الوحي والنظر إلى الشريعة التي جاء بها النبيّ ﷺ على أنها أمور خاضعة للنقد والنظر والانتقاء فليست — حسب قولهم – وحيًا سماويًّا منزلاً من عند الله ﷻ، والنبيّ فيها واسطة ورسول يبلغ رسالة الله ﷻ، وإنما هي فكر إنسانيّ ملهم يهدف إلى سياسة الناس بمنهج يقوم على وعد ووعيد غيبيين! ومنهم الذين يقرّون ظاهريًّا بأنّ الوحي منزل من عند الله ثم يعمدون إلى تكذيب المعاني والحقائق، فيجعلون الوحي مجرّد نصوص مقدّسة يمكن فهمها وتفسيرها على غير ما فسَّرها به الأنبياء وهؤلاء لا يخرجون عن أصناف ثلاثة سماهم شيخ الإسلام ابن تيميّة: أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل، فأهل التخييل يزعمون أنّ ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل وتمثيل لا تبيين للحقّ وهدى للخلق وإيضاح للحقائق، وأهل التأويل يزعمون أنّ الرسول ﷺ لم يبيّن المعاني ولا دلّ عليها، إنما دعا الناس أن ينظروا بعقولهم ويجتهدوا في صرف النصوص عن مدلولها بإخراج اللغات عن طريقتها المعروفة والاستعانة بغرائب الاستعارات، أمّا أهل التجهيل فهم الذين يقولون بأن هذه النصوص غير معروفة المعنى لأحد إلاّ الله فمعانيها مجهولة حتى عند الأنبياء أنفسهم[٢].

وقد علت أصوات أصحاب هذه الانحرافات مع بروز ظاهرة العودة إلى الروحانيّات في العصر الحديث، فأصبح هذا التكذيب الباطنيّ أكثر ظهورًا من التكذيب الصريح بالوحي نظرًا لتبنِّي فلسفة (نسبيَّة الحقيقة)، تلك الفلسفة التي تدعو في حقيقتها إلى أنواع من النفاق الاعتقاديّ والعمليّ، ووقع في هذه الانحرافات كثير من أتباع الملل السماويّة ومن جملتهم بعض من ينتسب إلى الإسلام ويدّعي الإيمان بالله ورسله جهلاً منهم بدينهم الحقّ وعصمة رسولهم

---

(١) الإنسان المتعالي في الفلسفة الإشراقية هو الإنسان الذي بلغ درجة الاستنارة أو السمو إما بالمجاهدة الشديدة كالسهر والجوع والصمت، أو من خلال جولان الروح وتطهرها في الأجساد المختلفة حسب معتقد الديانات الوثنية في تناسخ الأرواح. ينظر :" أسرار الآلهة والديانات" ترجمةحسان اسحق:٢٧٦

(٢) ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٥/٣١-٣٥

ﷺ وعلوّ كتابهم الكريم، أو محاربة منهم للحقّ وأهله وموالاة للباطل وأهله، فأكثر الرافضين للوحي اليوم ليسوا ممن يتّهم الأنبياء بالكذب، بل ربما يدّعون إجلال الأنبياء وتقدير كلامهم ويعترفون بأنهم أخبروا عمّا وراء العالم الماديّ ولكنهم يرفضون الاعتراف بأنّ ما أخبروا به هو وحي من عند الله ﷻ، أو أنّه معصوم محفوظ بحفظه تعالى وإنما يعدونه نوعًا من (تراث الحكمة المنقولة) التي هي مجموع الموروث النقليّ في الديانات بصرف النظر عن كونها حقًّا أو باطلاً، ونتج عن هذه الانحرافات في تمييز حقيقة الوحي والإيمان به اتجاهان واضحان في عصرنا:

الأول: يقلِّل من قيمة الوحي وأثره في بيان الحقّ والدلالة عليه، ويزعم أنّ النصوص المقدّسة — المعصوم منها وغير المعصوم – مجرّد تراتيل وأساطير نافعة تتلى وتتوارث لتضمُّنها بعض الفوائد التربويّة أو النفسية للمؤمنين بها! لذا لا ينبغي أن يُتَّخذ الوحي مرجعًا يُتحاكم إليه أو قصصًا حقًّا يُتَّعظ به، وإنما يفحص على أنه نتاج بشريّ متميّز يمكن أن يضاف إليه ويحذف منه أو بحسب ما يرى الناس صلاحه لزمانهم ومكانهم(١)! ونتج عن هذا التوجّه مذاهب متنوِّعة من الإلحاد والعلمانيَّة.

أمَّا الثاني: فيدعو إلى العودة إلى هذا الموروث المنقول بالعمل على إحياء الفلسفات القديمة التي تتضمّنها كتب فلاسفة اليونان والهند والصين وغيرهم، وطقوس الشعوب الوثنيّة ومحاولة فهمها والتقريب بين أساطيرها وبين مخرجات العلم وقوانينه. وقد تبنَّى هذا التوجُّه كثير من العلماء الحيارى في الغرب والشرق اليوم بعدما رأوا عجز العقول عن الوصول إلى تفسير كامل للوجود والكون والحياة، ونتج عن هذا انتكاسة كبيرة للعلم أدّت إلى نشر أنواع الشرك والكفر والفلسفة بزعم أنها أمور علميّة معروفة منذ القدم في موروث الحكمة التي تشترك فيها البشرية وليست أمورًا تتعلّق بدين معين!

ولا يعجب المؤمن بالغيب وهو يرى تشابه أقوال المنحرفين وأفعالهم منذ القدم حتى الآن، بل إنه يزداد إيمانًا ويقينًا بحقائق الغيب التي عرفها من الوحي المعصوم ويعلم أنّ من ضلَّل السابقين هو الذي يضلِّل أتباعهم اليوم دون كلل ولا ملل: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**

(١) وقد ساق الدكتور ناصر العقل كثيرًا من أقوالهم ورد عليهم ، ينظر كتابه: "الاتجاهات العقلانية الحديثة": ١٥٩ وما بعدها.

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويستمسك بالحبل المتين.

**ثانيًا: الدعوة إلى الاستفادة من كافّة مصادر المعرفة المشروعة في مجالاتها:**

لما كانت المعارف تختلف في خصائصها وتتنوَّع في مصادرها فإنَّ الوصول إلى الحقّ في كلِّ أمر يتطلَّب الإلمام بمصادر المعرفة المتنوِّعة، ومعرفة مجال كلّ مصدر وما يمكن أن يُتلقّى منه، وقد وضّح منهج المعرفة القائم على الإيمان بالغيب هذه المصادر ودعا إلى الاستفادة منها في مجالاتها، فكما دعا الإنسان إلى التسليم للوحي والتلقّي عنه وأكّد كونه مصدرًا صادقًا للمعرفة لكونه من ربّ العالمين فقد دلّ على الفطرة التي جعلها الله ﷻ ميزانًا للحقّ في داخل النفس ودعا إلى النظر في دلالتها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم:٣٠]، والفطرة هي الإسلام(١)، وهي الدليل الأول على الخالق ﷻ، وهي تلك الجبلَّة التي تدعو كلَّ إنسان إلى أصول الخير إجمالاً إلاَّ إذا تعرَّضت للإفساد من خارجها فلم تعد تميّز الخير من الشر كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء؟!"(٢).وقال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ:"خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين"(٣).

كذلك فإنّ نصوص الوحي تدعو المؤمن إلى استخدام منافذ الحسّ التي زوّده الله بها في تحصيل المعرفة، وتذكِّره بأنَّ هذه الحواس منّة من الخالق ﷻ دعاه إلى الإفادة منها بالنظر والتفكُّر، وعدم تعطيلها بالغفلة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

---

(١) هذا تفسير جمهور السلف، ينظر:"درء تعارض العقل والنقل"لابن تيمية: ٥٠١/٨،و"فتح القدير"للشوكاني: ٢٢٤/٤، وليست الفطرة مجرد حاجة للتدين أو ما يسمى (الغريزة الدينية) التي تسكن باعتناق أي دين، كما يزعم بعض الباحثين في علم الاجتماع الديني، بل إن اعتناق الأديان المحرفة يعدّ انحرافًا عن الفطرة كما يخبر النبيّ ﷺ فلاتسكن به النفس ولا تطمئن.

(٢) سبق تخريجه ص٦٤.

(٣) سبق تخريجه ص٦٤.

وتبيِّن نصوص الوحي للمؤمن مجال هذه الحواسّ، وتنبِّهه إلى أنها ليست الطريق اليقينيّة الوحيدة للمعرفة لئلا يغترّ بها ويروم أن توصله إلى الحقائق المغيّبة وراء عالم الشهادة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وكذلك وقف منهج المعرفة المعتمد على الإيمان بالغيب من العقل موقف الإنصاف، فالعقل وسيلة يصل بها الإنسان إلى معرفة حقائق كلِّية عامَّة يدرك بها كثيرًا من أسرار الحياة، وبه يستطيع الوصول إلى معرفة طرف من السنن الكونيّة التي يكشف بها بعض الغيبيّات النسبيّة؛ لذا تضمَّن الوحي أحكامًا – وجوبًا وحرمة وندبًا وكراهة – تضمن صحّة العقول وبقاء تمييزها وإدراكها، ففيه الأمر بالنظر والتفكير والتدبُّر للهداية والمعرفة، وفيه النهي عن المسكرات، ومنع شربها والإنكار على شاربها، وغير ذلك كثير مما يكون وسيلة إلى حفظ العقل الذي هو محلّ معرفة الإله ومناط خطابه وتكليفه[1].

وهكذا فإن منهج الوحي الفريد يوصل المؤمن بالغيب إلى صحيح الحقائق الفطريّة والحسِّيَّة والعقليّة بدعوته إلى الاستفادة من كافّة مصادر المعرفة المشروعة في مجالاتها والتحذير من إهمالها أو الغلوّ فيها، بينما يتخبّط في رحلة البحث عن الحقيقة كلّ من انحرفوا عن هذا الإيمان وضلّوا عن منهجه: فمنهم من فُتنوا بقدرة الحواس فلم يثبتوا إلا التجربة الحسية مصدرًا وحيدًا للمعرفة، وبنوا على ذلك نظرياتهم المادية في المعرفة[2].

ومنهم الذين افتتنوا بالعقل وجعلوه حكمًا فالحقّ ما قبِله، والباطل ما رفضه أو حار فيه، وأعطوا المعرفة العقليّة قيمة الحقيقة المطلقة متجاهلين تفاوت العقول، وقصور مدركاتها.

وقد أخذ الافتتان بالعقل اليوم منحًى جديدًا في شكله وتطبيقاته وإن كان قديمًا في أصل ضلالاته، فقدّس طوائف من الناس العقل الذي هو قوة غريزية وملكة تكتسب وتستفاد بالنظر العلميّ والكشف التجريبيّ، وقدّسوا ما يسمّى العقل الكليّ أو العقل الفعّال الذي هو– كما يعرّفونه– جوهر قائم بنفسه، منه تفيض الصور، ومنه يستمدّ الإنسان معرفته[3]، ولكنهم

---

(١) ينظر : "شجرة المعارف"للعز بن عبدالسلام : ٤٣٠

(٢) ينظر : "النظرية المادية في المعرفة" لجارودي : ٢٥٩

(٣) ينظر :"المعجم الفلسفي"لجميل صليبا : ٨٥/٢

استخدموا لهذه الضلالات القديمة مصطلحات حديثة تتعلق بالدراسات النفسيّة والتطبيقات التدريبيّة، فأصبح العقل المقدس اليوم هو ما يسمى (العقل الباطن)[١].

**ثالثًا: الأمر بالتثبُّت من صحَّة الأخبار:**

إنّ التسليم بالخبر الصادق والاعتداد به مصدرًا للعلم لا يعني أبدًا تصديق كلّ ناقل خبر فيما يروي وينقل، والتسليم لكلّ مدَّعٍ أو صاحب فكرة أو ظنّ، فالمؤمن بالغيب لا يقبل ولا يردّ من الأخبار إلا ببيِّنة من النقل الصريح أو العقل الصحيح، فإيمانه بالغيب يدعوه إلى التثبّت ومعرفة الدليل وطلبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]، وينهاه عن تصديق الكذَبة والفسَقة، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات:٦]، فالفاسق قد يكذب أو يحرِّف ويزوِّر لذا ينبغي أن توضع روايته موضع الشكّ والريبة حتى تمحَّص ويُتّثبت منها لتمييز الحقّ من الباطل الذي قد يشتبه به أحيانًا فيعتقده المتعجل ويدعو إليه، فالوصية بـ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ تدعو إلى الروية والتؤدة وتتبع الأمر حتى يظهر الحق وينكشف زيف الباطل، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((إنها ستكون أمور مشتبهة، فعليكم بالتؤدة، فإن يكن الرجل تابعًا بالخير خير من أن يكون رأسًا في الشرّ))[٢].

وما يردِّده بعض المنهزمين من أنّ الإيمان بالغيب يربِّي المؤمنين به على التسليم بأمور خرافيّة ميتافيزيقيَّة لا تخضع للعلم التجريبيّ؛ فيكون سببًا في فشوّ الخرافات وتخلّف المجتمعات[٣]، إنما هو زعم باطل قائم على الجهل بالغيب الحقّ وبما يقتضيه الإيمان به من الهداية إلى المعرفة الصحيحة، فالغيب الذي أُمرنا بتصديقه هو حقّ متثبَّت من مصدره وصدق المخبر به، مُبرهَن على صحَّته وليس أساطير متوارثة أو خرافة ذائعة أو وحي محرّف، والفرق بين تصديق الحقّ وتصديق الباطل كبير جدًّا سواء فيما يتعلّق بالغيب أو بالشهادة؛ لذا وجب

(١) سبق التعريف به ص٣٠٠من هذا البحث.

(٢) أخرجه ابن وضاح القرطبي ، "ما جاء في البدع" : ١٦٩، وإسناده صحيح.

(٣) يطلق هذه الدعوى كثير ممن لا بصيرة لهم على امتداد التاريخ؛ وفي عصرنا من هؤلاء: صادق العظم، ومن مؤلفاته: "النقد الذاتي بعد الهزيمة" و"نقد الفكر الديني"، وزكي نجيب محمود، ومن كتبه: "خرافة الميتافيزيقيا"، و"تجديد الفكر العربي" الذي يدعو فيه إلى قبول ألفاظ التراث فقط مفرغة من محتواها ومضامينها مزودة بمفاهيم حديثة مستمدة من الوضعية المعاصرة! وممن أسرف في تعصبه لهذه الدعوى مؤخرًا المدعو سيد القمني فألف الكتب وملأ الصفحات الإلكترونية بشبهه وأباطيله ومن كتبه: "رب الزمان"،" الأسطورة والتراث"، و"قصة الخلق".

التحذير من جمع الحقّ مع الباطل الفلسفيّ أو المحرّف باسم الحكمة المنقولة أو الكتاب المقدّس لبالغ ضرره على المعرفة الإنسانية[١]، وقد كان إخوان الصفا رأسًا في هذا الباطل كما صرّحوا في أكثر من موضع في رسائلهم بأنها مجموع مأخوذ « من أربعة كتب: **أحدها**: الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة،من الرياضيات والطبيعيات.**والآخر**: الكتب المنزلة التي جاءت بها الأنبياء صلوات الله عليهم، مثل التوراة والإنجيل والفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية. **والثالث**: الكتب الطبيعية وهي صور أشكال الموجودات، بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب، ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر.كلّ هذه صور وكنايات تدل على معان لطيفة وأسرار دقيقة، يرى الناس ظاهرها، ولا يعرفون معاني بواطنها من لطيف صفة الباري جلّ ثناؤه. **والنوع الرابع**: الكتب الإلهية التي لا يمسّها إلا المطهرون الملائكة، التي هي بأيدي سفرة كرام بررة»[٢]، فهذا الصنيع الذي يجمع الحقّ مع المحرّف الذي فيه بعض حقّ مع الطبيعيات التي فيها شيء من الحقّ وبعض من الظنّ في مجال الشهادة مع الفلسفات الباطلة في مجال الغيب إضافة إلى التكهُّنات والتنجيم هو ما يفعله بعض المنتسبين للإسلام اليوم من جديد بإصدار كتب ورسائل ظاهرها الموضوعية والحياد، وحقيقتها تلبيس الحقّ بالباطل.

وقد نجح إخوان الصفا قديمًا في توطين الفلسفة اليونانية في بلاد الإسلام فأفسدوا عقيدة كثير من الناس وكانوا نواة للفرق الباطنية المتنوّعة بعدهم[٣]، واليوم يعمل فريق من الناس

---

(١) وفي عصرنا يدعو لذلك بطريقة مبطنة صلاح الراشد ففي النشرة عدد ٢٢ بتاريخ ١-١٥ يونيو ٢٠٠٣ م يورد حوارًا مع من وصفه بالعلامة يؤكد فيه أن الكتاب المقدس مكون من ثلاثة أجزاء هي: العهد القديم والعهد الجديد والقرآن الكريم، يقول: «الجزء الثالث– من الكتاب المقدس– أكمل به محمد ﷺ، وهو العهد الأخير! وهو القرآن الكريم»، ص٦٢ من العدد ١١٨ من مجلة فواصل. وفي موطن آخر يؤكد عند حديثه العجيب عن علامات الساعة وتفسيرها أن كتب الكهانة مصدر علمي يعضد خبر الأنبياء فيقول : «لقد جاء التسلسل الإنجيلي موافقًا لما ذكرناه — من أحداث آخر الزمان– وموافقًا للحديث النبوي وموافقًا لتربيعات ناستراداموس»، ص٦٢ من العدد١٢١، النشرة ٢٥ بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠٠٣ م.

(٢) "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" : ٤٢/١٠.

(٣) ينظر : "تاريخ الفلسفة في الإسلام" ترجمة محمد أبو ريدة : ١١٣

على ترجمة الفلسفة الصينية والهندية[١] وتوطينها بالتدريب على طقوسها واتباع منهجها في الحياة، ولعلّ خطر فلسفة الصين والهند أكثر من الفلسفة اليونانية – وإن كانت وجهًا آخر لها – لكون فلسفة الصين والهند تُترجم وتوطن في بلاد المسلمين بظاهر تطبيقيّ عمليّ يتعلّق بالصحّة البدنيّة والنفسيّة والوصول إلى السعادة[٢]، ولا تهتمّ بالتنظير كثيرًا؛ فينخرط في تطبيقاتها كثير من الناس دون وعي منهم بأنها مقتضى فلسفة ملحدة.

**رابعًا: الدعوة إلى سؤال أهل الذكر:**

يضلّ كثير من الناس ويتخبَّطون في متاهات الشكّ والحيرة عندما تشتبه عليهم الأمور أو تخفى عنهم بعض الحقائق، أمّا المؤمنون بالغيب فإن منهجهم المعرفيّ القائم على الاسترشاد بخبر الوحي إضافة إلى ما ساق لهم من حقائق ما يهمهم من الأمور الغيبية ؛ دعاهم إلى طلب ما خفي عنهم من العلم عند أهله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء:٧] ففي الآية دعا الله ﷻ المؤمنين إلى سؤال أهل الكتاب عمّا خفي عنهم من حال الرسل المتقدِّمين ليعلموا يقينًا أنّ رسل الله ﷻ للناس كانوا كلّهم من جنس البشر، وهو توجيه عامّ للمؤمنين في كلّ مسألة من المسائل

(١) من سيل الكتب المترجمة والمصنفة في هذا المجال: سلسلة مكتبة الماكروبيوتيك من إعداد يوسف البدر، وسلسلة رسائل نادي السعادة بإشراف صلاح الراشد، و"كتاب العلاج بالطاقة الحيوية" لعبد التواب حسين، و"الاستشفاء الطبيعي بالماكروبيوتيك" ترجمة أسامة مأمون، و"التنفس أسلوب حياة جديد" ترجمة : نورة الشهيل، وغير ذلك كثير من الكتب التي أظهرت دراستها أنها مأخوذة من نفس المصادر التي اعتمدت عليها رسائل إخوان الصفا وإن اختلفت النسب وطرائق العرض كما أنها تؤدي إلى نفس الطريق الذي تدعو إليه تلك.

(٢) يؤكد ذلك أستاذ علم الاجتماع الطاوي Douglas.k.chung فيذكر عددًا من الممارسات المنتشرة تحت اسم الطب الصيني وحقيقتها تطبيق الفلسفة الطاوية، يقول: «كثير من الناس يمارسون الشي كونغ، والتاي شي، والإبر الصينية يوميًا دون أن يعرفوا أنهم يمارسون الطاوية» ينظر:

-Sourcebook of the World's Religions:p.105

كما تبين دراسة قامت بها جمعية السرطان الأمريكية عن حقيقة (الماكروبيوتيك) الذي ينتشر بصورة كبيرة كمنهج تغذية وطريقة علاج ونظام حياة: «الماكروبيوتيك يجمع بين عناصر البوذية ومبادئ الحمية، وقد طوره الفيلسوف الياباني جورج أوشاوا جامعًا بين بوذية زن مع الطب الآسيوي وتعاليم النصرانية مع بعض سمات الطب الغربي» ينظر : الموقع الإلكتروني للجمعية : www.cancer.org.

يخفى عليهم علمها أو يشتبه عليهم أمرها [١].

وأهل الذكر في مسائل الدين أصوله وفروعه هم أهل العلم بالقرآن[٢]، فقد جعله الله هدًى ونورًا للذين آمنوا، فيه بيان لكلّ ما ينفعهم من أمر الدين، وكلّ ما تشتدّ إليه حاجتهم من أمر الدنيا فأغناهم الله به عن غيره؛ لذا حفظه لهم وجعله نورًا وفرقانًا للمؤمنين إلى يوم الدين وأمر بالرجوع إليه وتدبُّر آياته، وقد تعجّب ابن عباس –رضي الله عنهما– من طلب بعض المسلمين سؤال أهل الكتاب في أمور بيّن كتاب الله ﷻ ما يغني عنها، قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب؟ وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يُشَب، وقد حدَّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله، وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ ولا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم»[٣].

أمّا مسائل الدنيا فأهل الذكر هم المتخصِّصون في بحثها ودراستها بمناهج العلم الصحيح ولو كانوا غير عالمين بالقرآن والسنة، أو كانوا من غير المسلمين على أن يُتنبه لما قد يُحدِثوه من خلط العلم الصحيح مع باطل فلسفاتهم ومعتقداتهم، فكثير من الضلالات إنما تُنشر اليوم تحت اسم العلم! وقد جُمع في زماننا تحت اسم (علوم الماورائيات) أو(العلوم الباطنية) كثير من تراث الدجل والفلسفات الباطلة ،وأصبحت تُعدّ تخصصات علميَّة يمنح دارسيها شهادات عالية وألقابًا علمية[٤].

(١) ينظر : "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي : ٢٣٤/٣

(٢) ينظر : "جامع البيان" للطبري : ٥/١٧، و"المحرر الوجيز" لابن عطية : ١٢٤/١١

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب: قول النبيﷺ:"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"رقم: ٧٣٦٣

(٤) مثال هذا جامعة (أمريكان باسفيك American Pacific) للعلوم الباطنية بالولايات المتحدة الأمريكية التي تمنح درجة البكالوريوس والدكتوراه في التخصصات التالية: السحر وتشريح الروح والمانترا وتانترا التبت والرمل والكهانة والعرافة والماكروبيوتيك والبرمجة اللغوية العصبية والطاقة والريكي والتاي شي والفونغ شوي! ينظر: موقع الجامعة الإلكتروني: www.ampac.edu. وتجمع هذه التخصصات كل ماعرفته البشرية من الوثنية والدخل والشرك والكفر والإلحاد ، لذا ربما كان من الصواب تسميتها جامعة الشيطان!

## المطلب الثالث
## التحذير من الكذب والكذّابين

الخبر الصادق هو عمدة العلم الصحيح والمعرفة اليقينيّة، وهو أساس عقيدة الإيمان بالغيب، فلا تُقبل رواية، ولا يعتقد بصحّة مسألة ما لم يثبت صدق قائلها وبعده عن الكذب الذي به تزيَّف الحقائق وتُنشَر الخرافات ويختلط الحقّ بالباطل؛ لهذا كان تحريم الكذب والتحذير من الكذَّابين من أبرز آثار عقيدة الإيمان بالغيب في ضبط مصادر العلم والمعرفة حماية للمؤمنين وصيانة لمجتمعهم من انتشار الضلالات والأكاذيب. وفيما يلي بعضًا من صور هذا التحذير:

**أولاً: الوعيد لمن يتعمّد الكذب:**

تعمُّد الكذب في الأخبار يدلّ على خبث النفس ويقود إلى نشر الباطل لاسيما إذا كانت الكذبة مما يلبس على الناس أمرًا متعلِّقًا بدينهم ومعتقدهم، لذلك نهى الله ﷻ عنه، وحذّر منه النبي ﷺ فقال: "إنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار"[(١)].

وأعظم الكذب وأغلظه الكذب على الله ورسوله ﷺ وفي الحديث:"ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوّأ مقعده من النار"[(٢)]؛ لأنّ صاحب هذا الكذب ينسب كذبته إلى من يجب تصديقه وتلقّي خبره بالقبول والانقياد ويدعي أنه يبلّغ عن الله ﷻ فيكون تضليله للناس أكبر، ومثله الكذب في الرؤى فمن ينسب أكاذيبه إلى رؤيا مناميّة، فهو إنما يضفي عليها احتمال الإلهام الربانيّ ويدّعي أنه ﷻ أراه ما لم يُرَه على الحقيقة[(٣)]، قال ﷺ: "إنّ من أفرى الفري أن يُرِي الرجل عينيه ما لم ترَ"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] رقم : ٦٠٩٤، ومسلم ،كتاب البر والصلة باب قبح الكذب، رقم: ٢٦٠٧

(٢) أخرجه البخاري،كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ،رقم: ١١٠، ومسلم، المقدمة، رقم : ٣

(٣) ينظر : "فتح الباري" لابن حجر : ٥٣٠/١٢

(٤) أخرجه البخاري،كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، رقم : ٧٠٤٣

**ثانيًا: النهي عن القول بلا علم أو دليل:**

القول بلا علم أو حجّة أو برهان صنو الكذب وقسيمه، فهو مثله طريق لنشر الضلالات في المجتمع؛ لذلك كان منهيًّا عنه، قال تعالى في معرض الذمّ :﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ** ﴾ [الحج:٨]، وقال محذِّرًا من هذا المسلك: ﴿ **وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا** ﴾ [الإسراء:٣٦]. فالآية ترسم منهجًا كاملاً يوجّه المؤمن في طريق العلم والمعرفة بالنهي عن القول بلا علم، وعن اتِّباع الظنِّ وكلّ ما لم تثبت صحَّته، من قول يقال، أورواية تروى، أو ظاهرة تفسَّر، أو واقعة تعلَّل، ومن حكم شرعيّ أو قضية اعتقاديّة.

وكلَّما كان الأمر متعلِّقًا بالله ﷻ أو بعالم الغيب الذي لا يُعرف إلاَّ من الوحي كان خطر القول بلا علم فيه أعظم لتلبيسه على الناس أكثر، قال تعالى: ﴿ **قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣]. والطريق الصحيح فيما لا تُعلم حقيقته أو يُتنازع فيها من أمور الغيب ردّها إلى الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ** ﴾ [النساء:٥٩]، «والردّ إلى الله: إلى كتابه، والردّ إلى رسول الله ﷺ إذا قبض إلى سنته»(١)، فإن كل أمر يقوم عليه صلاح الناس فلا بد أن يوجد خبره أو ما يقاس عليه فيهما والله ﷻ قد قال: ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ** ﴾ [المائدة:٣].

والدارس للمجتمعات البشريَّة وعاداتها وأفكارها ومعتقداتها يعجب من كمّ الخرافات والأساطير والأكاذيب التي منبعها القول بلا علم، ككثير من التفسيرات الخاطئة للظواهر الكونيّة، أو الأحداث أو خوارق العادات، فالإنسان قد عرف مع تطوُّر العلم الحديث وأجهزته المختلفة بعض ما كان خافيًا فيما سبق إلاّ أنّه مازال يقف عاجزًا أمام كثير منها، لاسيما ما يتعلّق بجوانب من عالم الغيب سواء كان ذلك في تكوين الإنسان ومبدأ نشأته ومصيره وغايته، أو في الكون حوله، فلا تتجاوز معظم نتائج بحثه حدود الفرضيّات والظنون

(١) قول التابعي ميمون بن مهران، أخرجه ابن جرير في تفسيره : ٥/١٥١

التي قد يصيب بعضها الحقّ، ويضلّ أكثرها عنه، وما اعتقاد الوثنيِّين بآلهة متعدِّدة، أو أرواح فلكيّة مدبّرة إلا تفسير بشريٌّ قاصر للأسباب غير الماديّة وراء ما يرونه من الأمطار والرعد والبرق والبراكين والزلازل، فافترضوا إلهًا للبرق، وإلهًا للرعد، وإلهًا للمطر وإلهًا للحرب وإلهًا للسلام وآخر للحب وغير ذلك!وزين لهم الشيطان ذلك حتى صرفهم بهذا الباطل عن التوحيد .

وما اعتقاد الناس في أرواح الأسلاف أو تأثير الكواكب والنجوم وسطوتها على الأحياء إلاَّ نتاج تفكيرهم فيما يأتيهم من الرؤى والأحلام ومحاولة معرفة أسرارها، فقد يرون في منامهم بعض من ماتوا وهم يخاطبونهم أو يعاتبونهم أو يطلبون منهم شيئًا وكأنهم عادوا إلى الحياة، فينسجون من وراء ذلك أساطير عن أرواح الموتى وقواها وإمكاناتها، وقد يحدث سعداً لمن ولد في يوم كذا ويتكرر ذلك فيتناقل الناس سعد هذا الطالع ونحس ذاك وكانت حصيلة هذه الأقوال التي لا تعتمد على بيِّنة أو برهان تراثًا أسطوريًّا ضخمًا ورثته البشريّة وتناقلته أجيال متعاقبة ممن يكفرون بالوحي ومن يتأثَّرون بهم حتى عصرنا الحديث!

وقد ظهر زيف كثير من هذه الاعتقادات بعد أن كشف تطوُّر العلم خرافاتها بكشفه جوانب من الغيب النسبيّ وأسباب كثير من السنن الكونيَّة، كالأمطار والرياح وغيرها، إلاّ أنّ القول بلا علم في الغيبيَّات وتلقِّي الأخبار دون تثبُّت وتمحيص؛ مازال يُنتِج معتقدات جديدة بدعوى فرضيتها العلميَّة، وهي في الحقيقة تخرُّصات وثنيَّة وشبهات إبليسيّة، كما في محاولات تفسير الروح بما يسمّى الجسم الأثيريّ، وتفسير خوارق العادات بما يسمّى الطاقة البشريَّة الكامنة، فإبليس –كما أخبرنا الله ﷻ– لا يكلّ عن إلقاء ما يُفسد به الاعتقاد الحقّ ليوقع الناس في البدع أو الشرك الذي هو غاية مراده،قال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝**﴾ [ص:٨٢-٨٣]، وقال –عزّ من قائل-: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الحجر:٣٩]، وقال ﷺ: "إنّ الشيطان ليتمثَّل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدِّثهم بالحديث من الكذب فيتفرَّقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث"(١).

---

(١) أخرجه مسلم،المقدمة، باب النهي عن رواية الضعفاء، موقوفاً على ابن مسعود بغير رقم.

ومن هنا كان أثر الإيمان بالغيب في تحرّي صحّة الروايات والتأكُّد من صدق الناقل وعدالته من أهمّ ما يضبط مصادر المعرفة في مجال العلوم المنقولة[١]، وهو كذلك في المجال التجريبيّ والعقليّ على حدٍّ سواء؛ فالتجربة الشخصيَّة أو ما يسمَّى الذوق والوجد الخاص، لا يعدُّ دليلاً ذا قيمة ولا يعوَّل عليه في إثبات حقيقة أو اعتقاد أمر عند من يعتدّ برأيهم من أهل العلم على اختلاف مشاربهم وهو عمدة أدلَّة المنحرفين من وثنيِّين وباطنيِّين لذلك تقوم عقائدهم على الظنون والأوهام والأكاذيب.

**ثالثًا: التحذير من الدجَّالين:**

الكذَّابون والدجّالون موجودون على امتداد الزمان، ولكن قد يخفى على بعض الناس حقيقة أمرهم؛ لذا كان التحذير منهم والتذكير بوجودهم من أهمِّ ما يضبط مصادر المعرفة، فينمِّي عند الناس الحذر والتثبُّت ولا يجد الدجَّالون مكانًا تروَّج فيه أكاذيبهم.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن وجود هؤلاء الدجاجلة وحذَّر منهم، وبيَّن أنهم يكثرون في آخر الزمان فقال: "سيكون في آخر أمتي أناس يحدِّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيّاهم!"[٢].

وبيَّن أنّ أعظمهم كذبًا وفتنة أولئك الذين يدّعون النبوّة، ويثيرون شبهًا يغترّ بها طوائف من الناس فيتَّبعونهم، قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجَّالون كذَّابون قريب من ثلاثين كلّ يزعم أنّه رسول الله!"[٣]، وقد خرج كثير من هؤلاء منذ عصر الصحابة ﷺ إلى عصرنا هذا، منهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسيّ، وسجاح الكاهنة، والمختار الثقفيّ[٤]، ومازالت الأيام تخرج لنا واحدًا تلو واحد! فقبل نحو قرن من الزمان خرج المدعو حسين علي الميرزا الملقّب ببهاء الدين، ومن بعده محمود السودانيّ الذي أعدم عام ١٩٨٥م لزندقته[٥]، ثم خرجت

---

(١) وقد كان ذكر الأسانيد حصنًا منيعًا لمعرفة الحق من الباطل في كل ما ينسب إلى الله أو إلى الأنبياء المعصومين، فلما حُذفت الأسانيد واختصرت دخل أهل البدع وأعداء الدين فنسبوا للرسول ﷺ وللصحابة ما لم يقولوه مما أشكل على كثير من الناس ، ووراجت الإسرائيليات وغيرها.

(٢) أخرجه مسلم ،المقدمة، باب النهي عن رواية الضعفاء، رقم: ٦

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم: ٧١٢١، ومسلم،كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم:١٥٧

(٤) وهؤلاء الأربعة هم الكذبة المشهورون في صدر الإسلام، ينظر : "البداية والنهاية"لابن كثير : ٣٠٧/٦، ٢٨٩/٨

(٥) ينظر : "القيامة الصغرى"للأشقر : ١٦٣

المدعوّة: ثريا منقوش في اليمن مدّعية ابتداء عصر نبوّة النساء بها، بعد ختم نبوّة الذكور بمحمد ﷺ! وزعمت أنها نُبئت عام ١٩٨٢م ولكنها أسرّت بدعوتها عشرين عامًا. ومازالت الصحف والمجلات والصفحات الإلكترونية تتناقل بعض أخبارها وأخبار كتابها المقدس! وآخر هؤلاء — فيما علمت ممن ينتسبون للإسلام— المدعو: محمد حسين اللحيدانيّ، الذي لم يدَّع النبوة فحسب بل ادّعى أنه هو نفسه محمد ﷺ قد عاد من جديد[1]!

وسيستمر خروج هؤلاء —كما أخبر رسول الله ﷺ - حتى يخرج الدجّال الأكبر قبيل الساعة ويفتن الناس بفتنته العظيمة التي حذّر منها رسول الله ﷺ والأنبياء قبله ففي الحديث: "ما بعث الله نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر"[2]، فأمر هؤلاء الدجاجلة خطير والتنبّه لوجودهم لا يكون عند أحد كما هو عند المؤمنين بالغيب؛ لأنهم حُذّروا من صور دجلهم المختلفة، وإن صدقت بعض تنبؤاتهم أو جرى على أيديهم شيء من الخوارق، كما أنّ الغيب الذي يؤمنون به تضمّن من الحقائق ما يغنيهم عن طلب الباطل ودلّهم على المنهج الذي يميزون به الحقّ من الباطل والصدق من الكذب، لذلك لا يكثر الكذب في الحقائق الكبرى ويفشو إلاّ عندما يغفل الناس أو ينحرفون عن هدى الرسالات في باب الإيمان بالغيب، بل إنّ كثيرًا من المنحرفين يعظّمون الدجاجلة ويعدّونهم أنبياء أو آلهة أو وسطاء روحانيّين بحسب ما يدّعي أولئك لأنفسهم، وتكفي مطالعة سريعة لأخبار المجتمعات الكافرة بالغيب الحقّ لترى أعداد المتنبّئين وأعداد المتألهّين وغيرهم من المفترين ومن أشهر هؤلاء في العصر الحديث: الساي بابا Sai Baba، والدلاي لاما Dalai Lama، والمهاريشي يوجي Maharishi Yog ، وأوشو Osho [3]الذين يتبعهم ملايين من الضالّين ويعتقدون ألوهيّتهم.

---

(١) ولهذا الدجال موقع إلكتروني سماه : موقع المهدي، وهو مليء بدجله المغلف بالنصوص الشرعية والتحليلات الفكرية والسياسية! ينظر: موقعه الإلكتروني:www.almahdy.net

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الفتن، باب ذكر الدجال رقم:٧١٣١، ومسلم،كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، رقم: ٢٩٣٣

(٣) الساي بابا ساحر ودجال وزعيم روحي بوذي في الهند، يدعي أنه الأفتار —أي الإله المتجسد- الخامس والعشرين ويتبعه خمسون مليونًا من البشر وفقًا لتقديرات عام ١٩٨٥م التي ذكرها تقرير وثائقي نشرته مجلة الكوثر في عددها= = ٢٠، الصادر بتاريخ يونيو٢٠٠١م، ص٣٦- ٤١. و(الدلاي لاما) هو الزعيم الروحي لبوذية التبت في العصر الحديث، ويعتقد أتباعه بأنه الانبعاث الرابع عشر لبوذا ويدين به أربعة عشر مليونًا من البشر لايعرفون منهجًا للعبودية إلا ما يمليه

وهؤلاء الدجاجلة يخرجون في صور متنوّعة تناسب الزمان والمكان والثقافة السائدة؛ فإذا كانت الكهانة والعرافة مقبولة تحدّثوا باسمها، وإن كان التنبُّؤ مقبولاً ادَّعوا النبوَّة، وإذا كان ادِّعاء الألوهيَّة مقبولاً ادَّعوها ونشروا أكاذيبهم تحت قداستها، وإذا كانت هذه جميعًا مرفوضة -كما عند المؤمنين بالغيب الحقّ- نشروا أكاذيبهم، وروّجوا دجلهم تحت اسم الرؤى المناميَّة أو المهدي المنتظر أو اتّخذوا من العلم والحكمة والمعرفة ستارًا، فينخدع بذلك من غفل - من أهل الإيمان بالغيب- عن منهج تمييز الحقّ من الباطل في هذه الأمور فيقبل أكاذيب السحرة والكهنة مما يزعمون أنه علم وحكمة، بل قد يحاول أن يجمع بينها وبين الحقّ الذي يعتقده كما هو واقع كثيرًا كلّما ابتعد أهل الإيمان عن مصادر هدايتهم، لذلك أوصاهم ﷺ فقال:" تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا أبدًا كتاب الله وسنَّتي"[١]، وأكّد ذلك صحابته الكرام قال ابن مسعود ﷺ:« إنّ الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبدالله هلمّ هذا الطريق ليصدّوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإنّ حبل الله هو كتاب الله »[٢].

**رابعًا: التحذير من كذب الشياطين وإغوائهم:**

تشمل عقيدة الإيمان بالغيب التعريف بعالم الجنّ والشياطين والتحذير منهم، فأثرهم كبير في إغواء الناس وفتنتهم لصرفهم عن منهج العبوديَّة لله عقيدة أو عملاً، وقد بيّن رسول الله ﷺ صورًا من طرق كذبهم ونشرهم الباطل بين الناس؛ ليكون المؤمنون على بيِّنة من أمرهم، ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث المذكور آنفًا: "إنَّ الشيطان ليتمثَّل في صورة الرجل، فيأتي القوم

---

عليهم، كان وتلامذته موضوع دراسة بدأت عام ٢٠٠٣م لعلماء الأعصاب في جامعة MIT لمعرفة مركز الروحانيات في الدماغ المؤثر في حالات اللاوعي والقدرات الخارقة الناتجة من التأمل . و(المهاريشي يوجي) هو زعيم روحي هندوسي له ملايين الأتباع في أمريكا وأوربا أسهم في نقل الطقوس الهندوسية للحيارى في الغرب بعد إعادة تشكيلها لتناسب الثقافة الغربية ،وأسس جامعة خاصة في ولاية آيوا لدراسة الفكر المهاريشي ، وهو مؤسس التأمل التجاوزي بصورته الحديثة . و(أوشو) هو بجوان راجنيش، عاش عام (١٩٣١-١٩٩٠م) ويعد من أوائل المرشدين الروحيين البوذيين الذين أسهموا في نشر بوذية زن في أمريكا وكوّن فيها طائفة دينية كبرى مكونة من عشرات الألوف من الأمريكان والأوربيين والآسيويين مقرها ولاية أوريجون ، خرج عام ١٩٨٥م في جولة حول العالم وأسس فيها مراكز للعلاج الروحي ، واتخذ لنفسه اسم (أوشو) ومعناه النفس المحيطة بكل الحياة ، بعد عودته الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧م. ينظر :

- "The New Age",p.136,140,210.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ، رقم: ٣٢٤، ١/١٧١

(٢) "جامع البيان" للطبري : ٤/٢١، و"الشريعة" للآجري :١/٢٩٧

فيحدِّثهم بالحديث من الكذب فيتفرَّقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدري ما اسمه يحدِّث!"(١).

والمؤمنون إذا لم ينتبهوا إلى هذه الحيل الشيطانيَّة ؛ التبس عليهم الحقَّ واعتقدوا الباطل وعملوا به، كما في الحادثة التي يرويها ابن وضَّاح(٢): أنّ الناس نودي فيهم بعد نومة أنّه من صلّى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلُّون، فأُتي إلى ابن مسعود فقيل له: أدرك الناس، فقال: ما لهم؟ قيل: نودي فيهم بعد نومة أنه من صلَّى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه: ويلكم اخرجوا لا تعذَّبوا! إنما هي نفخة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيِّكم، ولا ينزل بعد نبيكم، فخرجوا وجلسنا إلى عبدالله فقال: «إنَّ الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثَّل رجلاً فيلقى آخر فيقول له: أما بلغك الخبر؟ فيقول الرجل: وما ذاك؟ فيقول كان من الأمر كذا وكذا، فانطلق فحدِّث أصحابك، قال: فينطلق الآخر فيقول: لقد لقينا رجلاً إني لأتوهَّم أني أعرف وجهه، زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا. وما هو إلاّ الشيطان» (٣).

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن كذبة كبرى من أكاذيب الشياطين سيروِّجون لها في آخر الزمان تهدف لزعزعة أساس المعرفة الصحيحة لدى أهل الإيمان فقال: "إنّ في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج، فتقرأ على الناس قرآنًا"(٤)، قال النوويّ: «معناه: تقرأ شيئًا ليس بقرآن، وتقول إنه قرآن؛ لتغرّ به عوامّ الناس فلا تغترُّون» (٥).

ولعلّ ما ذاع اليوم باسم (المصحف العالميّ)أو(الفرقان الحق)(٦) المكتوب على غرار القرآن بشكل سور وآيات شيئًا من أكاذيبهم يوحون بها إلى أوليائهم.

---

(١) سبق تخريجه ص٣٣٧.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن وضاح القرطبي، كان عالما يالحديث بصيرًا بطرقه، متكلمًا على علله، نفع الله بعلمه أهل الأندلس في زمانه، صنف في الحديث والزهد والرقائق، وتوفي سنة ٢٧٨هـ، ينظر: "شذرات الذهب"لابن العماد : ٣٦٢/٣، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٤٤٥/١٣

(٣)كتاب "البدع والنهي عنها" لابن وضاح : ٣٩، باختصار يسير. والشطر الأخير من هذا الخبر عند مسلم نحوه ينظر: ص٣٣٧.

(٤) أخرجه مسلم،المقدمة، باب النهي عن رواية الضعفاء،موقوفا على ابن عمرو، بدون رقم.

(٥) "مسلم بشرح النووي" : ٨٠/١

(٦) الفرقان الحق أو المصحف العالمي هو كتاب شيطاني ألفه قس أمريكي من أصل عربي اسمه: أنيس شوروش، وادّعى أنه

وبيان نصوص الوحي لصور أكاذيبهم وطريقتهم في إغواء الناس تضيء للمؤمنين طريق المعرفة الصحيحة، وتجعلهم في يقظة وحذر، وتزيد من يقينهم وإيمانهم بصدق ما أخبرت به رسل الله ﷻ.

ومن هنا كان الإيمان بالغيب واليقين به واتّباع منهجه أعظم سبب وراء ذلك المجد الشامخ الذي نعمت به البشريّة يوم كان المسلمون روادًا في علوم الدين والدنيا، وما تخلّف أثر هذا الإيمان في حياة الناس إلاّ عندما ضعف الاستمساك بمصادره والتفريط في الانضباط بمنهجه في طلب المعرفة اليقينيّة.

---

وحي من عند الله يعارض القرآن ويجمع مافيه من الحق مع نصوص التوراة والإنجيل، وزعم أنه مصحف عالمي للأديان الثلاثة، وأنه الكتاب المقدس للقرن الحادي والعشرين. وقد اطلعت على نسخة منه فوجدته يقع في ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط، وهو مقسم على طريقة القرآن الكريم إلى سور عددها ٧٧ سورة تبتدئ بسورة الفاتحة، وكل سورة تتكون من آيات .

وقد ضُبطت نسخًا منه توزع على طلبة المرحلة الثانوية في الكويت وفلسطين وبعض دول العالم العربي، ينظر : مقالة بعنوان:( فرقان متنبئ الأمريكان) للدكتور: صلاح الخالدي، بتاريخ ١٤٢٦/٥/١هـ، منشورة في موقع http://alnoha.com . وموقع مجلة الفرقان الأسبوعية الصادرة عن جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت.

# المبحث الثاني:
# أثر الإيمان بالغيب في الهداية إلى منهج العبودية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر الإيمان بالغيب في الهداية إلى الدين الحق.

المطلب الثاني : أثر الإيمان بالغيب في الهداية إلى صحيح العبادة.

## المطلب الأول
## الهداية إلى الدين الحق

كان الناس في بدء الخليقة أمّة واحدة كما أخبر القرآن بذلك قال ﷻ فقال: ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً** ﴾ [البقرة:٢١٣]، فكان الدين الحقّ هو الذي يجمعهم دون الكفر بالله والشرك به[١]، ومضى الناس على التوحيد والدين الخالص عشرة قرون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلّهم على شريعة من الحقّ، فاختلفوا، فبعث الله النبيِّين مبشِّرين ومنذرين»[٢]، ومن بعد اختلافهم وانحرافهم عن دين الفطرة[٣]وعن مصادر التلقّي الصحيحة حدث الخلل في معارفهم وأعمالهم، فظهرت الوثنيّة وعبادة الأصنام والطواطم[٤]، واتّخذت أنواعًا من الوسائط للتقرّب إلى الله ﷻ مما زيّنته الشياطين، فصرفت فئامًا من الناس عن صحيح المعرفة وخالص العبادة، حكى ذلك الرسول ﷺ مخبرًا عن ربّ العزّة: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" [٥]، ولهذا تتابع من بعد نوح ﵇ إرسال الرسل رحمة من الله بعباده، يهدونهم إلى الدين الحقّ، ويدعونهم إلى نبذ عبادة الطواغيت، ويصحّحون لهم معارفهم، ويقوّمون أعمالهم على منهج الحقّ حتى ختم الله الدين برسالة محمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن تبيانًا لكلّ شيء، وتكفَّل بحفظه؛ ليكون حجّة الله للعالمين.

---

(١) ينظر : "جامع البيان" للطبري : ١٦٩/٢

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان : ١٩٤/٢، وابن حبان في صحيحه، رقم:٦٠٨١

(٣) بخلاف ما يذهب إليه من بحثوا في نشأة الدين دون أن يهتدوا بنور الوحي كأصحاب المذهب التصاعدي التطوري الذين يرون أن الإنسان بدأ تدينه بالوثنية وعبادة مظاهر الطبيعة ثم ترقى حتى وصل إلى الاعتقاد بالروح الواحدة، أو أصحاب مذهب فطرية التوحيد الذين أثبتوا وجود عقيدة (الإله الواحد) عند القبائل الوثنية في أستراليا وأفريقيا وأمريكا، ينظر لتفصيل مذاهب نشأة الدين: "علم الاجتماع الديني" لزيدان عبدالباقي: ١٤٧، و"الدين" لدراز: ١٠٧، و"الأديان دراسة تاريخية مقارنة" لرشدي عليان :٢٩، و"الإنسان في ظل الأديان" لعمارة نجيب:٣٠

(٤) الطوطم Totem كلمة مشتقة من لغة الهنود الحمر، وتعني رمز مقدس تتخذه القبائل الوثنية على شكل نبات أو حيوان وتعتقد أنه أصل تنحدر منه وتدور حوله صلوات القبيلة وابتهالاتها، ينظر : "المعجم الفلسفي" : ٢٥/٢ و"الموسوعة الميسرة للأديان" : ١٠٩٩/٢

(٥) سبق تخريجه ص ٦٤.

فالرسل صلوات الله عليهم أجمعين من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ كانوا يدعون إلى الإسلام الدين الحقّ[1]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال في معرض ذكره للتوراة: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقد أكّد ذلك رسولنا ﷺ بقوله: "والأنبياء إخوة أبناء علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[2]، وفي القرآن على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢]، وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة:١٢٨]، وفي وصية يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢]، وفي قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

وقد بيَّن الله عزّ وجلّ أنّ أصل دعوتهم جميعًا واحد هو عبادة الله والكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وأمر نبيه ﷺ بالاقتداء بهداهم، قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠] ولن يتّبع الرسل ويقتدي بهم ويتّبع منهجهم من بعدهم إلاَّ مؤمن بالغيب مصدِّق بالله ورسله.

فالهداية إلى الدِّين الحقّ هي أثر عن الإيمان بالغيب وثمرة لتصديق المرسلين، ينعم بها من تلقَّوا خبر الوحي بالتسليم والقبول والانقياد.

---

(١) المقصود الإسلام بمعناه العام وهو إخلاص العبادة لله سبحانه وطاعة الرسول المرسل، وهو يختلف سعة وشمولاً من نبيّ إلى نبيّ ومن كتاب إلى كتاب مع اتفاقه في الأصول، حتى أكمله الله وأتمه برسالة خاتم المرسلين، أما معناه الخاص فهو الدين الذي أرسل به محمدًا ﷺ وختم به الرسالات، ورضيه شريعة لعباده إلى يوم الدين وقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]، فقد تضمنت الرسالة الخاتمة هدى جميع الأنبياء والمرسلين وزيادة، قال تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٦]، وقال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة وزاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين"، ينظر : "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٦٦/٣

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ رقم: ٣٤٤٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٥

والإيمان بالغيب يدعو المؤمنين إلى إيصال الهدى إلى غيرهم وتعريف من لم يستمعوا إلى الوحي بهذا الدين، والسعي لدلالتهم عليه[(١)]، ومن ثم فهو طريق لهداية من لم يهتد إلى الدين الحقّ، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٣] فالله ﷻ يرغّب المؤمنين في نشر الهداية إلى الدين الحقّ، ويجعل القيام بذلك شرطًا من شروط حصولهم على النجاة والفلاح: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

والخلاصة أنّ الإيمان بالغيب وتلقّي خبره بالتسليم والانقياد هو طريق الهداية إلى الدين الحقّ والسعي لتعريف الناس بالدين الحق الذي أراده الله وارتضاه لعباده إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]، والدين الحقّ هو الإسلام الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ متمّمًا لما أرسل به النبيّين قبل الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[(٢)]، وهي أمور إنما تتحقّق معانيها وتُترجَم أعمالاً ظاهرة وباطنة من خلال الإيمان بالغيب الذي جاء عن الله ﷻ الذي ارتضى هذا الدين واصطفاه، وفيما يلي تفصيل لأثر الإيمان بالغيب في تحقيق معاني الإسلام:

---

(١) يريد بعض الناس اليوم تحت دعاوى السلام العالمي وقبول الآخر تعطيل فريضة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعدونها أمورًا تنطلق من نفسية متعالية تظن أنها تمتلك الحقيقة، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة:٢٥٦] والحق القائم على التسليم لنصوص الكتاب والسنة على فهم عدول الأمة أن الإسلام جعل من حق الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأديانهم أن يسمعوا صوت الحق تبشيرًا وإنذارًا وتحذيرًا؛ ولذا أرسل الرسل وأمر بالجهاد والدعوة إلى الله، ثم جعل الخيار بعد ذلك لكل أحد في أن يعتقد الحق أو يعرض عنه.

(٢) ينظر : "شرح ثلاثة الأصول" للعثيمين : ٦٩

### أ/ أثر الإيمان بالغيب في تحقيق الاستسلام لله بالتوحيد:

توحيد الله ﷻ هو إفراده بما يختصّ به(١)، فلله ﷻ حقوق لا تُعرف على التفصيل إلاَّ من طريق الوحي، وإن دلَّت الفطرة والعقل على إجمالها؛ فمن خبر الوحي يعرف المؤمن بالغيب أن لا خالق ولا رازق ولا مدبِّر على الحقيقة إلاَّ الله سبحانه، وأنه المتفرِّد بالإحياء والإماتة والنفع والضرّ وسائر ما أخبر عنه رسله من أفعاله؛ فيوحِّده في ربوبيَّته، كما يعرف صفات كماله وجلاله، فيوحِّده في أسمائه وصفاته وينزِّهه عن الندِّ والشبيه والمثيل، ويعرف استحقاقه للعبادة وحده دون سواه، ويعرف مراده ومحبوباته، وما كره لعباده وماحرّم عليهم، فيوحِّده بالعبادة دون سواه.

أمّا من عرفوا الخالق العظيم بفطرهم وعقولهم فقط فقد اعترفوا به ربًّا: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [العنكبوت:٦١]، ولكن ذلك لم يعطهم الوصف بالإسلام والإيمان؛ لأنّ إثبات الربوبيّة ليس كافيًا لتحقيق توحيد الله ﷻ بل لا بدّ من الإيمان بالغيب الذي جاء به المرسلون: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فالذين يتّهمون رسل الله بالكذب أو الجنون: ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر:٦]، ﴿ **كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [الذاريات:٥٢]، هم أبعد الناس عن هذا الإيمان عقيدة وعملاً، لذلك عدّوا خبر الغيب خرافات وأساطير: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [النحل:٢٤]، وضلّوا عن حقيقة التوحيد وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وقالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴿٥﴾ ﴾ [ص:٥]، فكانوا أبعد الناس عن معرفة الحقّ والتزامه وتعجّبوا من الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة مع أنّ العجيب المنكَر هو الشرك في الألوهيّة بعد الإقرار بالربوبيّة كما بيّن ذلك الله تعالى بقوله: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١]، فلما أقرُّوا بربوبيّته: ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ**﴾ أمر بتوبيخهم وإنكار ماهم عليه من

---

(١) ينظر : "أضواء البيان" للشنقيطي : ٤١٠/٣

الشرك: ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

**ب/ أثر الإيمان بالغيب في تحقيق الانقياد لله بالطاعة:**

الانقياد لله ﷻ بالطاعة أمر ينطلق من معرفة ويحتاج إلى منهج وطريقة، وقد تضمَّن الإيمان بالغيب كلا الأمرين، ففيه الخبر عن أسماء الله وصفات ذاته وفعله ما يحرِّك محبَّة الله ﷻ في نفوس عباده، فهو الله الملك القدوس السلام، له كلّ صفات الكمال والجمال والجلال على التفصيل والإجمال، وهو الصمد الذي يقصده الخلق في كلّ الحوائج والرغائب، وهو الحيّ القيوم الذي له دوام الحياة وكمال القدرة وتمام الغنى، وهو العظيم المجيد الحميد له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وكل اسم له وكل صفة من صفاته تستدعي محبَّة خاصَّة[1].

والتعريف بالله ﷻ الذي تضمَّنه خبر الوحي كما يحرِّك محبّة العباد لله عزوجل فإنَّه يعظِّم رجاءهم فيه، ويدفعهم إلى طلب القرب منه وتتبُّع مرضاته، وقد أخبر الوحي عن الله ﷻ بصفات رحمته وحلمه ومغفرته، فهو الرحمن الرحيم وسعت رحمته كلّ شيء، وهو الحليم العفوّ الغفور يحب العفو، ويقبل التوب، ويحبّ من عباده أن يسعَوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه، ويتعرّضون بها إلى نفحات رحمته، وهو القريب المجيب يسمع دعاء عباده ويعطيهم سؤلهم، وهو الكريم الودود المحسن إلى خلقه المتفضِّل عليهم بأنواع النعم وعظائم المنن. وإذا عرف المؤمن بالغيب هذه الصفات أقبل على ربه طائعًا منيبًا داعيًا متقرِّبًا إليه بما يحبّ ويرضى حبًّا ورجاءً؛ فمعرفة الله تبعث على الرجاء، والرجاء يبعث على الطلب[2] .

كما تضمَّن الوحي بيانًا لصفات عظمة الإله وقوَّته وسطوته وعلمه ورقابته ما يخوِّف عباده، ويجعلهم يستقيمون على طاعته، وينقادون لأمره ونهيه، فهو القويّ القاهر القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، وهو العزيز الجبَّار العالي على خلقه بصفاته وآياته، وهو العليم الخبير العالم بدقائق الأمور وخفايا الصدور، وهو الرقيب الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء سرًّا كان أو علنًا، فمن آمن بالغيب عرف لربِّه هذه الصفات، فحقق كمال الذلّ والخضوع والتعظيم والانقياد بالطاعة ظاهرًا وباطنًا، فالإيمان بالصفات الذي هو شعبة من الإيمان بالغيب أساس تحقيق العبودية الظاهرة والباطنة، قال ابن القيّم: « الإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها،

(١) "طريق الهجرتين" لابن القيم : ٤١٣

(٢) ينظر :" المنهاج في شعب الإيمان" للحليمي : ٥٢٠/١

وتعلُّق القلب بها وشهوده لها، هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرِّك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا»[(١)].

فالإيمان بالله ﷻ وما له من الكمال والجلال، وما تفرَّد به من الوحدانيّة والصمديّة، هو أساس تحقيق الانقياد بالطاعة ظاهرًا وباطنًا ويوجه الطاعة ويحدد كيفيّتها الإيمان برسل الله الذين اصطفى، وهم صفوة الخلق وأئمّة الهدى، أرسلهم إلى البشر مبلّغين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليبيِّنوا للناس منهج العبوديّة، ويهدوهم إلى صحيح العبادة وأنواع الطاعة .

**ج/ أثر الإيمان بالغيب في البراءة من الشرك وأهله:**

مدار الإسلام -الذي بعث الله به كافّة الرسل- على الكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، قال ابن تيميّة: «والتوحيد الذي جاء به الرسل إنما يتضمَّن إثبات الألوهيَّة لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلاّ إيّاه، ولا يتوكّل إلاّ عليه، ولا يوالي إلاّ له، ولا يعادي إلاّ فيه، ولا يعمل إلاّ من أجله»[(٣)]، فلا يتمّ معنى الإسلام ولا يتحقّق الاستسلام لله تعالى إلاّ باجتناب الطاغوت والبراءة من عبادة كلّ ما سوى الله بالخلوص من الشرك الجليّ والخفيّ[(٤)]، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

ولأهمية هذا الركن في تحقيق التوحيد قدَّمه الله ﷻ على الإيمان بالله في بعض المواطن فقال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر:١٧].

وهكذا فإنّ الإيمان بالغيب هو أساس الدين الحقّ، وأساس الهداية إليه، فالذين آمنوا

(١) "مدارج السالكين" لابن القيم : ١/٣٥٠

(٢) من أخطر ما يواجه عقيدة التوحيد اليوم من التحديات إغفال هذا الركن، والدعوة إلى الاكتفاء بالإيمان بالله أو بإله أيًّا كان ذاك الإله! بدعوى أن هذا القدر من التوحيد هو ما يشترك كلَّ البشر تقريبًا في الإتيان به، فيكون ذلك — بزعمهم — طريق لإزالة الفوارق بين الأديان والعمل لتحقيق ما سموه السلام العالمي والأخوة العالمية أو الكوكبية أو الإنسانية العامة!

(٣) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية : ١/٢٢٤

(٤) ينظر :" تيسير العزيز الحميد" : ٥٢٥

بالغيب وأسلموا وجههم لله فازوا وربحوا، والذين انحرفوا عن حقائق هذا الإيمان تشعّبت بهم السبل بين أديان محرَّفة تمسّكوا بها عصبية وضلالاً، أو وثنيات متنوِّعة هلكوا في طقوسها وشركيّاتها، وقد شهد عصرنا الحديث عودة كثير ممن غرقوا في أنواع الضلال والإنكار الكفر استكبارًا إلى البحث من جديد عن الحقيقة ليطفئوا بها ظمأ الروح بعد أن أضناهم التعب في متاهات الحياة الماديّة، وشقوا في بيدائها كلّ الشقاء حقبًا من الزمان: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤]، ولكن لإعراض هؤلاء عن الدين ومحاربتهم له لم يتّجهوا في بحثهم الجديد إلى المصدر الصحيح، ومن ثمّ لم يتّخذوا الشيطان[١] عدوًّا لغفلتهم عن حقائق الغيب التي ساقها الله لعباده المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦]، وإنما تبعوا عقولهم وأهواءهم، فكانت نتيجة بحثهم الوصول إلى الكفر بصور جديدة زينها لهم إبليس كما أخبرنا الله ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:١٦]

.

وقد اتخذ هؤلاء الحيارى في بحثهم عن الدين الحقّ مسارات تشعّبت في تتبُّع الأديان الوثنيّة، والأديان ذات الآلهة الأنثويّة القديمة[٢]مع باطنيّة الأديان المحرّفة، يصف أحد الراصدين لتطوُّر حركة البحث عن الدين في الغرب نهاية ما وصلوا إليه فيقول : « إنه الإيمان أنّ حياة الإنسان الحقيقيّة روحانيّة، وأنّ هذه الروحانيّة متّحدة مع روحانيّات كلّ أشكال الحياة في جميع الكائنات. ويتّصل بهذه العقيدة روحانيّة الأرض[٣]، وبالتالي فإنّ حياة الإنسان المستقبليّة على هذه الأرض تعتمد على تطوير حياته بتناغم مع القوى الروحانيّة للأرض »[٤]، وقد انطوت

---

(١) كل من يستقي فكره من غير الوحي المعصوم لا يعرف حقيقة الشيطان وكيفية النجاة منه ومراغمته؛ إذ غاية ما يمكن أن يعرفه الإنسان بعقله أومن المصادر المحرفة إلى وجود قوة روحانية قد يسميها أرضية أو نفسانية أو قوة شر، أما كيف يتحصن من شر الشيطان ويتجنب مكائده وحيله فلا طريق إلى الوصول إليه أبدًا إلا عن طريق الوحي .

(٢) مثل الأديان السومرية واليونانية، ومن أبرز الآلهة الإناث التي يزعمونها –تعالى الله عما يشركون– (عشتار) إلهة الخصب، و(إنانا )إلهة السموات والعالم النوراني . ينظر : "لغز عشتار" : فراس السواح : ٧٦٠

(٣) هي عقيدة ينادي أصحابها بفكرة أمنا الأرض، وأن البشر ينبغي أن يعبدوها فهي الأم العظيمة التي تمنحهم من روحها المتجلية في الطبيعة والمعروفة باسم جيا Gaia، وتدور حول هذه العقيدة اليوم عدد من الأديان تشمل كافة المعتقدات الوثنية للهنود الحمر وقبائل الشامان وتسمى : Earth centered religon، ينظر:

-"The New World Religon". Gary.Kah .p.201.

(٤) هو فاولر فاندر والت ، الكاتب الناقد لفكر الحركة، ينظر كتابه حركة النيو ايبج :

–"The New Age". Fowler Wlalt p.34.

تحت هذه العقيدة (عقيدة الوحدة الروحانية)(١) أكثر الأديان الجديدة في الغرب وهي بعث وصياغة جديدة لصور قديمة من عقيدة وحدة الوجود، فمعتقدوها يجتمعون على القول بأن الكون شاملاً الإنسان والطبيعة هو (الواحد المقدّس)، ويرفضون التصديق بوحي خاصّ ودين واحد، ويدّعون أنّ الحقّ نسبيّ ومتعدِّد، وأنّ بإمكان كلّ أحد الوصول إلى الحقّ من باطنه بإشراقات وحي متجدِّدة تناسب كلّ زمان وكلّ طائفة، يقول أحدهم: « لا يمكن أن يكون هناك وحي نهائيّ وخاتم، إنّ الطريق إلى الإله ليس واحدًا، لأنّ الإله في كلّ مكان ومتوفِّر لكلّ أحد »(٢) .

(١) وهي عقيدة وحدة الوجود على اختلاف صورها بين الأديان، وهي حقيقة فلسفة الطاقة الحيوية الكامنة التي تقول بها عشرات الطوائف الدينية في الغرب، وهي ما كان يسمى مذهب أصحاب الروحانيات في القديم ويتلخّص في إثبات روح علوية مقدسة عن سمات الحدوث، يجب على الناس معرفة العجز عن الوصول إليها، وإنما يتقربون إليها بالوسطاء الروحانيين المقدسين وذلك بعد التطهر من الشهوات الطبيعية التي يعدونها دنسًا حتى تحصل مناسبة بين الناس والروحانيات، ينظر : "الملل والنحل للشهرستاني" : ٢/ ٣٠٨

(٢) القائل هو نيفل دروري Nevill Drury ،كاتب انجليزي يعد من منظري فكر حركة العصر الجديد في استراليا، ينظر : كتابه : "عالمان منفصلان : النصرانية والنيواييج" :

-"Worlds Apart: Christianity and the New Age", David Millikan,and Drury.p.54.

وقد تكوّنت طوائف ومؤسسات خفية ومعلنة لتبنّي هذه العقيدة ونشر صورها في الغرب، منها حركة العصر الجديد The New Age Movement التي تعدُ أشهر حركة في الولايات المتحدة الأمريكية تتبنّى البحث عن حقيقة الدين بعيدًا عن الوحي، وتروِّج لجميع صور عقيدة الوحدة وتلوناتها بقوالب جديدة، تقول إحدى المتخصِّصات في دراسة فكر هذه الحركة[١]: « إنّ المقدّمتين المنطقيّتين وراء هذه العقيدة هما: الطقوس السرِّية الباطنيّة والغنوص، الكلمتان اللتان تُعنيان الوعي بالعرفان الباطنيّ الروحانيّ. فالطقوس السرّية هي تطلُّع إلى عالم خارج عن العالم المشاهد المعروف -يسمّونه القوّة الخارجيّة أو قوّة الحياة- واليقين باتحاد كامل الشعور والنفس والروح وكلّ الإنسان مع تلك القوّة، ولذلك يتردّد كثيرًا على ألسنة أصحابها: نريد أن نشعر أنّنا القوّة، نريد أن نعمل مع القوّة، نريد أن نصبح نحن القوّة[٢]. أمّا (الغنوص) فهي علوم لا يتمّ الوصول إليها بالحواسّ الخمس والعقل، فهي علوم باطنيّة انتقائيّة، وانطباعات تتمّ في حالة الوعي المغيَّر الذي يخترق العوالم الخفيّة بأناس مميَّزين[٣]، ويتسلّم ومضات من الكون تفسّر ألغاز السماء والأرض».

ولأنّ هذه العقيدة تميّع الحقيقة بانتهاج منهج الباطنية فقد أصبح من الصعب على الدارس للطوائف الدينيّة التي تكوّنت مؤخرًا بصورة كبيرة في الغرب تحديد العقيدة التي تجتمع عليها هذه الطائفة أو تلك؛ إذ تضمّ كلّ طائفة عددًا من المعتقدات المتباينة، فيوجد في الطائفة الواحدة القول بالوحدة والتثليث والتعديد وغيره، ويرون هذه المعتقدات صور مختلفة وأفهام لحقيقة واحدة، ويعدّون الاعتقاد بالإله أمرًا شخصيًّا، فلا يحدِّدون عقيدة بعينها لأتباعهم اعتقادًا منهم بنسبيّة الحقيقة، وإيمانًا بأن الوحي هو إلهام وعرفان باطنيّ يتكشّف لدى كلّ فرد بصورة شخصيّة عندما يصبح الشخص أكثر وعيًا من الناحية الروحيّة عن طريق وسائل الارتقاء

---

(١) هي هيلين هورن Helene Horn التي قدمت اطروحة الدكتوراة بعنوان "تتبع فكر حركة العصر الجديد في بحثهم عن الحقيقة" لجامعة جنوب أفريقيا University of South Africa، ينظر:

-"The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective"p.32.

(٢) We want to woork with We want to feel the Force, We want to become the Force, the Force.

(٣) تميزهم المقصود هو دأبهم على هذه الرياضات والتدريبات ورغبتهم الصادقة في الوصول إلى هذه الحالات ! فلا مرحبًا بهذا التميز .

الباطنيّة والممارسات السريّة التي تتيح الفرصة لأيٍّ إنسان في تحقيق حالة إلهيّة تنكشف له فيها الحقيقة [١].

والسبب الرئيس في وصول البحث عن الدين عند أكثر الغرب إلى هذه العقيدة الباطلة والدين الفاسد وتفرُّقه في سبلها كونه ولّى وجهه شطر أصحاب الروحانيّات ممن انحرفوا عن حقائق الإيمان بالغيب وعُرفوا بالكفر بالنبوّات، فقد تكوّنت هذه الطوائف على يد اليوجيّين[٢] والمهاريشيّين[٣] والشامان[٤] الذين يدينون بصور متنوّعة من عقيدة الوحدة، والذين انتشروا كثيرًا في الغرب وأنشأوا في البداية مراكز متنوّعة للعلاج الروحيّ[٥] ما لبث أن أصبحت مراكز دينيّة وجدت لها كثيرًا من الأتباع[٦].

ويتنامى الانتماء لهذه الطوائف الدينية الحديثة في الغرب بشكل واضح لكونها تشمل ممارسات روحيّة يفتقر إليها من انكوت قلوبهم بهجير الماديّة الملحدة أو جفاف الأديان المحرَّفة

(١) تعتمد كل هذه الوسائل على تغيير الوعي (حالات الوعي المغيرة) عبر ما يسمى بالتنويم المغناطيسي أو الإيحائي أو الذاتي التي يوصل إلى مرحلة السكر أو الفناء بأسمائه المختلفة .

(٢) أتباع اليوجية، وهي ديانة فلسفية روحية هندية، تكونت من ممارسي اليوجا البرهميين، وهي تهتم بالطقوس ويرى أتباعها أن كل الديانات حق، وتهدف لإماتة الشهوات للوصول إلى الاتحاد مع برهمن(الكائن الأعلى) ينظر: الهند القديمة ،حضاراتها ودياناتها" لمحمد الندوي:١٠٨ . وهي الآن تعرض على أنها مجرد رياضة للصحة والاستشفاء ينخرط في تعلمها كثير من الناس في العالم أقصاه وأدناه بما في ذلك بلاد الحرمين!غفلة عن معاني اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

(٣) أتباع المهاريشية، وهي ديانة هندية دهرية ملحدة تشكلت الغرب في الستينات الميلادية على يد الناسك الهندي (المهاريشي يوجي)، واجتذبت ملايين الشباب الغربي التائه، وتعتمد على تدريبات التأمل التجاوزي الارتقائي، وتمارين التنفس العميق والتحولي، ينظر الموسوعة الميسرة:٢/ ٧٨١ ، وقد تبنى تطبيقاتها معهد (ايسالن) والحركات الدينية التي خرجت منه كحركة العصر الجديد(نيوايبج) ،ينظر: - "The New Age",p.136,140,210

(٤) أتباع الشامانية، وهي ديانة وثنية توجد في سيبيريا وأدغال أندونيسيا وجنوب أمريكا واستراليا والهونا فرع منها يدين به الهنود الحمر في أمريكا، وتعتمد على التقرب إلى ما يعبرون عنه بالأرواح العلوية والسفلية والوصول إلى القدرة على السيطرة عليها والتحكم فيها وتتضمن طقوسًا طوطمية تهدف إلى الوصول لحالات من الخروج عن الوعي ينظر :

-The Dictionary of The Esoteric.Nevill Drury ,p.283

(٥) تسمى مراكز الدعاء، ومراكز الصلاة،ومراكز النور، ومراكز التنوير، ومراكز السلام، ولا تكاد تخلو ولاية في أمريكا اليوم من أحدها، وبدأت طلائعها تدخل العالم الإسلامي عبر مركز بيت السلام في لبنان الذي ترأسه المدعوة مريم نور إحدى رؤوس ترويج الفكر الباطني من خلال التطبيق الحيوي والممارسة اليومية .

(٦) ينظر : -"Marvis Harvis,America Now",p.142

مع كون هذه الطوائف تسعى للتقريب بين المعتقدات الروحانيّة الوثنيّة وبين العلم المادّيّ[(١)] والأديان المحرّفة بما في ذلك السحر والتنجيم والطقوس الوثنيّة كالشامانيّة Shamanism والهونا Huna[(٢)]، وتدعو إلى قبول كلّ الأفكار وجميع الأديان، ولا يجد المنتمون لها غضاضة في ممارسة طقوس الوثنيّة مع إظهار التمسُّك بمعتقد سماويّ كالنصرانيّة والإسلام !

وهكذا كانت نهاية رحلة البحث عن الدين للإنسان الغربيّ الذي تعس بروح الماديّة والنفعيّة والفرديّة الوصول إلى أنواع من الأديان الجديدة التي ظهرت بصور جذّابة للمتعطّشين إلى الروحانيّات، وتكوّنت من أجل تقديمها للناس مراكز وجمعيات ومؤسسات[(٣)]، وحقيقة ما تحمله إنما هو صور جديدة لدين الكفر وتطبيق لعقيدة وحدة الوجود وفلسفاتها في الأديان الشرقيّة، وعودة إلى التنجيم والسحر والطقوس الوثنيّة [(٤)].

---

(١) لذلك أكدت دراسة حديثة قام بها الباحث راسل Russell Chandler أن : ٣٦ % من الأمريكان اليوم يؤمنون أن التنجيم علمي المصدر، وأن السحر مهارة يمكن تسخيرها للخير والتطوير، و ٢٥% منهم يؤمنون بمنطقية تناسخ الأرواح. ينظر كتابه : "Under standing the New Age" p.130-13-

(٢) هي ديانة وثنية من أديان الهنود الحمر، تنتشر في جزر هواي بالولايات المتحدة الأمريكية، يعتقد أهلها بالكائن الروحي الأعلى الذي يتم الاتصال به عن طريق الطقوس الصاحبة بالطبول والمزامير والترنيمات المقدسة.ينظر:

-The Dictionary of The Esoteric.Nevill Drury ,p.283

وقد تم على يد الساحر الدكتور: تاد جيمس، إعادة صياغة طقوسها على شكل دورات تدريبية لتنمية الطاقة البشرية! وقد حضر دوراته وفاخر بها أحد من يُحسبون على الدعوة الإسلامية في الخليج!الدكتور المدرب:نجيب الرفاعي، وزعم أنه تجاوز ما فيها من الوثنية واستبدل استغاثاتهم الشركية باسم (الله) و(لا إله إلا الله) التي أدت إلى نفس المفعول حتى على غير المسلمين الحاضرين للدورة!؟ينظر: مجلة النور،العدد (٢٢٢) ، شعبان١٤٢٤هـ،اكتوبر٢٠٠٢، ص٢٤.

(٣) منها مؤسسة لوسز ترست Lucis Trust،وورلد قوود وِل World Good Will،ومدارس الأركين Arcane School، والمجموعة الجديدة العالمية للخادمين World Servers The New Group of . إضافة إلى من تقدم ذكرهم : حركة التفكير الجديد ، وحركة العصر الجديد ، وحركة القدرات البشرية الكامنة ، وجميعها تمثّل جمعيات لنشر الفكر الثيوصوفي ( عقيدة وحدة الوجود ) الذي نادت به وأعلنته بلافاتسكي Blavatsky في الستينات الميلادية ينظر:

-The New World Religon.p.200.and En Route to Global Occupation .p.102.

(٤) ليس سرًّا يذاع التأكيد على دعم الأمم المتحدة لهذه العقيدة، ودعم الجهات البحثية والمؤتمرات التي تتولى ترويجها ونشرها، بين ذلك جيري كاه Gary.Kah في كتابه: "عقيدة العالم الجديد" الذي صدر عام ١٩٩٩م وكان قد ألفه للتنبيه على الخطر المتزايد للأمم المتحدة في العمل لتوطين العقيدة العالمية الجديدة التي ترى أنها توافق روح العصر وتواكب مستجدات الفكر، والمتمثلة الفكر الثيوصوفي الباطني وتقديمه كعلم وتطبيقات طبية ودعوات لحماية البيئة في اتجاه نحو توحيد العالم وتشكيل مواطنيه ونظامه العقدي الجديد، ينظر :

-The New World Religon.p.124.and En Route to global Occupation .p.113.

فالهداية إلى الدين الحقّ منّة من الله ﷻ على عباده لا يحوزها منهم إلاّ من آمن بالغيب وصدّق المرسلين، واتخذ من هداهم منهجًا يسترشد به في بحثه ومعارفه، وينقاد له في عمله وعبادته، فالوحي وحده طريق الهداية للدين الحقّ والإخلاص للإله الحقّ سبحانه وتعالى كما أنه وحده طريق معرفة منهج العبوديّة المرضيّ عنده سبحانه، كما يتبيّن في المطلب التالي.

## المطلب الثاني
## الهداية إلى صحيح العبادة

من أعظم ما يحتاجه العباد لصلاح دينهم ودنياهم بعد معرفة الإله الحقّ ووجوب الإخلاص له، معرفة مايحبّه ﷻ وما يسخطه؛ ليطيعوه ويعبدوه على المنهج المرضيّ عنده، ولهذا تفضلّ ﷻ على عباده فأرسل الرسل يبيِّنون الحقّ من الباطل ويقيمون للناس منهجًا من الحقّ الكامل[1]: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:١٣] فعرف الناس من الرسل ما يحبّ ربُّهم وما يبغض، وما يقبل منهم وما يردّ،قال ابن القيم : «اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ، وما جاء به وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم »[2]فمن تلقّى منهج العبوديّة من هذا الطريق عرف صحيح العبادة ووُفّق لمرضاة ربّه، ومن رغب عنه تنكَّب الطريق وانحرف عن الحقّ في دروب الشرك والبدع، وما أكثر من يعبد الله بغير ما شرع! وتقرّب إليه بما يسخط! وما عبادة المشركين للأصنام إلاّ بدافع التقرُّب إلى الله، قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] .

ومن المعلوم أنّ العبادة لا تصحّ إلاّ بشرطين هما: تحقيق الإخلاص لله وموافقة شرع الله ﷻ[3]، فهذان الشرطان لابد منهما لقبول العمل وقوامهما الإيمان بالغيب، ولا يمكن أن يوجد إخلاص أواتبّاع إلا من مؤمن بالغيب، فالإخلاص لله ﷻ لايتمّ إلاّ بمعرفة حقائق الغيب التي أخبر عنها الرسل، وأهمها الإيمان بالله ﷻ وما له من الكمال والجلال، وما تفرَّد به من الوحدانيّة والصمديّة، والإيمان بأنّ رسله الذين اصطفى هم صفوة الخلق وأئمّة الهدى أرسلهم إلى البشر مبلّغين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليبيِّنوا للناس، ويحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه،

---

(١) ينظر :"الموافقات" للشاطبي : ٢/٦٤

(٢) ينظر :"زاد المعاد" لابن القيم : ١ / ١٥

(٣) ينظر :"شرح العبودية"، لعبد العزيز الراجحي : ٥٨

فمعرفة حقيقة النبوّة وأنها اصطفاء من الله لمن ارتضى من عباده تدفع لاتباع الأنبياء والاقتداء بهم، وتحمي من الغلوّ فيهم أو اعتقاد ألوهيّتهم أو صرف شيء من العبادة لهم.

والإيمان بالملائكة وأنهم جند من جنود الله ينفّذون ما يكلّفهم به، فمعرفة حقيقة عالم الملائكة تحمي من التصوُّرات الباطلة التي جعلت طوائف من الناس قديمًا وحديثًا يعتقدون بنوّتهم لله ﷻ أو تدبيرهم للكون، أوتصرُّفهم فيه بقوّى منهم استقلالاً ، فعبدوهم أو اتخذوهم وسطاء ونحو ذلك من الشرك .

والإيمان باليوم الآخر وما أعدّ الله فيه من ثواب المحسنين وعقاب الكفَرة والمعاندين يجعل العبد يجتهد في مراقبة عمله، والعمل على مرضاة ربه سرًا وجهرًا راجيًا ثوابه الموعود في الغيب، خائفًا من عقابه المتوعد به في الغيب، قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠] ولا يقوم هذا الرجاء بقلب عبد إلا إذا كان عامرًا بالإيمان بالغيب .

ومثلما كان الإخلاص أثرًا أكيدًا عن صحيح الإيمان بالغيب واليقين بصدق خبره ، فكذلك الاتباع ؛ إذ الإيمان بالغيب طريق تحقيق الإخلاص لله ﷻ وطريق معرفة العبادة التي ترضي الله ﷻ، ولا يصل العبد لذلك حتى يكون متبعًا لرسول الله ﷺ مؤمناً إيمانًا جازمًا بأن رسالته هي أكمل الرسالات وأتمها وآخرها، فمنه ﷺ تعرف أنواع العبادات وكيفيّاتها وقد قال :"صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي"[(١)]وقال:"خذوا عني مناسككم"[(٢)]، وحذّر من أي إحداث وابتداع يخالفها فصدّر ﷺ كثيرًا من خطبه ومواعظه لأمته بتلك الكلمات الجامعات:"أما بعد..فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هُدى محمد وشرَ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[(٣)] فقد حوى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ منهجًا كاملاً للعبادة كما يحبّ الله ويرضى، بل منهجاً يجعل الحياة كلها محراباً يُعبد فيه الله عزوجل وحده بشريعته التي ارتضاها للناس، وقد سعد بتطبيق هذا المنهج المؤمن بالغيب، فأصبحت حياته كلّها عبادة لله وتتبُّعًا لرضاه،واستسلم لله موحِّدًا، محبًّا معظِّمًا، ومنقادًا لأمره ونهيه مخلصًا له، فكان عبدًا لله حقًّا قد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان،باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم: ٦٣١

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، رقم: ١٢٩٧

(٣)أخرجه مسلم، كتاب الجمعة،باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: ٨٦٧

أسلم وجهه وقلبه لله متبعًا ملّة إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فكل من آمن بالغيب وتلقّى خبر الرسول ﷺ بالطاعة والانقياد عرف صحيح العبادة، واهتدى إلى السنة، وعبَد الله كما يحبّ الله ويرضى، بينما تقلّب سائر من كفروا بالغيب أو انحرفوا عن منهج الرسل عليهم السلام في أنواع من الشرك والبدع والضلالات، **ومن صور البدع** التي يقع فيها الكافرون بالغيب وفئام من الأمَّة انحرفوا عن مصدر الإيمان بالغيب :

– **الغلوّ في النبيّ ﷺ**، فما أكثر احتفالات المولد النبويّ والمدائح[1] التي وقع فيها أصحابها وأتباعهم في عين ما حذّر منه رسول الله ﷺ بقوله: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله"[2].فقد غلا النصارى في عيسى عليه السلام حتى جعله بعضهم ابنا لله ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢] ومنهم من جعله هو الله ،﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠] تعالى الله عما يصفون.وكذلك غلوا من بعده في رهبانهم وأحبارهم قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

– **والغلو في الأولياء**، ومنشؤه ادّعاء عصمة الأولياء عند من ضلوا عن الحق كالصوفية والرافضة، فالرافضة قالوا بعصمة الأئمة واخترعوا من بعد ذلك ولاية الفقيه[3]، والصوفية جعلوا مشائخ طرقهم بل وكثير من الخرقى والمعتوهين في مرتبة العصمة[4]!

وانتشر من وراء دعاوى العصمة هذه أنواع من الشرك وصنوف من البدع فكم ممن ينتسبون إلى الإسلام توجهوا بالعبادة لغير الله ، وعبدوا الله بغير ما شرع لما انحرفوا عن الإيمان بالغيب على منهج الرسول ﷺ حتى تفشّت البدع في كثير من جوانب الحياة وعمّت أنواع

---

(١) كقصيدة البردة للبوصيري ومئات القصائد الأخرى على منوالها.

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم:١٦]، رقم: ٣٤٤

(٣) ينظر: "دراسة عن تاريخ الفرق:الخوارج والشيعة"لأحمد جلي:٢١١

(٤) ينظر: "الفتوحات المكية" لابن عربي: ٣/ ١٨٣، و"التصوف" لإحسان إلهي ظهير: ٢٠٤

العبادات، أصبح العمل بها عبادة مرضيّة عند طوائف من الأمّة حادت عن الحقّ وجانبت الاستقامة، واتّبعت سنن السابقين حذو القذّة بالقذّة، قال ابن تيميّة : «كثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبَّة لله مع مخالفة شريعته، وترك المجاهدة في سبيله، ونحو ذلك، ويتمسّكون في الدين الذي يتقرّبون به إلى الله بنحو ما تمسّك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يُعرَف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا»[1]، فأصحاب البدع من المسلمين وسائر أصحاب الأديان المحرّفة والوثنيّة يؤدُّون أنواعًا من العبادات، ولهم صلاة وصيام وحجّ ودعاء، ولكنّها إمّا عبادات متوجَّه بها إلى غير الله، أو متعبَّد بها على غير هداه ﷻ الذي رضيه لعباده .

- **ومن تلك البدع أنواع الاستعانة والاستغاثة بالأموات**، ودعائهم من دون الله ﷻ، والذبح والنذر للأضرحة وأنواع الشرك الأكبر، تمامًا كما يفعل الوثنيُّون إلاّ أنّ هؤلاء يقصدون أصنامهم والقبوريُّون يقصدون ما يسمُّونها مشاهدهم[2]، وإنّ رصد القبورية وتتبُّع ضلالاتها قديمًا وحديثًا حول مايدّعون أنها قبور الأنبياء أو الصحابة أو الأولياء ليبين عظيم خطر الانحراف في باب الإيمان بالغيب وما يوصل إليه من الشرك .وما زال أئمة الهدى المحقّقون لمعاني الإيمان بالغيب العاملون بمقتضاه -في كل زمان- ينكرون على أهل البدع بدعهم ويصنِّفون في ذلك المصنَّفات للتحذير من البدع، وتوضيح أنواعها، والردّ على شبه أهلها، وبيان انحرافهم عن الإيمان بالغيب تلقِّيًا أو فهمًا أو عملاً.

---

(١) "العبودية" لابن تيمية : ٤٥

(٢) ينظر: "تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد" للصنعاني: ٥٧٤.ضمن "رسائل الجامع الفريد" .

# المبحث الثالث :
# أثر الإيمان بالغيب في إصلاح الحياة والمعاش

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إصلاح حياة الإنسان المؤمن.

المطلب الثاني : إصلاح المجتمع الإنساني.

## المطلب الأول

## إصـلاح حياة الإنسـان المؤمن

الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة يمتزج فيه عالم الغيب بعالم الشهادة، لذا تخفى عليه بعض حقائق نفسه التي بين جنبيه، وهو مأمور بحفظها وتزكيتها وإصلاحها لتكون عنصرًا صالحاً في مجتمع إنساني أراد الله عزوجل أن يُوجد على هذه الأرض ويعيش فيها الحياة الدنيا وفق منهج الله ﷻ.

وقد اقتضت رحمة الله ﷻ بعباده أنّ يبيِّن لهم كلّ ما يحتاجون إلى معرفته، ويجعل الوصول إليه سهلاً واضحًا غير ذي عوج[١]، لذلك فطرهم الله ﷻ على حبّ الفضائل، ومنحهم عقولاً مدركة تميّز بين الحقّ والباطل، ثم أتمّ النعمة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وساق إليهم ضمن ما تعبّدهم بالإيمان به أصول ما يصلح حياتهم في الدنيا والآخرة، فالله قد«جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرّهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم»[٢]؛ لذا كان الإيمان بالرسل وتصديق خبر الغيب الذي جاؤوا به أساس كلّ خير يناله العباد في الدنيا والآخرة.

وليس المقام هنا مقام عرض لحقائق الطب ومنهج تزكية النفس التي ساقها الوحي المنزل من عند الله رحمة بعباده، فقد كُتبت في هذا الموضوع مصنَّفات عدة، وإن كان الأمر ما زال يحتاج إلى دراسات متخصِّصة تجمع ما كتب السابقون وتصنِّفه، وتميّز الثابت الصحيح من ما ألحق به وليس منه، وإنما سأكتفي بالإشارة ولفت النظر إلى أثر الإيمان بالغيب في هذا الجانب، من خلال أمور تتبع بعض الأمور التي دعا إليها خبر الغيب، وهي من أهمِّ أسباب إصلاح النفس لإنسانية بدناً وروحاً:

**أولا: إصلاح الأبدان :**

والنفس من الكلِّيَّات التي أمر الدين بحفظها لتقوى على القيام بحقّ العبوديّة لله تعالى، و السعي في إصلاحها جسداً وروحاً مطلب شرعيّ؛ لذا تضمّن خبر الغيب الثابت في الوحي

---

(١) ينظر : "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية: ٦٦/٩

(٢) "مجموع فتاوى ابن تيمية" : ٩٦/١٩

المعصوم كتابًا وسنّة ما يصلحها من الأفعال والأقوال، وما أحلّ لها أوحرّم عليها من الأطعمة والأشربة، كما تضمّن بيان بعض ما يختصّ منها بجلب الصحّة المفقودة، أوحفظها، أو دفع علّة موجودة، فدلّ على كثير من أسباب حفظ الصحّة والوقاية من الأمراض(١)، وأنواع جامعة من طرق التداوي وأسباب الشفاء تغني عن كثير مما يظنّ في نفعه من الأغذية والأدوية(٢) كما أنه وجّه الإنسان لكي ينقّب ويبحث فيما جعل الخالق من أسباب أخَر.

والحق أن قيمة علم الطبّ بكلّ اكتشافاته بالنسبة إلى طبّ الوحي كنسبة المعارف الطبيّة الخرافيّة إلى ما دلّت التجارب العلميّة على صحّة نتائجه، قال ابن القيِّم: « نسبة طبّ الأطبّاء إليه –أي إلى طبّ الوحي– كنسبة طبّ الطرقيّة والعجائز إلى طبّهم، وقد اعترف به حذّاقهم وأئمّتهم، فإنّ ما عندهم من العلم بالطبّ منهم من يقول: هو قياس، ومنهم من يقول: هو تجربة، ومنهم من يقول: هو إلهامات ومنامات وحدس صائب....وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضرّه؟ فنسبة ما عندهم من الطبّ إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل هاهنا من الأدوية التي تشفى من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطبّاء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم، وأقيستهم من الأدوية القلبيّة والروحانيّة وقوّة القلب واعتماده على الله، والتوكُّل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلّل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جرّبتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه»(٣).ومن ذلك:

---

(١) قال ابن القيم: "نقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء؟ فقال علي بن الحسين وهو ابن واقد: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا، فقال: ماهي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ ﴾ [الأعراف:٣١]، فقال النصراني: لا يُؤْثر عن نبيكم شيء من الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة،قال: وما هي؟ قال: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد. فقال النصراني: ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينيوس طبًّا ". والصحيح أن هذا القول لم يثبت رفعه إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام طبيب العرب الحارث بن كلدة. ينظر : "زاد المعاد" لابن القيم: ١٠٤/٤

(٢) ينظر :"المحصول" للرازي : ١٥٦ و"الفرق الكلامية" للمغربي : ٣١٩

(٣) "زاد المعاد" : ١٢/٤ باختصار يسير.

– الإخبار بأنّ العافية منّة من الله ﷻ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[الشعراء:٨٠] وبيّن نبي هذه الأمة ﷺ للمؤمنين بالغيب أن أعظم سبب في حصول العافية هو دعاء الله ﷻ القادر على أن يهبها متى شاء وكيف شاء ولمن يشاء، فهو ﷻ خالق الأسباب والقادر على إنفاذ مايريد، كيفما يريد، بأسباب أو دونها قال ﷺ: "سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرًا من العافية"[١].

– بيان بعض الأسباب غير المادّية التي جعلها الله أسبابًا لصلاح النفوس والأبدان كالقرآن بعامّة، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، وبعض سوره خاصّة فقد صحّ أنّ النبيّ ﷺ أقرّ المعالجة بفاتحة الكتاب وقال لمن رقوا بها: "قد أصبتم"[٢]، وأنه "كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات"[٣] .

وكذلك وجه الوحي كتابًا وسنّة إلى الدعاء لله والتضرع له بعامّة، وسنّ رسول الله لأمّته بعض الدعوات والأذكار المخصوصة في مختلف الأحوال الحيويّة اليوميّة من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومنام ودخول وخروج، وفي تقلبات الأحوال النفسيّة من همّ أو حزن أو خوف ونحو ذلك، وهي كثيرة متنوعة تمثّل حصنًا لأهل الإيمان من كل شرّ[٤]يذكرون بها الله ﷻ متأسّين بنبيهم ﷺ راغبين في الأجر، موقنين بأثرها في حياتهم فيما يشاهدون وفيما غاب عنهم، فقد دلّ الوحي المنزل والعقول الصحيحة على فائدة كلّ ما شرع الله ومنفعته، وثبت ذلك بالتجارب التي لا يحصي عددها إلا الله؛ فتجد المؤمنين قد دعوا الله وسألوه أشياء أسبابها منتفيه في حقهم، فأحدث الله لهم تلك المطالب على الوجه الذي طلبوه[٥].

وينبغي التفريق في هذا الباب بين ماثبت بنصِّ الوحي وما يزعمه بعض الناس اعتمادًا

---

(١) أخرجه أحمد رقم : ٣٩، والترمذي، كتاب الدعوات، باب من دعاء النبي ﷺ رقم : ٣٥٥٨ وقال: هذا حديث حسن غريب، قال الألباني: حسن صحيح ، صحيح سنن الترمذي : ١٨٠/٣ رقم:٢٨٢١

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الإجارة،باب مايعطى في الرقية، رقم: ٢٢٧٦، ومسلم كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم :٢٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب،باب الرقى بالقرآن والمعوذات، رقم:٥٧٣٥

(٤) تولى كثير من الفضلاء جمع الآيات والأحاديث الصحيحة لبيان الأذكار والدعوات المشروعة في اليوم والليلة على اختلاف الأحوال وطبعت بصورة يسهل حملها وتداولها بين الناس، ومن أبرزها وأوجزها: "حصن المسلم" لسعيد القحطاني، و"عالج نفسك بنفثك" لخليل أمين .

(٥) ينظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية :٢/ ٢٣٤

على رؤًى أوإلهامات أو تجارب[١]ونحو ذلك! فالفرق بينها هو الفرق بين الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وغيره من المصادر التي تتفاوت في صحّتها وقيمة المعرفة المتلقّاة منها، لاسيما فيما يتعلّق بأمر غيبيّ، فجميع الأمور التي يُظن أن لها تأثيراً في العالم وهي محرمة في الشرع كالتعاويذ الشركية، ومراعاة الطوالع الفلكية، والسحر،والدعاء المحرم، والرقى المحرمة، ونحو ذلك ، فقد ثبت من مضرتها أكثر من منفعتها حتى في نفس المطلوب، وقلّ أن يحصل لأحد بسببها نفع دنيوي، إلا كانت عاقبته في الدنيا عاقبة خبيثة، دع الآخرة. والمخفق من هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إن فيها من النكد والضرر ما الله به عليم؛ فهي في نفسها مضرة، ولايكاد يحصل الغرض بها إلا نادرًا وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه[٢].

- تضمّن خبر الوحي تشريع عبادات بكيفيَّات مخصوصة كالصوم والصلاة؛ شُهدت آثارها في صحَّة البدن والروح والوقاية من الأمراض العامّة والخاصّة، وبهرت كثيرًا من الأطباء، وتكفي مطالعة سريعة لما كتب عن الإعجاز العلميّ والطبّيّ في الصيام[٣] والصلاة[٤] لكي يفرح

---

(١) كثرت الكتب والنشرات التي تعطي وصفات علاجية تعتمد على بعض آيات القرآن أو أسماء الله الحسنى بطرق بدعية، ويزعم مؤلِّفوها أنّ أساس معرفتها تجارب قاموا بإجرائها على أعداد من المرضى، ومن أشهرها اليوم طريقة الاستشفاء بأسماء الله الحسنى التي ابتدعها المدعو إبراهيم كريم وظاهرها الامتثال لقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وحقيقتها الاعتماد على ما يدعى من طاقة وأسرار الحروف وخصائصها، ونصرة فلسفتها.

(٢) ينظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية:٢/٢١١

(٣) ينظر على سبيل المثال: كتاب" الصيام معجزة علمية" لعبد الجواد الصاوي، من نشر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة. وللطبيب الجرّاح خالد الجبير مواد سمعية كثيرة ينبّه فيها إلى الأثر العظيم لهذه الأسباب على صحة البدن وشفائه من الأمراض العضوية كشريط:"أسباب منسية"، "دواء القلوب" وغيرها.

(٤) دلت الأبحاث العلمية المنهجية على أن تدفق الدم إلى الدماغ في فترات الركوع والسجود له تأثير كبير في تغذية خلايا المخ للإنسان، ومن ثم التأثير في نشاطه، ويُحذَر من الدعاوى الكثيرة التي تُروج تحت اسم الإعجاز العلمي عن أثر الصلاة في الصحة الروحية والنفسية، حيث يُدّعي أن السجود يُمكِّن الجسم من استمداد ما يعتقده الوثنيون من طاقة (جيا) الروحانية الأرضية، حيث تدخل هذه الطاقة الحيوية – بزعمهم- من منفذ لها في الجبين أو ما يسمونه (الشاكرا) فتعطي الإنسان النشاط والحب والفرح، وتطهره من الطاقة السلبية المتولدة عن الانفعالات اليومية وتطردها من مواضع السجود السبعة إلى خارج الجسم، ومن ثم ينشط العبد، ويتخلص من الهم والكره والحزن ونحوه ويحصل= =على الطمأنينة والروحانية!!

المؤمن بفضل الله ورحمته، فما هدف إلى الصحّة ولا الرياضة بصلاته وصيامه، وإنما انقاد لأمر ربّه وأخلص له، فكان له ذلك الخير العميم في الدنيا وعند الله خير وأبقى، وهذا يزيده فرحًا واعتزازًا واستمساكًا بما أوحي إليه من ربّه قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [يونس:٥٨].

– الدعوة إلى الأكل على قدر الحاجة، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف:٣١]. وهذا أصل تقوم عليه الحمية التي هي رأس الدواء، ويعرفه أهل الطب وأهل المعرفة بالغذاء بتجاربهم، ويعرفه المؤمن بالغيب مما يؤمن به من خبر السماء .

وقد حذّر المصطفى ﷺ من الإسراف في تناول الطعام فقال: "ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن أدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بدّ فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"(١)، فملء البطن بالطعام من أكثر أسباب ضرر النفس وفساد القلب والبدن–كما هو معروف—وقد أثبتت تجارب الطبّ الحديث أثر مراعاة الاعتدال في الأكل في حفظ الصحّة، مما يلتزمه المؤمن بالغيب تعبُّدًا وتصديقًا لخبر الغيب قبل أن يكون امتثالاً لقواعد التطبيب العلميّة.

– التحذير من بعض الأسباب الغيبيَّة للأدواء، وبيان كيفيّة توقّيها، قال ﷺ: "غطُّوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإنّ في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلاَّ وقع فيه من ذلك الداء"(٢)، وقال: "إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفُّوا صبيانكم، فإنّ الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل، فخلّوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإنّ الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا

فليست هذه الطاقة المزعومة إلا فلسفة عُباد الوثن، ألبسوها لبوس العلم التجريبي لتشتبه على المسلمين، وتصرفهم عن خالص العبادة. والخطير في الأمر أن بعض أصحاب الدين الحق فرحوا بمثل هذه الأقوال – بحسن نية أو سوء قصد– ودلّلوا على دعواهم بنصوص الوحي، فاشتبه الأمر على كثير المؤمنين؛ وتداولوا نتاج هذا الفكر بينهم حتى لاتكاد تسمع واعظاً يُذكر الناس بالصلاة ويدعوهم إليها إلا وأشار لها كفائدة بدنية يجنيها المؤمن وإن لم يقصد إليها! ولا تكاد تقرأ في الإعجاز العلمي إلا وقرأت تفصيلا لها أو إشارة! ينظر على سبيل المثال: "الجوارح وأسرار الوضوء" لماجدة عامر، ضمن سلسلة الإعجاز في خلق الإنسان والطب البديل. من نشر دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة .

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء كراهة كثرة الأكل، رقم:٢٣٨٠، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع،رقم: ٣٣٤٩. قال الألباني: صحيح، رقم: ١٩٣٩، صحيح سنن الترمذي: ٢٨١/٢

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة ،باب الأمر بتغطية الإناء، رقم: ٢٠١٤

آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم"[١]، فهذه الأخبار ونحوها تتضمّن أسبابًا مانعة لضرر معروف مشاهد كطرد الهوامّ التي قد تقع في الآنية إذا تركت دون غطاء، وضرر آخر لا نعرفه متعلّق بالجانّ لا نعرفه إلاَّ عن طريق الغيب فقط، وهو الذي يُدفع بما شُرع لطرد الشيطان[٢]، ومن ثمَّ فإن التزام الهدي النبويّ كفيل بدفع أنواع من أمراض النفوس والأبدان بإذن الله ﷻ .

- بيان أسباب الوقاية من الأمراض التي تكون مما لا يمكن دفعه بطرائق ماديّة كالعين والحسد والسحر وصرع الجنّ ونحو ذلك، فإنّ مثل هذه الأمراض والبلايا لها أسباب تخرج عن نطاق البحث العلميّ في المحسوسات لتعلُّقها بأمور خارجة عن عالم الشهادة، ولا مجال فيها للتجريب والمختبرات والمعامل، ومن الناس من ينكر وجودها ضلالا عن منهج الإيمان بالغيب، ومنهم من يلجأ في علاجها لمن يدّعون الغيب من الكهنة والسحرة، أو يتلقّف وصفاتهم العامّة التي لا تخرج عن كونها بدعًا أو طقوسًا شركيّة كما في علاج الحسد بالملح أو تعليق الخرزة الزرقاء أو صورة كفّ أو وضع خنجر تحت فراش النوم، أوبجلسات الزار واستحضار الشياطين وطاعتهم والذبح لهم وغير ذلك مما يزيِّنه الشيطان للكفرة والمشركين والمنحرفين عن الإيمان بالغيب قديمًا وحديثًا، وقد ازدهرت هذه التطبيقات الشركية مؤخرًا بين المسلمين وعدّها كثير من الناس بديلا للطب الحديث المعتمد على المواد الكيميائية والمصنعة، وعودة إلى العلاج الطبيعيّ لاسيما وقد أضفى عليها أدعياء العلم طابع علمي بإدخال مصطلحات الطاقة الحيوية والذبذبية ونحوها، مما أشاع القول بأنها موروث حضاري طبي محايد قديم لا علاقة له بأيّ معتقد ديني! وطعّمها المسلمون منهم بما يضفي عليها طابع الدين الإسلامي[٣]! والحق أنها أنواع من

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء رقم: ٥٦٢٣،ومسلم،كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء، رقم: ٢٠١٢

(٢) ينظر : "زاد المعاد" لابن القيم : ٢٣٣/٤

(٣) من هذا النوع ما انتشر بين الناس بعنوان الطاقة الشفائية لكلمة الشهادة ( لاإله إلا الله) بحسب طاقة حروفها وجرس أصواتها، ومنها طاقة (الأسماء الحسنى) التي روج لها المدعو إبراهيم كريم، فزعم فيه أنه أجرى أبحاثًا لاستكشاف الطاقة الشفائية لكل اسم منها، وتوصل إلى أن كل اسم له تعلق بعضو من أعضاء البدن، وله طاقة حيوية تشفي هذا العضو من أمراضه! وقد صدرت فتوى هيئة كبار العلماء بالتحذير من هذه البدعة وبيان ضلال تصورات صاحبها= =إلا أن تداولها بين الناس واسع جدًّا في ظل الشبكات العنكبوتيّة تحت ستار من النصوص المبيّنة لقدسية الأسماء الحسنى وفضل الدعاء بها كأدلة على صحة هذا الرأي، والله المستعان! ينظر الموقع الإلكتروني : www.elislam.net

الشرك أُلبست ثياب الطب لأنه أدعى لتطبيقها دون النظر في حقيقتها، كما أنها تحت اسم (الطب البديل) أو( الطب التكاملي) أو( العلاج الروحي) [(١)] تكون بمنأى عن فحص أهل العلم ونظرهم ومن ثم لا يُحذّرون العامة منها، مما يتطلب تعاضد جهود أهل العلم لمتابعة هذه الشركيات وبيان حقيقة زيف علومها المدعاة، والتحذير من مداخلها الشيطانية ومناهجها الباطنية التي تدعو إلى تطبيق الشرك بطرق خفية ظاهرها النفع وطلب الشفاء.

– بيان بعض الأغذية الشافية بعامّة كالعسل والحبّة السوداء وماء زمزم، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل:٦٩] ، وقال ﷺ لمن جاء يشتكي مرض أخيه:"اسقه عسلا"[(٢)]وقال عليه السلام: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام"[(٣)] وقال عن زمزم:"إنها لمباركة هي طعام طعم وشفاء سقم"[(٤)].

– بيان بعض أنواع العلاج المادّية كالحجامة[(٥)] قال ﷺ: "الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيّة بنار. وأنهى أمّتي عن الكيّ"[(٦)] وهذه الثلاثة من أصول العلاج[(٧)] .

---

(١) ينظر للفائدة:"الإنسان الحائر بين العلم والخرافة"لعبدالمحسن صالح ، ساق فيه المؤلف مشاهدات موثقة على زيف كثير مما يروج تحت اسم العلاج الروحي كالعلاج بالطاقة الحيوية والعلاج بالأهرام وبطاقة البندول والجراحة الروحية وغيرها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب،باب الدواء بالعسل، وقوله تعالى﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ رقم:٥٦٨٢

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، رقم : ٥٦٨٧ .

(٤) رواه الطيالسي في مسنده كما في زيادات الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني، صحيح الجامع ٤٧٨/١،رقم : ٢٤٣٥. وله أصل عند مسلم في حديث طويل من غير زيادة "وشفاء سقم"، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، رقم : ٢٤٧٣

(٥) والحجامة من أنواع العلاج التي يحاول الباطنيون من خلالها نشر فلسفة الطاقة الكونية والجسم الأثيري بزعم أن فاعليتها الشفائية تتحقق إذا روعي تنفيذها بحسب مواضع معينة على الجسم يزعمون أنها مكامن الطاقة على الجسم الأثيري وأن الاحتجام عليها يحرر الجسم من الطاقة السلبية، لذا ينبغي التنبيه على أن الحجامة المقصودة في الحديث هي التي كانت معروفة في زمن رسول الله ﷺ مع تطويرها العلمي خشية أن يتخذ ذلك وسيلة لتدعيم فلسفة الطاقة والجسم الأثيري. ينظر: تحقيق (الحجامة تعود عالميًا) مجلة الأسرة، العدد ١٢٩، بتاريخ ذو الحجة ١٤٢٤هـ.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاثة،رقم:٥٦٨٠

(٧) ينظر:فتح الباري لابن حجر:١٧٠/١٠

– بعث الأمل في الشفاء مهما حصل من داء أو نزل من بلاء، فالإيمان بالغيب يقوّي في النفس أمل الشفاء الذي يُعدّ من أهمّ الأسباب المساعدة على حصوله، ففي الحديث يقول ﷺ: "ما أنزل الله داء إلاَّ أنزل له شفاء"(١)، وفي معرفة إمكان الشفاء تقوية لنفس المريض ببثّ الأمل فيها لتلتمس أسبابه، كما فيها تقوية لنفس الطبيب بالأمل في العثور على أسباب أُخر مهما أخفقت أسباب، ثقة بقول المعصوم ﷺ.

كذلك شُرع لمن يعود مريضًا أن يقول له "لا بأس طهور إن شاء الله"(٢) وفيها تذكير له بجزاء غيبي وراء ما يرى من المرض وما يحس من الألم ،ما يقوّي نفس المريض ويعظم فيها الرجاء في الله، والفرح برحمته مع ما يجد من ألم مرضه، فالمرض سبب لتكفير سيئاته ورفع درجاته يوم القيامة قال ﷺ : "ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفّر الله بها خطاياه"(٣)

كما تضمّن خبر الوحي حقيقة مهمة توجّه طلب الإنسان لاستدامة الصحة والعافية وجهة صحيحة وهي الإخبار عن أن المرض والبلاء والهرم والموت سنَّة من سنن الحياة، قال تعالى :﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك:٢]، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة:١٥٥]. والله ﷻقد جعل حياة الإنسان مراحل ينتقل فيها من ضعف إلى قوة ثم ضعف آخر وأن ذلك سنّة أرادها الله كونًا في الحياة الدنيا، قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤]. والموت نهاية طبيعية للإنسان في الحياة الدنيا، يعقبه حياة أخرى في دار الخلود، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران:١٨٥] وأنه حقيقة لا مفر منها لأحد مهما اتخذ الإنسان من أسباب، قال تعالى:﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا

(١) أخرجه البخاري،كتاب الطب ،باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم : ٥٦٧٨

(٢) أخرجه البخاري،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ،رقم:٣٦١٦ ونصه : "كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال لا بأس طهور إن شاء الله".

(٣) أخرجه البخاري،كتاب المرضى،باب ما جاء في كفارة المرض،رقم: ٥٦٤٢ ،ومسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم : ٢٥٧٣.

﴿كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق:١٩] ،وقال:﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]، لذا أخبر رسول الله ﷺ أن التداوي وأخذ أسباب الصحة أمر مندوب ولكن نهاية الحياة في الدنيا بالموت أمر محتوم، والهرم ليس له دواء، قال:"تداووا؛ فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحدٍ الهرم"(١) وقد وعى المؤمنون بالغيب هذه الحقيقة لذا لم يسجل التاريخ أنهم بحثوا عن إمكان الخلود في الدنيا مع ما وصلوا إليه من تقدم علمي وطبي في أعصار كثيرة، وإنما بحثوا في كيفية اغتنام أعمارهم في الدنيا عبودية لله وطمعًا فيما وعد به في دار الخلود الباقية، بينما تعب من لم يهتدوا بنور الوحي قديمًا في بحثهم عن أسباب استدامة الصحّة والشباب، وفشلت محاولاتهم في الوصول إلى أسرار الخلود ولم يحققوا مبتغاهم في اكتشاف ما سموه (إكسير الحياة) أو(حجر الفلاسفة)(٢)، واليوم عادت رغبة الخلود تراود البعيدين عن نور الوحي بعد تطور العلم فمنهم من تتبع أبحاث تجديد الخلية التي تسعى لاكتشاف أسباب الشيخوخة، ومحاولة علاجها للحصول على شباب دائم(٣)، ومنهم من يمم وجهه لدراسة فلسفات الأديان الشرقية وروحانياتها التي تعد بالخلود بحسب معتقدهم في التقمّص وتناسخ الأرواح.

وخلاصة القول أنّ صلاح الأبدان مطلب بشريّ لا تطيب الحياة إلاّ به، وقد تضمّن خبر الغيب بيانًا لأهم أسبابه وحقائقه، وإن أخْذ المؤمنين بالغيب لما دلّ عليه من أسباب يوصلهم إلى ما كل ماينشده الناس من الصحة والعافية مع ما يكونون عليه من الفرح ليقينهم بصدقه وشكرهم المنعم ﷻ على ما يسّر من الهداية إليه. وإن تخلف حصول مطلوبهم في الشفاء وابتلوا بأنواع من المرض فإن معرفتهم بما تضمّن خبر الغيب من الحقائق تجعلهم يعيشون

---

(١) أخرجه أبو داوود، كتاب الطب باب في الرجل يتداوى،رقم :٣٨٥٥، وقال الألباني: صحيح، صحيح أبو داوود : ٤٦١/٢

(٢) ادّعى قديمًا أحد أتباع (لاوتسي) مؤسس الديانة الطاوية بأنه اكتشف إكسير الحياة الذي يهب لشاربه الخلود، وشاع هذا الإكسير بصورة شراب منشّط انخدع به عدد من الأباطرة فأودى بحياتهم بعد إدمانهم على شرابه! وبعده زعم آخر اكتشاف آخر، ينظر: "الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى":٢٦٨ ، واليوم يقدّم وصفة(الميزو) أصحاب فلسفة الشرق المقدّمة بصورة تطبيقات (الماكروبيوتيك)، وهو الشراب الذي يمنح الصحة والوقاية من الأمراض ويحمي شاربه وأسرته وبيته من مخاطر إشعاعات الأجهزة الحديثة !ينظر: "الماكروبيوتيك"لخالد التركي:٢٨

(٣) وهي أبحاث علمية تجريبية أنتجت بعض المستحضرات الطبية التي قد تكون نافعة في تأخير بعض مظاهر الشيخوخة مع كثير من الآثار الجانبية ولكنها بحال لم ولن تكتشف علاجًا لها مانعًا من حدوثها لما صح من الخبر.

في سعادة ورضا، ولهذا قال ﷺ:" عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له "[(١)].

**ثانياً : إصلاح النفس وتزكيتها :**

يشمل الوحي المعصوم الذي جاء به النبي ﷺ معارف كثيرة تتعلَّق بالجوانب الغيبيَّة في نفس الإنسان- كما سبق - كما يتضمّن بيان كثير من أمراض النفوس والقلوب، ووصف أدوية جامعة لسعادتها واستقرارها، ورسم منهج لتزكيتها يقود الإنسان إلى خير الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيِّم في بيان هذا وتأكيده: «فإنّه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيّب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا ينال رضى الله ألبتة إلاّ على أيديهم. فالطيّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلاّ هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميّز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير»[(٢)] فالإيمان بالغيب يضع منهجًا كاملاً ينظِّم حياة الإنسان النفسيَّة، ويبيِّن مداخل الشيطان إليها، وكيفيَّة مراغمته والنجاة من حبائله، وإن كان علم النفس الحديث بمكتشفاته وإمكاناته، وعياداته النفسيّة قد كشف جوانب عديدة من دخائل النفس بواسطة مدارسه المختلفة[(٣)] إلاَّ أنَّ ما حفلت به نصوص الوحي يفوق ذلك كلِّه، ومازال يمثِّل لمن عرف قيمته من الباحثين نبعًا ثرًّا ينهلون منه، ويؤكِّدون شموله وإعجازه[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه ص٢٦٥.

(٢) "زاد المعاد"لابن القيم : ٦٩/١

(٣) لاسيما في الجوانب القائمة على العلم التجريبي والإحصائي مثل سيكلوجية التعلم والتعليم، أما الجوانب الفلسفية خصوصًا فيما يتعلق بتزكية النفوس وتهذيبها فهي وإن أسهمت في إمداد البشرية ببعض الأدوية وبعض= =النظريات المفيدة التي تعالج بها أدواء النفوس إلا أن دعوى أنها قدمت ما كان يقوم به الدين في الماضي، ولكن بطريقة علمية مأمونة لا بتعاليم مستمدة من غيبيات الميتافيزيقيا دعوى باطلة، فالدين الحق قدم للنفس منهجًا من عند خالقها، وهو أعلم بها وبما يصلحها، أما تلك فقد ولدت على أيدي أناس لا يعرفون الغيب الحق من مصادره الصحيحة، فكان نتاج بحثهم خليط من الحق والباطل، فما أمكن اكتشافه بالعقل الصحيح ومنهج التجريب العلمي عرفوه، وما وراء ذلك تخبَّطوا فيه تخبطًا كثيرًا؛ إذ بنوه على فلسفات ملحدة أو مشاهدات قاصرة، فخرج مشوَّهًا لايعتمد على عقل صريح ولا نقل صحيح.

(٤) يعزّ على كل مؤمن غيور ما يرى من تكالب فئام من المؤمنين بالغيب إلى مناهج وبرامج غربية وشرقية تدعي تزكية

وليس المقام هنا في الحديث عن آثار الإيمان بالغيب حديث جمع واستقصاء لأطراف هذا الأثر على الصحة النفسيّة فإنه مجال واسع أكبّ عليه بعض المختصّين في العصر الحديث بعدما رأوا تخبُّط هذا العلم الذي بني على انحرافات كثيرة في باب الإيمان بالغيب، ورأوا شمس الحقيقة بازغة في نصوص الوحي المعصوم، فأقبلت طائفة منهم – ولله الحمد – تجمع منهج الإسلام في تزكية النفس، وتستخلص من معينه الصافي ما يمثّل تأصيلاً إسلاميًّا لعلم النفس وعلاج النفوس[1]، وهوتأصيل مبنيّ على نور كتاب الله وخبره الحقّ عن النفس الإنسانيّة، وعلى هدي محمد رسول الله ﷺ وطريقته الربانيّة في التعامل مع النفوس البشريّة، وما يسعه هذا المقام إنما هو الإشارة والتمثيل لتحقيق غرض هذا البحث في الدلالة على أنّ الغيب المتلقّى من مصادره الصحيحة قد تضمّن خير الدنيا والآخرة برمّته، وأنّ المؤمنين به في غنًى عن أخبار كتب الأديان المحرّفة، أو أخبار الدجاجلة والكهَنة، أو فلسفات أصحاب الديانات الوثنيّة وأساطيرهم قديمًا وحديثًا والمتأثّرين بهم. وفيما يلي بعض أمثلة لهذا الأثر:

– تحديد الغاية، فالإيمان بالغيب بما يتضمّنه من عقيدة التوحيد يجعل للعبد غاية سامية يتوجّه نحوها بكلّ عواطفه وسلوكه وأفعاله وتعاملاته هي تحقيق العبوديّة لله ﷻ، فلا تتنازعه الأهواء، ولا تستعبده الرغبات، مما يجعله مستقرًّا مطمئنّ النفس، ثابت الجنان في السرّاء والضرّاء، وقد شبّه الله في كتابه الكريم النفس المؤمنة الموحّدة بالعبد الذي يسيّر نظام حياته ويبني تصرفاته وفق ما يرضي سيدًا واحدًا، بخلاف المملوك لشركاء متشاكسين يشقى لتحقيق رضاهم؛ إذ كلّما أرضى واحدًا غضب آخر، قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾ [الزمر:٢٩]. وقال ﷺ مبيِّنًا حالة المؤمن النفسيَّة: " عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له "[2].

---

النفوس وتطويرها، وتعتمد على ما يعتقد المنحرفون عن الإيمان بالغيب من مؤثرات غيبية مظنونة على أقل تقدير كالعقل الباطن والجسم الأثيري وغيرها وبين أيديهم منهج التزكية الرباني المتمثل في الإيمان بالغيب ومقتضياته .

(١) ومن أمثلة هذا النتاج المبارك:"العلاج النفسي والعلاج بالقرآن" لطارق الحبيب، و"علم النفس الدعوي" لعبد العزيز النغيمشي، و"التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية"لمحمد توفيق، و"تمهيد في التأصيل" لعبد الله الصبيح، وغيرهم.

(٢) سبق تخريجه ص٢٦٣.

– تتضمَّن الشريعة القائمة على الإيمان بالغيب عبادات شرعها الرحمن الرحيم هي أهمّ ما يعين المؤمن بالغيب على تزكية نفسه وصلاحها، فالصلاة بكلّ ما فيها من أقوال وأفعال منذ افتتاحها بالتكبير حتى اختتامها بالتسليم تحضّ المؤمن على الفضائل، وتنهاه عن الرذائل، كما قال عنها من شرعها: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وكلّما كان المؤمن خاشعًا في صلاته مخلصًا فيها، مراقبًا ربّه بالغيب كان أثر إيمانه وخشيته آكد في دفعه لكلِّ خير وحجزه عن الفحشاء والمنكر.

وفي الزكاة طهارة للنفس وتعويد على البذل والإيثار وعلاج من الشحِّ والأثرة وسائر أمراض النفوس، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]، وكذا في الصيام والحجّ وغيرها من العبادات ما لا يستطاع تقصِّيه في هذا المقام من الآثار التي تزكّي النفوس وتهذِّبها.

– الدلالة على أهمِّ أسباب الصحّة العقليّة والنفسيّة والبدنيّة، فالإيمان بالغيب يعرّف المؤمنين بحقيقة الدنيا وزوالها، وحقيقة الآخرة وما أعدّ الله فيها، مما يجعل المؤمن مطمئنًّا راضيًا مع ما قد يصيبه من داء وبلاء؛ إذ قد فقه على أنّ المقصود الأوّل إنما هو سلامة القلوب والأرواح وحفظ صحّتها ودفع أسقامها وحمايتها مما يفسدها، أمّا صحّة الأبدان وطبّها فمكمّل يعين العباد على أمور دنياهم، فإصلاح البدن دون إصلاح القلب لا ينفع، أمّا فساد البدن مع إصلاح القلب فإنّ مضرّته يسيرة وهي زائلة بزوال الدنيا وتعقبها منفعة دائمة(١).

– الإيمان بالغيب يمنح النفس الهدوء والطمأنينة والاستقرار وقوّة الإرادة بما يغرس في المؤمن من الإيمان بقضاء الله وقدره؛ لأنّ المؤمن يعتقد أنّ كلّ أمر يصيبه إنما يقع بعلم الله وقدرته ورحمته وحكمته؛ لذا فهو يقابل الضرّاء بالصبر والسرّاء بالشكر، فيكون مع كلّ تقلُّبات الأيام راضيًا لاعتقاده أنّ الله المتصرِّف بشؤون الكون وحده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الخيرة فيما اختاره الله.

فالإيمان بالغيب يربِّي النفس بتوازن، إذ يخاف المؤمن عذاب الله إن قصّر، ويرجو رحمته إن أخطأ، وهو أبعد ما يكون عن اليأس والهلع أو الغرور بالدنيا والافتتان بها بعكس الغافلين أو الملحدين أو الحيارى الذين يصابون بالاضطراب، وينتابهم القلق والضجر والقنوط في

---

(١) ينظر : "زاد المعاد"لابن القيم : ٢٤/٤

مواجهة العقبات والأحداث، وقد يفقدون وعيهم أو يضيعون عقلهم ويلجؤون إلى المخدرات أو الانتحار عند توالي البلاء لفقدانهم الإيمان.

– الإيمان بالغيب يعطي صاحبه تصورًا شاملاً لمعنى الحياة الممتدّ في الدُّور الثلاثة فيعيش بعيدًا عن الأسى المميت على ما يفقد في حياته الدنيا، أوالفرح المفضي إلى البطر بما يكسب فيها، قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] فلا يُرى متحسرًا على ماضٍ، ولا خائفًا من مستقبل، ولا متسخّطًا على حاضر، وهذه الأحوال الثلاثة هي التي تفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها وتجعله قلقًا تعسًا.

– الإيمان بالغيب يمنح المؤمن القدرة على التصبُّر ومواجهة أنواع النوازل؛ إذ يعرّفه بجوانب غيبيّة تتعلق بها ؛ومن ذلك أنه يرى عند نزول المصائب ثواب الصابرين مع ما يصيبه من ألم المصاب ويؤمن بتكفير السيئات وزيادة الحسنات فيهون عليه البلاء ، قال ﷺ: "ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفّر الله بها خطاياه"[(١)] ويرى الخير خفيًّا في طوايا كثير مما ظاهره شرّ، فقد أخبره ربّه ﷻ بذلك في قوله: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، فيعيش صحّة نفسيَّة مستقرّة، لا تمسّ العوارض المرضيّة وصنوف البلاء منه إلاّ ظاهره، ولا تصل إلى أركان نفسه ولا تمثِّل له مشكلة حيويّة، وهاجسًا مستقبليًّا مقلقًا، لإيمانه أنّ وراء هذه المصائب حكمة أزليّة وإرادة إلهيَّة، وأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فقد تلقّى من مصدر الغيب الحقّ قول نبيّ الله ﷺ: "واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك"[(٢)]، فأحداث هذه الحياة من منظار عقيدته لا تجري خبط عشواء، فربّه الحكيم لا يفعل شيئًا عبثًا، كما أنّ هذه الأحداث ليست لتعذيبه وإعناته فربّه رحيم، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما أخبر:"لله أرحم بعباده من هذه [الأم]بولدها "[(٣)]، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]؛ لذا تراه من أصبر الناس وأثبتهم عند الشدائد،

(١) سبق تخريجه ص٣٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب بدون ترجمة ،رقم: ٢٥١٦،وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، رقم: ٢٦٦٤

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب رحمة الولد ومعانقته وتقبيله، رقم: ٥٩٩٩، ومسلم،كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، رقم: ٢٧٥٤

وأرضاهم نفسًا في الملمّات وتقلُّبات دار الابتلاء التي يؤمن أنها تجري بتقدير حكيم رحيم، وأنّ شدتها تحمل له الخير ، بينما يرى غير المؤمن ظاهر المصيبة فقط ويعيش أحزانها جاهلا برحمة الله به وحكمته في ابتلائه .

– يبني الإيمان بالغيب واليقين به في نفس المؤمن الثقة بالله والرجاء في تسديده وإعانته لمن يخلص له، مما يدفعه إلى حسن التوكُّل على الله والمبادرة إلى العمل مع التفاؤل والاطمئنان والسكينة فيخوض الصعاب، ويجتهد في بلوغ المعالي مؤمنًا أنه – على ضعفه وقلّة حيلته، وقصور قدرته– قويّ بالله، مسدّد بعونه يحدوه قول نبيِّه ﷺ: "استعن بالله ولا تعجزن"[(١)].

ومن هنا نرى أثر الإيمان بالغيب في صلاح النفس الإنسانية وأن خبر الوحي تضّمن ثروة معرفيّة استشفائيّة عظيمة تحتاج إلى أبحاث مستقلة تتناولها وتفصِّلها، فقد خفي أكثرها حتى على أهل الإيمان بالغيب الذين هم أولى الناس بها وأحقهم بخيرها في خضمّ رواج العلم المادّي والطب التجريبيّ، وانبهار الناس باكتشافاته وأجهزته الحديثة ففُتن به كثير من الناس وظنّوا أنّه تمكّن من كشف جميع الأسباب، وعرف جميع الأدوية والأدواء، ومن ثم نظروا إلى الموروث النقليّ في باب الطبّ وإصلاح الأبدان على أنه مجرّد ظنون أو خرافات ولم يفرّقوا بين الحقّ والباطل، ويميزوا بين ما بُني على التجربة الصحيحة بشروطها[(٢)]وما هو من تلبيس الشياطين، كما لم يفرّقوا بين ما ثبت بخبر صحيح وبين ما مصدره كاذب أو باطل وعدّوا كل مايؤخذ من المصادر القديمة مستويًا في القيمة ومن ثم أصبح عنوان (الطب النبوي) أو (الاستشفاء بالقرآن) يجمع تحته مؤلفات كثيرة مزجت بين الحق والباطل والحق والخرافة، والثابت والضعيف، ففيها العلاج بالألوان والعلاج بالأحجار مما هو خرافة وشرك إلى جانب العلاج بالقرآن والتداوي بالعسل والعلاج بالحجامة مما هو ثابت صحيح !! لذا انقسم الناس فريقين: فريق قبِل ذلك كله بظن صحته وتقدّيرًا النقل والإيمان بما فيه من الغيبيات، وفريق رفضه وعدّ الموروث النقلي كله خرافات أو أفكارًا خاطئة لا حاجة إليها بعد تطور العلوم.

---

(١) أخرجه مسلم،كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز،رقم :٢٦٦٤

(٢) ليس كل ما يدعى أنه مجرب يصح التداوي به، فإن باب المجربات باب كبير للشرك فأهل التمائم والعزائم والطلسمات وغيرها، كلهم يدعون ثبوت النفع بالتجربة، فالحق أن ما ورد فيه نص بالنهي لا ينبغي أن يدخل عالم التجربة، فإنما نهينا عن التداوي بالحرام ولو ثبت بعض النفع له ، والله ﷻ لم يجعل الشفاء فيما حرم على هذه الأمة التي لم يحرم عليها إلا الخبائث.

والحق أن الفرق كبير بين ما يصح مصدره وما هو باطل المصدر، ثم إن المصادر التي يمكن قبول الأخبار منها تتفاوت في القيمة، فليس خبر الوحي المعصوم، كالرؤى والإلهامات، وليس العلم الصحيح القائم على منهج تجريبي علمي فيما أسبابه مادية مشاهدة كما بُني على ادعاءات الجهلة وتخرّص الكهنة والمشعوذين.

## المطلب الثاني
## إصلاح المجتمع الإنساني

الحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة متشابكة، وليس من المستطاع بسهولة أن يقال: هذا أمر يؤثِّر في الفرد وذاك آخر يؤثِّر في المجتمع، فالمجتمع هو مجموعة أفراد ارتبطوا بروابط مشتركة، ومن ثم فإنَّ كلّ أمر يسهم في تكوين الفرد الصالح هو عمل أصيل في تكوين المجتمع الصالح، وبناء على هذا فكلّ أثر للإيمان بالغيب في تربية الفرد إنما هو خطوة كبرى في حماية المجتمع من نتاج المسالك الفردية الخاطئة، ونشر الفضيلة، فيستظلّ المجتمع بظلال الخلق السويّ، وتتهيّأ فيه أجواء نظيفة تؤثِّر في سلوك المجتمع وأعرافه وقيمه لتقوده من رقيّ إلى رقيّ .

وقد سبق بيان أثر الإيمان بالغيب في إصلاح حياة الإنسان وتزكية روحه، وفيما يلي أثر الإيمان في إصلاح المجتمع، فالناس يختلفون فيما بينهم ويتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في المعرفة والإرادة وتمييز الخير والشرّ ونحو ذلك، كما يختلفون في عاداتهم وفي تقاليد مجتمعاتهم وقيمهم التي يؤمنون بها ويحكِّمونها في علاقاتهم وأساليب تربيتهم، ومن هنا كان لابدّ من نظام كامل يجمع هذا الاختلاف ويهذِّبه ويضع له أسسًا ثابتة، وقد تضمّن خبر الوحي الدلالة على ذلك ويمكن بيان ذلك في أمور أهمها:

**أولا: إيجاد نظام أخلاقي متكامل:**

تُشكّل الأخلاق أساسًا مهم في صلاح المجتمعات، وتقدّم الأمم إذا كانت أخلاق خير وعدل، وتكون معول انحلال وفساد إذا لم تكن كذلك؛ صلاح حياة الأمم إنما يبنى على ما يسود فيها من أخلاق، وما يُلتزَم فيها من قيم.وقد تضمّنت جميع الرسالات الدعوة إلى فضائل

الأخلاق، ولكنّ الرسالة الخاتمة تمّمت ذلك وأكملته، قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"[(١)].

فخبر الوحي الذي جاء به محمد ﷺ وتكفّل الله بحفظه للعالمين قد تضمّن أكمل منهج أخلاقيّ، فيدعو إلى جميع أنواع السلوك الفرديّ والاجتماعيّ الذي تلتقي الفطر السويّة على استحسانه مهما اختلفت مذاهبها أو عاداتها، ويدعو إلى الكفّ عن كلّ أنواع السلوك السيِّئ الذي تلتقي الفطر السويّة على استقباحه واستنكاره .

ويتميّز المنهج الأخلاقيّ النابع من الدين بقيامه على عقيدة الإيمان بالغيب مما يعطيه مجموعة من الخصائص لا تبلغها مناهج الأخلاق الفلسفيّة ومن ذلك أنه:

- **منهج إلهيّ المصدر**: يعتمد على الخبر المتلقّى من عالم الغيب والشهادة، الخبير بكلّ ما يصلح العباد في كلّ زمان ومكان: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٤]، فليست الأخلاق رأيًا بشريًّا، وإن كانت الفطر تلتقي على استحسانها، ولا فلسفة وضعيّة وإن كانت الفلسفات تبحث عنها، وإنما هي عند المؤمنين بالغيب نظام مستمَد في أصوله من شرع الله ﷻ ودينه .

- **منهج عمليّ واقعيّ**: منهج الأخلاق القائم على الإيمان بالغيب لا يقف عند بيان الفضائل والدعوة إلى مكارم الأخلاق وبيان قيمتها في الحياة، بل يرسي قواعدها، ويحدِّد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلِّية، ويضع الأمثلة لتطبيقاتها، ثم يأمر بالاستقامة عليها، ويحبِّب في مسلكها، ويحذّر من الانحراف عنها، ويقرِّر المثوبة والعقوبة على التزامها أو إهمالها.

- **منهج ثابت عادل** : فهو نظام يستوي في تطبيقه الجميع، ويعود عليهم بالخير العميم، ويتحاكمون في ظلِّه إلى قيم ثابتة ومعايير موحَّدة هي أساس أخلاقهم وقيمهم، وبناء على هذا الدين يُحكم بحسن أمر أو قبحه[(٢)]، ومنه يؤخذ حِلّ سلوك أو حرمته، ومنه يعرف الخير من الشرّ، فتتيقظ الفطرة، ويصحّ العقل بما أودع الله فيهما من معرفة الحقّ .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده بلفظ (صالح الأخلاق)،رقم: ٨٧٢٩، والبخاري في الأدب المفرد،باب حسن الخلق،رقم : ٢٧٣، والحاكم في المستدرك،كتاب آيات رسول الله التي هي دلائل النبوة،رقم:٤٢٢١، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٧٤/١ ،رقم : ٤٥

(٢) وإن كان العقل أيضا يدل على الحسن والقبح — فالحسن والقبح عقليان وشرعيان على المذهب الصحيح خلافًا للأشاعرة –لأن الأفعال في نفسها حسنة أو قبيحة والله قد فطر عباده على استحسان النافع الحسن واستقباح الضار

- **منهج كامل شامل** : فهو يؤسِّس المجتمع على مراعاة أصول مهمة تضمن أعلى مستوى من التعامل بين الناس على اختلاف أنواعهم كالأخوّة والعدل والإحسان، فالإخاء هو الرابطة التي تجمع المؤمنين مع بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات:١٠] فأخوَّة الدين ورابطته لاتبدِّلها ظروف الحياة وأهواء البشر، ومن منطلقها يكون الولاء والنصرة والتواصي والتناصح .

وعلاقة العدل والإحسان هي ما يحكم علاقة المؤمنين فيما بينهم أو علاقتهم مع غيرهم كما أمر الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ** ﴾ [النحل:٩٠]، فحين يسود العدل والإحسان يشيع الأمن والاستقرار، ويختفي الظلم والاستكبار، ويتفيّأ الناس ظلالاً من السعادة ورارفة.

- **منهج نبيل الغاية، سامي المقصد**: ينطلق من معرفة صحيحة للكون والحياة والغاية والمبدأ والمصير، فالمؤمنون بالغيب يعرفون حقيقة الدنيا وفناءها وحقيقة الآخرة وبقاءها، الأمر الذي يهذِّب نفوسهم ويضبط سلوكهم ويوجّههم، فلا تلهيهم النزوات والشهوات عن مطلوب الله منهم ولا تصرفهم عن منهج عبوديَّتهم له، فإن أخطر شيء على الأخلاق هو الاستغراق في الدنيا بمتاعها وإغرائها، وزخرفها وشهواتها والغفلة عما وراءها؛ لذلك فإن الذي لا يتلقّى معرفته بحقيقة الدنيا والآخرة من عند عالم الغيب قد ينحصر في عالمه المحسوس ويرى الحياة هي تلك التي يعيشها فقط، فتصبح هي مبلغ علمه وأكبر همِّه ومنتهى آماله، كما هو شأن من لا يرجون لقاء الله ولا يؤمنون بالغيب .

فالإيمان بالغيب يتضمن منهجًا أخلاقيًّا فريدًا شاملا يضبط حياة الناس في سرِّهم وعلنهم وسلامهم وحربهم، ويتناول جميع مناشط حياتهم العمليّة والاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، وهو نظام ثابت الموازين يتساوى في تطبيقه الجميع، ولا يتفاضلون إلاَّ بقدر تمثُّلهم به وتنافسهم في تحقيقه لثقتهم أنَّه مراد الله ﷻ منهم، فهذا المنهج يربط أخلاق الفرد بإيمانه الذي عليه فلاحه، ويجعلها تنبع من الإيمان بالله واليوم الآخر، وتقوم على مبدأ العبوديّة لله والتزام هداه، قال تعالى: ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ**

---

القبيح إلا أن الدين يزيل عن الفطرة ماقد يعتريها ويصوب العقل إذا ضل . ينظر : "مفتاح دار السعادة"لابن القيم : ٥٨/٢

ﭐلۡمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٤] وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وقال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا"(١)، وقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(٢) لذلك كان الالتزام بها وتطبيقها في مختلف الأحوال والظروف دلالة قوّة الإيمان وصدق العبوديّة لله وحده.

وإنَّ الناظر في التاريخ ليرى كم شغلت فلسفة الأخلاق(٣) المفكّرين والساسة وحاول كثير منهم أن يقيموا لأممهم نظامًا أخلاقيًّا يصلحون به حياتهم ويؤسّسون على قواعده حضارتهم، ولكنَّهم على اختلاف فلسفاتهم لم يستطيعوا أن يوجدوا نظامًا يرتضيه الجميع ويطبِّقونه بدافع من الإيمان واليقين بأنّه يضمن لهم الخير عاجلاً وآجلاً ؛ إذ جميع الفلسفات الأخلاقيّة إنما هي نتاج فكر خاصّ وعلم قاصر متأثّر بأهواء واضعيه ونزعاتهم.

وتنكشف هشاشة الأساس الذي تقوم عليه فلسفة الأخلاق التي تبنى بمعزل عن نور الرسالات ومدى حيرة أصحابها وتخبُّطهم بعرض سريع لنماذج منها: فهذا هيوم Hume(٤)يرى أنّ الأخلاق يجب أن تبنى على مبدأ النفعيّة، وخلاصته أنّ الهدف الأعلى للأخلاق والغاية البعيدة التي يسعى من أجلها الإنسان هي تحقيق المنفعة الشخصيّة، ومن ثم فلا يكون للخير والشرّ قيم ثابتة تستمدّ أحكامها من الدين، بل تتغيّر بحسب تحقيقها للمنفعة الشخصيّة التي تختلف من إنسان لإنسان. وكذلك يرى كانط Kant(٥)أنّ الأخلاق الإنسانيّة نسبيّة يجب أن

(١) أخرجه الترمذي،كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم :١١٦٢، وقال حديث حسن صحيح. وأبو داود،كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم: ٤٦٨٢ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم : ٦١٣٥، ومسلم، كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها، رقم : ٤٨

(٣) تُعد الأخلاق قسم مهم من أقسام الفلسفة العملية، يطلق عليها اسم ( اكسيولوجي)Axiologie وتعني علم القيم، ينظر:"الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة" لأسعد السحمراني:١٤

(٤) ديفيد هيوم فيلسوف ومؤرخ انجليزي، عاش عام (١٧١١-١٧٧٦م) ذو نزعة حسية غالية، يرى أن الإيمان بوجود إله ليس أمراً طبيعياً في الإنسان وأن جميع قضايا الدين كقصة الخلق، وصفات الله، والدار الآخرة مجرد خرافات، اهتم بالخيال وذهب إلى أنه هو الذي يجعلنا نعتقد في وجود الأجسام المادية. ينظر: "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ٦١١/٢

(٥) إيمانويل كانط فيلسوف ألماني، عاش عام (١٧٢٤-١٨٠٤م) ذو نزعة عقلية تامة ، اتخذ من العقل وسيلة لتكوين نظرة شاملة للكون، له مؤلفات كثيرة من أهمها: نقد العقل المحض. تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ينظر : "الموسوعة

تقوم على مبدأ فعل الواجب الذي يعتقده كلّ واحد؛ ولذا يؤكِّد كانط على أهمية وجود الحريّة الفكريّة التي يحدِّد كلّ إنسان في ضوئها الواجب الذي يراه .

أمّا شوبنهاورShopenhouer [(١)]فينادي بقيام الأخلاق على دافع الشعور بالاتحاد مع المعذَّبين والمتألمين، لتكون علاجًا جيدًا للإنسان تخلِّصه من الآلام، وتجعله يندمج مع الضعفاء، وينظر إلى الأمور بمنظارهم . وعلى النقيض منه يضع نيتشه Nietzsche [(٢)]فلسفته في الأخلاق على أساس مبدأ الرغبة في القوّة، ويوجه نقدًا لاذعًا للأخلاق الدينيّة –كما يراها في الديانة النصرانية المحرفة – ويعدّها صورة لأخلاق العبيد التي يجب التحرُّر منها [(٣)].

فالأخلاق لدى هؤلاء الفلاسفة وغيرهم قديمًا وحديثًا على اختلاف مشاربهم ليس لها قانون عامّ يُحتكَم إليه، وإنما هي نسبيّة تفقد المعيار الثابت والقيمة الراسخة، وتتبدّل وتتغيّر بحسب أهواء أصحابها ونزعاتهم، لذا لم تثمر الرقيّ المنشود في ساحات الحضارة الغربية التي أخذت بها، بل خلَّفت صورًا بئيسة لظلم اكتوت به الفئات الفقيرة والضعيفة، فأكّدت روح العنصريّة وعمّقت جذور الطبقيّة، وكونت مجتمعات شاعت فيها الرذيلة والفوضى، وأصبحت فيها علاقة الإنسان بالإنسان يحكمها قانون البقاء للأقوى[(٤)] .

وهكذا تجرَّع المنحرفون عن الإيمان بالغيب بعضًا من مرارة هذا الانحراف، وما ينتظرهم في الدار الآخرة أكبر! وجرَّبوا النظريّات والفلسفات جميعها، ولم يصلوا بها إلى ما ينشدون، فنادى كثير من عقلائهم بإعادة تأسيس الأخلاق على منهج الدين ليضمنوا بذلك منهجًا

---

الفلسفية المختصرة" :٣٣٠ ، و"موسوعة الفلسفة" لبدوي : ٢/ ٢٧٥

(١) آرثر شوبنهاور فيلسوف ألماني، عاش عام (١٧٨٨–١٨٦٠م)، كان متشائمًا ينظر إلى الوجود كله على أنه شر، من أهم كتبه "العالم إرادة وفكرة"، أثّر فكره على الفلسفة الوجودية وعلم النفس الفرويدي. ينظر : "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي : ٢/ ٣١

(٢) فردريك نيتشة فيلسوف ألماني، ،عاش عام (١٨٤٤–١٩٠٠م) أنكر كل ما كان يعد مقدساً أو خيراً أو حقاً، مؤسس فلسفة القوة التي ينادي فيها بإيجاد نوع جديد من الناس سماه ( الإنسان الأعلى) يتحرر من كل القيود ويبدد كل ما أتت به المذاهب الأخلاقية والدينية والفلسفية، ويترك كل الموروث الماضي ويعتمد على نفسه فقط. ينظر : المرجع نفسه : ٥٠٨/٢

(٣) ينظر : "تاريخ الفلسفة الحديثة" ليوسف كرم : ١٧٢ – ٢٥٠ – ٢١٩

(٤) ينظر : "فلسفة التربية الإسلامية" لماجد الكيلاني : ١٥٣

واحدًا يجمع شتات الآراء، ويضبط نزغات الأهواء، ولكن هل يجدون ضالّتهم إذا عادوا مرّة أخرى إلى الدين المحرَّف بعد أن هربوا منه؟ إنّ تاريخهم السابق ليؤكّد غير هذا.

**ثانياً: تنمية الشعور بالالتزام :**

أخذ موضوع التربية على الالتزام حيِّزًا كبيرًا من اهتمام الساسة والمربِّين، فأُنشئت الهيئات والمؤسَّسات لتسنّ القوانين والعقوبات التي تجعل الأفراد يحترمون النظم الاجتماعيّة ويقومون بما عليهم من واجبات تجاه الآخرين، ويلتزمون الأوامر والنواهي التي تنصّ عليها الدساتير والأنظمة، ومهما كان من دقَّة ومتابعة في أيّ نظام أو قانون فلن يستطيع أن يلاحق إلاّ حياة الناس الظاهرة؛ لذا لم تكن قوانين الجماعات الوضعيّة وسلطة الحكومات السياسيّة كافية وحدها لإقامة مجتمع تحترَم فيه الحقوق، وتؤدَّى الواجبات على وجهها الكامل، فإنّ الذي يؤدِّي واجبه رهبة من ملاحقة بشر فقط، لا يلبث أن يهمله متى اطمأنّ إلى أنّه يستطيع أن يفلت من العقاب؛ لذا كان لابدّ من تنمية الشعور بالالتزام في نفوس الأفراد؛ ليكون تطبيقهم للنظام وأداؤهم للواجبات، وتعاملهم بأحسن الأخلاق فيما بينهم أمر لا يتعلّق بوجود رقابة البشر أو غيابها.

وللإيمان بالغيب أعظم الأثر في إصلاح حياة الناس؛ إذ الالتزام والمراقبة الذاتية عند الأفراد والجماعات أمر يرتبط بعقيدة مبنيَّة على الإيمان بالله واليوم الآخر، وبقدر ما يصحّ الإيمان ويزيد يقوى هذا الأثر ويُلحَظ في حياة المؤمنين بالغيب، **ويدعم تنميةَ هذا الشعور بالالتزام عند المؤمنين أمور منها:**

- **المعرفة الصحيحة بالله ﷻ** التي أخبر بها الله ﷻ عن نفسه، وأخبر بها رسوله ﷺ، تلك المعرفة الإيمانيّة التي تذكِّر الإنسان برقابة عليا، فربّه ﷻ يراه ويسمعه، ولا يخفى عليه شيء من أمره وسيحاسبه عليه، قال تعالى: ﴿ **وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة:٩٤]، وربّه يحبّ منه أن يتقن عمله، ويؤدِّي أمانته، ويكره منه الخيانة: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾ [الأنفال:٢٧] .

فمن أهم ما ينمي الالتزام ويعمق جذوره في نفس الإنسان المعرفة الإيمانيّة، فهي تستحضر الحقائق الغيبيّة لتهذب سلوك الفرد، وتربّيه على الانضباط، كما تجعله حارسًا لسلوك أصحابه من الزلل، يشهد على ذلك التاريخ بكثير من أحداثه، فالأمثلة على ذلك من واقع حياة المؤمنين بالغيب أكثر من أن تحصر، ويكفي تذكُّر المقالة الشهيرة للصبيَّة المؤمنة التي طلبت أمّها منها مزج اللبن بالماء بعيدًا عن عين الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي نهى عن ذلك، فقالت: يا أمّتاه، والله ماكنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخلاء[1].

ولا تكون الطاعة في الخفاء كالطاعة في العلانية إلاَّ إذا كانت نابعة من مراقبة الذي يعلم السرّ وأخفى، ويستوي عنده السرّ والإعلان.

- **الربط بين العمل في الدنيا وتطبيق أمر الله فيها وبين الآخرة وثوابها وعقابها،** فالجزاء في منهج إصلاح الحياة القائم على الإيمان بالغيب لا يقف عند حدود العقوبة أو المثوبة الدنيويّة لمن تثبت استقامته على المنهج أو انحرافه عنه، بل إنّ الجزاء يمتدّ في الدور الثلاث، فيكون بذلك ضامنًا لتنمية الالتزام الذاتيّ في كلّ حال وكلّ وقت، فالإيمان بالله واليوم الآخر يرتبط في حسّ المؤمن بتصوُّره لمعنى الحياة وغايته فيها، فلا تكون الحياة الدنيا بما يظهر من شهواتها وزينتها هي كلّ ما يرى، وإنما يراها مرحلة من حياة طويلة، فيفكِّر في العاقبة بعدها مما يؤثِّر في تربية ضمير يضبط موازين تقييمه للأمور، ويسمو بطموحاته إلى أكثر من حدود هذه الحياة الدنيا .

لذلك شهد عقلاء الفلاسفة على أثر الدين في قيام الأخلاق والتزام الأفراد بتطبيقه قال الفيلسوف الألمانيّ فيخته Fichte [2]:«الأخلاق من غير دين عبث»[3]، والواقع الحاصل في المجتمعات العلمانيّة أكبر دليل على صحّة قوله، فمع كثرة الفلسفات الأخلاقيّة وتزايد التنظيمات الاجتماعيّة والمؤسسات التربويّة والهيئات الرقابيّة التي تهدف إلى تقويم سلوك الفرد وتربيته على الانضباط المنشود إلاَّ أنّ الإنسان هناك تردَّى في مهاوي الجنوح والانحراف لضعف

(١) ينظر: "سيرة عمر بن الخطاب" لابن الجوزي: ٦٠

(٢) جوان فيخته فيلسوف ألماني، عاش عام (١٧٦٢-١٨١٤م) صاحب فلسفة مثالية محورها الأنا أو الذات، وضع نظام فلسفي كامل يستند على مبدأ أول يسميه (الأنا المطلق)، ويدعو إلى تأمل الباطن كطريق للمعرفة .ينظر: "موسوعة الفلسفة" لعبدالرحمن بدوي: ١/ ١٤٠

(٣) ينظر: "الإيمان والحياة" للقرضاوي : ١٨٩

السياج العقَديِّ المتين المبنيِّ على الإيمان بالغيب الذي يحجز الإنسان من الانسياق وراء عصف الرغبات والشهوات، وينمّي لديه الشعور بالالتزام، ويدفعه في طريق السلوك الصالح وعمارة الأرض.

## ثالثاً: تكوين روح المبادرة والعمل:

فطر الله ﷻ الإنسان على أن يكون صاحب همّة وعزيمة، ومنحه القدرة والإرادة ليحقّق عزيمته بالعمل، ثم أرسل رسله بالدعوة إلى العمل والإحسان في جميع جوانب الحياة، فعقيدة الإيمان بالغيب التي هي قوام الرسالة تتضمَّن في كلِّ تفاصيلها ما يدعو إلى العمل في نفع النفس ونفع العباد وعمارة الأرض، ويبعث في النفس حبّ المبادرة إلى الخيرات، فالإيمان بالله ﷻ وبما يتّصف به من الكمال يحرِّك في القلب محبَّته الباعثة على العمل من أجله تقرُّبًا إليه وطلبًا لمرضاته، فالحبّ باعث قويّ إلى السعي نحو المحبوب والاجتهاد في طلب مرضاته، قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩**﴾ [الإنسان:٨-٩]، وقال: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧**﴾ [البقرة:٢٠٧].

والإيمان باليوم الآخر وما يتضمَّنه من عقيدة الجزاء يبعث الهمَّة إلى العمل، فاليقين بالجزاء دافع ووازع يحكم سلوك الإنسان، ويحدِّد مواقفه بين الفعل والترك؛ لأنَّ الإنسان يبني تصرفاته غالبًا على تقدير العواقب المحتمَلة، ومن وجه آخر فإنّ الإيمان بالغيب يجنِّب صاحبه الاغترار بمظاهر الحياة في عالم الشهادة، ويربِّيه على تذكُّر حقيقة الدنيا، وأنها مزرعة لأخراه؛ فيبادر إلى العمل ويتحرَّى الإحسان فيه راجيًا ما وُعد في دار الخلود ليقينه بالبعث والحساب والجزاء كما عرف من نصوص الوحي، قال ﷺ : "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟"[(١)].

والإيمان بصدق الكتب، وأنها منزلة من عند الله ﷻ هداية ورحمة للناس يجعل المؤمن

(١) أخرجه الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع،باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم: ٢٤١٦ قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال الألباني: حسن، صحيح سنن الترمذي: ٢٨٩/٢

يعمل على تطبيق هديها في حياته، ومتابعة الأمر والنهي فيها، والتزامه في حياته فعلاً وتركًا. والإيمان بصدق الأنبياء وأنهم القدوة الكاملة للبشريّة يحمل المؤمن على التأسّي بهم والاقتداء بهداهم.

وللإيمان بالقدر أثره العظيم في هذا الجانب؛ إذ يعلم المؤمن بالغيب أنّ الأقدار مكتوبة، وأن لن يصيبه إلاّ ما كُتب له مما يدفعه إلى العمل والمبادرة بشجاعة، فيضرب أروع معاني الجهاد غير خائف من الموت: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١]؛ لذا ارتاد المسلمون البقاع المجهولة، واكتشفوا خيرات الأرض يدفعهم إيمانهم إلى بذل الأسباب للبناء والتعمير ولا يفتّ في عضدهم خوف أو تردّد، كما لا يلهيهم عاجل النتائج؛ لأنّ ما يرجونه لا ينحصر في الدنيا، بل يتجاوزها إلى جنّات الخلود.

والعمل الذي يدعو إليه الإيمان بالغيب هو العمل الموصوف بالصلاح الذي يسعى من أجل الإصلاح، يقول تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣]

فأقسم ﷻ على أنّ الإنسان في خسارة إلاّ من حقّق هذه الصفات الأربع: الإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر، فالإيمان يحرّك ويبعث ويوجّه لينطلق المؤمن باحثًا عن الأعمال الصالحة في جميع جوانب الحياة متخذًا أسباب ثباته على الإيمان وثباته على العمل بصحبة من يواصونه بالحقّ ويصبّرونه عليه. فالمؤمن بالغيب يبادر إلى العمل بدافع من إيمانه ليؤدّي مراد الله منه ويعبده كما أمر، فينجو من خسارة الدارين ويحقّق صلاح دنياه وأخراه.

**رابعاً : حماية المجتمع من الفساد:**

يدفع الإيمان بالغيب صاحبه إلى التمسُّك بالأخلاق الحميدة، وإلى اجتناب الشرِّ والرذيلة ويذكِّره بحقائق العقيدة الغيبيّة، ويرسم له منهجًا يقوده إلى الارتقاء بنفسه وحمايتها من الانحدار وراء الهوى والشهوات، ويهذِّب أخلاقه، ويربِّي ضميره، ويدفعه إلى العمل ويحيي فيه روح المبادرة؛ وهو بذلك يرتقي بالمجتمع كلِّه لقيم الحضارة والتقدُّم، ويحميه من أنواع الفساد .

ويحتاج المجتمع ليدوم فيه الصلاح ويعمّ الإصلاح، إلى أحكام وسياسة عامّة تحميه من الفساد، فقيام المجتمعات والأمم لا بدّ له من سلطة تحرص على رعاية الشؤون العامّة وتنظيم العلاقات بمقتضى منهج شامل، وتثبت الدراسات الاجتماعيّة التاريخيّة أنّه ما من طائفة من البشر يستقرُّون في أرض إلاّ ويتعارفون على نظام ليسوسوا حياتهم، ولكن إيجاد ذلك النظام وقيامه بوظيفته في إصلاح الحياة يمرّ باضطراب كبير، ويكلِّف كثيرًا من الجهد، وقد يفلح في تلبية حاجة الجماعة أو الأمّة، وقد يخفق بحسب ما يقوم عليه من العدالة، والقدرة على التوفيق بين مصالح الأفراد ومصالح الجماعة، ووضوح الحقوق والواجبات وغير ذلك، إلاَّ أنّ الإيمان بالغيب بما يتضمّنه من نظام عامّ يبني في أمّة المؤمنين بالغيب أسمى نظام سياسيّ، وينظّم أمور الولاية العامّة [1] بأيسر السبل وأسرعها وأثبتها؛ لأنه يوحّد لدى معتنقيه القيم والموازين، ويقوّي بينهم الروابط، فبالإيمان يتجاوزون عصبيَّاتهم القبليّة، وولاءاتهم الموزّعة، ويعتصمون بمنهج واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥]، فإيمانهم بالغيب يجعلهم يحتكمون إلى مصدر واحد إذا ثارت بينهم دواعي الخلاف، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وقد يواجه الحكام في كل أمة مشقّة في فرض ما يرونه من قوانين؛ إذ قد تختلف رؤية الناس لها واقتناعهم بجدواها، ومن ثم موافقتهم عليها وتطبيقهم لها ولكن الأمّة التي تستند قوانينها وتدابير سياستها إلى أصل دينيّ سواء ما جاء أمرًا من عند الله أو استنبطه الفقهاء، وأجمع عليه أهل الحلّ والعقد بطريق الإجماع أو الشورى؛ فإنّه يلقى القبول والامتثال لدى الأفراد المؤمنين بالغيب لإيمانهم بأنّه مقتضى الحقّ ومظنّة الخير، ويتأكّد سلطانه في نفوسهم لأنّه موضع حساب وجزاء بين يدي من يخشونه بالغيب، ويراقبونه في السرّ والعلن، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

---

(١) لذا كان إبراز هذا المنهج محل عناية من أهل العلم منذ القديم، فصنفوا فيه مصنفات تعين الساسة على معرفة هذا المنهج، وتدعوهم إلى تطبيقه في الحياة، ومن ذلك كتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" للماوردي (ت٤٥٠هـ)، وكتاب "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" للشيزري (ت٥٨٩هـ).

[النساء:٥٩].

ومن هنا كان للإيمان بالغيب أثره العظيم في إصلاح حياة الناس وعصمة المجتمع المؤمن من الفساد والتفكُّك، ومن كثرة الضرار والتخاصم في العلاقات المدنيّة، وفي النزاعات بين السلطة السياسيّة الحاكمة وبين الأفراد والجماعات، فالفرد المؤمن عرف أنّه مستخلَف ومستأمَن وأنه غدًا موقوف ومسؤول، فإذا كان حاكمًا راعى في مسؤوليته مقتضى إيمانه، وعمل بالمنهج الذي أُمر به، فحكم وعدل وشاور وأصلح، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وإن كان واحدًا من الرعيّة، تعاون على تحقيق صلاح الأمر العامّ، وصدع برأيه وناصح أولي الأمر، والتزم طاعتهم وغير ذلك مما يقتضيه إيمانه بالغيب وانقياده لما فيه من الأمر والنهي.

وقد نعمت البشرية قرونًا عندما كان الإيمان بالغيب يظلِّل الحكَّام والمحكومين، فيعملون بمقتضاه في كلِّ أمور حياتهم، ويستمدُّون من مصادره أنظمتهم وأمور سياسة معاشهم وحياتهم. قال ابن القيِّم في معرض حديثه عن كمال الشريعة بما تضمَّنته نصوص الوحي من معارف شاملة لكلّ ما يصلح أمور الدنيا والدين: « وكذلك عرّفهم ﷺ من أمور معايشهم مالو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة»[1]، وما شقيت البشريّة وفسدت المجتمعات إلاَّ عندما عُزل الدين والإيمان عن الحياة العامّة والسياسة، وأُقصي منهجه عن الحكم في ظلّ دعوات العلمانيّة أو الاشتراكيّة أو غيرها[2].

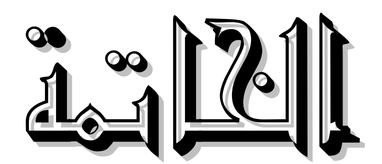
وخلاصة القول أنّ الإيمان بالغيب واتباع هدى خير المرسلين سبب كلِّ سعادة وفلاح، وأساس كلّ صلاح للدين والدنيا، وقد جاء محمد ﷺ بخير الدنيا والآخرة برمَّته، ولم يحتجِ المؤمنون بالغيب بعده إلى أحد، فمَن ظنّ أنّ شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها تحتاج سياسة خارجة عنها تكملها، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها كمن ظنّ أنّ بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده [3].

---

(١) "إعلام الموقعين"لابن القيم: ٣٧٥/٤

(٢) ينظر:"الحكم والتحاكم في خطاب الوحي" لعبد العزيز مصطفى:٥٣٦/٢، و"نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي" لظافر القاسمي: ٣٨٨، و"العلمانية" لسفر الحوالي: ٢٠٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: "إعلام الموقعين" لابن القيم: ٣٧٦/٤



بعد هذا التطواف في دراسة أصول الإيمان بالغيب وآثاره، أختم بتلخيص أهم النتائج التي جلّتها الدراسة، وأكدت عليها في مباحثها المختلفة وهي:

١. أن العلم المطلق بجميع خفايا الغيب الماضي والحاضر والمستقبل على التفصيل والكمال هو مما يختص بخالق عوالم الغيب والشهاده ﷻ لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

٢. أن كل غيب علمه أحد من الخلائق فهو من الغيب النسبي الذي يظهره الله لبعض الخلق دون بعض، أو بعض الناس دون بعض، وأجلّه وأعظمه ما أظهر الله عليه من ارتضى من الرسل، وأمرهم ببلاغه، وتعبّد الناس بالإيمان به بحسب ما فُصّل أو أُجمل.

٣. أن باب العلم اليقيني فيما يتعلق بالله ﷻ وأمره وشرعه أو بحقائق عالم الغيب قد أغلق بوفاة الرسول ﷺ وقد بلّغ ﷺ الأمانة ونصح الأمة، وترك فيها كتاب الله والسنة إن استمسكت بهما اهتدت وسعدت في الدنيا والآخرة، ففيهما جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك فيما يتعلق بأمور الدنيا وأمور الدين.

٤. أن الغيب الذي تعبدنا الله بالإيمان به وجعله أساس الدين وأصل جميع عقائده وتشريعاته هو ما أمر الله الرسل صلوات الله عليهم ببلاغه للناس، والمعصوم منه ما حفظه في الكتاب والسنة، وهما أساس اعتبار أي معرفة غيبية؛ إذ لا يخرج أي غيب استمد من غير طريقهما عن درجة من الظن يضعف أو يقوى.

٥. أن الإيمان بالغيب يقوم على التسليم للوحي والإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ من الغيب وإن لم نعرف معناه، فالمعرفة الغيبية تبدأ وتنتهي من دلالة النصوص الشرعية، والأدلة العقلية إذا استعملت فإنما تستعمل مركبة على السمعية أو معينة في طريقها أو محققة

لمناطها لا مستقلة بذاتها. وإذا تعاضد العقل والنقل في مسائل الغيب فعلى شرط تقدم النقل فيكون متبوعًا، ويتأخر العقل فيكون تابعًا فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل .

٦. من الغيب ما يمكن الاستدلال عليه بالعقل وإن لم يرد به النص، ومنه ما لا يمكن العلم به إلا من طريق الوحي، إلا أن طريق الإيمان بالغيب هو اعتقاد ما ورد به النص دل عليه العقل أو لم يدل؛ فالعقل ليس حاكمًا في أمور الغيب بل محكومًا ودلالته على الغيبيات كاشفة لا مؤسسة .

٧. أن الغيب الذي يدعو الدين إلى الإيمان به، ويمتدح المؤمنين به هو حق مبرهن على صحته، ولا يتوصل إلى إدراك الحق فيه إلا من خلال معرفة أدلة الكتاب والسنة على فهم عدول الأمة، فليس التأويل والتحريف بأقل خطراً على صحة الإيمان من المصادر الباطلة والخرافات والأكاذيب.

٨. أن الجزم بتحديد أمر غيبي أطلقه الوحي لم يرد في تحديده نص قاطع كليلة القدر وساعة الإجابة في الجمعة والاسم الأعظم والتسع والتسعون اسما؛ يفوّت على العباد فرصة تحقيق العبودية بالاجتهاد في التحري، ودوام التذلل وطلب التوفيق من الله ﷻ.

٩. الإيمان بالغيب المستقبلي يجب أن يتوقف فيه على حدود ما جاء به النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، والعمل بما تتضمنه أخباره من أمر، والحذر مما تتضمنه من تحذير ، دون التعسف في تنزيل النصوص على الأحداث الحاضرة أو محاولة تعجيل حدوثها .

١٠. يجب التثبت والتيقن مما يقع في النفس أو تسمعه الأذن أو يرد على الخاطر أو تراه العين يقظة أو منامًا، وعدم التعجل والمسارعة في دعوى الإلهام والرؤيا إلا بدليل، فإن الوسواس غالب على الناس، وما غلب على الظن أنه حق فإنه يستأنس به دون أن تؤخذ منه أحكام أو تشريعات .

١١. أن الآثار الصحيحة الإسناد إلى صحابة رسول الله ﷺ التي تخبر عن بعض المغيبات تأخذ حكم المرفوع في وجوب التسليم بها إذا تحققت بالشروط التي حددها العلماء لإعطاء الموقوف على الصحابة حكم المرفوع.

١٢. ليس الرجم بالغيب وأنواع التنجيم والكهانة بصورها القديمة والحديثة من أسباب كشف الغيوب النسبية، وإنما هي أدوات الشيطان يغوي بها الناس ويصرفهم عن الحق اعتقادًا وعملا.

١٣. يتفاوت الناس فيما يجب عليهم ويكون شرطًا في إيمانهم، فمن مسائل الإيمان ما يكون شرطًا في إيمان بعض الناس القادرين على المعرفة بالاجتهاد، دون بعضهم الآخر الذي لا يحسنه، ومن ثم يتفاوتون في الأسماء والأحكام.

١٤. أن كل خارقة وقعت على يد أحد من الناس تصرف عن منهج العبودية فهي فتنة وإن ظهر بادئ الرأي أنها كرامة، ومن ذلك ما يحدث من أرباب التصرف بالهمم (التركيز)، وأهل الصناعة الفلكية والأحكام النجومية والسحر، فخوارقهم ظلمات بعضها فوق بعض وهذا الموضع مزلة قدم للعوام وبعض من الخواص فينبغي التنبه له .

١٥. حاجة الإنسان لمعرفة الغيب محدودة بما يكفل له القيام بمهمة الخلافة في الأرض، وتحقيق العبودية لله سبحانه على الوجه الأكمل، وقد أمده الله بما يعينه على ذلك، فلا ينبغي تجاوز ذلك إلى ما يصرف عن الغاية .

١٦. فشل المدنيات القائمة على فلسفات الغرب المادية في القرون الأخيرة عن تقديم أسباب السعادة للبشرية وبروز ظاهرة البحث عن بديل حتى عند الغربيين أنفسهم بصورة دعوات تنادي بالعودة إلى تعاليم دياناتهم المحرفة، ودعوات تنادي بالاستفادة من روحانيات الشرقيين والوثنيين ومن ثم انتشرت أنواع من الخرافة الدجل والشعوذة!

١٧. أن العقل والدين يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة أحق بكل تحقيق وعلم ومعرفة، وإحاطة بأسرار الأمور وبواطنها، فكل من زعم بلسان حاله أو مقاله أن طائفة غير أتباع الرسل أدركوا من حقائق الأمور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والغاية والمبدأ والمعاد، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وتعرّف أصول ما يصلح النفوس والمجتمعات دون أهل النبوات؛ فهو –وإن كان من المؤمنين بالرسل– جاهل فيه شعبة قوية من شعب النفاق، فالرسول أعلم الخلق بالحقائق الخبرية والطلبية، وأحب الخلق للتعليم والهداية والإفادة، وأقدر الخلق على البيان والعبارة؛ لذا امتنع أن يكون من هو دونه أفاد خواصه معرفة الحقائق أعظم مما أفادها الرسول ﷺ لخواصه .

**وإتماماً للفائدة أوصي الباحثين من بعدي بخاصة والدعاة إلى الله بعامة بعدة أمور أجملها فيما يلي:**

١. ضرورة تكثيف الجهد لنشر الحقائق الغيبية من الكتاب والسنة لعامة الناس من خلال ساحات المعرفة الحديثة، فإظهار الغيب الحق يسد باب ادعاء الأسرار المكنونة وباب التخرصات والكذب والخرافات التي نشرت البدع وأفسدت كثيرًا من المعتقدات والعبادات .

٢. ضرورة التحذير من المصادر الباطلة وصور الكهانة العصرية وخطرها على الإيمان في زمن أصبح الوصول إليها وتصفحها أمرًا يستطيعه كل أحد دون أدنى جهد لتوفرها على الشبكة العنكبوتية بلغات مختلفة، وبتشويق وترغيب من قِبل أصحاب البدع والضلالات.

٣. ضرورة تمييز الغيب النسبي الذي يكشفه تطور العلم والأجهزة عن الغيب الذي يكشف بدلالات العقول والمنطق المجرد، فالخطأ وارد على كل حدث يُفسر، أو كيفية تشرح ما لم يخبر بها الوحي صراحة أو تتناولها منافذ الحس ويشهد لها صحيح العقل، وقد يتأثر عالم ثقة بفلسفة انتشرت في زمانه على أنها من صحيح المعقول، فيرويها ويستشهد بها أو يفسّر بها ما جاء به الوحي أو ينكر أمرًا أو يؤوّل نصًّا ليتوافق معها كالقول بـ(مبدأ العناصر الخمسة) قديمًا والقول بـ( العقل الباطن) و(مقر الإعلام الكوني) حديثاً، فإن عدّ هذه الأمور من باب الغيوب التي كشفها العلم نصر لأقوال وفلسفات أهل البدع وإن لم يُقصد ذلك.

٤. ضرورة العناية بتحقيق الآثار المروية عن الصحابة وأئمة السنة في مسائل الغيب لأن كتب التفسير والتاريخ المتضمنة لهذه الآثار قد تلونت بثقافة مؤلفيها وجمعت كثيرًا من الأقوال والآراء المنسوبة إلى الصحابة أوالتابعين من غير إسناد ومن غير تحر عن رواتها فكل من يقع على رأي يعتمده ويورده، ثم يجيئ من بعدهم فينقله على اعتبار أن له أصلاً عند من سبقه وتحسينًا للظن بقائله، فالتبس الصحيح بالضعيف، والحق بالباطل، لذا وجب تحقيق الآثار ومعرفة صحة نسبتها لحفظ التراث الغيبي الحق من الخرافة ومن الظنون .

٥. ضرورة إبراز الثابت من فهم سلف الأمة في تفسير القرآن وفضح محاولات التحريف المتسترة بستار التفسير ومراعاة روح العصر على مدى الزمان ليفطن المسلمون لخطورة أن يضلوا عن الحق الذي اهتدى إليه سلف الأمة وإن بقي فيهم الكتاب والسنة .

٦. ضرورة تذكير الناس وترسيخ اعتقادهم بكمال الدين الحق، وعظمة حفظ القرآن، وختم النبوة، وعظمة منهج الإسلام وشموله لغلق أبواب الرجم والتخرص والتنبؤ والإدعاء وما يتبعها من البدع والشرك، وللحد استيراد المناهج الفكرية الغربية والتطبيقات الفلسفية الروحية في التطبيب والتدريب.

٧. ضرورة التأكيد على أهمية تحرير المصطلحات ورفض استخدام الأسماء المحددة المعنى في اللغة أوالشرع على معان جديدة مجملة أو مبهمة؛ لمواجهة سريان الفلسفات الباطنية والحد من تسريب ثقافتها للمجتمع المسلم بمنهجها الباطني، ولكي لا يُتهم الدين إن رفضها بمحاربة العلم، وليست هي علمًا في الحقيقة، مثل تسمية الحلول والاتحاد (استمداد الطاقة الكونية) وتسمية الرجم بالغيب والخرافة(فراسة). ومثل التوسع في معنى الطبائع الفيزيائية، وإدخال القول بالقوى الخفية في مفهوم الأسباب والمسببات ونحوه .

٨. ضرورة تضافر جهود متخصصين في أنواع العلوم المختلفة لمتابعة ما يدّعى من تفسير للغيب أو كشف لأطرافه، يكون منطلقهم ثوابث النقل الصريح والتجريب الصحيح فإن الاجتماع على مثل هذه الدراسات يجعلها أبعد عن الزلل أو سرعة التسليم بما قد يظن أنه علمي ثابت في مجال من المجالات؛ إذ المدعى ثبوته علميًّا كثير يحتاج إلى دراية وفحص من فريق لا يغفل عن أساليب الخداع والتضليل، ولعل ميلاد الجمعية السعودية لعلوم العقيدة والأديان يؤذن ببداية مثل هذه الأعمال.

٩. ضرورة دراسة المنهج الباطني ووسائله الحديثة إذ هو أحد الأسلحة الفكرية الخطيرة التي يواجه بها الإسلام اليوم لتوافقه مع قوانين العصر الحديث الداعية إلى قبول الآخر، وفتح باب الحوار على مصراعيه بين الأديان والمذاهب والنظر إليها كلها بمنظار التعددية فقط دون اعتبار للضوابط الشرعية.

١٠. ضرورة دراسة التطبيقات المعاصرة للفلسفات الشرقية التي تُنشر تحت شعارات الصحة والسعادة والتغيير وتنمية الطاقة البشرية، وضرورة تنظيم عمل جماعي يحد من تسريبها للمجتمع المسلم حماية لجناب التوحيد.

١١. ضرورة دراسة الحركات الدينية الثيوصوفية المعاصرة في الغرب، ومواجهة أساليبها الباطنية المتسترة تحت دعاوى المحبة والسلام .

وبعد، فما المدى الذي بلغته هذه الدراسة إلا جهد إنسان ضعيف محدود بقدرته وصفاته، مفتقر إلى عون ربه وتسديده، فأسأل الله العظيم سبحانه أن يبارك ما قدمت فيها من حق وصواب ، وأن يجعلني أول المنتفعين بها، وأستغفره من كل خطأ وزلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

# ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري ، الناشر : مكتبة دار البيان .

٣. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ،عبيدالله بم محمد ابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي، دار الراية، الرياض، ط:١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م

٤. أبجد العلوم .محمد صديق حسن خان القنوجي. بيروت . دار الكتب العلمية . ١٣٩٨هـ .

٥. أبحاث في التصوف، عبدالحليم محمود، مطبوع مع المنقذ من الضلال،ط:١، بيروت.

٦. أبحاث هيئة كبار العلماء، رئاسة الإفتاء،ط:١، ١٤٢٣هـ.

٧. الإبداع العام والخاص ، الكسندرو روشكا ، ترجمة غسان عبدالحي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .

٨. إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، أبو يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء، تحقيق :محمد بن حمد النجدي ، دار إيلاف ، الكويت ، ط:١، ١٤١٠هـ .

٩. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره الأديان، بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار العاصمة الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ .

١٠. إبليس في التحليل النفسي، سيغموند فرويد، ترجمة جورج طرابيش، بيروت١٩٨٠م .

١١. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، ط:٤، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

١٢. الاتجاهات العقلانية الحديثة ، ناصر العقل ، دار الفضيلة،الرياض، ط:١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٣. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري ، دار الصميعي، الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ

١٤. الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء ، جمال بن أحمد بن بشير بادي، دار الوطن، ط:١، ١٤١٦هـ .

١٥. أحكام القرآن ، أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق : علي محمد البجاوي . دار المعرفة ، بيروت . ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

١٦. الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين علي الآمدي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٧. إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتب .

١٨. الأخلاق الإسلامية ، عبدالرحمن الميداني، دار القلم ، دمشق، ١٤٠٧هـ- ١١٩٧٨م.

١٩. الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط:٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٢٠. آداب الشافعي ومناقبه،عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم. تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ،مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

٢١. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٩هـ .

٢٢. أديان الهند الكبرى: الهندوسية،الجينية،البوذية.أحمد شلبي ، مكنبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط:١١، ٢٠٠٠م .

٢٣. الأديان دراسة تاريخية مقارنة ، رشدي عليان، دار الحرية، بغداد ، ١٩٧٦ م .

٢٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٢٥. الإرشاد في معرفة الأحكام ، عبدالرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ

٢٦. الاستشفاء الطبيعي بالماكروبيوتيك ،ميتشو كوشي ، ترجمة أسامة مأمون،الدار العربية للعلوم، القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٧. الاستقامة . أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة،الرياض، ط:١٤٢٠،١م-٢٠٠٠م .

٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عمر ابن عبد البر، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ .

٢٩. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبوشهبة ، مكتبة السنة ، القاهرة، ط:٤، ١٤٠٨هـ .

٣٠. أسرار الآلهة والديانات، أ.سميغوليفسكي، ترجمة : حسان مخائيل إسحق، دار علاء الدين ، سورية ، دمشق ،ط:١، ٢٠٠٥م .

٣١. أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، س.بريوشينكين، ترجمة: حسان إسحق، دار علاء الدين ،سورية،دمشق،ط:١، ٢٠٠٦م

٣٢. الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٣٣. الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، أنور الجندي، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧م

٣٤. الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية :لماذا وكيف؟ محمد سعيد البوطي، دار الفكر،دمشق، ط:١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣٥. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تعريب : ظفر الإسلام خان ، دار البحوث العلمية، ط:٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٦. الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البهقي، تحقيق : عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادي: جدة، ط:١.

٣٧. الإصابة في تمييز الصحابة ،أحمد بن علي ابن حجر ،تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ .

٣٨. اصطلاحات الصوفية ،كمال الدين القاشاني، الهيئة المصرية العامة، مصر.

٣٩. أصول الدين، عبدالقاهر البغدادي، دار صادر،بيروت، مطبعة الدولة، ط:١، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م

٤٠. الأصول الستة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، شرح محمد بن صالح العثيمين ، دار المنهاج القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤١. أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، محمد أبو ريان، دار الطلبة العرب، بيروت، ١٩٦٩م.

٤٢. أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٤٣. أضواء على الروحية ،علي راضي، القاهرة، لجنة نشر الثقافة الروحية، ١٩٦١م.

٤٤. أطلس-dtv الفلسفة، بيتر كونزمان، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط:٨، ١٩٩٩م .

٤٥. الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤٦. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، تعليق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٤٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٩، ١٣٩٣هـ.

٤٨. اعرف روحك، علي راضي، القاهرة،١٩٨٤م.

٤٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

٥٠. الأعلام، خير الدين محمود الزركلي، ط :١٣ ،دار العلم للملايين، بيروت،١٩٩٨م.

٥١. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق :محمد عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ.

٥٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب الرياض، ط:٧، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
٥٣. الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، سينا للنشر، القاهرة ، ط:١، ١٩٩٧م.
٥٤. إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني،دار الكتب العلمية، بيروت ط:٢، ١٤٠٦هـ .
٥٥. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى العمراني، تحقيق : سعود الخلف، أضواء السلف الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٥٦. الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، علي بن بخيت الزهراني، دار الرسالة، مكة المكرمة.
٥٧. الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، عبدالمحسن صالح، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ط:٢، ١٩٧٨م.
٥٨. الإنسان ذلك المجهول، إلكسيس كاريل، ترجمة : شفيق فريد، مكتبة المعارف، بيروت ط:٢ ، ١٩٧٤ م .
٥٩. الإنسان في ظل الأديان، عمارة نجيب، المكتبة التوفيقية بالحسين، ١٩٧٦م .
٦٠. الإنسان والغيب، يحيى سلامة، منشورات العصر الحديث، بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٦١. الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبدالله الصري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٦٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبدالله البيضاوي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
٦٣. إيثار الحق على الخلق، محمد ابن الوزير، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٩٨هـ.
٦٤. الإيمان ،أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق : محمد ناصر الألباني، العمومية، دمشق .
٦٥. الإيمان بالغيب، بسام سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط:٣،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٦٦. الإيمان بين الوحي والعقل، رفيق شاكر النتشة، ط:١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٦٧. الإيمان وأثره في حياة الإنسان، حسن الترابي، دار القلم، الكويت، ط:٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٦٨. الإيمان والحياة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة، مصر،ط:٨، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م
٦٩. الإيمان، ابن تيمية، تحقيق : محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٧٠. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تخريج : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

٧١. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار النشر، ط:١، دار هجر ،الجيزة،١٤٢٠هـ .

٧٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار المعرفة .

٧٣. البرهان في عقائد الأديان للسكسكي، مكتبة المنار : الأردن ،ط: ١، ١٤٠٨.

٧٤. البرهان، برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ

٧٥. البلاغة في ثوبها الجديد،بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين،ط:٣،بيروت،١٩٩٣م.

٧٦. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط:١٤٠٧،١هـ .

٧٧. بلوغ السول في مدخل علم الأصول، لمحمد حسنين مخلوف، تحقيق :حسنين محمد مخلوف، ط. شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر .

٧٨. البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، عبدالله نمسوك، أضواء السلف، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٧٩. تاج التراجم، زين الدين قاسم ابن قطلوبغا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق ط:١، ١٤١٣هـ .

٨٠. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

٨١. تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل الجوهري، تحقيق : أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٢، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

٨٢. تاريخ الأديان، محمد الزحيلي ويوسف العش، مطبعة جامعة دمشق،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٣. تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو والمدارس المتأخرة، محمد أبو ريان، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

٨٤. تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب، حنا الفاخوري، وخليل الجر، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط:١، ٢٠٠٢م.

٨٥. تاريخ الفلسفة اليونانية ،يوسف كرم، ط:٥، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة.

٨٦. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ب.ح. دي بور، ترجمة: محمد أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، القاهرة، ١٩٥٤م.

٨٧. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨٨. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عزالدين توفيق، دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة، ط:٢، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م.

٨٩. تأملات في الحياة النفسية، ندرة اليازجي، دار الغربال، دمشق، ١٩٨٨م.

٩٠. تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩١. تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، ط:٦ ، دار الشروق، بيروت .

٩٢. تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٧ هـ .

٩٣. التدمرية، أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد السعوي، ط:١، ١٤٠٥هـ.

٩٤. تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر ابن القيسراني، تحقيق :حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ .

٩٥. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبدالله القرطبي، تحقيق: أحمد حجاي السقا، االمكتبة العلمية ، ١٤٠٢هـ.

٩٦. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق :محمد تاويت الطبخي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية، ط:٢. ١٤٠٣هـ .

٩٧. التصوف البوذي والتحليل النفسي، د.ت.سوزوكي، ترجمة ثائر ديب، دار الحوار سوريا ، ط:١، ١٩٩٦م.

٩٨. تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني.ضمن رسائل الجامع الفريد تقديم : عبدالرزاق عفيفي، العبيكان : الرياض ط: ٣.

٩٩. التطور التاريخي للفكر الديني، رشيد ناضوري، دار النهضة، بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م

١٠٠. التعرف لمذهب أهل التصوف ،أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، مطبعة دار السعادة القاهرة .

١٠١. التعريفات للشريف الجرجاني دار الكتب العلمية بيروت ، ط . ١ ، ١٤٠٣ هـ .

١٠٢. تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق : عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٦هـ.

١٠٣. تفسير أسماء الله الحسنى ، أبي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

١٠٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تصحيح : خليل الميس، دار القلم ، بيروت ، ط:٢ .

١٠٥. تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة هجر، مصر، ط:١

١٠٦. التفسير الكبير ومفاتح الغيب، محمود الفخر الرازي ، المطبعة الخيرية، القاهرة ، ط:١، ١٣٠٧هـ.

١٠٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة العربية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

١٠٨. تفسير النكت والعيون، علي الماوردي البصري، تعليق: عبدالمقصود عبدالرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٠٩. التفسير والمفسرون، محمد حسن الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة،ط:٢، ١٤٠٥هـ.

١١٠. تقريب المعاني في شرح حرز الأماني، لاشين أبو الفرج وخالد الحافظ، ط:٢، ١٤١٩هـ-مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة.

١١١. تلبيس إبليس، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق :خير الدين علي ، دار الوعي العربي ، بيروت .

١١٢. تمهيد في التأصيل، عبدالله الصبيح، دار إشبيليا الرياض، ط:١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط:١، المغرب.

١١٤. التناسب البياني في القرآن دراسة في النظام المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٦٠م.

١١٥. تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، ط: ١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

١١٦. التنبؤ بالغيب قديمًا وحديثًا. أحمد الشنتناوي ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٩م.

١١٧. تنبؤات نوستراداموس نقد وتحليل لمحمد جبر، مكتبة الصحوة، الكويت،ط:١، ١٩٩٧م .

١١٨. التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، عبدالمجيد المشعبي، مكتبة الصديق، الطائف،ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١١٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المتزي، تحقيق : بشار معروف مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

١٢٠. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن ابراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي ، ط:٣ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٢١. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق : محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٢٢. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله ابن عبد الوهاب، تخريج : عرفان عبد القادر حسونة العشا ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

١٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مراجعة : علاء السعيد ، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

١٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م .

١٢٥. جامع العلوم والحكم ، عبدالرحمن بن شهاب ابن رجب الحنبلي ، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢٦. جامع المسائل ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق محمد شمس، إشراف بكر أبو زيد،دار عالم الفوائد ،مكة المكرمة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٢٧. جامع بيان العلم ، ابن عبد البر ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة .

١٢٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي ، مصر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م .

١٢٩. الجديد في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد،١٩٨٤م

١٣٠. الجنة والنار، عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط:١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٣١. الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، عبدالرزاق معاش، دار الوطن الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٣٢. الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد، عبدالرحمن بن عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

١٣٣. حاشية ابن عابدين، ( رد المحتار على الدر المختار)، محمد أمين الشهير بابن عابدين، مكتبة مصطفى البابي، ط:٣، ١٣٨٦م.

١٣٤. حاشية السيالكوتي على شرح المواقف للشريف الجرجاني مطبوع معه، مطبعة السعادة، مصر.

١٣٥. الحاوي للفتاوى، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٥ هـ.

١٣٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل بن محمد الأصبهاني، الجزء الأول بتحقيق : محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ، الجزء الثاني بتحقيق : محمد بن محمود أبو رحيم ، دار الراية ، الرياض ، ط:١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .

١٣٧. الحق الواضح المبين ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، جزء العقيدة الإسلامية ، مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٣٨. الحقيقة بين النبوءة والسياسة ،محمد حافظ ،ط:٣، دار الأوائل، سورية، ٢٠٠٣م.

١٣٩. الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ،عبدالعزيز مصطفى كامل، دار طيبة ، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ- ١٩٥٩م.

١٤٠. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، مصر، ط:١، ١٣٩١هـ.

١٤١. حول إعادة تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، كتاب الأمة، سلسة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر، ط: ١.

١٤٢. خارقية الإنسان ، الباراسيكولوجي من المنظور العلمي، صلاح الجابري، دار الأوائل ، سورية ، ٢٠٠٤م .

١٤٣. خرافة الميافيزيقيا، زكي نجيب محمود ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م .

١٤٤. خوارق الشعور ، علي الوردي، الوراق للنشر، لندن ، ط:٢، ١٩٩٦م.

١٤٥. الدر النضيد على أبواب التوحيد، سليمان بن حمدان، دار الصميعي، ط:١، ١٤٢٤هـ.

١٤٦. درء تعارض العقل والنقل ( موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٤٧. دراسات ثيوصوفية ،جهاد الشيخ، معابر، الإصدار العاشر، باب منقولات روحية، سوريا ، ٢٠٠٣م.

١٤٨. دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، صالح حمادي، دار بوسلامة، تونس، ١٩٨٣م.

١٤٩. دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، حسام الدين الآلوسي، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٢م.

١٥٠. دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين"الخوارج والشيعة"،أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط:٢،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥١. دراسة لمراسيل أبي داوود، عبدالعزيز السيروان .

١٥٢. الدرة فيما يجب اعتقاده، أبو محمد علي ابن حزم ، تحقيق: أحمد الحمد، مطبعة المدني ، القاهرة، مصر، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥٣. دلائل التوحيد، محمد القاسمي، تخريج : خالد العك ، دار النفائس ، دمشق ، ط:١، ١٤١٢ هـ — ١٩٩١م .

١٥٤. دلائل النبوة :أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤٠٥هـ.

١٥٥. الدليل الشافي على المنهل الصافي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخفاجي القاهرة، ١٣٧٥ هـ .

١٥٦. دليل المستخدم لفن التنويم، صلاح الراشد، مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية، الكويت، ط:١، ٢٠٠١م.

١٥٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون. تحقيق : محمود الجنان . بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ .

١٥٨. الدين ، محمد عبدالله دراز ، ط:٢، ١٣٩٠هـ ، دار القلم ، الكويت .

١٥٩. الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: أبو اليزيد العجمي. دار الصحوة ، القاهرة ، المنصورة، ط١، ١٤٠٥ هـ .

١٦٠. ذم التأويل لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق وتخريج : بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ط:١ ، ١٤٠٦ هـ .

١٦١. الذيل على طبقات الحنابلة . عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ابن رجب . تحقيق : محمد حامد الفقي . مكة المكرمة . المكتبة الفيصلية .

١٦٢. رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان، عبدالكريم عثمان، دار السلام ، ط:٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٦٣. الرد على المنطقيين :ابن تيمية ط٢، ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ١٣٩٦هـ .

١٦٤. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، إخراج : بطرس البستاني .

١٦٥. رسائل في العقيدة ، محمد بن صالح العثيمين، دار عالم الكتب، الرياض، ط:٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٦٦. رسائل في العقيدة، محمد الحمد، دار ابن خزيمة،الرياض، ط:١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٧. الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي،تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية بيروت، لبنان .

١٦٨. الرسالة الصفدية في تحقيق الرسالة وإبطال قول الزيغ والضلالة ، أحمد ابن تيمية ، تحقيق : سيد الحليمي، وأيمن الدمشقي، أضواء السلف ،الرياض، ط:١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٦٩. الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري النيسابوري، تحقيق : معروف زريق، وعلي أبو الخير ، دار الخير ، دمشق، ط:٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧٠. الرسالة اللدنية، أبو حامد محمد الغزالي، مكتبة الجندي، ، مصر.

١٧١. رسالة إلى أهل الثغر : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : عبدالله الجنيدي ، مكتبة العلوم والحكم ، مؤسسة علوم القرآن : بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٩هـ .

١٧٢. الروح ، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام سلامة العموش، دار ابن تيمية:الرياض، ط:١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٧٣. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٧٤. الروح والنفس والعقل والقرين ،أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر، ط:٢، ٢٠٠٥م.

١٧٥. الروحية الحديثة دعوة هدامة ، محمد محمد حسين، دار الإرشاد ، بيروت، ط:٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
١٧٦. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه ، موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، دار إحياء التراث بيروت، ط:١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
١٧٧. زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله . دار الفكر ، بيروت .
١٧٨. زاد المعاد في هدى خير العباد، محمد ابن قيم الجوزية ، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط:١٣، ١٤٠٦هـ.
١٧٩. الزهد ، عبدالله بن المبارك ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨٠. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة . محمد بن عبد الله بن حميد ،مؤسسة الرسالة . ط:١ . ١٤١٦هـ . تحقيق : بكر أبو زيد وعبد الرحمن العثيمين .
١٨١. سر طاقة البندول لجريج نيلس ترجمة فارس ظاهر، دار الجيل ، مصر.
١٨٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط:٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
١٨٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة ، محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٤، ١٣٩٨م.
١٨٤. سلسلة تراث الإنسانية ، مجموعة من الأساتذة ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر .
١٨٥. السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية والتأصيل الإسلامي لإبراهيم السرخسي
١٨٦. السنة ، عبدالله بن أحمد، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام ، ط:١، ١٤٠٦هـ.
١٨٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، بيت الأفكار الدولية،الرياض .
١٨٨. سنن أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية،الرياض.
١٨٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية،الرياض.
١٩٠. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيت الأفكار الدولية،الرياض.
١٩١. سير أعلام النبلاء ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون.ط:٧ ، بيروت ،مؤسسة الرسالة ،١٤١٠هـ .
١٩٢. سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي
١٩٣. شأن الدعاء ، أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، بيروت ، ط:٣ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

١٩٤. شجرة المعارف والأحوال ، عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، تحقيق : إياد الطباع دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط:٢ ، ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦م .

١٩٥. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . محمد مخلوف. بيروت . دار الفكر .

١٩٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب . عبد الحي بن أحمد ابن العماد الدمشقي.تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط:١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٩٧. شرح الأصفهانية، أحمد ابن تيمية ، مكتبة الرشد ، الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٩٨. شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار بن أحمد ، تحقيق: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

١٩٩. شرح الزرقاني على موطأ مالك، سيدي محمد الزرقاني، مكتبة عبدالحميد حنفي، مصر.

٢٠٠. شرح السنة ، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي بيروت، ط:١، ١٤٠٠هـ.

٢٠١. شرح العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية،عبدالعزيز الراجحي ، دار الفضيلة ،الرياض،ط:١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٢٠٢. شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح العثيمين ،تخريج : سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ .

٢٠٣. شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ.

٢٠٤. شرح القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط:٢ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٢٠٥. شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، ط:٤ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

٢٠٦. شرح فصوص الحكم لابن عربي : عبدالرزاق القاشاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:٢، ١٣٨٦هـ.

٢٠٧. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط:١ ، ١٤٠٥ هـ .

٢٠٨. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبدالقوي الطوفي، تحقيق : عبدالمحسن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية.ط:٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٠٩. شرح منتهى الإرادات ، منصور بن يونس البهوتي، دار الفكر ، بيروت.

٢١٠. شرع أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله ابن الحسن اللالكائي، تحقيق : أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض ، ط:٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢١١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان.

٢١٢. شفاء العليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة السوادي، جدة، ط:١، ١٤١٢هـ.

٢١٣. صحيح ابن حبان ، محمد ابن حبان التميمي، تحقيق:أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

٢١٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري،تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية،الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢١٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.ط:٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢١٦. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٣،، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢١٧. صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.ط:٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢١٨. صحيح مسلم بشرح النووي ، بإشراف حسن قطب، دار عالم الكتب، الرياض، ط:١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية-الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٢٠. صحيح وضعيف سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٢١. صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٢٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، تحقيق : علي الدخيل الله.

٢٢٣. ضعيف الجامع وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.ط:٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢٤. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.ط:٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٢٥. الطاقة الخفية والحاسة السادسة ،شفيق رضوان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،لبنان،ط:١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٢٦. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت ،دار الكتب العلمية. ط:١،١٤٠٣هـ .

٢٢٧. طبقات الحنابلة ،محمد ابن أبي يعلى الفراء . تحقيق : محمد حامد الفقي . بيروت. دار المعرفة .

٢٢٨. طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي. تحقيق : عبدالفتاح الحلو ،ومحمود الطناحي ،ط:٢ ،القاهرة، دار هجر، ١٩٩٢م .

٢٢٩. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، عناية وتصحيح : عبد العليم خان ،بيروت ، مؤسسة دار الندوة الحديثة، ١٤٠٨هـ .
٢٣٠. الطبقات الكبرى .محمد ابن سعد الزهري. بيروت . دار صادر .
٢٣١. الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط:١، المطبعة الأزهرية،القاهرة ١٣٤٣ هـ
٢٣٢. طبقات المفسرين .شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي . تحقيق : علي محمد عمر . ط:٢ . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٤١٥هـ .
٢٣٣. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد عمر .مكتبة وهبة . القاهرة . ط:١. ١٣٩٦هـ .
٢٣٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط:٦ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٢٣٥. ظواهر الخروج من الجسد: أدلتها ودلالاتها، رؤوف عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:٣، ١٩٨٤م.
٢٣٦. عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٣٧. عالم الروح بين الطاقة والمادة ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية ،عبدالتواب حسين، الدار العربية للعلوم ، بيروت، ط:١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٣٨. عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية، مكتبة السوادي ،جدة، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٣٩. عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٤٠. العالم غير المنظور، علي راضي ، القاهرة، ط:٣، ١٩٥١م.
٢٤١. العبر : محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت: ط:٣، ١٤٠٥هـ.
٢٤٢. العبودية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، دار المدني للطباعة والنشر ، جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٤٣. العقائد النسفية لأبي حفص عمر بن محمد النسفي . شرح: سعد الدين مسعود التفتازاني ، شركة صحافية عثمانية ١٣٢٦هـ
٢٤٤. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب . عمر بن علي ابن الملقن. ط:١ . تحقيق : أيمن نصر الله الأزهري . وسيد مهنى . بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ .
٢٤٥. العقيدة الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط:٤ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٤٦. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ،أحمد القصير، ط:١مكتبة الرشد ، الرياض، ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٤٧. عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٤٨. العقيدة في الله ، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح ، الكويت،ط:٥، ١٩٨٤م.
٢٤٩. علم أصول الفقه ،عبدالوهاب خلاف، ط:٢٠، دار القلم، الكويت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،
٢٥٠. علم الاجتماع الديني ،زيدان عبدالباقي، مكتبة غريب .
٢٥١. علم الطاقات التسع ، ميتشو كوشي، أعده بالعربية :يوسف البدر، شركة المطبوعات ، بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٢م.
٢٥٢. علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، ط:١، دار الحوار، اللاذقية،١٩٨٥م.
٢٥٣. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي ، مؤسسة قرطبة : مصر ، ط:١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٥٤. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف السمين الحلبي ، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.
٢٥٥. عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام، أمين محمد جمال ، المكتبة التوفيقية، مصر.
٢٥٦. عوارف المعارف، عبدالقاهر السهروردي، ط:٢،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٢٥٧. العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، محمد بن إبراهيم ابن الوزير ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط:٢، ١٤١٢هـ.
٢٥٨. الغنوصية في الإسلام، هاينس هالم،ترجمة رائد الباش،منشورات دار الجمل كولونيا- ألمانيا ،ط:٣، ٢٠٠٣م .
٢٥٩. فاتحة العلوم، أبو حامد الغزالي، ط:١، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٢هـ.
٢٦٠. الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية، إعداد خالد الجريسي،ط:١، مؤسسة الجريسي،الرياض،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٢٦١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
٢٦٢. فتح البرية بتلخيص الحموية، محمد صالح العثيمين، ط:٤ ،مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ.
٢٦٣. فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٦٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، أنصار السنة المحمدية .

٢٦٥. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث العراقي، السخاوي، تحقيق الشيخ علي حسين علي.إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية.

٢٦٦. فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان ،مشهور آل سلمان، مكتبة التوحيد ، المنامة، البحرين ،ط:١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٦٧. الفتوحات المكية، محي الدين ابن عربي، تحقيق: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ.

٢٦٨. الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط: المطبعة السلفية.

٢٦٩. الفراسة، الفخر الرازي، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن ، القاهرة.

٢٧٠. الفرق الكلامية الإسلامية، علي المغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:١، ١٤٠٧هـ.

٢٧١. الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر البغدادي، دار المعرفة ، بيروت ،ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٧٢. الفرقان بين الحق والباطل ، أحمد ابن تيمية، تحقيق: يوسف غزال ، دار إحياء العلوم،بيروت، ط:١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٧٣. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن اليحي، الرياض . دار طويق ، ط:١، ١٤١٤هـ.

٢٧٤. الفروع في فقه الإمام أحمد ، محمد ابن مفلح، ط:٢، عالم الكتب ،بيروت.

٢٧٥. الفروق، شهاب الدين أحمد القرافي، دار المعرفة، بيروت.

٢٧٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق : يوسف البقاعي، ط:١،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٧٧. فصوص الحكم ، ابن عربي، تعليق: أبو العلا عفيفي،ط:٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٧٨. فصول في أديان الهند ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار البخاري، المدينة المنورة، ط:١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٧٩. الفكر الديني اليهودي ،حسن ظاظا ، ط:٢، دار القلم: دمشق، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٨٠. الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، جمال مرزوق، ط:١، دار الآفاق العربية، القاهرة ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٨١. فلاسفة الشرق ، أ.و. توملين ، ترجمة : عبدالحميد سليم.دار المعارف: القاهرة .

٢٨٢. فلسفة التربية الإسلامية ،ماجد الكيلاني، مكتبة هادي ، مكة المكرمة، ط:٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٨٣. الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط: ٢، ١٩٦٩

٢٨٤. الفلسفة عند اليونان ، أميرة حلمي مطر، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٧م.

٢٨٥. الفلسفة في الهند ، علي زيعور، عز الدين للنشر، بيروت، ط:١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٨٦. الفوائد ،محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : بشير محمد عيون ، دار البيان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٢٨٧. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي. ط:١ ، تصحيح : محمد بدر الدين النعساني، مصر، مطبعة السعادة ،١٣٢٤هـ .

٢٨٨. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، عبدالعلي الأنصاري، ط:١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٤هـ.

٢٨٩. في الفلسفة الإسلامية ، إبراهيم مدكور ، سميركو للطباعة.

٢٩٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط:١٢ ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٩١. القاموس المحيط ، محمد الفيروز آبادي مؤسسة الحلبي ، القاهرة .

٢٩٢. قبل الكارثة نذير ونفير ، عبدالعزيز مصطفى كامل، المنتدى الإسلامي، الرياض ، ط:١، ١٤٢١هـ.

٢٩٣. قصة الإنسان، عبداللطيف حموش، دار الفكر، دمشق ، سورية ،ط:١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٩٤. قصة الحضارة، ول ديورنت، ترجمة:محمد بدران، جامعة الدول العربية. القاهرة، ط:١، ١٩٩٦م.

٢٩٥. قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ، ول ديورنت، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط:٦.

٢٩٦. قصص السابقين في القرآن ، صلاح الخالدي ،ط:١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٩٧. القضاء والقدر ، عبدالرحمن المحمود ، دار الوطن: الرياض ، ط:٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٩٨. القضاء والقدر ، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح ، الكويت،ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٩٩. قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، سارة آل سعود، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة العبيكان، الرياض.

٣٠٠. قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي، تحقيق: موسى علي، عالم الكتب ، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠١. القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، إبراهيم البريكان ، دار ابن القيم الدمام ، ط:١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٣م .

٣٠٢. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين، دار ابن القيم الدمام، ط:١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٠٣. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية، علاء الدين علي البعلي المعروف بابن اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٠٤. القوة النفسية للأهرام، بيل شول، ترجمة: أمين سلامة ، مكتبة الأسرة ،مصر، ١٩٩٧م.
٣٠٥. قوة عقلك الباطن ،جوزييف ميرفي، ترجمة مكتبة جرير، ط:٥، ٢٠٠٢م.
٣٠٦. القول في علم النجوم، أبوبكر علي بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادي ، تحقيق :يوسف السعيد ، دار أطلس ،الرياض ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
٣٠٧. القيامة الصغرى، عمر الأشقر، دار النفائس ، الأردن،ط:١١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٠٨. القيامة الكبرى، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح ، الكويت،ط:٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٠٩. الكامل في التاريخ، علي بن أبي أكرم ابن الأثير ،دار صادر: بيروت، ١٣٩٩هـ.
٣١٠. الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي، دار الفكر ، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ.
٣١١. كتاب الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق، عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط:٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣١٢. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد التهانوي، شركة خياط للنشر، بيروت، ١٩٦٦م.
٣١٣. كشف الحجاب عن عالم الغيب، هيام خضر، دار الدراسات العلمية والثقافية ، بيروت.
٣١٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة. بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤١٣هـ .
٣١٥. كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون، مازن السرساوي، المكتبة الإسلامية ، القاهرة ، ط:١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣١٦. الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط:٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٣١٧. الكنز المرصود في قواعد التلمود لرهلنج ، ترجمة يوسف نصر الله.
٣١٨. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، مرعي الكرمي، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، ط:١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٤٠٦هـ.
٣١٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
٣٢٠. لسان الميزان، أحمد ابن حجر العسقلاني ، دار المعرف النظامية، الهند، ١٣٣٠هـ.
٣٢١. لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، عبدالوهاب الشعراني، المطبعة الميمنية،القاهرة.
٣٢٢. لغز عشتار، فراس السواح، ط:٤، دمشق ،١٩٩٠م.

٣٢٣. اللمع،عبدالله بن علي الطوسي، تحقيق: عبدالحليم محمود ،طه سرور،دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
٣٢٤. الله الأحد: صفاته وكمالاته من كلماته،أحمد زكي حماد، ط:١، دار القلم ، دمشق، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٣٢٥. الله ذاتا وموضوعا ، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي ، ط:٣، ١٩٨٣.
٣٢٦. الله يتجلى في عصر العلم، إشراف: جون كلوفر مونسيما ، ترجمة : الدمرداش سرحان، دار القلم ، بيروت.
٣٢٧. لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، المكتب الإسلامي .
٣٢٨. لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ، للفخر الرازي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الكتاب العربي .
٣٢٩. الماتريدية دراسة وتقويمًا، أحمد بن عوض الحربي، ط:١، دار العاصمة ، الرياض ١٤١٣هـ.
٣٣٠. ماجاء في البدع ، محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق وتخريج : بدر بن عبدالله البدر ،ط: ١ ، ، دار الصميعي ، الرياض ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٣٣١. الماكروبيوتيك خالد التركي، ط:٢، دار الكتاب الحديث،بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٣٢. مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، عبدالمجيد النجار.
٣٣٣. المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد العثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان، ط:٢، دار الوطن،الرياض،١٤١١هـ.
٣٣٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد ، تصوير الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .
٣٣٥. مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ، جمع وترتيب: فهد السليمان ، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.
٣٣٦. محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .
٣٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق، بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس.
٣٣٨. المحصول في أصول الفقه، الفخر الرازي، تحقيق: طه العلواني، ط:١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٣٣٩. المختار من كنوز السنة ، محمد عبدالله دراز، دار الأنصار، القاهرة، ط:٢، ١٣٩٨هـ.
٣٤٠. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، اختصار: محمد الموصلي، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٣٤١. مختصر منهاج القاصدين، أحمد ابن قدامة المقدسي، تعليق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٣٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق ،محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت : لبنان ، ١٣٩٢هـ —١٩٧٢م .

٣٤٣. مدخل إلى نظريات الشخصية، باربرا انجلر، ترجمة: فهد ديليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف طبعة عام ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٤٤. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ط:١، دار القلم ، دمشق، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٤٥. مذهب النشوء والارتقاء لمنيرة علي الغاياتي، تقديم محمد البهي، مصر ١٣٩٥ هـ .

٣٤٦. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ،أحمد القاضي، دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٤٧. المستدرك على الصحيحين في الحديث ، محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم، وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٨. المستصفى من علم الأصول، مع فواتح الرحموت، أبو حامد محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية،ط:٢، ١٤٠٣هـ.

٣٤٩. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.

٣٥٠. مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي،، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٣٩٩هـ.

٣٥١. مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٣٥٢. مصرع التصوف( تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، ط:١، رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٥٣. مطلع خصوص الكلم ( شرح فصوص الحكم) ، لداود القيصري، مكتبة أنوار الهدى، ط:١، ١٤١٦هـ .فصوص الحكم لابن عربي بشرح القيصري

٣٥٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد الحكمي ، تعليق : عمر بن محمود أبو عمر دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام . المملكة العربية السعودية ، ط:٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٣٥٥. معالم التنزيل ، حسين البغوي ، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٥٦. معالم السنن للخطابي ، مطبوع مع سنن أبي داوود، تحقيق: عزت الدعاس، ط:١، ١٣٨٨هـ .

٣٥٧. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، محمد بن خليفة التميمي ، ط:١، أضواء السلف ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

٣٥٨. المعجزة وكرامات الأولياء، أحمد ابن تيمية، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا،ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٥هـ.

٣٥٩. المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٣٦٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، مصر ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٣٦١. المعجم الوسيط ، ابراهيم أنيس ، عبد الحليم المنتصر وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، ط:٢ ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

٣٦٢. معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حنفي ، ط:١، دار السيرة بيروت ، ١٤٠٠هـ.

٣٦٣. المعرفة الباطنية لبوريس مورافييف تعريب فؤاد رامز ،ط،: ،مكتبة مدبولي ٢٠٠٤م.

٣٦٤. معيار العلم في فن المنطق ، أبو حامد محمد الغزالي، دار الأندلس ، ط:١.

٣٦٥. مغامرة العقل الأولى ، دراسة في الأسطورة، فراس السواح ، ط:٩، دار المنارة دمشق، ١٩٩٠م.

٣٦٦. مفاتيح الغيب -التفسير الكبير-محمود الفخر الرازي ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٧هـ .

٣٦٧. مفتاح الثيوصوفيا،هيلينا بلافاتسكي، الإصدار العاشر، باب منقولات روحية، سوريا ، معابر، ٢٠٠٣م.

٣٦٨. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٦٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : حسان عبد المنان الطيبي ، عصام فارس الحرستاني ، دار الجيل ، بيروت ، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٣٧٠. مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم ، دمشق ، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٧١. مفصل الإنسان روح لا جسد ،رؤوف عبيد ، القاهرة، دار الفكر العربي، ط:٤، ١٩٧٦م.

٣٧٢. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تصحيح :هلموت ريتر، ط:٣، فرانز شتاينز ،ألمانيا ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

٣٧٣. المقدمة ، عبدالرحمن ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت،ط:١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣٧٤. مقدمة بين الطب النبوي والماكروبيوتيك، أسامة صديق، الدار العربية للعلوم ، القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٧٥. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد،برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح . تحقيق، عبدالرحمن العثيمين، ط:١ الرياض، مكتبة الرشد،١٤١٠هـ .
٣٧٦. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد الغزالي، دار الجفان والجابي، قبرص ،ط:١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٧٧. مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي ، عبدالأمير المؤمن، دار القلم ، دبي، ط:١، ١٤١٨هـ.
٣٧٨. الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد الأمير علي مهنا ، علي حسن فاعور ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط:١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٣٧٩. من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، عبدالرحمن مرحبا ، ط:٢ ، منشورات البحر المتوسط ، بيروت .
٣٨٠. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة ، محمد السيد الجليند ، ط: ٣ ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤١٠ هـ
٣٨١. مناقب الشافعي . أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : السيد أحمد الصقر . ط:١ . القاهرة . دار التراث . ١٣٩٠هـ .
٣٨٢. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٣٨٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، دار الفكر.
٣٨٤. المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب الإسلامي ،ط:٢
٣٨٥. المنثور في القواعد ، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: فائق محمود، ط:٢، ١٤٠٥هـ.
٣٨٦. المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبالحليم محمود ، ط:٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م.
٣٨٧. منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس، عبداللطيف آل الشيخ ، دار الهداية ، الرياض، ط:٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٣٨٨. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود .
٣٨٩. المنهاج في شعب الإيمان ، الحسين بن الحسن الحليمي ، تحقيق : حلمي محمد فوده ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ .

٣٩٠. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبدالرحمن العليمي، تحقيق: حسن مروة،ط:١/ دار صادر ،بيروت، ١٩٩٧م.

٣٩١. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط:٤ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٣٩٢. منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٩٣. منواسمرتي كتاب الهندوس المقدس ، تعريب إحسان حقي، دار اليقظة العربية،ط:١،

٣٩٤. الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى اللخمي لشاطبي، تحقيق محمد اسكندراني،وعدنان درويش، دار الكتاب العربي بيروت،ط:١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٩٥. المواقف، عضد الدين عبدالرحمن الإيجي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة ، بيروت. دار الجيل. ط:١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٩٦. موسوعة الأديان السماوية والوضعية، الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى، محمد العريبي ،دار الفكر ، لبنان ط: ١، ١٩٩٥م.

٣٩٧. موسوعة الفلسفة ،عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:١، ١٩٨٤م.

٣٩٨. الموسوعة الفلسفية المختصرة ،إشراف زكي نجيب محمود،دار القلم :بيروت.

٣٩٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف مانع الجهني، دار الندوة العالمية الرياض، ط:٣، ١٤١٨هـ.

٤٠٠. موقف الإسلام من السحر ، حياة با أخضر، دار المجتمع ،جدة، ط:١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤٠١. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ،صالح الغامدي، مكتبة المعارف :الرياض، ط:١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٠٢. ميزان العمل ، أبي حامد الغزالي ، مكتبة الجندي ، القاهرة .

٤٠٣. النبوات : أحمد ابن تيمية ، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف ، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. طبعة أخرى : دار الفكر، بيروت.

٤٠٤. النجاة لابن سينا ، تقديم محي الدين الكردي ، ط:٢ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

٤٠٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف ابن تغري بردي،مصر، المؤسسة المصرية العامة.

٤٠٦. نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عمر الأشقر،دار النفائس، الأردن،ط:١٢ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٠٧. نزعة الأنسنة في الفكر العربي،محمد أركون،ترجمة هاشم صالح،دار الدسوقي،ط:١٩٩٧،١م.

٤٠٨. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . علي سامي النشار، دار المعارف ، ط:٩.

٤٠٩. نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، بقلم كلير لالويت ، تعريب : ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر القاهرة ، ١٩٩٩٦م .
٤١٠. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ،ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط:٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٤١١. نظريات الشخصية ،جابر عبدالحميد جابر، دار النهضة ، القاهرة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٤١٢. النظرية المادية في المعرفة، روجيه جارودي ، ترجمة :إبراهيم قريط ، ط: دار دمشق للطباعة .
٤١٣. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، راجح عبد الحميد الكردي ، ط:١، مكتبة المؤيد ، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
٤١٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . محمد بن محمد بن أحمد المقري . تحقيق : إحسان عباس . بيروت . دار صادر . ١٩٦٨م .
٤١٥. النفس والروح ، للفخر الرازي ، تحقيق : محمد صغير المعصومي .
٤١٦. نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم :إسماعيل بن كثير ، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية ، ط:١، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض، ١٩٦٨م.
٤١٧. النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري ، تحقيق : محمود محمد الطناجي ، طاهر أحمد الزاوي ، ط:١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م
٤١٨. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، محمد الحمود النجدي ، ط:٢ ، مكتبة الإمام الذهبي ، الكويت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
٤١٩. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد الحاج ،ط:١، دار القلم ، دمشق ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٤٢٠. هرمجدون :آخر بيان يا أمة الإسلام، أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوقيفية، مصر.
٤٢١. الهند القديمة،حضاراتها ودياناتها، محمد إسماعيل الندوي، دار الشعب، مصر، القاهرة،١٩٦٩م.
٤٢٢. الوجوه الأربعة للطاقة ،رفاه وجمان السيد،دار الخيال للنشر ، لبنان.
٤٢٣. وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باعبدالله، محمد باكريم ، دار الراية، الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤٢٤. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان ، دار الثقافة، بيروت، تحقيق، إحسان عباس .
٤٢٥. اليهودية ،أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط:١٢، ١٩٩٧م.
٤٢٦. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، عبدالوهاب الشعراني، المطبعة الأزهرية١٣٢١هـ.
٤٢٧. اليوجا في ميزان النقد العلمي، فارس علوان ، ط: ،١مكتبة الضياء، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٤٢٨. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، لفرج الله أبو عطا الله، ط:٢،دار الوفاء، المنصورة ، مصر، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٢٩. يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، سفر الحوالي، دار غار حراء.

# ثبت المراجع الإنجليزية

1. Anderson, Walter T., The Upstart Spring: Esalen and the Human Potential Movement, iUniverse, Lincoln, NE, USA, 2004.

2. Beversluis, Joel D., Sourcebook of the World's Religions: An Interfaith Guide to Religion and Spirituality, New World Library; 3rd edition, 2000.

3. Carroll, Robert T.,The skeptic's Dictionary, Wiley, NJ, USA, 2003.

4. Chandler, Russel, Understanding the New Age, 1988.

5. Drury, Nevill, The Dictionary of the Esoteric, Watkins publishing, London 2004.

6. Drury, Nevill, The New Age: The History of a Movement, Thames & Hudson, London, UK, 2004.

7. Dyer, Wayne W., Manifest Your Destiny, HarperCollins Publishers, NY, USA, 1997.

8. Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite DVD, 2006.

9. Forte, Robert, Entheogens and the Future of Religion, CSP, San Francisco CA, 2000.

10. Harvis, Marvis,America Now, New york, Schuster Inc., 1982.

11. Hawkins, David R., Power VS. Force, Hay House, CA, USA, 2002.

12. Horn, Irmhild Helene, The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective, Unpublished Ph. D theses, University of South Africa, 1996.

13. Kah, Gary, The New World Religion, Hope International Publishing, P. 2, Indiana, USA, 1999.

14. Kah, Gary, En Route to global Occupation, Huntington House Publishers, USA, 1996.

15. McTaggart, Lynne, The Field: The Quest for the Secret Force of the Universe, Quill, NY, USA, 2003.

16. Millikan, David and Drury, Nevill, Worlds Apart: Christianity and the New Age, ABC Enterprises for the Australian Broadcasting Corp, 1991.

17. Nietzshe, Thus Spoke Zarathustra.

18. The American Heritage Dictionary of the English Language,2000.

19. Van Der Walt, B J, Fowler, S & Venter, J J, Die ‘New Age’ beweging/The ‘New Age’ movement. Potchefstroom: Instituut vir Reformatoriese studie, 1990.

# الفهارس

# فهرس الآيات

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِن شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ | ٢٢ | ٦٤-٣١٥ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ...﴾ | ٢٧ | ٣٧٨ |
| ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ...﴾ | ٦٠ | ٦١- ٦٥ |
| سورة التوبة | | |
| ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ...﴾ | ٦ | ٣٤٣ |
| ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ...﴾ | ٣٠ | ٣٥٥ |
| ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ | ٣١ | ٣٥٥ |
| ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ...﴾ | ٤٠ | ٢٩٠ |
| ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ...﴾ | ٥١ | ٣٨١ |
| ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...﴾ | ٥٥ | ٢٨٠ |
| ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ...﴾ | ٩٤ | ٣٧٨ |
| ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ...﴾ | ١٠٣ | ٣٦٩ |
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...﴾ | ١١٩ | ٣٣٢ |
| سورة يونس | | |
| ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ...﴾ | ٥ | ٤٣ |
| ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ ...﴾ | ٢٠ | ٢٢٣ |
| ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ | ٣١ | ٣٤٤ |
| ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ....﴾ | ٥٨ | ١٤٨- ٣٦٢ |
| ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ...﴾ | ٦١ | ٥٨ |
| ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ | ٧٢ | ٣٤٢ |
| ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ | ٨٤ | ٣٤٢ |
| ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ...﴾ | ٩٢ | ٢٧٨ |
| ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ ...﴾ | ١٠٨ | ٣٢١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . .﴾ | ٣٣ | ٢٦٨ |
| **سورة محمد** | | |
| ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ | ١٦-٢٠ | ١٦١-٢٣٨ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ | ١٧ | ٢٠١ |
| ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ | ٣٠ | ٧٣ |
| **سورة الفتح** | | |
| ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ...﴾ | ٤ | ١٦٢ |
| **سورة الحجرات** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ . . .﴾ | ٦ | ٣٢٧ |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾ | ١٠ | ٣٧٤ |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ | ١٥ | ١٩٨-٢٢١ |
| **سورة ق** | | |
| ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا . . .﴾ | ٩-١١ | ١٧٤ |
| ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ..﴾ | ١٧-١٨ | ٢٨٩ |
| ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ | ١٩ | ٣٦٦ |
| ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ . . .﴾ | ٣٣-٣٤ | ٢٩ |
| ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ . . .﴾ | ٣٧ | ٢٨٣ |
| ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ | ٣٨ | ٢٥٠ |
| ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ | ٤٣ | ٢٦٥ |
| **سورة الذاريات** | | |
| ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ | ٢١ | ٢٨٠ |
| ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ | ٤٧ | ٢٣٤ |
| ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ | ٥٢ | ٣٢٢-٣٤٤ |

# فهرس الأحاديث

# فهرس الملل والفرق والمذاهب

# فهرس الموضوعات